

**قبسات من سيرة
الإمام الخميني (قده)
الحياة الشخصية**

إعداد

علي الرجائي

ترجمة

عرفان محمود

الدار الإسلامية

بيروت - لبنان

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد اشرف المرسلين، وآله الأطهار الميامين، ورضوان الله ورحمته على خلّص أصحابه المنتجبين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فلا يخفى على ذي بصيرة، أن العالم منذ مطلع القرن الهجري الخامس عشر هو غير العالم قبل هذا التاريخ... فبعد أن كانت الشعوب والأمم تعيش كابوس الحرب الباردة بين القوتين العظمتين وتحكمها أحكام تلك الحرب، المادية، القائمة على أساس المصالح الإستكبارية. . . وبعد أن كانت الشعوب المستضعفة تنتظر أقدارها بلا حول ولا قوة، وتصفق للمنتصر في حلبة الصراع الدولي، وهي لا تعلم أنها ستكون فريسة بعد قليل!!!

بعد كل ذلك، ودون سابق إنذار، أشرقت شمس ربانية بأنوار محمدية، ورايات علوية، ودماء حسينية، وعزائم مهدوية . . . فإذا العالم غير العالم، وإذا الصراع يعود معدنه وأصله، بين الحق والباطل، النور والظلام، الإسلام والجاهلية.

إنه روح الله الموسوي الخميني قدس سره . . . رجل من قم، أشرق من فجر التاريخ، ليكون مجدداً، يعيد إحياء الدين . . . ليس المذهب الجعفري، أو الإسلام وحدهما، بل ليعيد إنعاش عالم الروح، ويوقظ تلك البواعث الغافية في أعماق النفوس الحائرة، ويعلم أن هذا القرن؛ هو قرن انتصار المستضعفين على المستكبرين بسلاح الروح والإيمان . . .

والدار الإسلامية، إيماناً منها بضرورة إيفاء هذا العظيم بعض حقه، وضرورة الإقتداء بسيرته وسلوكه، الذي كان منهاجاً وسبيلاً للعروج إلى ملكوت الحق واستحقاق الألفاظ الإلهية والموفقية، تتشرف بتقديم هذه الباقة من شهادات تفضل بها بعض معاصري الإمام قدس سره من أهل بيته والمقربين من حضرته تحت عنوان قبسات من سيرة الإمام الخميني قدس سره مراقباته وسيرته الشخصية.

سائلين المولى العلي القدير أن يتابع أطفاه على هذه الأمة، وينفع أجيالها الحاضرة والقادمة بسيرة هذا الإمام العظيم.

والحمد لله رب العالمين

الثامن عشر من ذي الحجة ١٤٢٢هـ

مقدمة المترجم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اعز دينه بأوليائه، وجعل من صالحه عباده أسوة وقدوة للخلق يهتدون بهداهم ويقتفون آثارهم لسلك صراط الولاية وطريق الكرامة وطريق الكرامة والمحجة البيضاء الضامنة لسعادة الدارين، والصلاة والسلام على أئمة الأولياء وسادة الأتقياء ينابيع الرحمة ومعادن الحكمة وسفن النجاة، المصطفى محمد وعترته الطاهرين - صلوات الله عليهم أجمعين - .

وبعد؛ فإن مما لا شك فيه إن اسم «آية الله الإمام السيد روح الله الموسوي الخميني» هو من الأسماء ذات المكانة المرموقة الخاصة، التي سجلها التاريخ الإسلامي بل والإنساني عموماً بحروف وضياء، وافر لها بالخلود والبقاء في صفحاته البيضاء.

فهذا الاسم المبارك يدل على تلك الشخصية التاريخية الفذة، التي جمعت من خصال الخير وخصائص السمو ما ندر اجتماعها كاملة في غيره من الشخصيات التاريخية، باستثناء كوكبة من أهل بيت العصمة والقداسة والطهارة، الذين لا يقاس بهم أحد من الناس، مهما بلغ من مراتب الكمال والعظمة، فهم صفوة الله من خلقه - صلوات الله عليهم - .

روح الله الموسوي الخميني، هو العالم الرباني العامل والمتبحر المجدد في مختلف فنون المعارف الإسلامية، وهو مجدد الإسلام في القرن الأخير، الذي أراح - بعلمه وعمله وسيرته - عن وجه الدين المحمدي النقي الكثير من غبار التحريف والخرافات والتحجر والبدع.

إنه الفقيه حقاً في دين الله سبحانه، والأصولي البار والمجتهد المقتدر، الذي جمع بين حفظ الأصالة المميزة في الفقه الإسلامي العريق والاحتياط الشديد في التمسك بعراه الوثيقة، وبين المعرفة العميقة بمقتضيات الزمان والمكان ورعاية خصوصياتها في العملية الاجتهادية واستنباط أحكام الشريعة الخاتمة تجاه الحوادث الواقعة بما يجسد الميزة الأصيلة للشرعة المحمدية في كونها الدين الأصح لكل زمان ومكان والشرع الأكمل في الاستجابة لمختلف التطورات، والنهج الإلهي القادر على تقديم الحلول الناجعة السليمة لمختلف مشاكل الإنسان في كل العصور والأمكنة والهادي للفرد والمجتمع إلى سبل الصلاح والسلام.

وروح الله الموسوي الخميني، هو الحكيم العارف والسالك الزاهد، الذي جمع إلى المراتب السامية لتعظيم الخالق وعبادته، الدرجات الرفيعة لخدمة الخلق وهدايتهم. فلم يشغله انهماكه الدؤوب في الرياضات الروحية، والمجاهدات النفسية والأذكار والأوراد السلوكية، والإقبال الشديد على التعبد للخالق في الخلوات والجلوات؛ عن الاهتمام الشديد بالخلق وهم عيال الحق تعالى، فكان يصبح ويمسي مهتماً بأمورهم ومصالحهم ساعياً لصالحهم، هادياً لمسيرتهم، معبراً عن طموحاتهم، مدافعاً عن دينهم وكرامتهم، متفانياً في خدمتهم، مصرحاً بحبه لأن يسموه «خادمهم» بدلاً من تسمية «قائدهم».

وروح الله الموسوي الخميني، هو القائد الرباني الذي رفع - في عصر ظلمات التغريب - نبراس مدرسة الثقلين الوضاء، وعلم الإسلام النقي، وتحدى بها طواغيت العصر، وأثمة الاستكبار والكفر شرقاً وغرباً، وحطم بالعصا الموسوية، وقبسات من الشجاعة الإبراهيمية والهمة المحمدية والصولة الحيدرية والروح الحسينية، الكثير من الأوثان النمرودية العصرية والأصنام الجاهلية الجليلة منها والخفية، وأقام دولة الإسلام في عصر غربة الإسلام، وأعز الإسلام في حقبة شوكة أعدائه الفرعونيين، الذين تصوروا أن جهود التغريب قد أعطت ثمارها في دار للإسلام، وأن تغييبهم للإسلام قد بلغ مرحلة اللاعودة للإسلام، فكانت نهضة هذا القائد الرباني منطلقاً لانبعاث حركة العودة للإسلام، وانفتاح القلوب لمدرسة الثقلين في أرجاء العالم الإسلامي وجاليات المسلمين، فساهم بذلك بحظ عظيم من شرف التمهيد والتوطئة لظهور المصلح الأكبر المهدي الموعود عجل الله فرجه وجعلنا من أعوانه وأنصاره في غيبته وظهوره.

لقد ذاب الخميني في الإسلام الحق، والتصق بثقله الخالدين، فكانت سيرته تجسداً عملياً لقيمه الإلهية، وبذلك صار من أولياء الله حقاً، وأسوة لكل من يطلب السير على الصراط المستقيم، ويطمح لطي معارج الكمال والتحلي بمدارج الفضيلة وبلوغ الحياة الكريمة في الدارين.

والكتاب الذي نقدم ترجمته لقراء العربية يشتمل على مجموعة قيمة من الذكريات، التي رواها عدد من المقرئين من هذا العبد الصالح، من أفراد عائلته وأعضاء مكتبه وتلامذته وملازميه، فيما يرتبط بسيرته، جمعها وصنفها الأستاذ غلام علي الرجائي ضمن عدة أبواب رئيسية وفصول فرعية، تشتمل على خصوصياته الشخصية وحالاته المعنوية وسيرته الاجتماعية. فهي تمثل مادة وثائقية مهمة للتعرف على أبعاد شخصية هذا العبد الكريم الصالح، تعين من يريد التأسي بالصالحين على التعرف على أخلاق

الربانيين وطريقة تجسيدهم لوصايا الثقلين، كمقدمة للإقتداء بهم والتحلي بأخلاقهم، وفقنا الله جميعاً لذلك.

وقد التزمنا بترجمة أجزاء الكتاب، وأحاديث الرواة لذكرياتهم كما هي دونما تصرف، باستثناء تغيير قسم من عناوين الروايات سعياً للتنبيه على العبر المرجوة منها. نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل بفضلته جهود جميع المساهمين في انجاز هذا العمل ويباركها، ويجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأداءً لليسير من الحق العظيم علينا لهذا العبد الصالح. إنه سميع مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لجنة الهدى

منتصف جمادى الثاني ١٤٣٣

الفصل الأول

النظم والاستثمار الدقيق للوقت

النظام اليومي في مرحلة الشباب

يقول المرحوم السيد مصطفى: أن الإمام عندما تزوج وضع لنفسه برنامجاً، نظم فيه شؤونه اليومية بحيث يستطيع التفرغ للتعبد والدراسة إلى جانب ضمان رضا زوجته، وعلى الرغم من أن أغلب الناس يغفلون - عادة - عن التزاماتهم اليومية في أيام الزواج الأولى ويهملون الكتب والدراسة؛ إلا أن الإمام لم يغفل عن ذلك ببركة هذا النظام الدقيق، فكان يرجع إلى المنزل بعد أداء صلاتي المغرب والعشاء جماعة، ثم يتناول طعام العشاء، ويذهب بعد ذلك إلى فراش النوم مبكراً لكي يستيقظ لأداء صلاة الليل والتهجد ويتابع دراسته بانتظام^١.

عمل الإمام يدل على الوقت

كان العاملون في بيت الإمام في النجف الأشرف يعرفون كم الساعة - في أي وقت - بملاحظة ما يقوم به الإمام من شؤونه اليومية! فهو يقوم بكل عمل في وقته المحدد كل يوم دونما تغيير^٢.

دقة الالتزام بأوقات البرنامج اليومي

كانت جميع أعمال الإمام تسير وفق برنامج منظم، فبعد أيام قليلة من إقامتي في النجف الأشرف أصبحت اعرف العمل الذي يقوم به في كل ساعة من ساعات يومه، بل أصبحت أعرف كم الساعة من خلال ملاحظة العمل الذي يقوم به. وقد سألت السيدة (زوجته) مرة عن أعمال الإمام، فأجابتنني: يكفيك أن أخبرك ببرنامج ليوم واحد وما عليك إلا أن تضربه في ٣٦٠ يوماً لتعرفي ما يقوم به في سنته!

لقد كان ﷺ يلتزم بدقة بالقيام بكل عمل في وقته المعين، وكان يشدد الوصية عليّ بمثل ذلك^٣.

حاکمية النظام الثابت على جميع حركاته وسكناته

كانت جميع حركات الإمام وسكناته تسير وفق نظام دقيق وخاص، فمثلاً كان يضع يده اليسرى على الأرض ويستند عليها إذا أراد أن يقوم، أو أنه كان دائماً يبدأ بالرجل اليسرى إذا أراد الصعود على المنبر

^١ آية الله الشهيد المحلاتي، مجلة (١٥) خرداد الشهرية، العدد: ١٠.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني.

^٣ إحدى أرحام الإمام، مجلة (زن روز = امرأة اليوم) العدد: ١٢٦٧.

للإلقاء درسه، ويتوقف هنيئة عند الدرجة الأولى قبل أن يرتقي المنبر، أو أنه كان يلتزم دائماً بتقديم الرجل اليمنى عند الدخول إلى المسجد أو المنزل أو المدرسة^١.

وضوء الإمام وطبخ طعام العائلة!

لقد كان التزام الإمام الدقيق بالنظام في مختلف شؤونه اليومية، سبباً في تنظيم أعمال أهل بيته أيضاً، فمثلاً يُنقل عن خادمة منزله أنها قالت: عندما كان يخرج السيد لتجديد الوضوء قبيل الظهر، كنت أعرف حينئذٍ أن وقت طبخ الأرز قد حان، فإذا كان طعامنا في ذلك اليوم أرزاً ذهب فوراً إلى المطبخ لطبخه!^٢.

القيام بكل عمل في الوقت المخصص له

كان الإمام قد خصص أوقاتاً معينة للمطالعة والقراءة وللأعمال المستحبة التي لم يرد فيها أوقات خاصة، مثل تلاوة القرآن والزيارات والأدعية، وكان يلتزم بالقيام بكل عمل في الوقت المخصص له وبدقة بالغة، بحيث أن كل من يعاشره ولو لمدة قصيرة يعرف حتى - لو ابتعد عنه كثيراً فيما بعد - العمل الذي يقوم به في أي ساعة بمجرد النظر إلى ساعته، لأنه عرف سابقاً العمل الذي التزم الإمام به في تلك الساعة^٣.

درس في تعليم احترام المواعيد

في أحد الأيام اتصل الإمام بنا واخبرنا بأن في حنفية الماء خللاً، فتقرر أن اذهب إليه في صباح اليوم التالي وفي الساعة الثامنة لإصلاحها، لكنني وصلت في الساعة الثامنة وخمس دقائق، وعندما استأذنت للدخول لإصلاح الحنفية؛ لم يأذن لي الإمام وقال: لقد قلت: تعال في الساعة الثامنة، فإذهب الآن وتعال غداً في الثامنة!^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني) ج ١.

^٢ المصدر السابق.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧-٣٨.

^٤ حسن السليمي، أحد أعضاء مكتب الإمام.

عجلوا قبل فوات الوقت

كان الإمام ملتزماً على الدوام بالقيام بأعماله في أوقاتها المعينة، ولذلك كنا نحرض على أن نتم الأعمال التي نؤديها في محضره دون أن نتجاوز الوقت الذي خصصه لها، وإلا ذكرنا بذلك قائلاً عجلوا بإتمام العمل^١.

وكان الأمر كما توقعنا...

كنت - وعدد من الزملاء المكلفين بتقديم تقاريرنا بشأن المهمات المحولة إلينا، نعلم جيداً أن صوت جرس الإذن بالدخول على الإمام لتقديم هذه التقارير اليومية، لو لم يرن في الساعة الثامنة وثلاث إلى خمس دقائق - أي بعد أن يستمع الإمام موجز أخبار الساعة الثامنة - : أن حادث ما وقع، كأن تكون الحالة الصحية للإمام قد تدهورت أو أنه قد اضطر إلى استقبال شخص ما، لأنه كان يلتزم باستدعائنا بعد انتهاء موجز الأنباء مباشرة، أي بعد مضي دقيقتين أو ثلاث على الساعة الثامنة؛ فإذا تأخر عن ذلك ذهبنا إلى غرفته لنجد الأمر كما توقعنا^٢...

البرنامج المنظم يستوعب كل الأعمال اللازمة

إلى جانب التزامه ببرنامج يومي المنظم، لم يكن السيد الإمام يسمح لأي عمل أن يشغله عن عمله الآخر، فقد كان برنامجاً متوازناً يشمل على التعبد وتلاوة القرآن والأدعية، ومطالعة الكتب والصحف والتقارير وغيرها، والاستماع للأخبار عبر الإذاعة [المسموعة والمرئية] والمشى والقيام بالحركات الرياضية التي أوصى بها الأطباء كعلاجات ضرورية لحفظ سلامته، والإجابة على الاستفتاءات الشرعية وكتابة الإجازات والوكالات وقبض الحقوق الشرعية، وعقد اللقاءات، ومجالسة أفراد عائلته، والاستحمام والاستراحة، كان يقوم بجميع هذه الأعمال ولكن مع الالتزام بأداء كل منها في وقته المعين. وهذا التنظيم الدقيق كان جارياً في برنامج أعماله الأسبوعية أيضاً، فمثلاً كان يستعد كل يوم جمعة وبعد انتهاء استماعه لموجز أخبار الساعة الثامنة مباشرة، للاستحمام [وأداء غسل الجمعة] وكان الذي يتولى تنظيف بدنه بواسطة «الكيسة» طوال هذه السنين [أي مدة إقامة الإمام في جمران] رجل طاعن في السن كان يعمل في الحمام العام في جمران، فكان يأتي إلى منزل الإمام كل يوم جمعة في الساعة الثامنة

^١ السيد خادم، أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور).

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧-٣٨.

وخمس دقائق ليدخل حمام المنزل لأداء مهمته بعد أن يأذن له الإمام. وكان استحمام الإمام الأسبوعي يستغرق عادة أكثر من ساعة^١.

إذا أعطى موعداً لا يخلفه

كان للإمام برنامج منظم يلتزم به بدقة بالغة، فيقوم دائماً بكل عمل في وقته المحدد، فيأكل طعامه في مواعده المحدد، وهكذا حال نومه واستيقاظه، وإذا قرر القيام بعمل معين أو وعد أحد بقاء، فإنه لا يتخلف عن ذلك أبداً. وفي هذا النظام الدقيق الشامل لجميع الأمور يكمن أحد أسرار نجاح الإمام في أعماله. لقد كان معروفاً منذ بدايات شبابه باهتمامه بالنظافة وبالالتزام بتنظيم شؤونه، وكان دقيقاً في ذلك إلى درجة أن لو تأخر خمس دقائق عن الحضور إلى مائدة طعام الظهرية مع عائلته، لأصاب القلق جميع أفرادها، وعندها كنا نسارع إلى غرفته ولهين للتعرف على سبب تأخره، فنرى مثلاً أن السيد أحمد قد دخل عليه وسأله سؤالاً فتأخر للإجابة عليه^٢.

يضع كل شيء في محله

عندما كنت أدخل على الإمام، كنت ألاحظ كثرة الكتب والأوراق والرسائل فيها، ولكنه كان يستخرج بسرعة أي ورقة أو رسالة يريدتها، لأنه كان يرتبها بصورة منظمة ويضع كلاً منها في محله الخاص به^٣.

قائمة بالأعمال اليومية

كان للإمام قائمة بأعماله اليومية يعدها بنفسه ويكتب فيها أعمال كل ساعة من ساعات الليل والنهار باستثناء الساعات التي يستيقظ فيها سحراً لإقامة صلاة الليل والتهجد^٤.

التنظيم يشمل العبادات أيضاً

كان الإمام ملتزماً للغاية بتنظيم أعماله، فلم يكن يقوم بأي عمل دون برمجة منذ استيقاظه صباحاً، كما لم يكن يغفل عن وضع هذا البرنامج والعمل به في أي مرحلة من مراحل حياته، كان يقوم بكل عمل في الوقت المخصص له، لا يشذ عن ذلك في أي عمل من أعماله اليومية، كالمطالعة والاستراحة والنوم والاستماع للإذاعة وغيرها. فقد كان يقوم بكل منها في الوقت المخصص له، حتى عباداته. كنا نعرف وقت استراحته الذي يمكننا الدخول عليه فنستعد لذلك، ونعرف ساعة تعبه التي لا يمكننا الدخول عليه

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، من أعضاء مكتب الإمام.

^٢ السيدة فريدة المصطفوي، ابنة الإمام.

^٣ الدكتور محمود البروجدي (صهر الإمام) مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام) العدد: ٢٤.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، صحيفة (رسالت) ١٣٧٢/٣/٩ هـ ش.

فيها، وكذلك الحال مع ساعة مطالعته العلمية، أو قراءة التقارير الحكومية، فلا يمكننا الدخول عليه في هذه الساعات، أجل كان بإمكاننا الالتقاء به خلال ساعة استراحته، وكذلك الساعة التي كان يلتزم فيها بالمشي على فترتين طول كل منهما نصف ساعة، الأولى صباحاً والثانية عصرًا، فكنا نتحدث إليه ونسأله عن أحواله أو نسأله عن بعض الأمور خلال هاتين الفترتين^١.

تأخر في الاستيقاظ لمرة واحدة

لمرة واحدة لا أكثر تأخر الإمام في الاستيقاظ [من نوم القيلولة] إذ استيقظ قبيل الظهر، فقال لي: يا ربابة، لقد تأخرت في الاستيقاظ اليوم، فانتبهي أنت، وتعالى لإيقاظي كل يوم في الساعة الحادية عشرة والنصف.

التزمت أنا بأمره، وكنت أترك كل عمل لدي كل يوم في هذه الساعة، لكي اذهب لإيقاظه، ولكني في كل مرة، وما أن أفتح باب المطبخ للذهاب إلى غرفته أجده قد استيقظ وقد أخذ بتجديد الوضوء، فإذا رأيته استولى عليّ الخجل وقلت: لقد أمرتني يا سيدي بالمجيء في هذه الساعة لإيقاظك! فيقول: «أحسن العمل إذ جئت لإيقاظي!

أجل إنها المرة الوحيدة التي تأخر في الاستيقاظ إلى الثانية عشرة^٢.

إن شئتم فأتونا بطعام العشاء

كان الإمام يدخل في تمام الساعة الواحدة بعد الظهر إلى غرفة العائلة التي كانت تحت السلم، فنقدم له طعام الظهيرة، ويبقى في هذه الغرفة إلى الساعة الثانية، ثم يذهب إلى الاستراحة، وموعد تناول الشاي هو الساعة الرابعة، وحدث عدة مرات أنني ذهبت إليه بالشاي في هذه الساعة فوجدته نائمًا، فكنت أسير بخطوات مسموعة بهدف إيقاظه، فإذا لم يستيقظ ناديته بصوتٍ منخفضٍ لمرةٍ واحدة، فكان يستيقظ فورًا، فأخبره بأنني قد جئته بالشاي.

ومن الساعة السادسة إلى الساعة السادسة والنصف كان موعد قيامه برياضة المشي، ثم يذهب بعدها لإقامة الصلاة، ثم الاستماع بعدها للأخبار. وعندما يأتي لغسل يديه استعداداً لطعام العشاء كان ينادينا -

^١ السيدة صديقة المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (سروش) العدد: ٤٧٦.

^٢ السيدة ربابة الباقي، خادمة في بيت الإمام مجلة (سروش) العدد: ٤٧٦.

أنا أو السيدة كبرى - قائلاً: «لو شئتم فأتوننا بطعام العشاء» وكان طعام عشاءه عبارة عن قليل من اللبن الرائب مع الخيار أو قليل من الجبنة والخيار أو الخس وأمثال ذلك^١.

بقيت عشر دقائق لموعده طعام العشاء

جاء يوماً بعض الأخوة بفيلم مصور عن حوادث الثورة، ونحن في فرنسا- واقترحوا أن نطلب من الإمام أن يشاهد هذا الفيلم بعد طعام العشاء، فذهبت للإمام وقلت له: إن طعام العشاء جاهز فهل نأتيكم به؟ فأجابني بعد أن نظر إلى الساعة: «بقيت عشرة دقائق لموعده طعام العشاء». أجل لقد التزم بتقسيم أوقاته وبدقة، بحيث كنا نعرف العمل الذي يقوم به حتى دون أن نراه، وذلك من خلال معرفة الساعة^٢.

٣٠٠ صفحة مطالعة في يوم استشهاد السيد مصطفى

لم تلاحظ على وجه الإمام أي آثار للأذى والقلق عندما سمع خبر استشهاد ولده السيد مصطفى، بل قال كما نقل لنا ذلك أخونا السيد الحاج أحمد - : «لقد وهبنا الله نعمة وقد استرجعها الآن». أجل، لقد تحلى الإمام بكامل الثبات والاستقامة في مواجهة هذه الفاجعة العظيمة والمصيبة المفجعة، ولم يسمح لها بأن توجد أدنى خلل في برنامج دروسه وصلاته ومطالعاته، يقول أخونا الحاج السيد أحمد: كان الإمام في تلك الأيام منشغلاً بمطالعة أحد الكتب التدريسية فقلت في نفسي، إن هذه المصيبة التي نزلت بنا اليوم ستذهل الإمام عن المطالعة، إذ أنه فقد مثل هذا الابن العزيز، ولن يتمكن من المطالعة، لكنني رأيته وقد وضع ذلك الكتاب أمامه! فقلت لعله يتشاغل به دون أن يقرأ منه شيئاً، لكنني بعد أن دقت في الأمر ولاحظت محل العلامة الموضوعية في داخل الكتاب وجدت أنه قد قرأ في ذلك اليوم (٣٠٠) صفحة من هذا الكتاب^٣.

الاستفادة المباركة من الوقت

كان للإمام برنامج منظم يشمل جميع ساعات ليله ونهاره، فقد خصص فيه ساعات: للمطالعة، والعبادة والدعاء، متابعة شؤون المسلمين والدولة الإسلامية، النوم وأموره الشخصية، وهذا النظام الدقيق مكّنه من الاستفادة وبأفضل صورة من جميع أوقات عمره المبارك، فتحلى بروح عالية لا يمكن وصف سموها. لقد قسم الإمام أوقات يومه بصورة مكّنته من مطالعة صحف الصباح والمساء وملاحظة ما تكتبه أو تبثه

^١ المصدر السابق.

^٢ السيدة مرضية الحديدجي (الدباغ)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، مجلة (پیام انقلاب = رسالة الثورة) العدد: ١٨٣.

وسائل الإعلام الأخرى، بل ومن الإحاطة بمحتويات جميع برامج الإذاعة والتلفزة والصحف والمجلات المحلية^١.

برنامج يومي منظم وثابت

البرنامج اليومي للإمام كان غاية في الانتظام والثبات، بحيث أن ضربه في (٣٦٥) يوماً ينتج برنامجاً السنوي، يبدأ في الساعة السابعة صباحاً عندما يدخل محل عمله (غرفة الاستقبال) فتبدأ اللقاءات: وقد يسبقها أحياناً فحوصات يجريها عليه الطبيب أو أن يدخل عليه بعض الأشخاص مثل الشيخ الرسولي أو الشيخ التوسلي، أو الشيخ الأنصاري فيوزع عليهم برامج أعمالهم.

وعلى أي حال، فأنا لم أكن أدخل لتلك الغرفة الخاصة بالرجال، لذلك لا أعرف تفصيلات عن لقاءات الإمام، ولكن من الثابت أنها تشمل لقاءات خاصة بإجراء عقود الزواج أو لقاءات شخصية، ثم لقاءات مع القادمين من أنحاء البلاد رجالاً ونساءً طبقاً لجدول معد سلفاً استناداً لطبيعة الأعمال الحكومية التي يريدون عرضها على الإمام.

وفي الساعة التاسعة يخرج الإمام من غرفة عمله إلى الساحة حيث يقوم برياضة المشي لمدة نصف ساعة، ثم يتوجه بعدها إلى غرفته الخاصة لقراءة التقارير الخيرية التي كانت ترسل إليه من أنحاء البلاد، والتي تكون مختومة، فيفتح ختمها بنفسه، وكان يلتزم بمطالعتها جميعاً إلى الساعة التاسعة وخمس وأربعين دقيقة، فيقدم له حينئذٍ مقدار من الفاكهة التي يختلف نوعها باختلاف الفصول، مثل النارنكي أو التوت أو الخس، ثم يأخذ قسطاً من الاستراحة ما بين العاشرة وعشر دقائق إلى الساعة الحادية عشر والنصف حيث كان يضطجع فيها - والله يعلم إن كان ينام فيها أو يبقى مستيقظاً...

في الساعة (١١،٣٠) ينهض للاستعداد للصلاة، فيبدأ بالوضوء ثم تلاوة القرآن ثم إقامة صلاة الظهر والعصر مع نوافلهما. ويتم ذلك في حدود الساعة (١٢،٥٥) ثم يجلس للتحدث مع أفراد عائلته أو لمتابعة مطالعته الصباحية ولمدة عشر دقائق. إذ أنه يتوجه في تمام الساعة الواحدة وخمس دقائق - بالضبط - إلى غرفة السيدة [زوجته] لتناول طعام الغذاء وعادة ما يكون «ماء اللحم مع الليمون» فهذا ما يفضله على غيره كما أنه يأكل الأرز والحساء إذا وجد، فهو يأكل ما يجد ولكن الطعام المخصص له - دون أفراد

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (مرزداران = حرس الحدود) العدد: ٨٥.

العائلة - هو «ماء اللحم». ومن دفته أثناء تناول الطعام أنه يضع على صدره قطعة قماش خاصة تغطي صدره وحجره وتشد بخيط حول العنق، وهي مغلقة ببلاستيك رقيق ومبطنة ببلاستيك سميك. وكل شيء من وسائل طعامه كان وفق نظام دقيق ومتكامل، فمثلاً إذا تغيّر الصحن الذي يوضع تحت كاسة طعامه كان يسأل عن سبب تغييره رغم عدم وجود ارتباط مباشر لهذا الصحن بطعامه، وعلى أي حال فقد كانت وسائل طعامه - أي الصحن والكاسة والملعقة - خاصة به.

وبعد الانتهاء من تناول طعام الظهيرة، كان يتحدث عدة دقائق معنا أو مع أحفاده وحفيداته، وجهاز المذياع ملازم له طوال هذه المدة وهو يستمع لما يبثه. كان يستمع لمذاكرات مجلس الشورى، ويحرص على الاستماع للمحاضرة اليومية التي تبث بين الساعة الواحدة إلى الثانية، ثم يتوجه قبيل الساعة الثانية إلى غرفته الخاصة ويستمع فيها لأخبار الساعة الثانية، ويقرا التقارير الخيرية. ثم يستريح وينام إلى الساعة الرابعة حيث ينهض لتناول الشاي، ثم يقوم برياضة المشي لمدة نصف ساعة يشتغل خلالها بذكر الله، إذ لم يكن ثمة موضوع مهم تبثه الإذاعة، أما في الأيام التي كانت حافلة بالحوادث السياسية المهمة، فكان يستمع إلى الإذاعة من جهاز مذياع صغير كان يعلقه بيده، كما كان يصطحب أحياناً صحيفة يطالعها أثناء ذلك، وأحياناً يأخذ المسبحة بيده ويسبح الله، وأحياناً أحفاده يحيطون به خلال مشيه ويأخذون بيديه ويجرونه ويحرفونه عن مسيره ولكنه لم يعترض على ذلك. هذا في الوقت الذي لم يكن يريد الاستماع للإذاعة بدقة، أما في الأيام التي كانت تشهد وقوع حوادث مهمة، فلم يكن يسمح للأطفال بالالتفاف حوله، كما لم يكن يسمح لنا بالتحدث معه إذ كان يصغي لما يبثه المذياع بدقة، خلال المشي.

وكان عندما ينتهي من المشي في الساعة (٤،٣٠) يتناول الشاي. هذا برنامجه في أيام الشتاء، أما في أيام الصيف، فقد كانت تطراً بعض التغييرات على برنامجه، فمثلاً استيقاظه من النوم لم يكن دائماً في الساعة الرابعة، بل إن ذلك يرتبط بطول النهار أو قصره، ففي النهار الطويلة كان يتوجه لمطالعة الصحف الصباحية والمسائية بعد المشي، وكان يهتم بمقالاتها الرئيسية، أو الكلمات الخاصة التي يوليها الأهمية، وكان يحرص على قراءة كل ذلك بنفسه، إلا أن يكون متعباً أو أن نكون حاضرين عنده، فحينئذٍ كان يطلب منا أن نقرأها له لكي لا نجلس دون عمل! فكنا نقرأ له ما يهتم بالاستماع إليه.

وقبل غروب الشمس، كان يبدأ بتلاوة القرآن، ثم يجدد الوضوء، ثم يعاود تلاوة القرآن، ثم يتهيأ لإقامة صلاتي المغرب والعشاء مع نوافلهما بالطبع، وكان في الأغلب يقيمهما في ساحة البيت تحت السماء إلا في الليالي التي يشتد فيها البرد، حيث كان يجتنب ذلك خشية من الإصابة بالزكام. ثم يرجع إلى غرفته، للمطالعة، وكان يهتم بمطالعة الكتب المطبوعة حديثاً وبدقة، إضافة إلى الصحف والمجلات، وعندما بدأت محطة التلفاز ببث البرامج عصرًا، استغنى بالتلفاز عن المذياع، فكان يتابع برامج القنوات الأولى والثانية، وبعد إتمام الصلاة والمطالعة، ثمة حدود الربع ساعة أو العشرين دقيقة لا أتذكر ما الذي كان يفعله فيها، ولكن عندما كانت تحين الساعة السابعة كان يصغي بدقة للأخبار فلم يكن يتحدث معنا بغير رد السلام أو كحد أقصى يسأل عن أحوالنا بعينه، فكنا نفهم حينئذٍ أنه لا ينبغي لنا أن نتحدث معه ولا مع بعضنا البعض، فإن ذلك يؤذيه وإن كان يتجنب الإعراب لنا عن أذاه. وبالطبع كنا نراعي ذلك ونلتزم الصمت.

وبعد انتهاء الأخبار كان يستمع للتقارير الخبرية ويصغي بدقة للمقابلات والتصريحات المهمة. وكان لا يرتاح لبعض البرامج، مثل برنامج الأسرة، فمثلاً كنت يوماً عنده وكان هذا البرنامج يبث فلم ينظر إليه وأطفأ جهاز التلفاز، وعندما سألته عن السبب، أجاب: إنه برنامج غير جيد بالكامل، ففيه الكثير من التكلفة.

وبعد الاستماع للأخبار، كان يحين وقت قيامه بالتمارين الرياضية التي وصفها له الطبيب وتستمر ربع ساعة، يضع خلالها رأسه على وسادة ويرفع ساقه ويطويه إلى الركبة، يفعل ذلك عدة مرات حسب الوصفة العلاجية. ثم يشاهد برامج التلفاز إلى حين وقت طعام العشاء في الساعة التاسعة، وبعد الانتهاء من تناوله يقوم ببعض الأعمال الخاصة به تستمر إلى العاشرة أو العاشرة وعشر دقائق، وحينئذٍ كان يذهب إلى غرفته للنوم إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، إذ كان ينهض لصلاة الليل، وهنا أيضاً تحدث بعض التغييرات الطفيفة في ساعات النوم والتهجد تبعاً لقصر الليالي وطولها في فصول السنة المختلفة؛ فكان يصلي النوافل بدءاً من الساعة الثانية والنصف تقريباً إلى حين صلاة الفجر، تتخللها فاصلة قصيرة تلي إقامته صلاة الليل كان يقرأ فيها الاستفتاءات التي أجاب عليها مكتب استفتاءاته إذ كانوا يضعون الاستفتاءات التي يجب أن يراجعها الإمام بنفسه في علبة كارتونية خاصة، ثم يقوم لصلاة

الفجر، وبعدها يستريح إلى الساعة السادسة حيث ينهض للمشي مدة نصف ساعة، يتلو بعدها القرآن، ثم يتناول طعام الإفطار قبل الساعة السابعة وفي تمام الساعة السابعة يذهب إلى محل عمله^١.

أستطيع أن لا أفكر

كان الإمام يحدثنا واستجابةً لإلحاحنا الشديد - عن ذكرياته بشأن السجن ونفيه إلى تركيا، كل ليلة لمدة عشر دقائق فقط لا أكثر، فقد خصص هذا الوقت لذلك قبل أن يذهب إلى فراش نومه وهو يقول: «إنها ساعة النوم وينبغي أن اذهب إلى الفراش وإن كنت أعلم أنني لا أنام». فكنيت أقول له: حدثنا إذن عن تلك الذكريات ما دمت لا تستطيع النوم، بدل أن تهجم عليك الأفكار حينئذٍ. فكان يجيبني: «كلا، إنني أستطيع أن لا أفكر!» فكنيت أسأله: وكيف لا تفكر وأنت تبقى نصف ساعة تتقلب في فراشك قبل أن تنام؟! فكان يجيبني ثانية: «أستطيع أن لا أفكر». ولم أدرك أنا يومئذٍ المعنى العظيم الذي يتضمنه قوله هذا وما يعبر عنه من سيطرته على نفسه إلى درجة يكون معها قادراً حتى على عدم التفكير بشيء^٢.

تنظيم الساعات على وقت عبوره

جميع أعمال الإمام كانت لها أوقات معينة لا تتغير، سواء الاستحمام أو القيام برياضة المشي أو إقامة الصلاة أو المطالعة، أو قراءة تقارير الشؤون السياسية والحكومية للدولة وحتى الاجتماع بأرحامه. ينقل أن الكسبة في محل إقامته في قم، كانوا ينظمون ساعاتهم استناداً إلى وقت عبوره من أمام دكاكينهم، فمثلاً إذا كان يمر في الساعة الخامسة من أمام هذه الدكاكين، فإن ذلك يتكرر كل يوم في تمام الخامسة.

وحتى ساعة نومه كانت محددة، فكان ينام في الساعة العاشرة، وكان يستيقظ كل ليلة قبل أذان الفجر بساعة ونصف لإقامة صلاة الليل، وهذا أمر ثابت لا يتغير. كما أنه كان يشرع بتلاوة القرآن قبل نصف ساعة من أذان الظهر ويستمر إلى الأذان فيقوم عندها لإقامة الصلاة^٣.

^١ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام.

^٢ السيدة فاطمة الطباطبائي، زوجة ولده السيد أحمد، مجلة (ندا) العدد الأول.

^٣ أحد حرس بيت الإمام، كتاب «در رثاي نور = في رثاء النور».

عندما كنت أحضر له الشاي..

كانت أعمال السيد منظمة للغاية، يتناول غذاءه في الساعة الواحدة، ويشرب الشاي الذي أحضره له في الساعة الرابعة عصراً، ولا أعلم متى كان يستيقظ في الليل لكنه كان يبقى يقظاً إلى الصباح. وعندما كنت أحضر له الشاي أجده يتلو القرآن، وبعد أن يشرب الشاي يقوم كعادته إلى المشي^١.

رفض تغيير برنامجه اليومي في ظل القصف الصاروخي

في أواخر الحرب المفروضة، أخذ العدو يقصف طهران بالصواريخ التي كان يزيد عددها أحياناً على العشرة كل يوم والكثير منها كان يقع بالقرب من جمران [محل إقامة الإمام] وقد خرج الكثير من أهالي طهران ومنطقة شميران [شمالي طهران] إلى المدن الآمنة، أما الإمام فقد رفض تغيير محل إقامته ورفض الاستفادة من الملجأ، كما رفض إجراء أي تغيير في برنامجه أعماله اليومي^٢.

لا يضيع من وقته ولا دقيقة واحدة

يصعب على من لم ير الإمام عن قرب أن يصدق دقته في الالتزام ببرنامجه حياته اليومي، مثلاً كنا إذا أحضرنا له الشاي عصراً ودعونا لشربه، فإنه كان ينظر أولاً إلى ساعته ثم يقول: لا زالت أمامنا بضع لحظات (أي ثواني) لموعد شرب الشاي!

أجل، لقد كان دقيقاً في ذلك بحيث أنه لو تأخر مرة ولم يفتح باب غرفته في تمام الواحدة وعشر دقائق لكي يتوجه إلى غرفة العائلة لتناول طعام الغذاء، أصاب القلق الجميع لأنهم تعودوا على خروجه في تلك الساعة بالضبط كل يوم. كان يذهب في الوقت المحدد - بل الدقيقة المحددة - إلى النوم، وهكذا حاله مع موعد الطعام والاستيقاظ.

كان يمارس رياضة المشي ثلاث مرات في اليوم، لمدة عشرين دقيقة في كل مرة، فإذا بقيت منها ثواني سار بضع خطوات إضافية ثم يدخل إلى الغرفة في الوقت المحدد!

إنه غريب حقاً في دقة تنظيمه، كان هذا حاله على الدوام منذ مرحلة الشباب. فقبل أيام لاحظت قضية معينة دعنتني إلى التصور بأن دقته قد ازدادت في هذا المجال، فقلت له: يبدو أن دقتكم في هذا النظام قد ازدادت وأصبحت شديدة جداً. فقال بجديّة: «كلا، كان هذا هو حالي على الدوام»، أجل: هذا هو حاله في دقة الالتزام، فمثلاً، لم يكن يترك العمل الذي هو فيه لكي يتحدث إلي مثلاً إذا دخلت عليه

^١ السيدة ربابة الباقي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرمانى.

لمجرد أنني ابنته، بل كنا ندخل فنسلم ونجلس، وهو يتابع ما هو فيه كالاستماع للإذاعة أو التلفاز، أو مطالعة الرسائل التي تصله أو التقارير الخبرية. فلا يبقى ولا لدقيقة بدون عمل، حتى في الحمام يصطحب معه المذياع ويعلقه على عاتقه عند الوضوء. كما أنه دقيق في الإجابة على الأسئلة الموجهة إليه، فمثلاً إذا سأله مسألة ولم يكن في التلفاز برنامج مهم، قام وأطفأه ثم أجاب على السؤال بدقة وكان علينا أن نحسن الإصغاء للحصول على الجواب لكي لا نضيع وقته، وأستطيع أن أقول بثقة أنه لا يضيع شيئاً من وقته أصلاً^١.

ولم يكن يترك برنامجة الرياضي

في ليلة رأيت الإمام مضطجعا يمارس - كعادته - الحركات الرياضية [العلاجية طبقاً لتوصية الطبيب] وهو يتابع في الوقت نفسه برنامجاً يث عبر التلفاز ويحسب أيضاً عدد الحركات الرياضية [إذ أن عددها محدد حسب الوصفة العلاجية] فأهمية البرنامج التلفزيوني لم تمنعه من متابعة برنامجة الرياضي في وقته المحدد^٢.

وكان يواظب على المشي ثلاث مرات في اليوم

كان الإمام يمارس رياضة المشي في ثلاث فترات يومياً لمدة نصف ساعة تقريباً في كل فترة، فالأولى بين الساعة السابعة إلى الساعة السابعة والنصف، والثانية من الساعة التاسعة إلى الساعة التاسعة والنصف، والثالثة عصرًا من الساعة الرابعة إلى الرابعة والنصف^٣.

ذكر الله أثناء المشي

طوال حياته، كان الإمام يلتزم - إضافة إلى أذكاره المعهودة - بتلاوة القرآن ثلاث مرات في اليوم كما كان ينظم أذكاره مع برنامج مشيه الرياضي.

فمثلاً إذا قام بالمشي لمدة نصف ساعة، اشتغل بالذكر طوال هذه المدة بحيث كان ينتهي ورده من الذكر مع انتهاء الوقت الذي خصه للمشي بالضبط، فيكون تنظيمه لوقت المشي بمقدار ذكره المعين لا بالساعة^٤.

^١ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان= شاهد للنساء) العدد: ١٤٨.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي.

^٣ السيد رحيم ميريان، من أعضاء مكتب الإمام.

^٤ آية الله الشيخ التوسلي.

ويستجيب لنصائح الطبيب

كان الإمام يمارس رياضة المشي ثلاث مرات في اليوم ولمدة نصف ساعة كل مرة، ولكننا كنا نطلب منه التوقف عن هذا البرنامج بصورة مؤقتة ليومين أو ثلاثة إذا أحس بأذى، ونطلب منه أن يستريح فكان يستجيب لطلبنا^١.

يمارس رياضة المشي بانتظام في منفاه التركي

عندما كان الإمام في تركيا، كان يذهب أيام الجمعة إلى «المسجد الأخضر» المعروف باسم «مسجد كبود» كما كان يذهب إلى مسجد آخر في المنطقة. وبعد مدة غيروا محل إقامة الإمام من بناية ذات طابقين إلى عمارة بيضاء ذات ستة طوابق تقع مقابل مستشفى عامة غير حكومية، فكان الإمام يمارس رياضة المشي في الشارع المحيط بالمستشفى وبصورة منتظمة ومستمرة، وقد نقل أحد الرجال الطاعنين في السن من أهل تلك المنطقة قائلاً: كنت يومها جندياً وكنت أرى الإمام يمشي في هذا الشارع ذهاباً وإياباً كل يوم وفي الوقت نفسه^٢.

ممارسة رياضة المشي بعد صلاة الفجر

إن التزام الإمام برياضة المشي أمر معروف، تحدث عنه الآخرون وكتبوا بشأنه مراراً. وكنت أنا أيضاً على اطلاع بأنه لم يترك ذلك أبداً. ففي أيام شبابه كان يذهب مع زملائه - في أكثر الأيام - إلى البساتين المحيطة ويتباحثون في الشؤون الدراسية أثناء النزهة السليمة، فكان يستفيد من الهواء النقي والأجواء المفتوحة إلى ما بعد الظهر. صحيح أنه كان مضطراً للخروج إلى تلك المناطق النائية عن مركز المدينة بسبب إرهاب حكومة رضا شاه [الذي كان يمنع إقامة حلقات الدراسة الدينية في قم] لكنه من الصحيح أيضاً أنه كان يخرج طواعية ورغبة على طريقة الفلاسفة المشائين الذين يميلون إلى الدراسة والمباحثة العلمية أثناء التجوال والنزهة في الأجواء الرحبة، بل ويميلون إلى أصل المشي والتجوال.

وكنت أسمع في قم أن السيد الحاج روح الله يواظب على المشي في البستان المجاور لبيته أو في الساحة الواقعة خلف هذا البستان، بعد أن يؤدي صلاة الفجر وتعقيباتها، ويستمر في هذه الرياضة إلى طلوع الشمس، وكان بيت الإمام هو آخر بيت في محلة «يخچال قاضي»؛ وكان يقع خلف بيته بستان رمان

^١ الدكتور حسن العارفي، من أطباء الإمام.

^٢ آية الله الشيخ صادق الخليلي.

وتين، ثم أرض منبسطة رأيتها بنفسي، وقد سمعت أن الإمام كان قد استأذن صاحب هذا البستان وتلك الأرض في المشي فيهما إلى طلوع الشمس في الصيف والشتاء.

وعندما أصيب الإمام بالوعكة الصحية في قلبه ونقل إلى من قم إلى مستشفى القلب في طهران للعلاج، كتبت الصحف / أن الإمام نظر يوماً من النافذة إلى الأرض المغطاة بالثلج وقال: «أرغب في المشي على هذا الثلج لو سمح الطبيب بذلك!»

أجل كان ملتزماً - بإصرار - على ممارسة المشي باستمرار لنصف ساعة صباحاً وأخرى مساءً وفي كل يوم، ويقوم أثناء ذلك أيضاً بمطالعة الصحف أو المجلات أو الرسائل. وعندما ذهبت للنجف الأشرف، في سنة ١٣٤٧ هـ ش - ١٩٦٨م وزرت الإمام، وجدت أن مساحة ساحة منزله لا تتجاوز العشرين متراً مربعاً فقلت في نفسي: كيف يمكن للإمام أن يمارس رياضة المشي في هذه المساحة الصغيرة المحاطة بهذه الجدران العالية وفي ظل حر النجف الشديد؟ ولم أجد الجواب على هذا السؤال إلى أن سمعت السيدة دباغ النائب في مجلس الشورى الإسلامي - التي تطوعت للخدمة الافتخارية في بيت الإمام لمدة - تقول في كلمتها في مجلس الشورى قبل بدء البحث في مداولاته: إن الإمام لم يترك رياضة المشي أبداً، حتى في النجف الأشرف حيث كانت مساحة منزله صغيرة جداً، فكان يقوم بذلك على سطح منزله.

ومن المعروف أن سطوح المنازل في النجف الشرف محاطة بجدران عالية تمنع من رؤية الواقف عليها؛ الأمر الذي جعل الإمام ينقل مكان ممارسته للمشي يوماً صباحاً وعصراً من ساحة منزله الذي استأجره في النجف الأشرف إلى سطح المنزل!.

الالتزام ببرنامجه المنظم حتى بالزنزانة الانفرادية

عندما اعتقلوا الإمام في مساء انتفاضة الخامس عشر من خرداد [الخامس من حزيران سنة ١٩٦٣م] ونقلوه إلى طهران، سجنوه لمدة ١٩ يوماً في محل، ثم نقلوه إلى زنزانة انفرادية سجنوه فيها مدة ٢٤ ساعة، يقول الإمام: «كان طول الزنزانة أربع خطوات ونصف، وكنت أتمشى فيها طبق برنامجي اليومي المعتاد ثلاث فترات، كل فترة نصف ساعة»^٢.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (إمام خميني در آينه خاطره ها = الإمام الخميني في مرايا الذكريات) ص: ٥٥.

^٢ الدكتور محمود البروجردي (صهر الإمام) كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٣.

المشي وتشخيص الطبيب المعالج

عندما كنت مقيماً في النجف الأشرف، أصابتنى وعكة صحية شملت اللب والكبد والعظام وغيرها. فسعى بعض المعارف إلى أن اذهب إلى بريطانيا لإجراء الفحوصات والعلاجات؛ وهناك أخبرني الطبيب المعالج لي وبعد ملاحظة نتائج التحليلات والصور الطبية المتعددة، اتضح بأنني غير مصاب بأي مرض، فاستغربت قوله لما كنت أجد في نفسي من تدهور صحي وأعراض مرضية، فسألته علتها فأجابني: إن هذه الأعراض ترتبط بالمخ، فأنتم طلبة العلوم، لا تمارسون أي أية نشاطات بدنية وتنحصر نشاطاتكم في دائرة الفكر والمطالعة والتحقيق، وبذلك تضغطون على المخ وهو مثل البدن يحتاج إلى الاستراحة عندما يتعب، فإذا لم يسترح أختل عمل الأعضاء الأخرى، لذلك فالعلاج هو أن تعيدوا النظر في نشاطاتكم وتقللوا من العمل الفكري، وتمارسوا المشي كل يوم بما لا يقل عن كيلو متر واحد أو اثنين، فامشوا ما استطعتم لكي تتحسن حالتكم وتستعيدوا سلامتكم.

ثم كتب لي بعض الأدوية، وعندما سألته عن وجه الحاجة إليها أجبني: أن الإيرانيين إذا لم يكتب الطبيب لهم دواء ظنوا أنه لا يفهم! وعندما رجعت إلى النجف زرت الإمام فسألني عما جرى، فقلت له: يا سيدي؛ لقد شخص الطبيب هناك مرضاً مستشيراً في الحوزات العلمية في النجف الأشرف وقم ومشهد وأصفهان وكل حوزاتنا الأخرى!!

ثم فسرت له ذلك وقصصت عليه ما جرى، فأثنى كثيراً على تشخيص الطبيب وأسلوبه في العلاج، وعندما سألته: هل أنت مستعد لأن أكون في خدمتكم نتمشي يوماً نصف ساعة أو ساعة فاستحسن ذلك، فاستأذنت من أن أحضر سيارة من الغد من أجل ذلك فقال: «اصبر إلى الغد فسأخبرك غداً بقراري» وعندما زرته في مساء اليوم التالي لأعرف الساعة التي أحضر فيها السيارة، قال لي: «لقد بدأت هذا البرنامج» فسألته: وأين، فأجاب: «على سطح المنزل» وسطوح المنازل في النجف محاطة بجدران عالية تجعل الواقف فيها لا يشرف على المنازل المجاورة. وأضاف: «أنا أقوم بالمشي على سطح المنزل نصف ساعة كل يوم». وهذا الأمر يرجع إلى (٢٧) أو (٢٨) عاماً وقد بقي الإمام ملتزماً بهذا البرنامج إلى الأيام الأخيرة من عمره ولم يتركه حتى عندما كان مقيماً في باريس^١.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ نصر الله الشاه آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج٣، ص: ٢٦٣.

المشي قبل غروب الشمس

كان بيت الإمام في النجف صغيراً لا تتجاوز مساحته (٤٥) متراً مربعاً، وكان برنامج اليوم فيه أن يمارس رياضة المشي لمدة نصف ساعة قبل غروب الشمس على سطح البيت لأن ساحته كانت صغيرة جداً لا تسع لذلك^١.

الاستماع لمذكرات مجلس الشورى أثناء المشي

كان الإمام يمارس المشي ثلاث مرات في اليوم، على مدى (٢٥) دقيقة في كل مرة يقوم خلالها بالأعمال التي يمكن القيام بها أثناء المشي، فمثلاً كان يستمع لمذكرات مجلس الشورى أثناء مشيه الصباحي والتي كانت تُبث خلال الإذاعة^٢.

تأخر موعد المشي!

كنا في اجتماع بحضور الإمام فطال البحث فيه، وتحدثنا كثيراً، وفي وسط حديثنا نظر الإمام إلى ساعته ثم قال: «لقد تأخر موعد المشي» ثم قام للمشي في الساعة التي حددها الأطباء له لكي يمارس المشي فيها^٣.

يمشي على سطح المنزل

في النجف الأشرف، كنا جميعاً نعلم أن الإمام يمارس المشي في النصف الساعة الأخيرة التي تسبق غروب الشمس، وعلى سطح منزله لأنه لم بإمكانه القيام بذلك في الزقاق الذي يقع فيه منزله. وكان هذا من برنامج اليوم^٤.

قولوا للإمام نحن نخشى عليه

كان من البرنامج اليومي للإمام في النجف الأشرف أن يمشي ساعة كاملة - موزعة على ثلاث فترات - وكان يلتزم بذلك في باريس أيضاً، فقال لنا رجال الشرطة في محل إقامة الإمام، قولوا للإمام أن لا يظهر عند نوافذ غرفته لأننا نخشى عليه^٥.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، كتاب (زهور في بساين الذكريات).

^٢ الدكتور حسن العارفي، صحيفة اطلاعات، بتاريخ ١٣٦٨/٣/٢٧ هـ.ش.

^٣ آية الله الخامنئي.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، مجلة (پیام انقلاب= رسالة الثورة) العدد: ٥٤.

^٥ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور. وسبب خوف الشرطة الفرنسية، هو احتمال تعرض الإمام بذلك لخطر الاغتيال.

التزم بالمشي لأنه شخص فاندته

قال المرحوم الشيخ الإشراقي لقد قلنا للإمام مرة: إن رجال الشرطة الفرنسيون قلقون من احتمال عجزهم عن توفير الأمن لكم أثناء ممارستكم لرياضة المشي، فأجابنا: «عليهم أن يقوموا هم بواجبهم، وأنا أقوم بعملتي أيضاً» ورفض الامتناع عن برنامجه هذا واضطرت الشرطة الفرنسية إلى زيادة عدد رجالها في المنطقة، وتابع الالتزام بذلك إلى آخر أيام عمره في حين أنني لم التزم لم التزم بذلك إلا لمدة محدودة رغم أن الطبيب المعالج قد أمرني بذلك. أما الإمام فقد التزم بدقة بذلك بمجرد أنه شخص كونه عمل مفيداً^١.

الرياضة والمشي في ثلاث أوقات

يذهب الإمام إلى فراش النوم في الساعة العاشرة مساءً، ويستيقظ في الثانية بعد منتصف الليل، ويمارس الرياضة صباحاً لمدة عشرين دقيقة، ويمارس المشي ساعة عصراً وساعة ونصف بعد طعام العشاء^٢.

الاهتمام بسلامته الروحية والبدنية

كان للإمام خصوصية تجلب الانتباه وهي أنه كان يراعي سلامته الجسمية والروحية معاً، فكان يهتم بحفظ صحته البدنية ويلتزم بالنشاطات التي تناسب حاله وعمره، فكان ملتزماً بالمشي ساعة كاملة في ساحة منزله، وينقل المرحوم الحاج مصطفى: أن السيد لم يترك هذا الأمر حتى في اليوم الذي قضاه في الزنزانة الانفرادية، فقد مشى فيها ساعة كاملة^٣.

تنظيم أوقات النوم

ينام الإمام ثلاث ساعات في الليل، وساعة أو ساعتين بعد صلاة الصبح، وساعة - كحد أقصى - بعد الظهر^٤.

صلاة الليل في المستشفى

كان الإمام ينام في ساعة محددة، ويستيقظ في تمام الساعة الثانية بعد منتصف الليل لصلاة الليل. وطوال المدة التي قضاه في المستشفى للعلاج، ورغم أن الأطباء كانوا يعطونه أدوية منومة لكي يستريح، لكنه

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ نصر الله الشاه آبادي، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٣، ص: ٢٦٤.

^٢ السيدة خديجة الثقفي، زوجة الإمام، صحيفة كيهان، بتاريخ ١٣٦٦/١١/٢١ هـ ش.

^٣ آية الله الشيخ الرضواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٥.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (صالحين روستا= الصالحين في القرية) العدد: ٣.

كان يستيقظ في هذه الساعة نفسها ويسأل عن الوقت لكي يقيم نافلة الليل، الأمر الذي يدل على دقة التزامه ببرنامجه اليومي المنظم^١.

يستيقظ من النوم بالوقت المحدد!

كان الإمام ينام نومة «القيولة» بعد انتهاء أعماله الصباحية في الساعة (١٠،٣٠) أو (١٠،٤٥) ثم يستيقظ بعد ثلاث أرباع الساعة دون أن ينقص ذلك دقيقة ولا يزيد دقيقة أيضاً، وكنا نلاحظ - على شاشة المراقبة الطبية - أن درجة نبض قلبه تتغير قليلاً بعد الاستيقاظ، ولم يكن بحاجة لجرس الساعة لكي يوقظه، لأن الإمام كان ينام في الوقت المحدد ويستيقظ في الوقت المحدد^٢.

تنظيم الساعة على وقت زيارته للحرم

كانت سنة في النجف الأشرف، أن يجلس في غرفة الاستقبال في منزله بعد أن يؤدي صلاتي المغرب والعشاء، وكان الدخول عليه في هذا المجلس ميسراً للجميع، ثم يقوم من هذا المجلس بعد ثلاث ساعات بالضبط من غروب الشمس ليذهب إلى الحرم العلوي للزيارة، وكان التزامه من الدقة بحيث أن من يريد أن يضبط ساعته يعرف أنها الساعة الثالثة بعد غروب الشمس إذا رأى الإمام خارجاً من منزله في شارع الرسول باتجاه الحرم؛ أو أن يعرف أنها الساعة (٣،٣٠) بعد الغروب إذا رآه خارجاً من الحرم العلوي^٣.

منذ ١٣ سنة والإمام يزور الحرم في هذه الساعة

في إحدى زيارتنا للعراق، كنا يوماً جالسين بعد صلاتي المغرب والعشاء في صحن مرقد أمير المؤمنين عليه السلام نتحدث مع مجموعة من طلبة وفضلاء الحوزة، وبعد انتهاء والاستعداد للفرق، نظر السادة إلى ساعاتهم فلاحظوا اختلافاً فيها كما أن ساعة الحرم العلوي - وهي أيضاً على نظام الساعة العربية - كانت تشير إلى الساعة الثانية والنصف بعد غروب الشمس فكانت تختلف عن ساعاتهم بخمس إلى سبع دقائق. وفي تلك اللحظة شاهدنا الإمام يدخل من باب القبلة إلى الحرم العلوي، فقال احد أساتذة

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني، صحيفة (جمهوري إسلامي) ملحق خاص بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام.

^٢ الدكتور بور مقدس، من الأطباء الذين عالجوا الإمام، مجلة (باسدار اسلام = حارس الإسلام) العدد: ٩٦.

^٣ آية الله الشيخ محمد هادي معرفت، مجلة حوزة، العدد: ٣٢.

حوزة النجف: اضبطوا ساعاتكم الآن على الساعة الثانية والنصف بعد الغروب، ففي هذا الوقت بالضبط يدخل الإمام الحرم منذ ثلاث عشرة سنة! وكان ذلك في السنة الثالثة عشر لإقامة الأمام في النجف^١.

الأمن العراقي وبرنامج زيارة الإمام للحرم

عندما كنا في النجف الأشرف، كنا نضبط ساعاتنا على ضوء أعمال الإمام، بمعنى كنا نعرف الساعة بالضبط من خلال ملاحظة العمل الذي يقوم به، فمثلاً كان يخرج من منزله بعد ساعتين ونصف بالضبط من غروب الشمس، ويزور الحرم العلوي بعد ثلاث ساعات من المغرب دون زيادةٍ أو نقصان. وفي الأيام الأخيرة من إقامته في النجف - وعندما شدد جهاز الأمن من مراقبة الإمام - كان أفراد الأمن يطمثون إذا دخل للحرم العلوي ويذهبون من المنطقة، لأنهم يعرفون الساعة التي سيخرج فيها من الحرم، فيرجعون إلى المنطقة في تلك الساعة^٢.

برنامج الزيارة على مدى (١٤) عاماً

كان برنامج الإمام طوال مدة إقامته في النجف الأشرف أن يخرج من القسم الداخلي في منزله إلى غرفة الاستقبال بعد ساعتين ونصف من غروب الشمس بعد ساعتين ونصف من غروب الشمس - وأصبح موعد خروجه في الأعوام الأخيرة ساعتين بعد الغروب - فيستقبل الطلبة وعموم الناس، ثم يذهب في الساعة الثالثة بعد الغروب لزيارة الحرم العلوي المطهر، فيقرأ زيارة «أمين الله» واقفاً وزيارة الجامعة عن جلوس ثم يؤدي صلاة الزيارة ويرجع إلى المنزل. وبقي ملتزماً بهذا البرنامج كل ليلة طوال الأربعة عشر عاماً التي قضاها في النجف، باستثناء ليالي السبت من فصل الصيف، فلم يكن يذهب فيها للزيارة لأنهم كانوا يغسلون أروقة الحرم فيها^٣.

برنامج منظم وثابت في الزيارة

كان مما يجذب انتباهي وأنا أشاهد بعض العبادات التي كان يؤديها الإمام مداومته ودقته في أداء العبادات وفق ما ورد في الشريعة دون زيادة ولا نقصان. وكان يتشرف بزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الأيرواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٥.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، المصدر السابق.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبي الرودباري، مجلة (١٥) خرداد الشهرية، العدد المزدوج: ٥ - ٦.

في الساعة نفسها من كل ليلة تقريباً، وكان يذهب إلى كربلاء لزيارة سيد الشهداء عليه السلام في أوقات زيارته، وكان هذا برنامجاً منظماً وثابتاً^١.

برنامج منظم وثابت وطوعي

يمكن للإنسان أن ينظم حياته على ضوء ساعات أعمال الإمام، وقد أدرك أهل بيته أن حياته تسير بصورة مبرمجة طوعياً ولذلك نظموا ما ينبغي لهم فعله على أساسها، فهم يعلمون موعد نومه وموعد استيقاظه وموعد تناوله الشاي وموعد لقاءاته بالآخرين، ومعروف أن الطلبة في النجف كانوا يضبطون ساعاتهم على ضوء برنامجه فهم كانوا يعرفون دقه في الذهاب للحرم أو المجيء للدرس في الوقت المحدد^٢.

وقت محدد للوضوء أيضاً

من القضايا المهمة في حياة الإمام، الالتزام ببرنامج منظم يشمل كل أعماله، من مطالعة الصحف وإجراء اللقاءات وقراءة الرسائل وحتى موعد تجديد الوضوء فله وقت معلوم لا يمكن أن تذهب إليه في غيره فتراه قد ذهب للوضوء! أتذكر أنني كنت يوماً منشغلة مع الأخوة في كتابة محتويات الشرطة الصوتية في مبنى لمنزل الإمام في باريس، فتذكرت فجأة أن عليّ أن اذهب لتنظيف وترتيب محل الوضوء في منزل الإمام - إذ أنني لم أرغب في أن يكون أي جزء غير مرتب في المنزل الذي أتولى مسؤولية تنظيفه - فقممت فوراً للقيام بذلك لأن موعد تجديد الإمام للوضوء قد اقترب، فقال بعض الأخوة مستغرباً: وهل لتجديد الوضوء من وقت معين؟! إلا أنني لم أعبأ بهذا القول، وذهبت ونظفت محل الوضوء، فكان أن وصل الإمام إليه في الوقت المحدد لوضوئه^٣.

البرنامج اليومي في باريس

إضافة إلى قيام الإمام كل يوم في باريس باللقاء الخطابات واستقبال الجامعيين وغيرهم كل يوم ولعدة مرات، كان برنامج عمله اليومي يشتمل على: كتابة أجوبة الاستفتاءات والمسائل الشرعية، قراءة تقارير ترجمات الأخبار والمقالات المهمة للصحف، مطالعة وتحليل التقارير الخيرية الواصلة من إيران بشأن حوادث الثورة والبلد، مطالعة الرسائل الواصلة من الشخصيات السياسية من داخل إيران وخارجها

^١ آية الله الشيخ القديري، صحيفة جمهوري إسلامي، الملحق الخاص بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة الإمام.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرمانلي، مجلة (بيام انقلاب = رسالة الثورة) العدد: ٥٠.

^٣ السيدة مرضية الحديدجي.

وكتابة الردود على المهم منها، عقد اللقاءات الخاصة مع مختلف الأفراد، إجراء المقابلات الصحفية والإجابة على أسئلة المراسلين المحليين والأجانب، كتابة البيانات بشأن مختلف وقائع الثورة، القيام بالفرائض والنوافل وتلاوة جزء كامل من القرآن ضمن ثمان فترات منظمة. الاجتماع بالعائلة وأعضاء مكتبه وبيته^١.

لا يقوم بالعمل في غير مواعده

كان برنامج عمل الإمام في باريس منظماً بدقة بحيث أنني كنت أعرف أنه يتناول شيئاً من الشاي أو الفاكهة في تمام الساعة الحادية عشرة ضحياً فإذا أحضرنا له شيئاً منها في العاشرة والنصف أو الحادية عشرة والنصف لم يتناول منه شيئاً، كما كنا نعرف حتى الموعد الذي يتوجه فيه لتجديد الموضوع^٢.

برنامج عمل يومي في باريس

كان برنامج عمل الإمام في باريس على النحو التالي: أربع إلى ست ساعات مخصصة للنوم والاستراحة وبقية الساعات مخصصة للعمل المستمر. فكان يبدأ عادة بعد صلاة الفجر بتلاوة القرآن ثم مطالعة التقارير والأخبار إلى الساعة الثامنة. وكان يجيب بنفسه على الرسائل التي تصله من مختلف أرجاء العالم. وكان يستريح حدود الساعتين بعد تناول الظهر ثم يعاود العمل إلى موعد صلاة المغرب والعشاء، وبعد أدائهما يعاود العمل إلى منتصف الليل حيث كان ينام في حدود الساعة الواحدة كما ينقل المقربون منه^٣.

الجواب يحضر في الساعة الرابعة

بعد خروج الشاه من إيران احتشد مراسلو الصحف والوكالات عند محل إقامة الإمام لمعرفة رأيه بشأن هذا الحدث المهم، وكانوا يصرون كثيراً على الحصول على مقابلة أو تصريح منه. فتقرر أن يكتب الإمام رأيه ويعطيه للأخوة لكي يترجموه لهم، ثم قام الإمام لأداء صلاتي الظهر والعصر، وبعدهما جاء الأخوة مرة أخرى وقالوا: إن المراسلين يزاحموننا كثيراً فقولوا للإمام أن يكتب بيانه لكي نعطيه لهم. فذهبت إليه وأخبرته بالأمر، فأخذ ورقة وقلماً، وبمجرد أن قرر كتابة البيان وضعهما جانباً وقال: «أذهبي وقولي لهم أن البيان سيحضر في الساعة الرابعة» فتعجبت من ذلك فما الفرق بين أن يكتبه الآن وبين أن

^١ موسوعة «كوثر» الجامعة لخطابات الإمام، ج ٢.

^٢ السيدة مرضية الحديدجي.

^٣ مراسل صحيفة اطلاعات الموفد إلى نوفل لوشاتو في سنة ١٩٧٨م صحيفة اطلاعات ١٣/١١/١٣٧١هـ.ش.

يكتبه في الساعة الرابعة؟ لم أفهم السر في حينها. وعلى رأس الساعة الرابعة نادى الإمام: «تعالوا الآن وخذوا الورقة» يعني ورقة البيان^١.

هل تأذنون لي؟!

لم يكن البرنامج المنظم الذي كان يسير عليه الإمام بالصورة التي تجد فيها مثلاً أنه يقرأ القرآن متى شاء، بل كان يتلوه في الأوقات المحددة له بالضبط - وهي سبعة أوقات - وكذلك الحال مع الأدعية مثل دعاء كميل، وقد كان يتلوها بدقة وفي مواعيدها، ودون يؤثر ذلك على من حضر عنده وأي ضيف حلّ عليه أو دخل غرفته، وأقصى ما يفعله إذا كان قد دخل عليه أحد منا في تلك المواعيد أن يقول: «هل تأذنون لي؟» فنجيب: «رجاءً تفضل ونحن أيضاً نصغي ونستفيد»^٢.

موعظة في ثمرة النظم

كان الإمام يقول دائماً: «إن من تكون أعماله على وفق برنامج وضوابط لا يفعل ما لا فائدة منه ولا يصدر منه ظلم لزوجته وأطفاله»^٣.

متابعة الدرس وكأنه لم يحدث أي شيء

طوال الأحد عشر عاماً التي كنت خلالها في خدمة الإمام في النجف الاشرف، لم يحدث ولا لمرة واحدة أن تؤدي الحوادث والوقائع السياسية المهمة إلى التأثير سلباً على البرنامج الحوزوي للإمام وتدرسه للفقهاء الإسلاميين، ولم تبعث فيها حتى البرود في القيام بذلك؛ في حين كنا نحن والكثير من طلبته نعرض عن الحضور في درسه أو نحضر ولكن دون نشاط وتوجه بسبب تأثيرات تلك الحوادث علينا، ولكن الإمام كان يجلس للتدريس - في اشد الأوقات حساسية واضطراباً وارتباطاً بحياته هو - ويبين المسائل الفقهية بدقة وعمق وكأن شيء لم يحدث؛ ولم يتغير حاله هذا حتى في اليوم الذي اعتقل فيه النظام البعثي العراقي المعادي للإسلام نجله السيد مصطفى ونقله إلى بغداد، بل أستطيع القول أنه كان في ذلك اليوم أعمق في بحثه الفقهي من الأيام الأخرى، بل وحتى بعد استشهاد السيد مصطفى، اعترض الإمام على علماء الحوزة وأساتذتها الذين عطلوا دروسهم بسبب هذه الحادثة المؤلمة، طالبا

^١ السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (زن روز= امرأة اليوم) العدد: ٩٥٤.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان= شاهد للنساء) العدد: ١٤٩.

^٣ السيدة فاطمة الطباطبائي.

الحيولة دون هذا التعطيل والتجميد للنشاط الحوزوي ومعاودة الدروس، وقد تعمق هو بنفسه في دروسه في بيان المطالب العلمية وكأنه لم يحدث أي شيء^١.

النظم والانضباط وتحقيق الأهداف

كان الإمام يذكّر مراراً وفي عدة مناسبات الطلبة غير المنضبطين - الذين يتأخرون حيناً ويبكرون حيناً في الحضور للدرس، ولا يلتزمون ببرنامج منظم في حياتهم ويعانون الكثير بسبب ذلك - بالحقيقة التالية: «إن الذين استطاعوا تحقيق أهدافهم في هذه الدنيا ووصلوا إلى مراتب مرموقة، هم الذين التزموا بالنظام والانضباط في شؤونهم الحياتية»^٢.

تقسيم الأوقات يجعل الأعمال مباركة

كان الإمام ينقل عن أستاذه المرحوم آية الله الشاه آبادي أن صاحب الجواهر كان قد وضع برنامج منظماً لكتابة كتاب «الجواهر» فكان يكتب كل يوم مقداراً معيناً منه وكان له ولد من أهل العلم والفضيلة يحبه كثيراً فتوفى هذا الولد العزيز، وتقرر تشييع جنازته في اليوم التالي، فوضعت الجنازة في إحدى الغرف، فجلس الشيخ صاحب الجواهر في تلك الليلة إلى جانب جنازة ولده وكتب عندها المقدار نفسه الذي كان يكتبه كل ليلة من كتاب «الجواهر»! وكان الإمام يقول بعد نقل هذه الحادثة: «على السادة أيضاً أن يجتهدوا في العمل وعلى وفق برنامج منظم وتقسيم الأوقات بدقة فهذا يجعل الأوقات والأعمال مباركة»^٣.

لنطالب السيد بأن يأتي للصلاة بصورة منتظمة

في صيف إحدى السنين، أقام الإمام في طهران، وكان يشترك في صلاة الجماعة التي كان يقيمها المرحوم آية الله السيد أبو الحسن الرفيعة القزويني في مسجد الجمعة في طهران لصلاتي المغرب والعشاء، السيد القزويني لم يكن يأتي بصورة منتظمة وعندما تأخر عن الحضور للصلاة في أحد الأيام، قام الإمام وخاطب المصلين قائلاً: «لنطالب السيد معاً بأن يأتي بصورة منتظمة، فإن عدم التزامه بالحضور يؤدي إلى تضييع أوقات الكثير من الناس، فلنجتمع ونقول له جميعاً أن يحضر للصلاة بصورة منتظمة».

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، مجلة (باسدار اسلام = حارس الإسلام) العدد الأول.

^٢ المصدر السابق.

^٣ آية الله الشيخ القديري، صحيفة جمهوري إسلامي، الملحق الخاص بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة الإمام.

ثم حضر السيد الرفيعي وأقام الصلاة وبعد انتهائها قال له أحد المصلين: إن سيداً شاباً طلب من المصلين أن يطلبوا منكم الحضور بصورة منتظمة، واعترض - تقريباً - على عدم حضوركم بصورة مرتبة، فسأله السيد: ومن هو هذا السيد، فأشار الرجل إلى الإمام الذي كان يصلي في زاوية المسجد، فما أن وقعت عين السيد القزويني عليه حتى قال: «إنه الحاج السيد روح الله، إنه رجل فاضل للغاية وتقي وصالح جداً ومنظم في عمله ومهذب، إن الحق معه وفيما قاله، عليكم به، قدموه لإمامة الصلاة متى ما تأخرت في الحضور لإقامتها»¹.

ينبغي الترويح عن النفس في ساعة الترويح عن النفس

عندما كان الإمام يراني مشغلاً في الدراسة في أيام العطلة، كان يقول لي: «لن ينفعك ذلك بشيء، لأن ما ينبغي فعله في وقت الترويح عن النفس هو الترويح عن النفس» وكان يكرر هذه النصيحة وبجدية لولدي وقد سمعتها بنفسي مراراً منه إذ كان يقول له: «إنني لم أنشغل أبداً في ساعة الترويح عن النفس بالدراسة، كما لم أنشغل بالترويح عن النفس في وقت الدراسة، أي أن اللازم هو تخصيص كل وقت للعمل المناسب له، كما كان ينصح ولدي بأن يخصص وقتاً للترويح فبدونه يعجز عن التهيؤ للدراسة»².

لا تدرسوا في ساعة الترويح

أتذكر أن الإمام كان يقول دائماً: «لا تدرسوا في ساعة الترويح، ولا تنشغلوا بالترويح في ساعة الدرس، بل قوموا بكل عمل في وقته المعين» كما كان يقول أنه ومنذ صباه لم يخلط بين أوقات هذين العاملين كما أنه يراهما متلازمين لا غنى لأحدهما عن الآخر³.

الإمام يحضر للدرس قبل طلابه

عندما كنت أحضر درس الإمام في مسجد (السلامي) في قم، كنت قلماً أحضر للدرس قبل مواعده وأجد الإمام لم يحضر بعد، فكلما وصلنا للمسجد - أنا ومعظم الطلبة - كنا نجد الإمام قد حضر قبلنا وجلس على المنبر أو السجادة مستعداً للإلقاء للدرس⁴.

¹ آية الله الشيخ حسن النوري، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات).

² السيدة زهراء المصطفوي.

³ السيدة عاطفة الإشرافي (حفيدة الإمام) مجلة (زن روز = امرأة اليوم) العدد: ١٢٩٧.

⁴ حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الأيرواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٥.

لم أر مثل الإمام في دقة نظمه

لقد درست دورة كاملة في الصول والفقہ - أي على مدى قرابة أربعة أعوام ونصف - عند الإمام وانتفعت كثيراً منه، والذي يثير الانتباه أنه لم يعطل درسه طوال هذه المدة سوى يومين! إنني لم أر طوال عمري مثله في دقة نظمه، وقد كنا أحياناً نضبط ساعاتنا على وقت حضور الإمام فنعرف مقدار ما فيها من تأخير أو تقديم في ذلك اليوم^١.

لم يعطل درسه سوى ليومين

أهم خصوصيات الإمام دقته في النظام، ولم أر طوال دراستي نظيراً له في جديته في العمل ودقته في الالتزام ببرنامجه المنظم، فلم يحدث ولا لمرة واحدة أن يلقي درسه بدون تحضير مسبق، وكان شديد الالتزام بالدرس، فمثلاً درّس دورة أصولية كاملة في مسجد (السلامسي) في قم استغرقت أربعة أعوام ونصف لم يعطل درسه فيها - في غير العطل السنوية المعهودة - سوى ليومين كان في أحدها مريضاً^٢.

روح الله هو روح الله حقاً

حضرت لمدة ثمان سنين الدروس الفقهية والأصولية العالية التي كان يلقيها الإمام، وكان الإمام يحضر دائماً في الوقت المحدد للدرس، وفي الأيام التي كان يلقي دروسه في مسجد السلامسي في قم، كان بعض الطلبة يتأخرون دقائق في الحضور للدرس بسبب اشتراكهم في درس آخر، فيدخلون المسجد بعد أن يكون الإمام قد بدأ التدريس، فيؤذيه ذلك وينبه إلى عدم صحته، وكان من المعروف أن الإمام نفسه كان دقيقاً للغاية في الحضور في الموعد المحدد لدروس أساتذته في مرحلة دراسته الأولى، حتى أن المرحوم آية الله الشاه آبادي - أستاذ الإمام في الأخلاق - كان يقول بشأن دقة الإمام في الحضور المنظم في درسه: «إن روح الله هو حقاً روح الله! لم يحدث ولو لمرة واحدة أن أراه يحضر للدرس بعد البسملة، فهو دائماً كان يحضر الدرس قبل أن أبدأ بالبسملة^٣».

لم يتحقق توقعنا بتعطيل درسه

... ومن الخصوصيات الأخرى للإمام شدة اهتمامه بالدرس، فكان يحضره دائماً في الوقت المحدد دون تأخير ولا لدقيقة واحدة، وقد كان يدرس في مدرسة الفيضية في سني الإرهاب، فهاجم يوماً أفراد

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري، مجلة (اطلاعات الأسبوعية).

^٢ السيد علي الغيوري، صحيفة رسالت، ١٤/٤/١٣٦٨ هـ ش.

^٣ آية الله بن فضل، مجلة حوزة، العدد: ٤٩.

السافاك المدرسة، وكنا قد حضرنا للاشتراك في درسه كما حضر هو في الوقت المحدد، وعندما رأينا الهجوم توقعنا أن يعطل الإمام درسه، ولكن هذا التوقع لم يتحقق، فقد جلس الإمام على الأرض في صحن حرم السيدة المعصومة [فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام] وأخذ يلقي درسه^١.

عليكم الحضور للدرس في الوقت المحدد

كانت أعمال الإمام تجري على وفق برنامج غاية في النظم والدقة، وقد قال مرة بشأن الدراسة: «إذا كنتم تأتون هنا للدراسة فعليكم أن تحضروا الدرس في الوقت المحدد، وإذا كان حضوركم للدرس بهدف الحصول على ثواب الجلوس في المسجد، فاعلموا أنه توجد مساجد أخرى قريبة». وحتى في اليوم الذي اخبرنا الإمام بنأ استشهاد السيد مصطفى واستأذانه في الذهاب إلى كربلاء لترتيب أمر الدفن، كنا نتوقع أن لا يحضر الإمام لإقامة الصلاة ولكننا رأينا أنه دخل المسجد في وقته المعهود، بل وتابع مطالعته العلمية وتلاوته للقرآن طبق برنامجه اليومي، بل وقرأ في عصر استشهاد السيد مصطفى سبعين صفحة من الكتاب الذي كان بين يديه كما نقل لنا ذلك السيد أحمد^٢.

وذنبك الثاني عدم التزامك بالنظم والترتيب

رجعت يوماً من الجامعة إلى المنزل وكان وضعي الظاهري غير مرتب، فحذائي كان بالياً وملابسي غير نظيفة، فدخلت المنزل على هذه الحالة وكان الإمام يمشي في ساحة المنزل فأقرب حاجبيه عندما رأيته وسألني: «لماذا تذهبن بهذه الحالة إلى الجامعة؟» فأجبتة ممازحة: لا يمكن الذهاب بحالة أفضل من هذه إلى الجامعة في جمهوريتكم الإسلامية! فأجابني: لقد ارتكبي ذنبين؛ الذنب الأول هو وقوعك في الرياء، فأردت بهذه الهيئة القول بأنك لا تملكين من المال ما تشتريين به حذاء مناسباً، أما الذنب الآخر فهو عدم التزامك بالنظم والترتيب وهذا خلاف الشرع والقوانين الإسلامية» فقلت له: لو ذهبت إلى الجامعة بهيئة مرتبة أفضل من هذه لأشكلوا عليّ واعترضوا، فأجابني: «لو اعترضوا عليك فقولي: إن الخميني قال: يجب أن تذهبي إلى الجامعة بهيئة مرتبة»^٣.

^١ آية الله الشيخ حسين النوري الهمداني، مجلة (زن روز= المرأة اليوم) العدد: ٨٥١.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٤.

^٣ السيدة زهراء الإشراقية (حفيدة الإمام) ملحق صحيفة اطلاعات بمناسبة وفاة الإمام.

الإسراع في تحويل الحقوق الشرعية

كثيراً ما يحدث أن يزور أشخاص مثل المرحوم السيد اللواساني، الإمام في فترات متقاربة ويقدمون له صكوكاً مصرفية هي حقوق شرعية فيحولها الإمام فوراً لنا لإيداعها في الحساب المصرفي الخاص بها، فإذا نسي لكثرة المشاغل وخرجنا من عنده دق الجرس بعد لحظات واستدعانا ثانية وسلمنا الصكوك، فلم يكن يبقي عنده شيئاً منها أو من الأمانات ولا ليوم واحد دونما مبرر^١.

الإمام لا يؤجل عمل اليوم إلى غدٍ

لم يكن الإمام يؤجل عمل اليوم إلى غدٍ في أي حال من الأحوال، وكان يضع كل شيء في محله وينجز كل عمل دون استعجال ودون تأخير، فلا يلاحظ أحد في حياته تراكماً لأشياء، ولا يشاهد أعمالاً معطلة لم تنجز على الرغم من كثرة مهامه وتعدد التقارير الواصلة إليه؛ بل لا يضع عنده أي شيء، لأنه كان يضع كل شيء في محله المناسب، مثل الكتاب واللباس والقلم وجهاز المذياع وباقي وسائله الشخصية، وإذا وجدت عنه أمانة أو شيء ينبغي تحويله للطرف المسؤول عنه، فإنه كان يبادر إلى تسليمه بسرعة وفي أول فرصة. وكثيراً ما كان يحدث أن يحتاج إلى كتاب فقهي فنستعيره ونقدمه له، وعندها يكون أول عمل يقوم به في اليوم التالي هو إعادة الكتاب لمن جلبه منه!^٢.

اهتمام خاص بآية الله الخامنئي

عندما عرف الإمام أن آية الله الخامنئي قد حضر إلى مكتبه في أول وقت العمل، أي في الساعة الثامنة للالتقاء بالإمام، أمرنا بترك أعمالنا إلى ما بعد انتهاء اللقاء والخروج من الغرفة، وخلافاً للمعتاد أجرى اللقاء أولاً ثم تابعنا أعمالنا، في حين أن الإمام لم يكن يغيّر برنامج المعتمد أبداً، وحتى في الأيام التي يمنعه المرض أو تمنعه الثلوج أو شدة البرد من الحضور إلى المكتب كنا نذهب إلى غرفته الخاصة لانجاز أعمالنا ولكي لا تتأخر أعمال المكتب والمراجعين، لذلك فما فعله يومذاك يشير إلى اهتمام خاص بآية الله الخامنئي^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان.

^٢ المصدر السابق.

^٣ المصدر السابق.

لماذا لم يأتي العقيد صياد للقاء

بعد عمليات محرم أصابني مشكلة روحية خاصة شعرت أن حلها محال إلا أن أزور الإمام، فاتصلت هاتفياً بمكتبه، وعرضت الأمر على السيد أحمد فقال لي: تعلمون بأن الإمام لا يستقبل أحداً أيام الجمعة. فطلبت منه أن يعرض الأمر على الإمام لحاجتي الملحة لهذا اللقاء. وفي الاتصال اللاحق أخبروني أن الإمام وافق على اللقاء، وعندما وصلت إلى مكتبه في حدود الساعة (١٠،٣٠) قال لي خادمه الحاج عيسى، أن الإمام دق الجرس في الساعة (٨،٣٠) - وهو الموعد اليومي للقاءاته وسألني: لماذا لم يأتي فلان للقاء؟!^١.

جمع محاسن الصالحين

كان الإمام جامعاً لكلمات وفضائل أخلاقية ظاهرية ومعنوية يندر اجتماعها في شخص واحد، ويمن القول - دونما مبالغة - أنه قد جمع من المحاسن ما تفرق في سائر الصالحين. جمع بين وسامة الظاهر، وفصاحة البيان وبلاغته، وجاذبيته، وسلامة البدن وتناسب شكل أعضائه وجمال الخط وحسنه، والشجاعة والاستقامة النادرة، والذكاء والفتنة والفراسة، وحسن الخلق، والتبحر في العلوم الإسلامية والعرفان والزهد في أعلى مراتبه، وتهذيب النفس وتركيتها على وفق الوصايا الدينية، وأهم من ذلك كله التحلي بالمراتب السامية للإيمان بالله والتوكل عليه، فكان ثمرة هذه الشجرة الطيبة الانجازات التي شاهدناها وشاهدها العالم الإسلامي بل العالم كافة.^٢

استثمار الفرص في أيام ازدحام المشاغل

كان الإمام يستفيد من الأوقات الخاصة به لأداء المستحبات، وكأنه بذلك يقول لنا: إذا توليتم مسؤولية عامة أو منصباً فلا يحق لكم أن تكتسبوا شيئاً لأنفسكم في الأوقات الخاصة بمتابعة شؤون الناس. ولكن يمكنكم القيام بذلك في الأوقات الخاصة بكم.

عندما كنا في باريس كنا نرى أن الإمام قد خصص في تقسيمه لأوقات برنامجه اليومي ربع ساعة لممارسة المشي الضروري لسلامته البدنية، فكان يقوم بذلك في ساحة المنزل أو على شرفته، وكان

^١ اللواء علي صياد الشيرازي.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧-٣٨.

يستثمر هذا الوقت طوال أحد عشر يوماً من بداية شهر محرم الحرام، لذكر اللعن مائة مرة الواردين في زيارة عاشوراء؛ لأنه خصص أوقاته الأخرى لخدمة الناس والمجتمع.^١

أثار النظام الخميني على عمل الشرطة الفرنسية

ترك البرنامج المنظم والدقيق الذي كان يلتزم به الإمام آثاره حتى على عمل أفراد الشرطة الفرنسية، وقد كنت آراهم من نافذة غرفتي في بيت الإمام - ينزلون من سياراتهم استعداداً لمرافقة الإمام قبيل فتحه لباب المنزل للخروج، وقد قالوا مراراً لإخواننا أنهم يضبطون ساعتهم - إذا حدث فيها تأخير أو تقديم - استناداً إلى وقت خروج الإمام لإقامة الصلاة، وكان هذا النظام الدقيق مثيراً لإعجابهم.^٢

ساعة تناوله الشاي

كانت عادة الإمام أن يتناول الشاي في الساعة الحادية عشرة وهي من الساعات الخاصة به، ولكنه كان يقول: «لتأت السيدة أيضاً [يعني زوجته] لكي أشرب الشاي».^٣

إذا استمر التأخير خمس دقائق أخرى فلن آتي

عندما كنت أتقلد مسؤولية قيادة لجان الثورة الإسلامية، حالفنا التوفيق لاصطحاب حرس هذه اللجان - وللمرة الأولى - إلى حسينية جمران بهدف زيارة الإمام. ولكن كثرة الحاضرين من أفراد هذه اللجان أدت إلى أن يستغرق دخولهم وتوزعهم داخل الحسينية مدة طويلة تجاوزت الموعد المقرر لهذه الزيارة في حين أن الإمام كان معروفاً بدقته في التنظيم والقيام بكل عمل في وقته المحدد، لذلك دق الجرس وقال: «لماذا لا يجرى اللقاء في مواعده المحدد؟ إذا استمر التأخير خمس دقائق أخرى ولم يستعدوا للقاء فإنني لن آتي الحسينية!»

أجل، إن هذا التحذير قد فعل فعله وجعلنا نبذل المزيد من الجهد إعداد مستلزمات الزيارة في الوقت المناسب، فدخل الإمام بطبعته النورانية البشوشة على الأخوة المشتاقين لزيارته في حسينية جمران.^٤

^١ السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (زن روز = امرأة اليوم) العدد: ٩٥٤.

^٢ نفس المصدر.

^٣ نفس المصدر.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد سالك الكاشاني.

في وقت الصلاة تجب الصلاة

كان اهتمام الإمام بوقت الصلاة وحقها مشهود بوضوح، حتى أن أفراد الشرطة الفرنسية كانوا يضبطون ساعاتهم على أساس ذهاب الإمام لصلاة وعودته منها. وعندما كان بعض الأخوة يقفون بالقرب من الإمام في وقت الصلاة بهدف المحافظة عليه كان يقول لهم: «لا حاجة لذلك، في وقت الصلاة تجب الصلاة»¹.

الفصل الثاني

بسطة العيش العلوي والمواساة للأمة

أول من قدم كشفاً رسمياً بممتلكاته

عندما تقرر أن يقدم مسؤولو النظام - وطبقاً للدستور - كشفاً [للسلطة القضائية] بممتلكاتهم؛ كان الإمام الخميني أول من أعد الكشف الرسمي بممتلكاته وممتلكات أرحامه وأرسله [للسلطة القضائية] ولم

¹ السيدة مرضية الحديدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٤.

يكن فيه أرقام تستحق الذكر! أجل لقد بادر الإمام لتقديم هذا الكشف رغم أننا لم نطلب منه ذلك. وتاريخ هذا الكشف الرسمي - وهو موجود الآن في خزانة ديوان القضاء الأعلى - يدل على أن الإمام أول من بادر لذلك.

وعلى العكس من ذلك كان موقف بني صدر الذي لم يقدم كشفاً بممتلكاته إلى النهاية على الرغم من أننا طالبناه بذلك مراراً لكنه ظل يجادل للتهرب من العمل بهذا القانون الدستوري، لذلك لا يوجد كشفاً بممتلكاته في خزانة ديوان القضاء الأعلى، وامتنع عن ذلك أحد الوزراء أيضاً لا حاجة لذكر اسمه، في حين قدم الكشف بقية المسؤولين ولكن بعد أن طلبنا منهم ذلك^١.

عدم الاستفادة من أموال الحقوق الشرعية

تحلى بالقناعة والتورع عن الطمع بما عند الآخرين، كان قانعاً بالعائد القليل الذي يصله من أملاكه التي ورثها من أبيه وكان يعيش في منزل متواضع مستأجر يقع في احد المحلات القديمة والنائية في مدينة قم. ورغم ذلك لم يغفل عن مساعدة الضعفاء، وقد اتضح من وصيته فيما بعد أنه لم يتصرف لنفسه في الحقوق الشرعية طوال الأعوام العشرة التي تلت انتصار الثورة^٢.

إذا لن تجدوا المنزل المناسب لي أرجع إلى قم

بعد مدة من عودة الإمام إلى قم إثر انتصار الثورة الإسلامية أصابته نوبة قلبية أوجبت نقله ليلاً إلى طهران للعلاج إذ لم تكن توجد في قم الإمكانيات اللازمة لذلك. فأمر الأطباء بنقله إلى مستشفى القلب حيث أخضع للعلاج لمدة شهرين كان الأطباء يشرفون على معالجته بصورة مستمرة وكانوا يرفضون بشدة رجوعه إلى قم لخطورة ذلك على سلامته، ويوصون بإصرار بأن يسكن بمنزل قريب من هذه المستشفى، لكننا لم نجد المنزل المناسب هناك رغم طول البحث.

كان الأطباء يؤكدون - وبإصرار بالغ - على ضرورة أن يسكن الإمام في شمال طهران لأن وضع قلبه يحتاج إلى الهواء المناسب الذي تتميز به هذه المنطقة. وبسبب عدم العثور على منزل قريب من مستشفى القلب اضطر الأطباء إلى نقل الأجهزة الطبية اللازمة لمعالجة الإمام إلى مكان أبعد، حيث وجدنا منزلاً للإمام في شارع «دريند» أقام فيه أربعة أشهر، لكن الإمام لم يكن مرتاحاً فيه منذ اليوم

^١ آية الله السيد الموسوي الأردبيلي، صحيفة جمهوري إسلامي: ١٣٧٣/٣/١٧ هـ.ش.

^٢ آية الله محمد صادق اللواساني، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٤، ص: ١٣٠.

الأول، لأنه واقع في عمارة عالية تبدو من الخارج لزائريه وكأنها قصرًا وإن كان داخلها متواضعًا، لذلك كان الإمام يصير - منذ البداية - أن نختار له منزلاً يناسبه، ولكن العثور على منزل متواضع في شمال طهران كان أمراً في غاية الصعوبة، وبعد أربعة أشهر قال الإمام مهدداً: «إذا لم تجدوا المنزل المناسب فسأرجع إلى قم» وفي المقابل كان الأطباء يصرون على لزوم إقامة الإمام في شمال طهران.

وفي احد الأيام جاء السيد الحاج أحمد إلى منزلنا لكي نذهب معاً للبحث عن المنزل المناسب للإمام، فذهبنا ولم نعثر على شيء، وعندما كنا نتناول معاً طعام الظهر في منزلنا قلت له: لو كان منزلنا يناسبه فنحن مستعدون لتقديمه، يمكننا أن ندمج هذين البيتين الصغيرين - بيت أخي وبيت أختي - بالحسينية [حسينية جمران] لكي يناسب وضع الإمام وزيارات الناس له، فكر السيد أحمد بالأمر ثم قال: أنه جيد ومناسب ولكن ينبغي أن ترضى السيدة [زوجة الإمام] به فحضرت السيدة عصر ذلك اليوم وشاهدت المنزل وأعربت عن موافقتها من أجل الإمام رغم أن المنزل لم يكن مناسباً لها بالكامل.

وكانت للحسينية باب إضافية مستقلة فتحت من أجل أن يدخل الإمام منها لاستقبال الزائرين، ولم يكن بناء الحسينية قد اكتمل يومذاك وقد استغرق إكماله وإجراء بعض التعديلات البسيطة ثلاثة أو أربعة أيام، ولكن الإمام لم يوافق على إجراء هذه التعديلات إلا بعد أن تيقن من أنها ضرورية لا مناص منها، فأمهلنا أربعة أيام لإكمالها، حضر بعدها إلى المنزل وقال: «هذا هو المنزل الذي يناسبنا» وأقام في هذا المنزل سبع أو ثمان سنين. وأتذكر أن الحسينية كانت مليئة بقايا مواد البناء بحيث لم يكن بالإمكان استقبال أحد فيها، فتعاون جميع أهل الحارة - بدافع الشوق لحضور الإمام - ونظفوها خلال أربعة أيام وأعدوها كمحل لزيارة الإمام. كما أنهم وضعوا مصابيح الزينة والابتهاج على منازلهم وأوقدوها - في ليلة ٢٨/أردبهشت - فقد كانوا يعلمون أن الإمام سيصل قريباً إلى حارتهم وإن لم يكونوا يعرفون الموعد لوصوله، وكان الفرح والسرور يطفح على وجوههم، وقد أكملوا كل تلك الاستعدادات - من إكمال بناء الحسينية وتبليط الزقاق وإعداد مصابيح الزينة وغيرها - في أربعة أيام رغم أن إكمالها يستغرق عادة ما يقارب الشهر! أما الموعد الدقيق لوصول الإمام فلم يكن يعرفه سواي وبعض المقربين إذ قال لنا: «سندهب أول الليل».

وفي الساعة السابعة مساءً رأينا الإمام يدخل محلة جمران وهو يستقل سيارة «بليزر» ورغم عدم اطلاع أهالي المنطقة على موعد وصول الإمام؛ أي أننا عندما دخلنا الزقاق الضيق المؤدي إلى الحسينية، وجدنا

الأهالي محتشدين فيه بكثافة بالغة وهم يهتفون بحماس عجيب بشعار «صلوا على محمد، مرحباً بالقائد» فدخل الإمام الحارة وسط هذه الهتافات الودية، وعندما دخل المنزل أجال نظره في زواياه والغرفة التي كان يجلس فيها فيما بعد، ثم قال: «لقد ارتحت الآن فقد كنت في عذاب طوال هذه الشهور الأربعة»^١.

لا يملك جميع الطلبة ثلجات

لم يكن الإمام يستفيد هو وعائلته من وسائل العيش إلا بمقدار الضرورة، ولم يكن في منزله ثلاجة عندما كان في النجف الأشرف كما هو حال طلبة الحوزة، ولم يرض أن يشتري له الشيخ نصر الله الخلدخالي ثلاجة حتى من أمواله الخاصة وكان يعلل رفضه بالقول: «لا يملك جميع الطلبة ثلجات» وظل يستخدم الحافظات البلاستيكية الصغيرة لشرب الماء إلى أن تحسن الوضع المالي للطلبة قبل عامين وأصبحوا جميعاً قادرين على اقتناء ثلجات عندها قال الإمام: «ما دام أصبح لدى الجميع ثلجات فيمكنكم الآن اقتناء واحدة منها»^٢.

أرجعوا هذه أيضاً

في الأيام الأولى لتشرفي بخدمة الإمام سنة ١٣٦٠ هـ ش، ١٩٨١م لم يكن في منزله ثلاجة، فقال السيد أحمد: هيئوا للسيد ثلاجة. فذهب السيد كفاش زادة واشترى واحدة من حجم (١٤ قدم) وجلبها إلى المنزل فوضعناها - أنا وأحد الأخوة - في المطبخ، وكان الإمام حينها يمارس المشي في ساحة المنزل، فسألنا عنها، فأجبنا بأن السيد أحمد على علم بالأمر، فلم يقل شيئاً وذهب، فقمنا بإيصال الكهرباء إليها، وخرجنا، وبعد فترة وجيزة عدنا للاطمئنان على سلامة إيصالها بالكهرباء، فوجدنا أن الإمام قد أخرج سلك وصلها بالكهرباء ووضعها فوقها. بعد ذلك قال لنا السيد أحمد: لقد قال الإمام إن هذه الثلاجة كبيرة، والنسب أن تستبدل بأخرى صغيرة.

فذهبنا فوراً وهيئنا ثلاجة صغيرة واستأذنا الإمام في جلب الثلاجة الصغيرة وإرجاع الكبيرة، فقال: «كلا، لا تجلبوا الثلاجة الصغيرة، بل أرجعوا هذه أيضاً» فلم نجد بداً من إطاعة أمره، وعندما عرف السيد أحمد بالأمر أعرب عن عدم ارتياحه وأنكر علينا إرجاع الثلاجة، كما أن الشخص الذي اشترى الثلاجة للإمام آذاه إرجاعها وقال: لقد نذرت هذه الثلاجة للإمام والإمام لا يرجع النذر. فعدت للسيد أحمد

^١ حجة الإسلام والمسلمين إمام الجمراني.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

وطلبت منه أن يخبر الإمام بذلك وبأن هذه الثلاجة لم تشتتر بالأموال العامة بل هي نذر شخصي له. فعندما أخبره بذلك قال: «لا إشكال ما دام في الأمر نذر ولكن ضعوا الثلاجة الصغيرة هنا وأرجعوا الثلاجة الكبيرة»^١.

إذا كانت لديكم أموال خاصة فاشتروا منها

قالت أختي - التي كانت تخدم في بيت الإمام في النجف الأشرف - : لم تكن في بيت الإمام ثلاجة، لذلك كنا نضع ما يزيد عن استهلاك اليوم من الأطعمة مثل اللحم، في «السرداب»^٢ لكي لا يفسد بسبب الحر الشديد الذي تتميز به مدينة النجف؛ ولذلك كان السيد مصطفى يوصينا بأن لا نشترى من اللحم أكثر من الاستهلاك اليومي. ولعدة أيام ذكرت السيدة [زوجة الإمام] الإمام بعدم وجود ثلاجة في البيت وشدة الحاجة إليها فقال لها: «إنني لا أستطيع أن أعطيكم من هذه الأموال [الحقوق الشرعية] لشراء ثلاجة، فهي ليست من ملكي، فإن كانت لديكم أموال خاصة فاشتروا منها». وأخبرت السيدة ولدها السيد مصطفى بقول الإمام، فذهب واشترى ثلاجة بالأقساط لوالدته ودفعت هي بنفسها جميع أقساط ثمنها^٣.

اضمن لي الحياة إلى الغد لكي اشتري منزلاً

طوال إقامته في النجف، كان الإمام يسكن في منزل صغير استأجره هناك. وقد وجد الشيخ نصر الله الخلخالي قطعة أرض قريبة من حرم أمير المؤمنين عليه السلام، فطلب من الإمام أن يأذن له ببناء مسجد عليها ومنزل للإمام إلى جوار المسجد ليكون منزله مجاوراً للمسجد الذي يلقي فيه دروسه، فرفض الإمام، وألح الشيخ نصر الله في طلبه فقال الإمام: «لا فائدة من إلحاحكم، يكفي أنني أدفع بدل استئجار هذا المنزل كل شهر»، فقال الشيخ: يا سيدي إن ما ستدفعه كبديل استئجار لهذا المنزل لبضع سنين يكفي لبناء منزل جديد، فأذنوا لي بأن أبنيه لكم. فأجابه الإمام: «أعطني أنت أولاً ضماناً مكتوباً بأنني سأبقى حياً إلى

^١ السيد رحيم ميريان.

^٢ نقل هذا الطراز في البناء الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري الدسفولي من مسقط رأسه دسفل إلى النجف، إذ كان أهالي دسفل قد اعتادوا بناء «السرداب» وهو غرفة تبنى تحت أرض مباني المنزل كطابق أضافي تحت الأرض يصل عمقه ما بين (١٠ - ١٥) متراً توفر له تبريداً طبيعياً، وقد عمدوا إلى هذا الأسلوب لمواجهة الحر الشديد لمدينة دسفل، وقد نقله الشيخ الأنصاري إلى النجف الأشرف للهدف نفسه فأخذ أهالي النجف يبنون السرداب الذي يسميه أهالي دسفل باسم «شوادون» كطابق تحت الأرض في منازلهم.

^٣ الحاج عيسى الجعفري (خادم في بيت الإمام) والمبلغ المشار إليه في هذه القضية كانت زوجة الإمام قد حصلت عليه من والدها.

الغد، وعندها سأذهب وأشتري منزلاً». فقال الشيخ الخلخالي: هذا ما لا يستطيع أن يضمه أبي وجدي فضلاً عني! فضحك الإمام، وبقي يسكن في منزل مستأجر إلى نهاية إقامته في النجف الأشرف^١.

بقي مستأجراً إلى النهاية

منذ أوائل كان الإمام يعيش في منازل مستأجرة، في قم وفي النجف الأشرف - في مرحلة النفي - وحتى بعد انتصار الثورة وإقامته في طهران إلى حين وفاته. فلم يملك منزلاً شخصياً طوال حياته المباركة^٢.

كلا، لا حاجة لذلك

عندما كان الإمام مقيم في النجف الأشرف، لم تكن توجد في منزله مبردة للهواء، بل كانت توجد فيه مروحة منضدية متواضعة، فقام أحد محبيه من الكويت بشراء جهازي تكييف للهواء من الحجم الكبير يكفيان لتبريد جميع غرف منزل الإمام الداخلية وغرفة الاستقبال، ثم جاء بعامل فني لينصبهما في المنزل، فقلنا له مهلاً، لنخبر الإمام بالأمر. وعندما أخبرناه قال: «كلا، لا حاجة لذلك». ومعروف أن الإمام إذا قال كلا، فلن يتراجع حتى لو اجتمع العالم كافة ضده. فاضطر الرجل الكويتي إلى إرجاع الجهازين. ولم يكن السبب احتياط الإمام الشرعي في كثرة استهلاكهما للكهرباء فقط بل - إضافة لذلك - كان لا يحب مظاهر الترف^٣.

أرجعوها لأصحابها

أرسلت مرة من الكويت أجهزة تكييف للهواء هدية للإمام لكي تنصب في منزله بسبب شدة الحر في النجف، ولأن منزله كان خالياً من مبردات الهواء. ولكن الإمام لم يسمح بنصبها رغم شدة الإلحاح وأمر بإرجاعها إلى أصحابها، كما أنه رفض طوال لإقامته في النجف الأشرف أن تكون له سيارة خصوصية فكان يتنقل بواسطة سيارات الأجرة العامة^٤.

ضعوا في الشق شيء يسده

س: كيف كان وضع بيت الإمام في النجف الأشرف؟

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيمان.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني، ولعل الإمام لم يكن يرغب في أن يكون وضعه المعيشي أعلى من وضع سائر طلبة الحوزة يومذاك.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادي الأصفهاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج:٦.

ج: كان يشتمل على ثلاث غرف في الطابق الأرضي، وغرفة في الطابق العلوي هي غرفته الخاصة التي يطالع فيها ومكتب استقبال المراجعين أيضاً، وكان في سقفها شق ينزل منه التراب، فاستأذنته يوماً بسد هذا الشق بالجص فقال: «لا حاجة للجص، ضعو في الشق شيء يسده»^١.

رضي من أجل الزوار

لم يكن الإمام يرضى بشراء مبردة هواء لمنزله في النجف الشرف، إلى أن قال له الشيخ نصر الله الخلخالي يوماً: يا سيدي إن شدة الحر تؤذي الزوار الذين يجلسون في غرفة الاستقبال. وعندها رضي الإمام بشراء مبردة لهم، ورضي بعد طول إصرار بشراء بعض الملاحف للمنزل^٢.

لم أكن أتوقع منك مثل هذا

زرت الإمام مرة عندما كان في النجف الأشرف وكان الجو حاراً جداً، وقد رأيته جالساً في وسط ساحة المنزل فسلمت عليه وقبلت يديه، فرأيت في يديه منديلاً يمسح به العرق المتصبب من وجهه، فقلت له: يا سيدي إن منزلك صغير يكفيه جهاز تبريد واحد، لكي تطالع وأنت في راحة، وعندها علا أثر الأذى على وجه الإمام وقال: «يا فلان، لم أكن أتوقع منك أنت أن تقول مثل هذا القول»^٣.

لا أستطيع أن أصرف من بيت المال من أجل هذا

صارت الغرفة الخارجية من بيت الإمام المخصصة للاستقبال أسبه بالخربة، فطلب المرحوم آية الله الإشراقي من الإمام تعمیرها وطلائها بالدهان فأجابه الإمام: «لا أستطيع أن أصرف شيئاً من بيت المال من أجل هذا الأمر» فقال الشيخ الإشراقي أنه مستعد لتحمل مصاريف ذلك من ماله الخاص وقبل الشيخ الرضواني بذلك. فاعتننا فرصة ذهاب الإمام إلى كربلاء للزيارة وأصلحنا وضع غرفة الاستقبال ووضعنا فيها بضعة «منادير» متواضعة لجلوس الضيوف وكانت شرافتها من القماش الرخيص، ولم نقم بأكثر من ذلك، ولكن الإمام عندما رجع من زيارة كربلاء المقدسة ورأى وضع الغرفة أقطب حاجبيه وقال: «لقد رضيت بطلاء الغرفة لا بهذه الإضافات»^٤.

^١ الشيخ غلام رضا (خادم الإمام في النجف) صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٥٨/٩/١٤ هـ ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٤.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد عباس المهري، المصدر السابق، ج: ٦.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، المصدر السابق.

بساطة المسكن في النجف و طهران

طوال مدة إقامته في النجف الأشرف، كان الإمام يسكن في بيت مستأجر بسيط وعتيق في أحد أزقة شارع الرسول ﷺ حاله كحال المئات من طلبة الحوزة العاديين، وبقي على هذا الحال بعد انتصار الثورة، سواء أيام إقامته القصيرة في قم، أو في ما يقارب عشرة أعوام قضاها في منطوقو جمران في طهران، فكان حاله في مسكنه حال الكثير من المستضعفين الفقراء، يعيش في منزل مستأجر، وكان منزله في جمران صغيراً لا تتجاوز مساحته (١٢٠) متراً مربعاً، مساحة البناء (٧٠) متراً والبقية ساحة البيت^١.

لا ينبغي الخروج عما يناسب رجال الدين

كان منزل السيد الخميني قديراً في النجف الأشرف صغيراً وبسيطاً للغاية لا تتجاوز مساحة ساحته (١٤) متراً مربعاً ويشتمل على بضع غرف في طابقه الأرضي وغرفة كبيرة في الطابق العلوي لم تصنع منذ سنين طويلة، فصارت بحالة مزرية، والمنزل كان مستأجراً فقلت للمرحوم الشيخ الإشراقي: يمكنكم إخراج البيت من هذه الحالة بتعمير جانب منه وطلاي جانب الآخر، فقال: لقد اقترحت ذلك على السيد الخميني، بل وأعلنت له عن استعدادي للقيام بذلك من أموال الخاصة وليس من بيت المال، لكنه لم يوافق وقال: «ليبق البيت على حاله، فهو ملك صاحبه والتصرف فيه من شأنه، فلا معنى لأن نقوم بأعماراه وصبغه وإظهاره بحالة لا تتناسب وزى رجال الدين»^٢.

هل هذا بيت الصدر الأعظم

لم يكن قسم الاستقبال في بيت الإمام في النجف الأشرف مفروشاً بالكامل، بمعنى أن قسماً من هذه الغرفة التي كان يجلس فيها مساءً، كان خالياً فطلبت منه أن يسمح بشراء ما نسد به هذا النقص، فقال: «يوجد في داخل المنزل بساط إضافي» فقلت: إنه بساط متواضع كما أنه لا يناسب المفروش في هذه الغرفة، فأجابني: «وهل هذا بيت الصدر الأعظم؟!»^٣ فقلت: بل هو بيت من هو أعظم، إنه بيت إمام الزمان. فقال: «وما يدريك أن المفروش في بيت إمام الزمان نفسه خير من هذا؟!»^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٢ آية الله الشيخ محمد الفاضل اللكراني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج:٦.

^٣ لقب كان يطلق على الوزير الأول للملك في العهود السابقة.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، من حاشية الإمام في النجف، المصدر السابق، ج:١.

انهيار جدار في بيت الإمام

كان الإمام وأولاده يعيشون عيش ابسط طالب في الحوزة. رغم ، الإمكانيات المادية [بيت المال] كانت بأيديهم وكان بالإمكان تبرير استفادتهم منها. كان بيت الإمام قديماً جداً ويخلو من أي مظهر من مظاهر الزينة والإمكانيات المتعارفة. وقد سقط في شتاء أحد الأعوام جدار الغرفة العلوية منه، ورغم ذلك لم يرض الإمام بالانتقال منه، بل أعاد بناء الجدار وبقي في المنزل نفسه^١

قطعة الأثاث الوحيدة منضدة صغيرة

بعد انتهاء عمل الإمام الخميني في المدرسة الفيضية، وفي استقبال زائريه، كان يرجع إلى بيته العائلي الذي يقع في زقاق «يخچال قاضي» برقم (٦١) وهو بيت طيني أبيض بني في طبقة واحدة وقد يبلغ عمر هذا البيت مائة عام، والزقاق المذكور ضيق يقع في مركز مدينة قم، وفي البيت ساحة فيها حوض ماء وجدرانه مغطاة بفروع شجرة عنب، وقطعة الأثاث الوحيدة التي تجلب الانتباه فيه هي منضدة خشبية استفاد منها سنين طويلة^٢.

بساطة عيش الإمام جذبتني إليه

أكثر ما شدني إلى الإمام بساطة عيشه، ففي باريس كان يقيم في منزل صغير ذي غرفتين لا أكثر، واحدة لنومه والثانية لعمله ولقاءاته، ولا تشاهد في وسائل معيشته السجادات والأثاث الثمين، كما أن طعامه كان بسيطاً جداً هو مقدار قليل من اللبن والأرز، وكذلك حال الخيمة التي كان يصلي فيها فهي متواضعة وبسيطة للغاية^٣.

لم يضع حجراً على حجر

البيت الذي كان يقطنه الإمام متوسط السعة مبني من الطين ولا زال موجوداً، وكان لأكثر من عشرين عاماً - ما بين عامي ١٣٠١ إلى ١٣٢٤ هـ ش [١٩٢١ - ١٩٤٥م] - يعيش في منازل مستأجرة، حيث استأجر منزلاً لمدة عامين وانتقل منه بعد أن احتاجه صاحبه، فاستأجر منزلاً آخرًا. أجل لم أر الإمام طوال (٦٣)

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادي الأصفهاني، المصدر السابق ج٦.

^٢ مراسل مجلة التايم الأميركية، صحيفة اطلاعات ١٣٥٨/٥/١ هـ ش.

^٣ البروفسور الفرنسي مونتي.

عاماً كنت في خدمته بصورة متواصلة - باستثناء أعوام نفيه حيث انقطع ارتباطي الظاهري به - يضع حجراً على حجر^١.

منزل زعيم بلد الخمسين مليوناً

خلال إقامته في باريس، كان الإمام يعيش في منزل صغير مساحته (٦٠) متراً مربعاً، ثم سكن في «مدرسة علوي» في بداية عودته إلى طهران، ثم في بيت ذي طابق واحد يشتمل على بضع غرف صغيرة في قم، ثم سكن في بيت بسيط استأجره في منطقة جمران؛ وقد زاره مراسل وكالة رويتر ووصفه بقوله: إن المنزل الذي زرته هو محل إقامة زعيم بلد يتجاوز عدد نفوسه الخمسين مليوناً، والمنزل بسيط للغاية، فيه غرفة واحدة عُزل قسم منها بستارة لتكون غرفة نوم الإمام الخميني، ووضع في القسم الآخر منها كرسي مغطى بقطعة قماش بيضاء، وهذا هو أهم أثاث المنزل، على رفوف المنزل تجد نسخة من القرآن الكريم ومرآة، ومجموعة من الكتب، وجهازي مذياع وتلفاز^٢.

مساحة المطبخ بمقدار فراش النوم

الوسائل المعيشية التي اشترت لمنزل الإمام في النجف الأشرف، كانت عبارة عن: سجادة قديمة، بساط قديم، ثلاثة أو أربعة «منادر» للنوم سماور كبير، كيس من السكر، صندوق شاي، وأربعين من فناجين الشاي وصحونها ليست من نوع واحد، وأربعة صحون كبيرة لتوزيع الشاي على الزائرين، وأربعة من صحون الطعام، ودعي السادة للجلوس في ساحة المنزل التي لا تتجاوز أبعادها (٥ × ٦) أمتار. وجاء السيد الإمام من كربلاء إلى منزله المتواضع والمستأجر هذا وعاش فيه (١٤) عاماً، رغم أنه منزل صغير جداً لا تتجاوز مساحة مطبخه مساحة فراش نوم واحد بحيث كنا نضطر إلى وضع القدر في ساحة البيت لصب الطعام، وكان طابقه الأرضي يشتمل على ثلاثة غرف أبعاد الواحدة (٣ × ٤) أمتار، وفوقها غرفتان الأولى لم يكن بالإمكان الاستفادة منها بحال من الأحوال، ففرشنا الثانية للسيد، وقد استأجر منزلاً مجاوراً - وكان صغيراً وقديماً أيضاً - ليكون بمثابة بيت الضيوف «البراني»^٣.

^١ آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج٣، ص: ٢١٣.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادي الأصفهاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٦.

^٣ السيدة خديجة الثقفي، زوجة الإمام، مجلة (ندا) العدد: ١٢.

وساحة الدار لا تسع للمشي

سكن الإمام في النجف الأشرف في منزل صغير مساحته (٤٥) متراً مربعاً، وكان يمارس رياضة المشي على سطحه في نصف الساعة الأخيرة التي تسبق غروب الشمس، لأن ساحة المنزل كانت صغيرة جداً ولا تتسع للقيام بذلك^١.

في معيشتة درس للحوزيين

طوال مدة إقامته في النجف الأشرف، سكن الإمام منزلاً صغيراً مساحته ستون متراً، وكان يعيش حياة بسيطة للغاية، فكانت سيرته المعيشية بحد ذاتها درساً لجميع طلبة الحوزة الدينية المقيمين في النجف^٢.

وبيته يشبه مساكن أشد النجفيين فقراً

في احد الأزقة الضيقة لمدينة النجف الأشرف، التي بنيت بيوتها بصورة متشابكة تقي أهلها من أشعة الشمس اللاهبة، كان يقع المنزل البسيط آية الله الخميني، وهو منزل يشبه مساكن أفقر أهل المدينة. وكان يعيش في الغرف الثلاث لهذا المنزل ما لا يقل عن اثني عشر شخصاً هم أفراد عائلته، ولا تبدوا على هذا المنزل المتواضع أية علامة لشوكة من ألفتاهم من قادة التمردات أو رؤساء جهات المعارضة الذين يعيشون في المنفى.

فنحن الآن نجلس في محضر آية الله في غرفة صغيرة أبعادها (٢ X ٣) متر وفي دار تقع في أبعد مناطق النجف؛ وهي مدينة تقع - في القسم الجغرافي - في واحدة من أسوأ المناطق الصحراوية^٣.

وتشبه في بساطتها مساكن العامة والطلاب

سكن الإمام - طوال إقامته في النجف - في دار قديمة مستأجرة تشبه في بساطتها مساكن عامة الناس وطلبة الحوزة^٤.

رضي بشراء مبردة هواء للزائرين

رغم أن الإمام لم يعتد سابقاً على شدة الحر المألوفة في النجف والتي تشتد أحياناً إلى درجة يصعب علينا - نحن الذين اعتدنا عليها - أن ننام على السطوح بسبب هبوب الرياح الحارة السموم؛ ورغم أنه كان

^١ حجة الإسلام والمسلمين الناصري، مجلة (پیام اسلام = رسالة الثورة) العدد: ٥٤.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد البجنوردي الموسوي، (خطوات في أثر الشمس) ج ٤ ص ٢٠٦.

^٣ أول مقابلة يجريها مراسل صحيفة اللومند الفرنسية مع الإمام في النجف، كتاب (فجر الثورة الإسلامية) ص: ٣٠٢.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

قادراً على شراء مبردة للهواء لمنزله ولم تكن يومها غالية الثمن؛ بل ورغم شدة إصرار محبيه على شراء مبردة له بسبب كبر سنه وضعف بدنه، إلا أنه ظل يرفض شراءها، أجل بعد أن أخبره بعض مقريه بأن شدة الحر تؤذي الناس الذين يترددون على بيت الاستقبال «البراني» رضي بنصب مبردة في غرفة الاستقبال رعاية لحال الزائرين^١.

يجتنب الحياة المرفهة

سكن الإمام في النجف الأشرف (١٣) عاماً، وكانت حياته في غاية البساطة، فلم يكن يستفيد حتى من وسائل الرفاهية التي يستفيد منها الحوزويون العاديون، فأبسطهم كان يخرج من النجف إلى الكوفة في أيام اشتداد الحر في النجف، ولكن الإمام لم يرض لنفسه حتى بمثل هذا. وكان يقيم في داره في النجف في جميع فصول السنة^٢.

لم يذهب للنزهة مواساة لشعبه

ينقل الحاج السيد أحمد أن الإمام وطوال إقامته في النجف لم يخرج للنزهة والاستفادة من البساتين وأمثالها رغم أنه معروف بلطافة الروح وشفافية الطبع والذوق، كان شديد الحرص على أن يعيش في معاناة ومواسات لشعبه في إيران الذي كان يقاسي الكثير من الضغوط في ظل الحكم الملكي. وقد تابع هذه السيرة منذ اليوم الأول لإقامته في ضاحية «نوفل لو شاتو» فرغم ما عرف عنه من رغبة في التجوال في الهواء اللطيف، إلا أنه أقدم على ذلك التكليف الشرعي وجلس في زاوية الغرفة متحملاً الصعاب المضيئة خاصة في الأيام الأولى لإقامته، أي قبل إعداد المكان المناسب لإقامة الصلاة. لقد كان يسكن في الغرفة الخلفية للمنزل المؤلف من ثلاث غرف لها مدخل واحد فقط، فكان عليه أن يمر كلما أراد تجديد الضوء على الغرفتين الوسطى والأمامية - اللتين لم تكونا تفرغان عادة - ورغم ذلك تحمل هذا الوضع بمتانة كاملة وبروحية طالب العلم الصبور والمتواضع^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد مرتضى الأربيلي الأيركوهي.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الكروبي، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٤ ص: ١٠٤.

^٣ الدكتور حسن حبيبي، صحيفة اطلاعات ١٣٦٠/١١/١٨ هـ ش.

الدقة في صرف الحقوق الشرعية

في ضاحية «نوفل لو شاتو» - وهي ضاحية قروية تبعد ٢٥ كيلو متراً عن باريس - وضع منزلان تحت تصرف الإمام ومرافقيه، المنزل الأول صغير جداً كان يقيم فيه الإمام مع أفراد عائلته، والثاني - ويقع مقابل المنزل الأول - كان مخصصاً للاجتماعات والجامعيين الإيرانيين وأعضاء مكتب الإمام، كما كان يقيم فيه صلاة الجماعة ويؤدي فيه صلاة الليل أيضاً، كما استؤجر محل كفندق يستريح فيه الطلبة والجامعيون والمسافرون وكان يديره الشهيد مهدي العراقي، وبسبب محدودية المكان كان بيت في الغرفة الواحدة في بعض الأحيان عشرون إلى ثلاثين شخصاً من الذين يأتون لزيارة الإمام، وكان يسمح لهم بالإقامة في هذا المكان ليومين، والجدير بالذكر هنا؛ أن الإمام وبحكم شدة احتياطه في صرف الحقوق الشرعية، لم يكن يسمح بدفع قيمة استئجار هذا المكان من الحقوق الشرعية، لذلك كان يتكفل بدفعها المتمكنون من الإيرانيين^١.

هذا البيت مترف لا يناسبني

في الأيام الأولى لعودة الإمام إلى قم، جاءني الحاج السيد أحمد يوماً وقال لي: إن السيد [الإمام] غير مرتاح في هذا البيت، لأن فيه مظاهر الترف وأمرني بالبحث عن غيره وإلا سيذهب إلى بيته. وكان بيته في آخر مجموعة من الأزقة الضيقة ولا يمكن لجموع زواره من عبورها^٢.

لا أدخل الدار ذات الجدران المخملية

كان محل إقامة الإمام في قرية «نوفل لو شاتو» يزداد ضيقاً كل يوم بسبب كثرة تردد الجامعيين والشخصيات من أنحاء العالم عليه، ثم تقرر مجيء عائلة الإمام من النجف إلى باريس، لذلك أذن لنا باستئجار منزل أوسع وأقرب، فتولّى أحد الأخوة هذه المهمة، عثر على منزل شاهدة أحد أقرباء الإمام وأعجبه، وأخبروا الإمام بذلك فأرسل مبلغاً كقيمة استئجار المنزل لمدة شهر، وأجاز كتابة عقد الاستئجار، لكنني - وقبل ذلك - ذهبت مع بعض الأخوة الجامعيين للاطمئنان من كون هذا المنزل مناسباً للإمام، فوجدته صغيراً لكنه ذو ظاهر جميل ومزين بعناية وجدرانه مغطاة بأوراق مخملية. فأدركت أنه

^١ موسوعة كوثر: ج ٢.

^٢ آية الله الشيخ محمد اليزدي، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٤ ص: ١٠٤.

لا يناسب الإمام، وتقرر أن يتم إخبار الإمام بأن ظاهر المنزل لا يناسبه خاصة وأن جدرانها مخملية، فلما أخبروا الإمام بذلك قال: «لا أدخل هذه الدار»^١.

ولا أدخل داراً من المستوى الراقي!

لم يعد محل إقامة الإمام في ضاحية «نوفل لو شاتو» يتسع لكثرة الزوار الذين كان عددهم يزداد كل يوم، فأخذنا بالبحث عن مكان آخر، حتى عثرنا في إحدى المحلات الخالية نسبياً في إحدى ضواحي باريس على دار جيدة للغاية ومناسبة لاستقبال زائري الإمام حيث كانت فيها قاعة كبيرة، كما كان فيها مكان مناسب جداً لسكن الإمام؛ وقد تكفل أخونا السيد المهري بدفع ثمن استئجارها، ولكن في اثناء ذلك سألنا الإمام عن هذه الدار وهل هي من المستوى العادي أم الراقي، فأجبنه إنها من المستوى الراقي وجيدة جداً وجميلة، وعندئذ قال الإمام: «كلا، لن أدخل مثل هذه الدار فهي من المستوى الراقي»^٢.

هذه الغرفة ضيقة وصغيرة

من المقابلات التاريخية التي أجريت مع الإمام في «نوفل لو شاتو» المقابلة التي أجراها مراسلو التلفزيون الأمريكي وقالوا قبلها أنها ستبث بصورة مباشرة؛ وكانت في جعبتهم أسئلة كثيرة وقد انهمكوا منذ الساعة التاسعة صباحاً إلى الثانية بعد الظهر، في نصب وتنظيم كاميراتهم التلفزيونية، وشكو لنا قائلين إن هذه الغرفة التي خصصتموها للإمام ضيقة وصغيرة جداً ولا نستطيع التصوير فيها بالصورة المطلوبة^٣.

لا يسكن في الأماكن الفخمة

زار المرحوم آية الله بهشتي الإمام في باريس وتحادث معه، ثم عاد إلى إيران ودعا مجموعة من الأخوة إلى منزله بهدف تشكيل لجنة لاستقبال الإمام، فقال - فيما قال لهم - : استعدوا أيها الأخوة بجد فالإمام سيأتي قريباً. إن الإمام الذي زرته يعرف حتى ساعة رحيل الملك، ويعرف المستقبل. فتم يومئذ تشكيل لجنة الاستقبال التي وصلتها رسالة من باريس تقول: إن الإمام أمر بأن لا يكون محل إقامته في شمال طهران ولا في الأماكن الخاصة ولا في الأماكن الفخمة المليئة بالزخارف الدنيوية ومظاهر الزينة^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور، مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام) العدد: ٢٨.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٦.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور.

^٤ محسن رفيق دوست، مجلة حضور، العدد: ٣.

الإمام يرغب في السكنى في جوار المستضعفين

عندما قرر الإمام المجيء إلى طهران، أمر بأن ينتخب لسكناه محل في جنوبها حيث يقطن المستضعفون، وأن يكون متسعاً لتردد الناس، فلم نعر على محل بهذه الخصوصيات سوى مدرسة «رفاه» التي أقام فيها الإمام بضعة أيام ثم انتقل إلى مدرسة «علوي»^١.

تأثر زائري منزل الإمام ببساطته

عندما عزم الإمام على مغادرة باريس باتجاه طهران، أوصى بأن يكون محل إقامته فيها جنوب ساحة «تويخانه» [ساحة الإمام الخميني حالياً] والتي تقع في بداية القسم الجنوبي من المدينة، لا في قسمها الشمالي، في حين أن أنصار الإمام كانوا قد قرروا تهيئة منزل له في شمال المدينة بسبب هوائها المناسب، ولكن بعد إبلاغ أمره لهم اختاروا لإقامته مدرسة «علوي» الواقعة في ساحة «بهارستان» في شارع إيران، وفي سنة (١٣٥٨) هـ ش [١٩٨٠م] أصيب الإمام بعارض قلبي نقل على أثره من قم إلى مستشفى القلب في طهران، ثم سكن لمدة قليلة في شارع «دربند» شمال طهران لضرورة اقتضتها معالجته، لكنه رغم ذلك رفض البقاء في هذه المنطقة وانتقل إلى منزل احد العلماء في قرية «جمران». وكثيراً ما يتحدث الذين يزورون هذا المنزل من المراسلين الجانب وغيرهم - بعد وفاته - عن شدة إعجابهم وتأثرهم ببساطة الحياة التي كان يعيشها هذا القائد العظيم وببساطة مسكنه^٢.

هذا المنزل لا يناسبني يجب أن أرحل عنه

قال الإمام يوماً - عندما كان في مستشفى القلب - : «يجب أن أخرج من جو المستشفى فهو يزيدني مرضاً، وليس بي ما يستدعي بقائي، فإن لم تهيئوا وسائل خروجي، خرجت بنفسى». ولكن كانت ثمة عدة مشاكل ترتبط بهذا القرار. فذهاب الإمام إلى قم كان مستبعداً، إذ لم يكن له فيها منزل، كما أن موافقة اللجنة الطبية المعالجة له على خروجه كانت مشروطة بان يكون منزله قريباً من المستشفى. في حين كان يرغب هو في الإقامة في جنوب طهران والمسافة بعيدة بينه وبين المستشفى إضافة إلى الهواء هناك ملوث جداً يضر بصحته، وبعد طول بحث تم استئجار مبنى في شارع «دربند» يشتمل على ثلاثة طوابق، أقام في طابقه الأول - في الأيام الأولى - الأخوة الحرس، وفي الثاني عائلة الإمام فيما خصص الطابق الثالث للقاءات الإمام. وبعد مدة قال الإمام: «هذا المنزل لا يناسبني يجب أن

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراي.

موسوعة كوثر: ج ٢. ٢

أرحل عنه!» ولعلكم رأيتم هذا المنزل، إنه يصنف ضمن منازل ذوي الدخل المتوسط من أهالي طهران، والمشكلة الوحيدة فيه هي أن واجهته مزينة بالصخر.

ثم قال الإمام للسيد «رسولي»: «اذهب واعثر لي على بيت مثل بيت والدكم!» وهنا بدأت مشكلة جديدة، إذ من الصعب العثور في شمال طهران وقريباً من مستشفى القلب على بيت مثل بيت والد السيد رسولي الذي كان بيتاً قديماً مبنياً بالطين! وفي المقابل فإن الإمام كان قد هدد بالذهاب إلى قم إذا لم يتم العثور على مثل هذا البيت! لذلك فقد تم تعبئة جميع أعضاء مكتبه للعثور على منزل يقبل به الإمام ويتسع لزواره، وكانت ثمرة ذلك العثور على هذا المنزل المتواضع المجاور لحسينية جمران لكي يكون بالإمكان الاستفادة من الحسينية للقاءات العامة. فتم استئجار بيتين مجموع مساحتهما (١٦٠) متراً مربعاً، ويشتمل البيت الأول الخاص بسكن الإمام على غرفتين الأولى شخصية لاستراحته ونومه والثانية للقاءاته الخاصة ولكنها لم تكن تتسع - في كثير من الأحيان - حتى لهذه اللقاءات، لذا كنا نستخدم غرفته الخاصة أيضاً وكان مكتب عمله بهذا الوضع البسيط والعدد القليل من الكراسي^١.

محل عمل الإمام

أبعاد مكتب الإمام لا تتجاوز الثلاثة أو الأربعة أمتار، وفيه كان يعقد الاجتماعات الخاصة مع رؤساء الجمهورية والمسؤولين المحليين والأجانب؛ فيرون بصورة عملية بساطة عيشه. وكان البيت مستأجراً كان يدفع الإمام بدل استئجاره إلى حين وفاته^٢.

استخدام النايلون بدل الزجاج

تم تغطية الغرفة الخاصة بالإمام بالنايلون العادي الأبيض لحفظها من البرد، فلم يسمح حتى بنصب الزجاج لها، وكانت تشرف على الساحة التي يمر عبرها للدخول إلى حسينية جمران^٣.

زيارة الدبلوماسيين الأجانب للإمام

أذكر أن جميع المستشارين ورؤساء الممثلات الدبلوماسية الأجنبية في إيران، حضروا يوماً بأزيائهم الرسمية لزيارة الإمام، وكانوا يتصورون أنهم سيجدون قصرًا ضخماً، لكنهم لم يصدقوا أن عليهم الجلوس على أرض حسينية جمران حيث «هديناهم» لدخولها انتظاراً لحضور الإمام فيها^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج:٢.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (آشنا) العدد: الأول.

^٣ آية الله الشيخ الحائري الشيرازي، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٤١.

وسائل دعوة القائد الذي يلبي دعوته الملايين

عندما تتشرف بزيارة آية الله الخميني - الذي يخرج ملايين الإيرانيين إلى الشوارع في دقائق إذا دعاهم لذلك - تراه في مكتب عمله أو محل إقامته جالساً على الأرض وأمامه منضدة صغيرة تشكل جميع وسائل مكتب عمله! ^١.

يقتدي ببساطة عيش الأئمة

عندما دخلت بيت الإمام للمرة الأولى ورأيت غرفته قلت: إنه حقاً كالإمام موسى بن جعفر في بساطة عيشه...؛ فكل ما في غرفته من أثاث هو عبارة عن منضدة صغيرة مغطاة بنايلون عادي؛ فأين ما يقوله البعض في غيبته عن أثاث منزله... لقد أصابني الأذى لشدة التباين بين ما أسمع وبين ما أرى بعيني ^٢.

ويواسي فقراء شعبه

تشرفت مرة - بتوفيق الله الرحمن - بزيارة الإمام وتقبيل يديه، وهو جالس على كرسي قديم في شرفة صغيرة في منزله، وقد لاحظت أن برد «جمران» القارص قد أثر عليه بحيث أن حمرة وجهه قد مالت إلى الزرقة، وعندما سألت عن سبب عدم وضع مدفأة له تقيه هذا البرد؛ أجابوا: هو يرفض ذلك مواساة لفقراء شعبه، وذكروا نموذج آخراً لهذه المواساة هو أن ملابس الإمام أعطيت للعائلة لغسلها منذ أيام ولكنها لم تغسل بعد لأن ما عندهم من مسحوق الغسيل قد نفذ ولم يحن بعد موعد الحصول على الحصة العامة الجديدة منه ^٣.

إن عباةتي ممزقة أيضاً

كان الإمام يقول أحياناً وهو في طريقه إلى الحرم العلوي أو أثناء عودته من الزيارة أو أي عمل آخر: «اشتروا عباءة لفلان»؛ فإنه كان ينتبه إلى وضع الحوزويين فإذا رأى مثلاً عباءة أحدهم غير مناسبة أمر فوراً بشراء عباءة مناسبة له، وفي احد أحد الأيام جاءه شخص وعرض عليه عباءته وقال: إنها ممزقة، فأخذ الإمام طرف عباءته وعرضها عليه وقال: «أنظر إن عباةتي ممزقة أيضاً».

^١ أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور).

^٢ الدكتور حامد الكار، كتاب (الثورة الإسلامية في إيران).

^٣ السيدة ربابة الباقفي، خادمة بيت الإمام، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٦٨.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الحجتي، ملحق صحيفة جمهوري لإسلامي الخاص بالذكرى السنوية الثانية لوفاة الإمام.

أجل، فقد كان أحياناً يجيب على بعضهم بمثل هذا الجواب، ويبادر لتقديم العون لبعضهم بمثل هذه الصورة^١.

لا تفعلوا هنا ما يفعل عند الطواغيت

كان المنزل الذي يعيش فيه الإمام قديماً للغاية بني منذ سنين طويلة، وقد نصب في جدران ساحته مصابيح قديمة كنا نحس بالخطر منها عند هطول الأمطار لاحتمال أن يقع اتصال كهربائي فيما يسري على البيت بأكمله، فاشترت أربعة مصابيح ذات غطاء، مضادة للماء، لدفع هذا الخطر واستبدلت بها المصابيح القديمة، وبعد ساعة أو ساعتين جاءني السيدة التي تخدم في بيت الإمام برسالة منه اشتملت على سطرين قال فيها: «لا تقوموا بعمل هنا دون استشارتي، ولا تفعلوا هنا ما يفعله الطواغيت ارجعوا هذه المصابيح» وهذه المصابيح التي يراها الإمام بأنها من شأن الطواغيت؛ اشتريتها بمائة تومان فقط. فذهبنا واشترينا مصابيح أخرى بثمانين توماناً - وكانت درجة الاطمئنان لعملها لا بأس بها - وجئنا بها فسألنا الإمام عن ثمنها فأخبرناه، فأمرنا بنصبها محل تلك وإرجاع الأولى، فأرجعناها واستلمنا فارق القيمة. ولم نعد بعدها للقيام بعمل دون استشارة الإمام^٢.

وهل متُّ أنا

كان الإمام يقيم صلاتي المغرب والعشاء جماعة في مدرسة البروجردي في النجف الشرف؛ وكانت مروحيات الهواء السقفية في المدرسة فاقدة لمنظمات السرعة، وكانت إحداها تعمل بسرعة شديدة وهي قريبة من مكان الإمام في الصلاة، وكان هو غالباً ما يصل للصلاة وقد تعرق بشدة لذلك كانت سرعتها مضرة له، فاشترى أحد الأصدقاء منظمة لهذه المروحة ونصبها، فأخبرني السيد مصطفى بذلك وقال: إن ثمن منظمة السرعة ديناران أو ثلاثة؛ وقد كنت قد عرفت من قبل أن عليّ أن استأذن الإمام في أي تصرف بالأموال حتى لو كان بأمر ولده الجليل السيد الحاج مصطفى، فإذا أذن الإمام دفعت المطلوب، وهذا ما كان يعرفه السيد مصطفى أيضاً ويعرف أنني لا أتخلف بحال عن ذلك^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٤.

^٢ السيد مصطفى كفاش زاده.

^٣ لم يكن الإمام يسمح حتى لولده المجتهد السيد مصطفى بالتدخل في صرف الحقوق الشرعية حتى في مثل هذه الموارد البسيطة وعلى الرغم من ثقته الكاملة به.

وقد أخبرت الإمام بأمر شراء منظمة منظمة السرعة لتلك المروحة ونحن نقرب من المنزل بعد العودة من صلاتي الظهرين، لكنني - على ما يبدو - لم أحسن البيان ففهم من كلامي أنني دفعت الثمن قبل الاستئذان منه فقال بحدة كلمة أنقلها خلافاً لرغبتني لأن الإمام قالها وهي: «وهل متُّ أنا» فلم أتجرأ على الكلام بعدها وصبرت إلى المساء، فأخبرته ونحن في طريقنا إلى المدرسة بأني لم أدفع ثمن منظمة السرعة بعد فتبسم الإمام^١.

استبدال السجادة النفيسة بالسجادة القديمة

كان الإمام يصلي - في مدرسة السيد البروجردي في النجف الأشرف - على سجادة عادية خشنة. فأهدى له أحد الأشخاص سجادة كاشانية جيدة ونفيسة صلى عليها الإمام ليلتين فقط. ففي الليلة الثالثة قال لي ونحن في الطريق للصلاة في المدرسة: «يا أيها السيد الفرقاني، افرش السجادة القديمة بدلاً من السجادة الجديدة». فاضطررنا إلى استبدال السجادة النفيسة بالسجادة الخشنة القديمة^٢.

أتريدون أن تصنعوا مني «رضا شاه» آخر

المنزل الذي كان يقيم فيه الإمام ملك للسيد إمام الجمراني، وهو منزل صغير لا يتسع للزيارات الكثيرة للإمام وكذلك للسيدة زوجته، الأمر الذي كان يعرقل أعمال الإمام اليومية، فتقرر استئجار منزل مجاور ليكون محلاً لأعماله، وهذا ما رفضه في البداية، ثم استأجرنا بيتاً قديماً غير مفروش ولم يكن في بيت الإمام ما نفرشه به، فذهبت واشترت بنفسني ستاً قطع أبعادها (٢٢/١×٣، أو ٣٢/١×٤) من البساط العادي الذي يفرش عادة في المساجد وهو أرخص المفروشات في إيران. وعندما فرشتها قال الحاج السيد أحمد: إن الإمام يقول: «أتريدون أن تصنعوا مني رضا شاه آخر؟!» فأخبرته أنها أرخص أنواع المفروشات وقد جاء بها كفاش زاده، ولعل الإمام تصور أنني جئت بها من المنزل لذلك رضي بالأمر ولا زال يستفاد منها. وقد اشترت هذه القطع الست جميعاً بمبلغ (١٧٠٠) تومانا لا أكثر!^٣.

وانتخب القماش الأرخص لجبته

أمرت مرة بتهيئة جبة للإمام عندما كان في النجف الأشرف، فذهبت للخياط وطلبت منه جبة مناسبة للسيد، فعرض عليّ عدة أنواع من القماش، فذهبنا معها إلى الإمام ليختار أحدهما، وعندما تفحصها

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٣ السيد مصطفى كفاش زاده.

اختار منها ما يبدو لي من النوع الرديء الرخيص ولم أكن أرغب فيه. لقد كان لباس الإمام من النوع مرتباً ونظيفاً دوماً وإن كان يشتري قماشه من النوع الرخيص دوماً احتياطاً في صرف الحقوق الشرعية^١.

الزهد الحقيقي في سيرة الإمام

كان الإمام زاهداً حقيقياً بكل معنى الكلمة، وكان يجتهد في عدم التظاهر بزهده ويرتب وضعه بصورة لا تظهر عليه مظاهر الزهد، فكان الزاهد الذي لا يظهر الزهد. فلم يكن يرتدي اللباس غير المناسب. وإذا كنت تزور قسم الاستقبال في منزله «البراني» كنت تجده مفروشاً بأفضل ما عنده على العكس من القسم الداخلي من منزله^٢.

ما الذي تريدون فعله بآخرتنا

كان الإمام دقيقاً للغاية في المسائل الشرعية، فمثلاً استدعاني مرة وقال لي: «من اشترى هذه الستائر؟ - وأشار إلى ستائر وضعت لعزل منزله عن الزقاق - ما الذي تريدون فعله بآخرتنا؟» فأجبته: لم نشترها نحن، بل أعدها حرس الثورة عملاً بمسؤوليتهم في حراستكم لأنك أنت قائد الثورة. أجل لقد اعترض على ذلك رغم أن ثمن هذه الستائر الصغيرة الحجم قليل للغاية كما تعرفون^٣.

لم يأخذ نفسه ولا لعائلته شيئاً من هدايا السجاد النفيس

عندما عاد المرحوم السيد مصطفى من مكة المكرمة، استأجر المرحوم الحاج نصر الله الخلخالي بضعة سجادات من الحاج «خان» بائع السجاد، وفرشها في غرف المنزل لاستقبال الذين يأتون لتقديم التهاني بهذه المناسبة، ثم أرجع هذه السجادات وبعث اثنتين منها لمنزل السيد مصطفى الذي لم يكن فيه شيء من السجاد أصلاً حيث أبقيتا فيه مدة. وتصور الحاج خان بائع السجاد أنهما أبقيتا للحاجة إليهما لذا لم يطالب بهما. و عندما أراد أن يحسب مقدار ما عليه من الخمس مع الشيخ الخلخالي حسب قيمة هاتين السجادتين، فوصل الخبر للإمام فأمر بإرجاعهما ودفع قيمة استئجارهما وشراء مقدار من البساط المعروف باسم (الموكيت) في حين كانت تهدي باستمرار الكثير من قطع السجاد النفيس للإمام إلا أنه لم يأخذ شيئاً منها لا لمنزله وزوجته ولا لمنزل نجله السيد مصطفى^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي.

^٢ آية الله الشيخ محمد الفاضل اللكراني، مجلة (حضور) العدد الأول.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (پیام انقلاب) العدد: ٦٠.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الفرقاني.

إنني لا أملك شيئاً

كنت أول مراسل صحفي يتمكن من التقاط صورة لآية الله الخميني وهو مبتسم، وقد التقطتها عندما سأله مراسل فرنسي قائلاً: هل صحيح ما يشاع بأن آية الله الخميني يمتلك ثروة ضخمة تزيد على ثروة الشاه؟ فتبسم الإمام وقال: «إنني لا أملك شيئاً وكل ما أملكه هو للشعب الإيراني»¹.
لم اقل لا تشتروا مرآة

كانت ابنتي أول حفيدة للإمام تتزوج بعد انتصار الثورة، وقد شدد الوصية لنا بأن تكون مراسم الزواج بسيطة وخالية من الكماليات، وقد قالت لي والدتي قبل يومين أو ثلاثة من موعد العقد: ما لكم؟ ألا تنوون شراء شيء للعروس؟! اشترروا لها مرآة و «شمعدان» فلم أجد جواباً وسكتت كما سكتت والدتي. ثم دخلت علينا زوجة أخي وهي أخت صهرنا المرتقب، فقالت لها والدتي ما قالته لي، فأجبتها بأن الإمام نهى عن ذلك. فلم تقل الوالدة شيئاً. ثم اجتمعنا جميعاً على مائدة الطعام، فسألت والدتي الإمام قائلة: هل أوصيتهم أن لا يشتروا مرآة وشمعداناً؟ إن العروس ترغب بها! فقال: «أنا لم أقل لا تشتروا مرآة بل قلتك لتكن المراسم بسيطة». أجل، لقد شدد السيد في وصيته حتى ظنت أخت العريس أنه لا ينبغي شراء حتى المرأة².

كان يوصي بالبساطة دائماً

فيما يرتبط بمهور بناته كان الإمام يميل إلى الأخذ بالمستوى المتعارف ويوصي دائماً بالبساطة في أمور الزواج ومراسمه³.

أثاث منزل الإمام

ورث الإمام شيئاً من الأملاك من أبيه، لذلك لم يعتمد في ميزانية معيشته على الحقوق التي تعطى لطلبة الحوزة، فاستأجر منزلاً صغيراً في بداية زواجه، وكان سكنه بصورة مستقلة مع زوجته فلم يشترك مع عوائل أخرى في منزل واحد، وقد جاءت السيدة زوجته بأثاث المنزل، ولم يكن للإمام أثاث غير الأشياء البسيطة التي نقلها من حجرته في المدرسة الفيضية إلى منزله هذا بعد شهر أو شهرين من زواجه، وتنقل السيدة زوجته أن مراسم زواجهما كانت في غاية البساطة، وكان أثاث منزله عبارة عن: بساط

¹ مراسل صحيفة اطلاعات الموفد إلى باريس، صحيفة اطلاعات ١٣٥٧/١١/١٥ هـ ش.

² السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام.

³ السيدة فرشته الإعرابي، حفيدة الإمام.

متواضع، وفراش للنوم، وطباخ صغير نفطي ذو فتلتين، وقوري، وفنجان مع صحنه، وبضعة قدور صغيرة، وبعد سنة أو سنتين وصلت بعض الوسائل المنزلية الأخرى هي حصته من إرث أبيه كان أخوه السيد «بسنديدة» قد حفظها أمانة له، وهي وسائل قديمة اشتملت على عدد من الصحون القديمة جداً وبضع من قطع السجاد القديم. لقد كانت حياة الإمام بسيطة - بمستوى معيشة الحوزوي العادي - ولكن بالمقدار الذي يحفظ الكرامة^١.

سكت ولم يعط الإجازة

طلب أحد العلماء - ضمن رسالة بعثها للإمام إجازة صرف مبلغ (٧٠) ألف تومان من الحقوق الشرعية لشراء سيارة «بيكان». ولكن الإمام سكت ولم يقل شيئاً وهذا يعني عدم قبوله بإعطاء مثل هذه الإجازة^٢.

ما وجه الحاجة لأن يكون لكل عالم سيارة

كتب أحد العلماء الأجلاء - وهو من تلامذة الإمام - رسالة له ذكر فيها أن إحدى المؤسسات الحوزوية قد خصصت له من سهمها سيارة يمكن أن يشتريها بسعر مخفض ولكنه لم يكن لديه المال اللازم لشرائها... فأظهر الإمام تعجبه مقروناً بعد الارتياح من تخصيص سهم لمؤسسة حوزوية في السيارات وما طلبه ذلك العالم وقال: «ما وجه الحاجة لأن يكون لكل عالم ديني سيارة؟»^٣.

لا توقعوا الناس في إساءة الظن بسلفنا الصالح

تم في عهد «مصدق» تشكيل لجان في المدن التي كانت تشهد حوادث ثورية أطلق عليها «لجان الأمن المدني» تضم رئيس السافاك ورئيس الشرطة والقائم مقام في كل مدينة، وكان هؤلاء يصدرون قرارات بنفي من يرونهم نشطين في إيجاد تلك الحوادث الثورية لمدة تتراوح بين شهر واحد إلى ثلاث سنين وكنت أحد العشرين عالماً من حوزة قم الذين حكمت المحكمة اللجنة الأمنية في قم بنفيهم لمدة ثلاث سنين، عاد بعدها ثلاثة من هؤلاء العلماء إلى قم، فتهيأت لهم إمكانات مادية واستبدلوا منازلهم القديمة بأحسن منها، وعندما سمع الإمام بذلك بعث لهم رسالة جاء فيها: «لا ينبغي للسادة العلماء الاهتمام بالمظاهر الكمالية وإيقاع الناس في إساءة الظن بسلفنا الصالح، بمثل هذه الأعمال. نحن نقول

^١ السيدة فريده المصطفوي، ابنة الإمام.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

أن الشيخ الأنصاري لم يخلف بعد وفاته أكثر من سبعة تومات. لا تتوجهوا للعالم، لا توقعوا الناس في إساءة الظن بسلفنا الصالح»^١.

ليكن الساعة العلماء حوزيين في عيشهم

كتب إمام جمعة مركز إحدى المحافظات رسالة للإمام الخميني ذكر فيها أن الراتب الشهري القليل الذي يعطى لأئمة الجمعة لا يكفي لأكثر من دفع ميزانية استئجار مكتب العمل أو راتب خادم المكتب، وطلب زيادة رواتبهم. فقال الإمام في الجواب: «ليكن السادة العلماء حوزيين في عيشهم»^٢.

فقط السيد الخميني يعطي نصف تومان أجرة للنقل

قبل انتفاضة ١٥ خرداد [٥ حزيران] كانت سيرة الإمام أن يرجع إلى منزله مشياً بعد انتهاء درسه في «مسجد أعظم» فالتسنا منه وأقسمنا عليه أن يستقل سيارة الأجرة في عودته، وكانت قيمة الأجرة العادية يومها نصف تومان، فكان يستجيب أحياناً لإصرارنا لكنه كان ينزل من السيارة عند باب المستشفى ولا يدخل بها إلى زقاق منزله بل يطوي المسافة المتبقية مشياً، وكنت جالساً في سيارة أجرة لا يعرفني سائقها فسمعتة يقول للركاب بأن بعض السادة العلماء يدفعون له إذا ركبوا سيارته تومانيين باستثناء آية الله الخميني الذي يدفع نصف تومان فقط. وكان مبلغ التومانيين كبيراً نسبياً يومذاك^٣.

ما الفرق بيني وبين الآخرين

جاءوا إلى النجف الأشرف من إيران يوماً بجثمان شخص محترم من أصدقاء الإمام؛ لدفنه فيها، وقرر الإمام المشاركة في مراسم التشيع الذي كان يستمر إلى المسجد حيث يوضع الجثمان فيه، ثم يرجع مراجع التقليد بعد الوصول إلى المسجد - حسب العرف الراجح في الحوزة النجفية - .

وقد حدث تغيير في مراسم التشيع وكان الحر شديداً للغاية، لذلك استأجرنا سيارة صغيرة وحجزناها احتياطاً لكي لا يتأخر الإمام في هذا الحر الشديد بانتظار سيارة بسبب الازدحام، وقد دفعنا ديناراً واحداً كمقابل لحجزها إلى حين انتهاء التشيع، وبعد أيام وعندما قدمنا قائمة حساب المصاريف للإمام فاعترض على استئجار السيارة لهذه المدة الطويلة فقلنا له: لقد فعلنا ذلك لأن الحر يضر بصحتكم. فقال:

«أنا أيضاً مثل البقية، فما الفرق بيني وبينهم؟!»

^١ حجة الإسلام والمسلمين الطهراني الكرباسجي.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٣، ص ١١١.

وكان الإمام يستقل العربة التي تجرها الخيول لأن أجرتها أقل وكل ذلك احتياطاً منه في الصرف من بيت المال^١.

استأجر لي عربة لا أريد سيارة

قال الإمام يوماً وهو يريد العودة إلى المنزل: « استأجر لي عربة لا أريد سيارة» وكان السبب هو أن أجر العربة أقل من أجر السيارة، ولكن عربات النقل في النجف لم تكن نظيفة ولا مرتبة؛ وصدقوني أنني كنت أخجل من ركوبها ولكن الإمام كان يرغب أن يقلل - قدر المستطاع - الصرف من سهم الإمام من الحقوق الشرعية. وكان هذا دأبه طوال مدة إقامتي في النجف التي استمرت إلى ما قبل حدود ثلاث سنين من خروجه منها، كان يستأجر السيارة اضطراراً في بعض الأحيان، إلا أنه يجتنب ذلك ما استطاع. وعموماً كان شديد الاحتياط في الصرف من سهم الإمام^٢.

لا حاجة لي بسيارة خاصة

في ظهيرة يوم الأحد (١٣٥٨/١/١٩ هـ ش الموافق ١٩٧٩/٤/٧ م) كنت عائداً من محل عملي على المنزل، فالتقيت في شارع «إرم» السيد العبادي، وهو أحد قدماء معارفي من تجار سوق «نوروز خان» في طهران، ومعه عدد من أصدقائه الآذربيجانيين، وكانوا قد تشرفوا بزيارة قم، وقصدوا زيارة السيد الإمام ومراجع الشيعة في قم عرفني السيد العبادي بمرافقيه وقال عن أحدهم: إنه السيد الرضوي من تجار تبريز وصاحب مصنع معروف فيها، إنه يريد تقديم سيارة من نوع «بويك» جديدة للإمام كان قد نذر لها؛ ثم قال لي: إذا استطعتم أن ترتبوا لنا موعداً للقاء الإمام، فإننا سنكون شاكرين لكم، وسيدخل هذا الفضل منكم السرور علينا جميعاً.

سعت للاستجابة لهذا الطلب بعد الاطمئنان من صحة الأمر بالكامل، لذلك سألت السيد الرضوي مباشرة عما جرى وتحدثت معه، فوجدته شاباً نقي السريرة متديناً ومفعماً بالحماس الديني، وقد حكى لي قصته فقال: في تلك الأيام الحساسة التي كانت القلوب تطير إلى باريس حيث كان الإمام مقيماً فيها وقد قرر العودة إلى إيران في وقت كانت حكومة شاهبور بختیار تثير العراقيل في طريق عودته؛ - في تلك الأيام - اشتريت سيارة «بويك» جديده من الشركة، واستلمتها في أشد تلك الأيام حساسية، أي يوم أغلقت

^١ المصدر السابق.

^٢ المصدر السابق.

حكومة بختيار المطارات لمنع عودة الإمام، الأمر الذي جعلني أعيش حالة روحية مميزة، فعاهدت الله على أنه لو عاد آية الله العظمى الإمام سالماً إلى إيران، فإنني سأقدم له هذه السيارة قبل أن أستعملها، ولكي احصل على كرامة هي أن أصبح سائقاً للإمام وأكون في خدمته دائماً، ولذلك لم أضع رقماً لها إلى الآن لكي أجعل رقمها من أرقام مدينة قم، وكل أملي أن يقبل الإمام هذه الهدية المتواضعة التي جئت بها من تبريز لكي أؤدي أنا نذري وأفي بما عاهدت الله عليه بعد أن أحاط شعب إيران بلطفه وكرمه وأعاد هذا الإمام المبارك بعد (١٥) عاماً من النفي سالماً إلى أرض الوطن، لكنني لم أستطع زيارته بعد وصوله إلى طهران وقد تهيأت الآن الفرصة نسيباً فرغبت في تقديم هذه الهدية لسماحته وقد اشتريتها من مالي الخاص لأنني أعلم أنه لا يقبل شيئاً يشرى بالحقوق الشرعية.

كان هذا الشاب المؤمن يحكي قصته بقلب مطمئن. وبعد الاستماع إليها زرت أحد اصدقائي وهو من تلامذة الإمام وأنصاره الأوفياء وكان - من حسن التوفيق - من المسؤولين عن تنظيم برنامج لقاءات الإمام وبناء على طلبي حدد - بكل لطف ومودة - لنا موعد للقاء الإمام في الساعة الثامنة والنصف مساءً، وقد وصلنا مع هؤلاء الأصدقاء - الذين كانوا يعدون اللحظات انتظاراً للقاء - قبل نصف ساعة من الموعد، ونحن نرى زائري الإمام يدخلون عليه بكل بساطة وبعيداً عن المظاهر التشريفية ويخرجون من عنده والبشر يفتح على وجوههم.

وبعد نصف ساعة من التأخير الاضطراري تشرفنا بالدخول على الإمام فرأيناه جالساً - بكل تواضع وبساطة - في زاوية من الغرفة تحيط بطلعه النورانية هالة روحانية من العظمة والصلابة وروح الفتوة، مذكرة كل ما يراه بعظمة الإسلام ورواده المجاهدين. وكان يجلس عنده حشد من الزائرين بينهم عالم جليل من إحدى المدن الشمالية كان يعرض عليه تقريراً عن مشاكل محل خدمته والإمام يصغي بدقة واهتمام ويوجب على أسئلته.

وعندما وصل الدور إلينا، كانت أطراف الإمام قد خليت من الجالسين فجلست إلى جانبه وشرحت له قصة صاحبنا وسلمته مفتاح السيارة فتقبله ببشاشة خاصة، ثم تفقد أحوال الأصدقاء - وكانوا خمسة - ثم أعاد مفتاح السيارة إلى صاحبها الشاب وقال: «اشكر عواطفكم النبيلة وتحملكم كل هذه المشاق وقدومكم من تبريز، وأنا أهب هذه السيرة لكم فأنت وكيل عني بالتصرف بها».

ولكن هذا الشاب المؤمن المفعم بالمودة الخالصة والذي اشتد حبه للإمام وهو يلتقي به أصرّ على الإمام أن يقبل هديته المتواضعة ويركب هذه السيارة ولو مرة واحدة ثم يتصرف بها بما شاء فيهبها لمحتاج مثلاً لكب يكون هذا الشاب قد أوفى بعهده، فقال الإمام وهو يرى إصرار الشاب: «إنني الآن غير محتاج لسيارة شخصية، وأنا أيضاً عاهدت ربي أن لا أتخذ لنفسني سيارة خاصة ما دمت غير محتاج لها؛ لذلك فإني أعينك وكياً عني أن تبيعها ثم تشتري بئها بيتاً لأحد المستضعفين في هذا البلد، وأنت أعرف منا واقدر على القيام بهذا العمل، لأننا قد نبيعها بئمن يقل عن سعرها الحقيقي، وإذا لم تستطيعوا شراء بيت لأحد المستضعفين ورغبتم في أن نتولى نحن القيام بذلك، فيمكنكم بيع السيارة وإيداع ثمنها في الحساب المصرفي الذي يفتح قريباً بهدف توفير المساكن - بعون الله ولطفه - لجميع المستضعفين في هذا البلد». وقد أفتتح هذا الحساب المصرفي برقم (١٠٠) في المصرف الوطني بعد يومين أو ثلاثة من هذا اللقاء. وعلى أي حال فإن الشاب قد قبل باقتراح الإمام وتقرر أن يبني بيتاً لأحد المستضعفين بنفسه أو بتوسط الإمام^١.

كيف يمكنني أن اذهب إلى الكوفة

عاش الإمام طوال مدة إقامته في النجف الأشرف في منزل قديم مستأجر لا يتمايز في بساطته عن منازل عامة الناس وطلبة الحوزة، وكان المتعارف أن يكون لأعيان النجف منزل آخر في الكوفة بالقرب من نهر الفرات، يذهبون إليه في المساء خاصة في الصيف. وتبعد الكوفة عشرة كيلو مترات عن النجف وتتميز بهواء لطيف، وتقل درجة الحرارة فيها عن النجف بخمس درجات عادةً. والإمام لم يعتد جو النجف الحار والجاف الذي كان يؤذيه أكثر من الآخرين الذين عاشوا في النجف سنين طويلة خاصة وأن كهولته تزيد الأمر صعوبة عليه، وهذا ما كان يقلق جميع المقربين منه. لذلك سعى المرحوم الحاج الشيخ نصر الله الخلخالي إلى الحصول على إجازة من الإمام بأن يستأجر له منزلاً في الكوفة، فقال له في إحدى الأمسيات بعد مقدمة طويلة وأمثلة عديدة: إن الأطباء قالوا للعديد من المرضى بأن هواء النجف هو بمثابة السم القاتل لسلامتهم وأن الذي يبطل أثر هذا السم هو هواء الكوفة. وقد عمل هؤلاء المرضى بهذه النصيحة فتحسنت صحتهم.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ العقيقي البخشايشي، مجلة (جوانان امروز = شباب اليوم) العدد: ٦٣٨.

وقد توقع جميع الحاضرين يومها أن يؤدي حديث الشيخ الخلدالي إلى إقناع الإمام، وانتظروا جوابه الإيجابي، لكنه رفع رأسه بمجرد انتهاء الشيخ نصر الله من كلامه ونظر إليه بنظرة خاصة دون أن يقول شيئاً، فقد اكتفى بابتسامة جميلة فيها مرارة ظاهرة أيضاً، فهي تشمل من جهة على إعراب صامت عن شكره للشيخ الخلدالي على شففته عليه، ومن جهة أخرى تحمل تعبيراً عن كراهة كل مظاهر الدنيا وحب الدعة. وقد سمعت - فيما يرتبط بهذا الأمر أيضاً - أن الإمام أجاب على مثل هذا العرض بقوله: «وكيف يمكنني أن أذهب إلى الكوفة سعياً للرفاهية، في حين أن الكثيرين من شعب إيران يعيشون في زنزانات السجون المظلمة؟!»¹.

نتابع الطريق بسيارة «جيان»

خلال مدة إقامته في قم [بعد انتصار الثورة] كان الإمام يذهب في كثير من الأمسيات لتفقد عوائل الشهداء وزيارة فضلاء الحوزة، وفي ليلة عزم على الذهاب إلى منزل أحد العلماء يقع في زقاق ضيق لا تدخله السيارات العادية، وقد ذهبنا مسبقاً إليه فرأينا أن من غير الممكن أن تدخله أي سيارة غير السيارة الصغيرة المعروفة باسم «جيان» فأعدنا واحدة منها للإمام وذهبنا معه لزيارة ذلك العالم، ورجعنا بها أيضاً حتى وصلنا إلى نهاية الزقاق الضيق فوجدنا أحد الأخوة ينتظرنا وقد أحضر سيارة من نوع «بيكان» ودعا الإمام للانتقال إليها لأن السيارة الصغيرة تلك غير مريحة والجو حاراً أيضاً، ولكن الإمام رفض ذلك وقال: «إن هذه السيارة تسير ولا بأس فيها، لذلك نتابع طريقنا بها»².

إذا أردتم أن أبقى هنا

كانت حياة الإمام في غاية البساطة من جميع الجهات، سواء في شؤونه الشخصية، أو في الأمور المرتبطة به بنحو أو بنحو آخر. فمثلاً لم يسمح بإحداث أية تغييرات في حسينية جمران أو تزيينها، رغم أن ذلك لا يحسب عليه بالكامل لأنه يتم باسم الإمام الحسين عليه السلام. وعندما أراد السيد إمام الجمراني تبييض جدران الحسينية بالجص قال الإمام: «إذا أردتم أن أبقى هنا فلا تقوموا بهذه الأمور التزينية» وقال

¹ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيمان.

² حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي.

إنه سيرحل من هذا المحل عندما أرادوا فرشها بالكاشي، فامتنعوا عن ذلك وبقيت الحسينية على حالها إلى حين وفاته^١.

لا تجعلوا اهتمامكم منصباً على الظواهر

أخذنا مرة موعداً لهيئة الأمناء والهيئة التنفيذية لمهدية طهران، للاجتماع بالإمام، فقدمنا خلال اللقاء تقريراً لسماحته عن نشاطات هذه المؤسسة الدينية، ثم قلنا بأن بناءها ليس مناسباً ونرغب في هدمه وإقامة بناء آخر مناسباً، فأجاب الإمام بلهجة المتعجب من حجم نشاطات هذه المؤسسة: «إن سبب نجاح هذه المؤسسة في القيام بكل هذه النشاطات هو وقوعها في منطقة مستضعفي طهران وبساطة بناءها. فلا تجعلوا اهتمامكم منصباً على وضع المبنى وظاهره، واعلموا أن نشاط الناس يكون أفضل في هذه المؤسسة مع وضعها الحالي، فلا حاجة الآن لتجديد بناءها، اعملوا ما استطعتم في ظل الوضع الحالي»^٢.

اختار المسجد الصغير والمسجد البعيد

اختار الإمام في البداية مسجداً صغيراً قرب مفترق «موزة» في قم يلقي فيه دروسه، وبسبب كثرة الطلبة وضيق المكان اقترحوا عليه اختيار مكاناً آخر للتدريس، فاختار مسجد «السلماسي» وكان هذا الاختيار علامة لتقواه، لأن من يدرس قرب الحرم يختار عادة المسجد الأعظم المجاور للحرم أو مسجد الإمام [العسكري] لا أن يختار مسجداً بعيداً وداخلاً زقاق مثل مسجد السلماسي^٣.

يجب إحياء هذا المسجد

في إحدى أسفاره، لمدينة محلات التي صادفت شهر رمضان المبارك اختار الإمام لإقامة صلاة الجماعة مسجداً متروكاً وصغيراً لا تتجاوز مساحته مساحة غرفة واحدة وكان مبنياً من الطين، ورفض طلبات من

^١ آية الله الشيخ محمد رضا التوسلي.

^٢ آية الله الشيخ اليزدي: (خطوات في اثر الشمس) ج ٤ ص: ٣٣٠. وقد أكد افمام في حكم موافقته على تخصيص أرض مصلى طهران، على لزوم أن يكون بناء المصلى منسجماً مع البساطة الإسلامية.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسين المرتضوي، (خطوات في اثر الشمس) ج ٤ ص: ١٣٨.

علماء المدينة بأن يتولى إمامة الجماعة في مسجدها الجامع وعلل رفضه بالقول: «يوجد في المسجد الجامع من يقيم صلاة الجماعة، ولكن لا يوجد من يقيمها في هذا المسجد، لذا يجب إحياءه»^١.

ما يشتره في طريق عودته

كنا نرافق الإمام - أحياناً - في طريق عودته إلى البيت بعد إلقائه الدرس ونرى ما يشتره لعائلته فنعرف من ذلك بساطة عيشه^٢.

وصل دون إعلام وجلس على الأرض

عندما كانت لجنة استقبال الإمام مستقرة في مدرسة «رفاه» - وكانت في تلك الأيام تقوم بمهام القضاء والإعلام والشرطة والإمداد العسكري - كنت على اتصال مستمر بالشهيد رجائي لقرب منزلنا من المدرسة، وكنت أقوم بتنفيذ المهام التي يكلفني بها. وفي يوم (١٢ بهمن) اتصل بي وطلب مني الحضور إلى المدرسة لمساعدة امرأة عجوز أضلت طريقها، فحضرتُ وتحدثتُ معها لدقائق فعرفت أنها من أقرباء رجل يعرفه الشهيد رجائي، فذهبت لكي آخذ منه رقم هاتف هذا الرجل. فرأيت الأوضاع قد تغيرت هناك فجأة فأخبرني أن الإمام قد وصل، فوقفت في زاوية لكي أحظى برؤيته، وعندما دخل الإمام رواق المدرسة جلس على أرض سلّم هناك وتحدثت لدقائق مع الحاضرين ثم دخل غرفته، فأثار إعجابي بحضوره للمدرسة دون إعلام مسبق وبجلوسه المتواضع على الأرض^٣.

^١ آية الله التوسلي، مجلة حوزة، العدد: ٤٥.

^٢ آية الله الشيخ الإمامي الكاشاني.

^٣ السيدة عاتقة الصديقي، زوجة الشهيد رجائي.

الفصل الثالث

القناعة والزهد والاقتصاد

الزهد حسب رؤية الإمام

نشهد أن الإمام لم يصف شيئاً طوال حياته على ثروته التي لم تتعد المزرعة الصغيرة التي ورثها من أبيه الجليل كان يعيش على عائداتها.

لكنّ زهد الحوزوي لا يعني - حسب رؤية الإمام - أن تكون ملابسه في حالة مزرية مذلة أو تكون فيها علامة الاستجداء، بل إن الإمام كان يعتقد بلزوم أن تكون ملابس الحوزوي مناسبة وقلبه مهذباً عامراً ويقول: «إن اعمار القلب يكون بالتوجه إلى الله وبالأمر المعنوية»^١.

القناعة بالمروحة السقفية القديمة

^١ آية الله الشيخ جعفر السبحاني، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣، ص: ٢١٣.

كنت مقيماً في العراق في السنة التي وصل الإمام فيها إلى النجف الأشرف قادماً من تركيا، وقد استأجروا للإمام منزلاً صغيراً، فكان يجلس في الصيف في ساحة القسم الخارجي منه «البراني» ونحضر للاستفادة العلمية من وجوده صباحاً وكان في المساء يجب على أسئلتنا في هذه الساحة الصغيرة، وقد طلبوا مراراً منه أن يسمح بوضع مبردة للهواء فيها لكنه كان يرفض ذلك، وكان يوجد فيها مروحة سقفية قديمة تتحرك مراوحها بصعوبة. وقد قضى الإمام تلك السنة بدون مبردة للهواء رغم أن حر النجف كان شديداً للغاية^١.

هذه الطريقة أقل كلفة

نقل الشيخ النوري (عبد الله النوري) في مستشفى الشهيد رجائي لأمراض القلب حادثة طريفة بشأن قنعة الإمام، فقال: احضروا يوماً بناء لإصلاح وضع الدرجات المتصلة بشرفة منزل الإمام في قم - وكان ذلك قبل سنة ١٣٤٢ هـ ش (١٣٦٣م) - لأن القسم الظاهري لأحجار هذه الدرجات قد تهشم؛ فجدد البناء مقدار ما يحتاجه هذا العمل من مواد البناء وبالتالي ميزانية الإصلاح، فقال الإمام: «ألا يمكن انجاز ذلك بطريقة أقل كلفة؟» فأجاب البناء بالنفي وذكر أن الطريقة التي اقترحها أقل كلفة من غيرها، فقال الإمام: «إذن اعرض عليك طريقة أقل كلفة من طريقتك» فقال البناء: تفضل، فقال: «اخلع الأحجار وصب تحتها الإسمنت ثم ضع الأحجار من الجهة التي لم يتهشم سطحها بعد». ثم تبسم الإمام وقال: «هذه الطريقة أقل كلفة!» فأيد البناء قوله وقال: «صدقت يا سيدي، إنني لم أفكر في هذه الطريقة أصلاً»^٢.

لا تدعوا التوت يفسد

كانت في بيت الإمام شجرة توت تعطي مقداراً كبيراً منه ويسقط الكثير منه على الأرض ويفسد، فكان الإمام يقول: «لا تدعوا التوت يفسد، اجمعه». وكانت في البيت شجرة خرملوا، فكان الإمام يقول: «ما تجنونه من ثمرها أعطوا قسماً منه للفلاح»^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد إبراهيم الأنصاري الأراكي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٧٧.

^٢ السيد رحيم ميريان.

^٣ الحاج عيسى الجعفري، خادم في بيت الإمام.

وينهى عن الإسراف في المناديل الورقية

كان والد الدكتور «منافي» طبيب أسنان، فجاء يوماً لمعالجة أسنان الإمام في منزله وهو يصطحب حفيده الذي يخرج حفنة حفنة من المناديل الورقية من صندوقه ويناولها للدكتور ليضعها على أسنان الإمام أثناء العلاج فأشار إليه الإمام أن يخرج منديلاً واحداً في كل مرة، فأطاع الصبي. وفي اليوم التالي واصل الطبيب معالجة أسنان الإمام فأخذ حفيده يفعل فعله بالأمس وقد نسي ما أمره الإمام به، فقال الإمام للطبيب: «قل لولدك أن لا يفعل ذلك، ولا يسرف، وليقتصد في الاستهلاك»^١.

يجب عليكم مراعاة هذه الأمور

كنت يوماً عند الإمام فطلب مني أن أناوله الكيس الذي فيه دواءه وهو معجون يدلك به قدمه، ولعل أحداً لا يصدق أنه بعد أن استخدم الدواء، أخذ منديلاً ورقياً واحداً وقطعه إلى أربعة أقسام مسح بواحد منها قدمه، ووضع الأقسام الثلاثة الباقية في الكيس لكي يستخدمها في المرات اللاحقة! فقلت له: إن كانت رعاية هذه الأمور واجبة في الشؤون المعيشية، فنحن من أهل جهنم لأننا لا نراعي ذلك خاصة في استخدام المناديل الورقية! فقال السيد: «لستم من أهل جهنم، ولكن يجب عليكم مراعاة هذه الأمور»^٢.

أقبلت عليه الدنيا فزهد فيها

إن مما لا شك فيه أن الحقوق الشرعية والمبرات والندور والهبات والهدايا الشخصية لم تكن ترسل إلى أي مرجع بمقدار ما كانت ترسل إلى الإمام الخميني خاصة بعد انتصار الثورة، ولكن كثرتها لم تحدث أدنى تغيير في معيشتة وشؤون حياته الخاصة، يبعده عن حياة الزهد والاقتداء بالسيرة العلوية التي كان يتمسك بها، ويمكنني القول أن ما من شخص أقبلت عليه الشهرة والرئاسة والدنيا ومتاعها مثلما أقبلت على الإمام وما من شخص زهد فيها واجتنبها مثله^٣.

يقوم لإطفاء المصباح

كان الإمام يقتصد كثيراً في استهلاك الكهرباء، فقد كان في غرفته الخاصة التي يستريح ويطلع فيها مصباح أنبوبي أبيض ذو مصرف بقدره (١٠٠ واط) ومصباح صغير جداً بقدره (١٥ واط). فكان يستفيد

^١ السيد رحيم ميريان.

^٢ السيدة فريدة المصطفوي، ابنة الإمام.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.

من المصباح الأنبوبي الكبير عند تلاوة القرآن أو قراءة التقارير المختلفة، فإذا انتهى من التلاوة والمطالعة، قام - على الرغم من كبر سنه وعلى الرغم من أن القيام صعب عليه - وأطفأ المصباح القوي واكتفى بنور المصباح الأنبوبي، وإذا قام للصلاة أطفأ هذا المصباح أيضاً وأوقد المصباح الصغير واكتفى بنوره الضعيف^١.

الإقتصاد في الكهرباء

كان الإمام مقتصدًا للغاية في استهلاك الكهرباء، فإذا صلى مثلاً اكتفى بمصباح من فئة (٢٥ واط) وكان يستفيد عند المطالعة من مصباح (٢٠٠ واط)^٢.

أيرتكب في بيتي الإسراف

دق جرس غرفة الإمام يوماً، فذهبت إليه فقال: «مصباح ساحة البيت مضاء، أطفأ». ففعلت، وبعد أيام كان هذا المصباح مضاءً أيضاً [في غير وقت الحاجة إليه] فدق الإمام الجرس مرة أخرى فذهبت إليه فقال: «إذا كان صعباً عليكم إطفاء مصباح ساحة البيت فاجعلوا مفتاحه في غرفتي لأوقده مساءً وأطفأه نهراً». فقلت لا يا سيدي ليس صعباً، فأخذت أنتبه لكي لا يكون المصباح مضاءً في النهار، وفي صباح أحد الأيام كان الإمام جالساً على كرسيه لاستقبال المسلمين عليه، وكان مصباحاً غرفة السيد رسولي وساحة منزل الإمام من جهة منزل السيد أحمد مضاءً، فأشار إلي بالاقتراب فاقتربت فقال لي - بانفعال -: «أيقع في بيتي فعل الحرام؟! أيرتكب في بيتي الإسراف?!» فأخذت أرتعد مما أسمعته فسألته عن علة قوله فأجاب: «كم مرة يجب أن أقول: أطفئوا هذه المصابيح؟! ألا تعلمون بأن الإسراف حرام»^٣.

اجتناب الاستهلاك غير الضروري

عندما كان الإمام يستيقظ في الأسحار لإقامة نافلة الليل؛ كان يطفأ المصباح الصغير الذي في غرفته فور خروجه من غرفته لتجديد الضوء، فيوقد مصباح الساحة ويقوم بعكس ذلك عند عودته من الضوء، لكي لا يبقى مصباحان مضاءان في آن واحد فيقع استهلاك غير ضروري للكهرباء^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيمان.

^٢ السيد رحيم ميريان.

^٣ السيد رحيم ميريان.

^٤ السيد مصطفى كفاش زادة.

استفيدوا بمقدار الحاجة

كان الإمام يكرر القول بأن: الهاتف هو للأعمال الضرورية فاجتنبوا الاستفادة منه لغيرها، واستفيدوا من المصباح بمقدار الحاجة» وكان بنفسه يقيم صلاة الليل في الظلمة، وكان مما يؤذيه كثيراً أن يرى مصباحاً مضاءً دون حاجة، وكأنه كان يرى ببصيرته عواقب الذنوب^١.

لماذا تبقون المصباح مضاءً في النهار

كانت لقاءات الإمام تجري يومياً في ساعة محددة، فيستقبل من يأتي لزيارته وتقبيل يديه أو لإجراء عقد الزواج، فكان الإمام يقرأ صيغة طرف صيغة الإيجاب في العقد فيما كنت أقرأ صيغة طرف القبول، فقال الإمام يوماً في هذه الساعة: «إن مصباح الإيوان في ساحة المكتب مضاء وكذلك كان حاله في نهار الأمس، فلماذا يقع هذا؟». وكان الإمام يطفئ مصباح غرفته كلما خرج منها حتى لو لم يطل خروجه منها لأكثر من دقيقتين^٢.

الأمر الأول بعد الاستيقاظ

كان أول ما يأمرنا به الإمام عندما يستيقظ - وهو راقد في مستشفى القلب للعلاج - هو إطفاء مصباح النور الصغير الذي كان يضاء ليلاً في غرفته^٣.

لماذا اشتريت جبنة بمائة فلس

اشترى خادم بيت الإمام في النجف الأشرف يوماً مقداراً من الجبنة بمبلغ (١٠٠) فلس من إحدى المحلات بعد أن كان يشري عادة الجبنة بثمانين فلساً فلم يكن لدى البائع النوع المعتاد من الجبنة في ذلك اليوم، وعندما حمل إلى الإمام في آخر ذلك اليوم قائمة المصروفات لاحظ الإمام الفرق في قيمة الجبنة فسأل عنه فأجاب الخادم: يا سيدي إن الشيخ عباس (صاحب المحل) لم يكن لديه النوع المعتاد من الجبنة، فقال الإمام: «أولم يكن ثمة محل آخر تشتري منه هذه الجبنة؟!». أجل كان الإمام يشدد على نفسه كثيراً في أمور معيشتة^٤.

^١ السيدة عاطفة الإشراقي (حفيدة الإمام).

^٢ آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهورية إسلامي، بتاريخ ١٨/٣/١٣٧٣هـ.ش.

^٣ الدكتور حسن العارفي، من أطباء الإمام.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

لماذا لا تحتاطون

أرادت زوجة آية الله الشهيد الصدر يوماً زيارة عائلة الإمام، وكان لواجهة غرفة العائلة مصباحان أحدهما كان معطوباً، فأردت شراء مصباح آخر لكي لا تكون الواجهة ضعيفة الإنارة، فقالت زوجة الإمام: لا حيلة في ذلك فالسيد لا يقبل بذلك، لذلك قررت أن استبدل المصباح المعطوب بمصباح جيد الإضاءة منصوب في ساحة البيت، فوضعت السلم وعندما أردت أن إخراج المصباح الجيد انكسر قسمه السفلي - وكانت المصابيح من نوع غير المتعارف هنا في إيران إذ يكون في نهايته ما يشبه المسمار لتثبيت المصباح في محله - فذهبت واشترت الجزء السفلي (الذي يباع بصورة مستقلة أيضاً) بعشرة فلوس، وعدت لنصب المصباح على واجهة الغرفة، فوجدت الإمام يتمشى في ساحة المنزل، فسألني عن الأمر فأخبرته فقال: - بعدم ارتياح - : «وما شأنك بهذا؟ خذه وأرجعه فالإنارة هنا كافية. كأنكم - أنت مصطفى، والسيدة، وإقليم [خادم البيت] قد اتحدتم لإرسالني إلى جهنم! إنكم لا تلتزمون بعري الاحتياط!»^١.

لم يتغير حاله بعد الزعامة العامة

كنت مسؤولاً منذ أمد عن الأمور المالية للإمام سواء الحقوق الشرعية أو حتى مصارفه الشخصية، وكان يعيش من ماله الخاص أي من الهدايا الشخصية والندور التي تقدم له، ورغم أنه لم يكن يحاسبني على الأمور الأخرى لكنني كنت مكلفاً بكتابة مصارفها لشخصية، فهي مسجلة جميعاً في دفتر، ومنت أقدم قائمة بها كل شهر فأكتب مثلاً: كيلو عدس بالسعر الفلاني، نصف كيلو جبنة بالسعر الفلاني . . . وهكذا. وكان الإمام يدقق على هذه القوائم بشدة تمتاز عن دقته في باقي الأمور المالية. وبقي على هذه الحالة من التقشف والزهد حتى بعد أن أناحت عنده الزعامة الدينية العامة. فحفظ طريقة عيشه الحوزوية المتواضعة^٢.

لم يدفع إلا بعد أن تيقن أن الأمر ضروري

كان الإمام يراجع بدقة جميع مصاريف معيشته التي كانت تسجل تفصيلاً، وفي احد الشهور لاحظ ارتفاع مصروف البنزين في القائمة التي قدمها له الشيخ الصانعي إذ بلغت قيمته (٧٠٠) تومان بعد أن كان معدلها في الشهور السابقة ما بين (٢٥٠ - ٤٠٠) تومان، فرفض أولاً دفع الزيادة متسائلاً عن سببها وما

^١ المصدر نفسه.

^٢ آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهورية إسلامي، بتاريخ ١٨/٣/١٣٧٣هـ.ش.

هو الفرق بين هذا الشهر والشهور السابقة. حتى عرف أنها بسبب سفر السيدة [زوجته] إلى قم ولأمر ضروري لابد منه، وعندها دفع الزيادة^١.

لا حاجة لنا بأكثر من نصف كيلو غرام!

اشترى السيد مرتضى - خادم بيت الإمام والمسؤول عن شراء احتياجات العائلة - كيلو غرام واحد من الخضرة ودخل به المنزل فرآه الإمام - وكان يتمشى في ساحة المنزل - فسأله عن مقدار هذه الخضرة، فأخبره بذلك فقال: «نحن لا نحتاج لأكثر من نصف كيلو غرام من الخضرة، وهذا المقدار زائد عن حاجتنا، لا تشتري بعدها أكثر من نصف كيلو، وما جئت به الآن أعط نصفه للمكتب ونصفه الآخر للعائلة»^٢.

الاقتصاد في الاستفادة من سهم الإمام

كان الإمام - حسب علمي - يصرف على عائلته من عائدات المزرعة التي ورثها من أبيه في خمين، أما مصاريف بيت الاستقبال «البراني» وما يقدم للضيوف فيه فكانت تؤمن من بيت المال لذلك كان يقتصد فيها كثيراً. فمثلاً كان يحب الخضرة، فقلنا له يوماً: «اسمح لنا بشراء كيلو غرام واحد من الخضرة لثلاثة أيام فلا نضطر كل يوم مقدار قليل منها، فرفض وقال: لا معنى لأن نشترى من سهم الإمام ما لا نحتاجه لندخره»^٣.

أرجع ما اشتريت من الدجاج

المشهدى حسين الذي كان يخدم في بيت الإمام في النجف الأشرف نقل لي يوماً الحادثة التالية؛ قال: «اشترت يوماً دجاجاً وجئت به لبيت الإمام فرآني وسألني عما اشتريت فأخبرته فأمرني بإرجاعه فوراً». وكنا نتعجب من هذا الاحتياط الشديد لأننا كنا نراه غريباً عما شاهدناه في بيوت الآخرين. وكان من حقنا أن نتعجب!^٤

أنا لا أريد الذهاب إلى جهنم

عندما كان الإمام في النجف أمر الشيخ عبد العلي القرهي أن يخصص (٣٠) ديناراً في الشهر لمصاريف منزل السيد مصطفى ولم يكن هذا المبلغ يكفيه بسبب ارتفاع تكاليف العيش في النجف. فكان السيد

^١ السيد مصطفى كفاش زاده.

^٢ السيد رحيم ميريان.

^٣ آية الله السيد خاتم عباس خاتم اليزدي.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي.

مصطفى يعاني كثيراً من ذلك فذهب إلى آية الله الحكيم فخصص له راتباً شهرياً يبلغ (٦) دنانير، فلما عرف الإمام بذلك قال للشيخ القرهي: «بدءً من هذا الشهر أعطوا مصطفى (٢٤) ديناراً». فاستفسر السيد مصطفى من والده عن سبب هذا القرار، فأخرج مفتاحاً من جيبه وقال: «هذا مفتاح الصندوق [بيت المال] اذهب بنفسك وخذ منه ما شئت من الأموال، أنا لا أريد الذهاب إلى جهنم، فإن شئت أن تذهب إليها، فاذهب وخذ ما شئت!»^١.

قلت لك اشتر نصف كيلو غرام

أمر الطبيب بأن يتناول الإمام - عندما كان في النجف - مقداراً من الكمثرى لحفظ سلامة بدنه، فأمر الإمام الخادم بشراء نصف كيلو منه، فذهب الخادم واشترى كيلو غراماً واحداً لأن هذه الفاكهة قد تفقد من سوق النجف بسبب كثرة الساكنين في هذه المدينة، وعندما عرف الإمام بذلك اعترض فقال الخادم: حسناً ياسيدي أنا اشتري منك نصف كيلو غرام من هذه الفاكهة! فقبل الإمام. فأخذ لخادم حصته من هذه الفاكهة وحفظها عنده ثم احتاج الإمام لهذه الفاكهة فباعه الخادم بقية ما اشتراه في المرة الأولى^٢.

أرجع الكيلو الإضافي

أصيب الإمام يوماً بالزكام عندما كان في النجف الأشرف، فجاء الطبيب وفحصه ثم أمر بشراء كيلوين من الليمون له لكن الإمام أمر بكيло غرام واحد؛ فذهبت لأشتره فوجده رخيص السعر يومذاك؛ فاشتريت كيلوين بمائة فلس، وعندما عدت وأخبرته اعترض على فعلي فقلت له: يا سيدي، إن زكامكم يطول عادةً ولا قيمة لهذا الكيلو الإضافي، فأبى وأمرني بإرجاعه فقلت له: - يا سيدي لقد قلبت ما في صندوق البائع من أجل أن اختيار أفضل ما عنده ولم يقل شيئاً ولو أرجعت له الآن لغضب.

ولكن الإمام لم يتراجع فاضطرت لامثال أمره^٣.

ضعف الإنارة في «البراني»

لم تكن الإضاءة كافية في قسم الاستقبال من بيت الاستقبال «البراني» في النجف الأشرف، ولكن لم يستطع السيد مصطفى ولا غيره من أعضاء بيت الإمام إقناعه بزيادة عدد المصابيح، وقد اقترحنا عليه شراء عدد من المصابيح الأنبوبية ذات الاستهلاك القليل لكنه رفض، واستمر الحال على ذلك سنتين،

^١ حجة الإسلام والمسلمين الطهراني الكرباسجي.

^٢ المصدر السابق.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

رغم أنه كان يوجد مصباح (١٢٠ واط) كثير الاستهلاك للكهرباء وقليل الإنارة، في حين أن قيمة كل واحد من تلك المصابيح الأنبوبية لم تتجاوز ما يعادل (٤٠). فصارحت الإمام في إحدى الليالي وهو في طريق توجه من البراني إلى الحرم العلوي بأن الذين يأتون إلى البراني يشكون من ضعف الإنارة فيه، وقلت له: إن البراني متعلق بالناس وليس بكم فاسمحوا أن نشترى بضع «شمعات» لزيادة الإضاءة فيه. وكان النجفيون يسمون المصابيح الأنبوبية «شمعات» فوافق على ذلك ظناً منه أنني أقصد الشمعات العادية، وفي اليوم التالي جئنا بعامل كهربائي نصب ثمانية من تلك المصابيح الأنبوبية في ساحة البراني والمطبعة والسلالم والغرف.

وفي الساعة الثامنة والنصف مساءً دخل الإمام البراني فرأى تغيّر حاله، وكنا جالسين في ساحته فجلس المقدار المحدد ثم استعد للخروج والتوجه للحرم، ولم يكن يسمح لأحد أن يسر خلفه مباشرة في الطريق، فكان علينا أن نصبر قليلاً حتى يبتعد ثم نتوجه للحرم، ولكن في تلك الليلة التفت إلي بعد أن سرت قليلاً وأشار إلي بالاقتراب مني ففعلت فعاتبني على عدم الاستئذان منه قبل شراء تلك المصابيح فأخبرته بأنني استأذنته الليلة الماضية فقال: «وهل هذه المصابيح تسمى [شمعات]؟». فأخبرته أن العرب في النجف يسمونها بهذا الاسم، فقال: «لقد وافقت على شرائها لأنني تصورت أنك تعني الشمع العادي»^١.

لم يبدي أدنى اهتمام...

أرسلت قصاصة من إحدى الصحف الأمريكية اشتملت على خبر يقول أن «توقيع» الإمام الخميني بيع في أحد أسواق البورصة كأعلى «توقيع» وعندما عرضت هذه القصاصة عليه لم يبدي أدنى اهتمام بهذا الأمر^٢.

الوصلة غير المتناسقة في قميص الإمام

رأيت يوماً قميصاً للإمام فقلت له: إن من المنسب أن نلتقط له صورة ونعطيها للصحف لكي تنشرها!! ويبدو أن أكمام القميص كانت قصيرة فأرادت والدتي إصلاحه، وتجنباً للإسراف اضطرت إلى وضع قطعة قماش في وسطها بعرض أربعة أصابع لكي لا تتلف الأكمام الأصلية، وخاطبتها، ولكن هذه القطعة

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيميان.

كانت متميزة عن القماش الأصلي للقميص في اللون والنوع فهي من نوع قماش الجلوار في حين أن القميص من التترونها وهما يتمايزان في اللون وفي الشكل أيضاً، وقد شاهدت التمايز واضحاً وعدم الانسجام ملحوظ فقلت للإمام: أعطني صورة لهذا القميص لأعطيه للصحف لكي يعرف الناس ما ترتدون!

أجابني الإمام: «ليس في هذا القميص من عيب» فقلت: أنا لا أقول إن فيه عيباً، ولكنه غير متناسق بعض الشيء، فقال: «كلا، إنه جيد، فاتركه على حاله. إنه جيد جداً»^١.

يهدي ما يهدى إليه إلى الآخرين

كانت تهدي للإمام الكثير من الملابس والأقمشة لكنه كان يعطيها - كسائر الهدايا الأخرى - للآخرين ولا يبقى لنفسه شيئاً مكتفياً بعدد قليل من الملابس - لا يتجاوز اثنين من كل نوع - يتناوب في ارتدائها؛ كما كان من أهل القناعة والاعتصام والتقشف في مأكله أيضاً وجميع شؤونه المعيشية رغم أن جميع الإمكانيات المادية كانت بين يديه^٢.

لم يدخر لنفسه شيئاً من الهدايا

كان محبو الإمام يقدمون له الكثير من الأشياء النفيسة من الأموال والمصوغات الذهبية والتحف والكتب والنسخ الخطية للقرآن واللوحات الفنية الثمينة والأقمشة وغيرها، كهدايا أو ندور لشخصه بالذات فهي ملك شخصي له، ولكنه لم يدخر لنفسه من هذه الممتلكات الشخصية بسبب شدة قناعته وتقشفه. بحيث أن ما تركه بعد وفاته لم يكف حتى لتغطية مصاريف مكتبه وبيته القليلة سوى لبضعة أيام^٣.

لم يكن يمتلك حتى الكفن

من القضايا التي تحمل عبرة مهمة للجميع هي أنه عندما ارادوا غسل الإمام وتكفينه وجدوا أن هذا القائد العظيم والزعيم الإسلامي الجليل لا يمتلك حتى الكفن! وهذا الأمر يكشف عن سمو مراتبه في تهذيب النفس والتحلي بالخصال النبوية^٤.

^١ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧-٣٨.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيمان.

^٤ السيد التيموري، أحد حرس بيت الإمام.

وماذا أفعل بكل هذه الأشياء

كان الإمام يأخذ أحياناً بعض ما يهدى إليه من الأقمشة فيأخذ مثلاً حسب حاجته الفورية عمامة أو جبة أو عباءة أو قميص، أو سجادة أو تربة الصلاة، أو الجوارب أو غطاء الرأس «الكلاه» وإذا عرض عليه أكثر من واحد من هذه الأشياء قال: «وماذا أفعل بكل هذه؟ أعطوها للمحتاجين إليها». وكان أحياناً يأخذ بعض الأشياء فتتصور أنه أخذها لنفسه ثم يتضح أنه قد أعطاها لبعض الأشخاص ولم يأخذها لنفسه^١.

أعطوه لمن ينتفع به

كان الإمام يأمر بتسليم التحف النفيسة التي تهدي إليه إلى المؤسسات التي تحفظها، فمثلاً أهديت له مرة نسخة خطية من القرآن الكريم ثمينة للغاية فأمر بتسليمها إلى مكتبة حرم الإمام الرضا عليه السلام. كما كانت دور النشر والمؤلفون يبعثون إليه بنسخ من كتبهم، فكان يلقي نظرة إجمالية عليها ويقول: «خذوها وأعطوها لمن ينتفع بها» فلا يحتفظ لنفسه إلا بعدد قليل جداً من بعض الكتب العرفانية المطبوعة حديثاً^٢.

اقتناء ما يحتاجه ليومه فقط

كان الإمام يقتني ما يحتاجه ليومه في يومه فيرفض بحزم اقتناء ما لا يحتاجه في يومه^٣.

لم يتغير مستواه المعيشي بعد أن أصبح حاكماً

كان المستوى المعيشي للإمام دون مستوى معيشة الطبقة الثالثة للمجتمع [الطبقة الفقيرة] سواء في مأكله أو في مسكنه أو الشؤون المعيشية الأخرى، ولم يرقم بأدنى تحسين لمستواه المعيشي بعد أن أصبح حاكماً لدولة وشخصية سياسية عالمية، وكنا دائماً على حذر من أن نشترى شيئاً من لوازمه المعيشية فيعاتبنا ويعترض على ارتفاع قيمته، وكثيراً ما كان يلومنا على أمور من قبيل طلي منزله بالدهان أو ازدياد استهلاك الماء والكهرباء أو عدم الاستفادة الاقتصادية السليمة من الوسائل المنزلية^٤.

محتويات ثلاثية الإمام

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيمان.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيمان.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، مجلة (نور علم) الدورة الثالثة، العدد: ٧.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، صحيفة (رسالت) ١٣٧٢/٣/٩ هـ ش.

دخلنا مرة القسم الداخلي لبيت الإمام الذي كان قد سافر إلى كربلاء للزيارة، ولم تكن الخادمة في البيت فدفعني الفضول إلى فتح ثلاجة السيد لأرى ما فيها، فذهبت إلى المطبخ وفتحتها فلم أرَ فيها سوى قطعة من الجبنة وقطعة من البطيخ المعروف بالرقى^١.

إن كنت ترغب في طعام آخر

حللت مرة ضيفاً على الإمام في منزله في النجف وتناولت عنده طعامي الظهرية والمساء، ثم ذهبت في اليوم التالي إلى بيت أحد الأصدقاء وتناولت عند طعام الظهرية فسأل عني الإمام وعندما رأني في اليوم التالي قال لي: «إن كنت ترغب في طعام آخر فقل لنعده لك».

وبهذه العبارة القصيرة أخبرني بعدة أمور أولها أنه كان ينبغي أن أخبره بعدم المجيء لطعام الظهرية، وأنه كان ينتظرنى، وثالثاً أن طعامه المعتاد هو هذا الطعام البسيط. فقلت له أنني ذهبت إلى منزل أحد الأصدقاء ولم يكن ذهابي فراراً من طعامه المتواضع^٢.

يكتفي بالجبنة والخبز

كان الإمام ملتزماً بالصيام طوال سني إقامته في النجف الأشرف وكان طعام إفطاره بسيطاً للغاية، والله يشهد أن الطبيب كان قد أوصى بإعداد اللحم المشوي له لكنه لم يكن يأكل منه إلا شيئاً يسيراً واستجابة لإصراره فكان يكتفي في سائر أيامه بالجبنة والخبز^٣.

ويجتنب الأطعمة الدسمة

الترم الإمام بالبساطة في مأكله وملبسه، واجتناب الأطعمة الدسمة، وكان طعامه المفضل في النجف الجبنة والخبز والجوز^٤.

طعام عشانكم لا يسمن!

كان الإمام شديد الزهد بالدنيا، يأخذ منها بمقدار الضرورة رغم أنه لم يكن يأخذ من سهم الإمام لمصارف المعيشة، وكان بعض محبيه من طهران قد عرفوا بشدة احتياطه وتضييقه على نفسه فخصصوا له أموالاً من غير الحقوق الشرعية ليصرفها في احتياجاته المعيشية، ولكنه رغم ذلك ظل يستفيد منها

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، كتاب (في رثاء النور).

^٢ آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهورية إسلامي، بتاريخ ١٨/٣/١٣٧٣هـ ش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني.

بمقدار الضرورة. وكان عدد أفراد عائلته ومن هم في كفالته [من أعضاء مكتبه] في النجف الأشرف يبلغ حدود ١٠-١٢ شخصاً، لكننا لم نشترى أكثر من نصف أو ثلاثة أرباع الكيلو غرام من اللحم، وقد قال لي يوماً ونحن في الطريق إلى الحرم العلوي: «إن السيدة أخبرتني أنك لا تبقى لطعام العشاء في «البراني» قسم الاستقبال في بيت الإمام، وتذهب إلى منزلك قبل العشاء. فابق لتناوله» فأجبته قائلاً: وماذا أجد في براني بيتك يا سيدي، لقد كدت أموت، فأخذت منذ شهر بالعودة إلى منزلي للعشاء فاستعدت قواي! فضحك الإمام ولم يقل شيئاً^١.

هذا هو حال بيتنا

طوال المدة التي أقمت بها فيها في النجف الأشرف، كان طعام بيت الإمام هو مرق ماء اللحم الخالي من الدسم، فكان يشتري كيلو غرام واحد من اللحم ويطبخ كطعام لجميع من في البيت: الإمام وعائلته والعاملين في القسمين (الجواني) والبراني) من بيت الإمام، وكان تحمل مثل ذلك صعباً عليّ وأنا شاب فقلت للإمام يوماً: إن تناول هذا المرق الخالي من الدسم صعب عليّ بعض الشيء، فأجابني: «هذا هو حال بيتنا»^٢.

القبول باللحم المشوي بسبب إصرار الدكتور

أصيب الإمام مرة - وهو في النجف - بآلام حادة في الظهر، وعندما فحصه الطبيب قال له: يجب أن تتناولوا اللحم المشوي فهو ضروري لتقويتكم. فأجاب الإمام: « ليس ذلك ضرورياً» فتأذى الطبيب وأصر على ضرورة ذلك طبق تشخيصه، فقبل الإمام لما رأى أذى الطبيب^٣.

الباذنجان بدون لحم

لم يكن الدجاج والسّمك يجد طريقاً إلى بيت الإمام في النجف الأشرف! وكان الإمام يقول أنه كان يحب الدجاج حياً يتحرك!! وكان من الأعراف النجفية العريقة أكل السمك أيام الأربعاء، ولكن الإمام لم يكن يلتزم بذلك ويفضل مرق الباذنجان بدون لحم!! كان طعامه بسيطاً للغاية^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٤، ص: ١٥٧.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الطهراني.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

تعلمت كل شيء من أمير المؤمنين (ع)

سمعت يوماً أن الإمام يقتصر في إفطاره في شهر رمضان على تناول بيضة واحدة وفنجان واحد أ فنجاني من الشاي، فقلت له: يقولون - يا سيدي - أنكم لا تأكلون هنا [في النجف] شيئاً في إفطار شهر رمضان سوى بيضة واحدة فلماذا؟! وأجزت لنفسي - بحكم أنني كأحد أولاده - أن أقول له أيضاً: عندما كنتم في إيران تعلمتم كل شيء أمير المؤمنين عليه السلام باستثناء ما يرتبط بأمر الطعام، وعندما جئتم إلى هنا [النجف] تعلمتم منه أن لا تأكلوا شيئاً!! فأجابني: «وما الحيلة، إن مزاجي لا يتحمل» فقلت له: يا سيدي إن هؤلاء الأخوة قلقون عليك بسبب قلة طعامك. فقال: «هذا هو حال مزاجي... لا أستطيع...»^١.

أنا مثلكم، أكل أي شيء

كنا ضيوفاً على الإمام في مدة إقامته القصيرة في كربلاء سنة ١٣٤٥ هـ ش، ١٩٦٤م وفي الأيام الأولى لإقامتنا في النجف الأشرف لم نكن نعرف شيئاً عن وضع الطعام والمسؤولين عن إعداده، وبعد بضعة أيام، كلفني الإمام بمجموعة من المسؤوليات منها مسؤولية شراء احتياجات البيت لأنه لم يكن معه أحد من عائلته وأقربائه سوى المرحوم الشهيد حجة الإسلام والمسلمين الحاج السيد مصطفى الخميني. فكنت أخرج كل يوم مع خادم البيت إلى سوق «الحويش» القريب من بيت الإمام لشراء الاحتياجات اليومية ثم تسليمها للطباخ، وقد سألت الإمام مرتين عما يرغب في تناوله في طعامي الظهرية والعشاء، فأجابني؛ وفي المرة الثالثة - على ما يبدو - قال لي بصراحته المعهودة والحاسمة: «لا تسألني بعد هذه عن الطعام، أعدوا ما شئتم، فأنا مثلكم آكل أي شيء!» وكان هذا هو حاله دائماً قبل أن ألتحق بخدمته وبعدها، لا يقول شيئاً بشأن نوع الطعام ومقداره لكنه كان حساساً فيما يرتبط بنظافة الطعام وسلامته^٢.

يعيش حياة حوزوي متقشف

أستطيع أن أقول بثقة أن مستوى عيش الإمام كان بمستوى أو دون المستوى المعيشي لطالب حوزوي عادي ومتقشف، وأقول هذا عن علم وليس رجماً بالغيب، فانا الذي كنت أعطي المشهدي حسين خادم

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٤، ص: ١٥٨.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ١.

بيت الإمام ما يشتري به احتياجات البيت، وقد زار بعض الأطباء الإيرانيين المحيين الإمام النجف الأشرف وأوصوا بإعداد أطعمة مقوية له خاصة مع كهولته، لكنه كان يرفض القبول بذلك^١.

أعطني البقية

نقل المشهدي حسين ت وكان رجلاً صالحاً يحبه الإمام ويثق به وكان مسؤول شراء الاحتياجات المنزلية في بيت الإمام في النجف - أن الإمام أعطاه ربع دينار يوماً لشراء بعض الاحتياجات، فاشتراها ورجع فناده الإمام فور عودته وسأله عن قيمة ما صرفه، يقول المشهدي حسين: فحسبت ما صرفته فوجدته (٢٣٥) فلساً؛ وبقي (١٥) فلساً فقال لي: «أعطني البقية» لقد كان دقيقاً في المصروفات إلى هذه الدرجة^٢.

اشترت رغيفاً إضافياً

كان الإمام قد أمر العاملين في مكتبه أن لا يخلطوا بين أمورهم وأعمالهم الشخصية وبين الأعمال العامة المتعلقة ببيت المال، ولم يكن يأخذ شيئاً من سهم الإمام وبيت المال لمصاريف بيته الشخصية وكان قد أعد قائمة خاصة لمصاريف المعيشة اليومية وكلف أعضاء مكتبه بعد تجاوز ما في هذه القائمة وتقديم تقرير بالمشتريات كل يوم، وكان يحاسبهم بدقة على الالتزام بها، وحدث مراراً أنه كان يستدعينا ويسألنا عن سبب ازدياد هذه المصاريف بمقدار عشرة تومانات أو عشرين تومانا، فمثلاً استدعاني يوماً وقال لي: «إن مقدار الاستهلاك اليومي للخبز في بيتي هو ثلاثة أرغفة، فلماذا سجل في القائمة شراء أربعة أرغفة من الخبز؟» وكلما أردنا أن نشترى له شيئاً ما، قال لنا: «اشربوا على البائع أن يكون لكم حق إرجاع ما تشترون إذا شتمت ذلك» وعلّة هذا الشرط هي أنه قد حدث مراراً أننا كنا نشترى له شيئاً فيقول: «أرجعوه، إن ثمنه مرتفع!»^٣.

اشتروا بمقدار الحاجة

كان الإمام يحتاط كثيراً في الصرف عندما كان مقيماً في النجف الأشرف، فمثلاً إذا احتاجوا إلى ماء الليمون أمر خادمه بشراء ما ثمنه خمسة فلوس منه - بمقدار فنجان تقريباً - فلا يستجيب لإصرار الخادم

^١ المصدر نفسه.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيمان، المصدر السابق، ج ٥.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانى، صحيفة (رسالت) ١٣٧٢/٣/٩ هـ ش.

بشراء قنينة كاملة منه، ويقول: «لا حاجة لنا الآن بأكثر من هذا المقدار». وهكذا كان الحال مع شراء الخضرة مثلاً^١.

اطبخوا بمقدار الحاجة

إحدى الصفات التي تميز بها الإمام شدة الاقتصاد في أمور المعيشة، وكان يوصينا دائماً بإعداد الطعام بالمقدار اللازم لكي لا يزيد منه شيئاً. كما كان يوصينا بعدم الإسراف في أمور المعيشة ويذكرنا دائماً بأننا نعيش في أوضاع يصعب فيها على بعض العوائل توفير معاشهم^٢.

لم يشرب عصير الفاكهة

عندما دخل الإمام إلى مدرسة «رفاه» كان متعباً جداً بسبب ما تعرض له من متاعب في طريق العودة إلى إيران وبعيد وصوله، فكان احد الأطباء يأتيه بعصير الفواكه لكنه لم يشربه، فأصر عليه وأخبره بأنه ضروري لسلامته، وعندها كان يتناول منه شيء يسيراً^٣.

المشروبات الغازية

طوال ثمان سنوات كنت في خدمة الإمام، لم أره ولا مرة واحدة يشرب شيئاً من المشروبات الغازية أثناء الطعام^٤.

طعام الإمام

عندما يسأل أحد المرسلين السيدة الكبرى (الخادمة في بيت الإمام) عن طعامه وما يعدونه، أجابت: إن طعام الظهيرة هو مرق ماء اللحم كل يوم، ما طعام العشاء فهو الخبز والجبنه والعنب أو الخبز والجبنه والبطيخ مع كأس من اللبن الرائب المخفف^٥.
بين طعام الإمام وطعام «الابا»

^١ آية الله السيد خاتم الزيدي، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ١٧.

^٢ السيدة فريدة المصطفوي، مجلة (زن روز) العدد: ٩٦٦.

^٣ السيدة المقصودي، مجلة (زن روز) العدد: ٩٠٤.

^٤ السيد رحيم ميريان.

^٥ مجلة (نور) علم الدورة الثالثة، العدد: ٧.

كان طعام الإمام في الظهرية هو طعام إيراني يسمى «مرق ماء اللحم» وهو الطعام نفسه الذي يتناوله الآخريين في ذلك الوقت. وقد جلس آية الله الخميني [على الأرض] عند مائدة الطعام التي جلس عندها أيضاً زوجته وابنه وزوجته، وأحفاده، وبعد أن ذكر اسم الله تناول مقداراً يسيراً من الطعام، وبلغت مدة تناوله لطعامه وبدقة سبع دقائق وأربعين ثانية ذهب بعدها إلى غرفة عمله.

وقبل عامين حالفني التوفيق لمشاهدة تناول «البابا» لطعام الظهرية بعيني، فرأيت الأظعمة التي أعدت له - ولم يغب أي طعام إيطالي من مجموعتها - قد وضعت بنظام دقيق على منضدة طولها (١٢) متراً وعرضها (٢،٥) متراً، فجلس وحده يتناول طعام الظهرية واستغرق تناوله ساعة وخمسين دقيقة، ثم عرفت أن ما يتبقى من طعامه يتم إتلافه بالكامل^١.

طعام الإمام في نوفل لوشاتو

أذكر أنه - وخلال إعدادي لإحدى مقابلاتي مع الإمام في نوفل لوشاتو - جاءت زوجته له بمقدار من اللبن الرائب والجبنة، فسألته: هل يتناول غير هذا الطعام؟ فأجابته: كلا، إنه يتناول هذا الطعام البسيط مرتين في اليوم^٢.

رعاية المقربين منه لبساطة العيش

وصل مجموعة من الإيرانيين إلى فرنسا في العشرة الأولى من محرم لزيارة الإمام. ولأن الإمام كان بسيطاً في عيشه، كان المقربون منه يراعون البساطة أيضاً فكان طعامهم في نوفل لوشاتو لا يتعدى الخبز والجبنة والبطاطة والبيض والثريد بدون اللحم أحياناً^٣.

إلى أي شيء يرمز البيض والبطاطس

كان الطعام الذي يقدم في قسم الاستقبال في بيت الإمام في باريس بسيطاً للغاية وغالباً ما يكون البيض والبطاطس، وكان الأمر ثابتاً إلى درجة كان المراسلون الأجانب يسألوننا: إلى أي شيء يرمز البيض عندكم أنتم الإيرانيون، فتقبلون على جعله طعامكم الثابت؟^٤.

^١ أحد المراسلين الصحفيين الفرنسيين، مجلة (اطلاعات الأسبوعية) العدد: ١٩٢٤.

^٢ السيد مالارد، مراسل صحفي، ولعل السيدة المذكورة هنا هي السيدة مرضية الحديدجي التي كانت تتكفل أمور المنزل في محل إقامة الإمام في باريس وليست زوجته.

^٣ السيدة مرضية الحديدجي.

^٤ السيدة مرضية الحديدجي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام) ج ٤.

عسى أن يتوب الله عليك ببركة هذا العمل

عندما كنا في «نوفل لوشاتو» اشترت يوماً كلوين من البرتقال لأن ثمنه كان رخيصاً في ذلك اليوم والجو بارد يساعد على حفظه إلى عدة أيام، ولكن الإمام سألني عندما رآه عن كثرته فأجبتة مبررة عملي بالقول: لقد كان ثمنه رخيصاً اليوم فاشترت هذا المقدار للاستفادة منه عدة أيام: فقال: «لقد ارتكبت معصيتين، الأولى: أنك اشترت أكثر من حاجتنا لهذا اليوم، والثانية هي: أنه لعل بعض المقيمين في هذه الضاحية لم يستطيعوا شراء البرتقال بسبب ارتفاع ثمنه، ولعل انخفاض ثمنه كان سيمكنهم اليوم من شراءه لكنك اشترت مقداراً إضافياً قد لا يبقى لهم منه شيء، فاذهبي لإرجاع هذا!» فقلت: لا يمكن إرجاعه أصلاً، فقال: «يجب العثور على سبيل لتدارك هذا الأمر» فسألته: وما الذي أستطيع فعله؟ فقال: «قشري البرتقال وقدميه للذين لم يأكلوا منه شيئاً طوال هذه المدة عسى أن يتوب الله عليك ببركة هذا العمل»¹.

زوجة الإمام تتحدث

نفهم من طيات حديث والدتي أنهم كانوا يتحملون الكثير من الضيق في المعيشة بسبب شدة احتياط الإمام الذي كان يمتنع حتى عن اخذ الراتب المخصص للحوزويين. تقول والدتي: كنت استفيد من جبة السيد [والدكم] إذا بلت ولم تعد صالحة له، وذلك بأن أصنع من القطع السالمة منها وخاصة الأجزاء السفلية ملابس للأطفال ومعظم معاطفكم كنت أخطيها بهذه الطريقة أو إذا كنت لا استطع الحصول على قطع سالمة من جبة السيد، كنت أعطي مالا لشراء قماش «الجث» [نوع من القماش الرخيص] فأخيط منه الملابس لكم.

وهذا القول يكشف صعوبة عيشهم لكن الإمام كان يعتقد - رغم ذلك - أن فيه الكفاف².

علينا أن نعيش بما نملك

تتحدث والدتي أحياناً بما يمكن للإنسان أن يعتبره نوعاً من الشكوى من الصعاب المعيشية التي تحملتها والتي كانت تضرب مثلاً لها فتقول: لم أكن أخط جبة والدكم على الجانب الظاهر منها، لأن أثره سيظهر على أعلى المعطف الذي سأخيطه لكم بعد أن تصبح الجبة قديمة وغير صالحة للوالد، لذا كنت أخط الجيب بصورة لا تجعل المعطف الذي أخطه لكم من قماش الجبة لاحقاً مشوهاً، وحتى هذا

¹ السيدة مرضية الحديدجي، المصدر السابق.

² السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان = شاهد للنساء) العدد: ١٤٩.

المعطف لم أكن أرميه جانباً بعد أن يصبح غير صالح لكم، بل كنت أقطعه وأستفيد منه كلفافات لأطفالي الصغار.

ولا ريب بأن هذا الأمر في غاية الصعوبة يصعب تصديقه، ولكن الوالدة تقول إنها كانت تقوم بذلك بسبب قلة دخلنا، وكان الإمام يقول: «هذا ما املكه فعلياً أن نعيش به»^١.

لم يكن يأخذ راتب الحوزة

كان الإمام في شبابه طالباً حوزوياً يعيش على ما يحصل عليه مما ورثه من والده، وكان يرفض أخذ الراتب المخصص للحوزيين، وأتذكر أن الإمام كان يرفض أخذ الراتب الذي خصه الشيخ عبد الكريم الحائري للحوزيين الذي تزعم الحوزة قبل السيد البروجردي، بل هو بالحقيقة مؤسسها في قم؛ وقد حدثنا الإمام أنه ذهب إلى مدينة أراك ودعا الشيخ الحائري إلى قم فجاء إليها وأسس الحوزة فيها، ولكن رغم ذلك أبى الإمام أخذ الراتب الذي يعطى لسائر الطلبة وعلل رفضه بالقول: «يكفيني ما عندي من مال»^٢.

أعطه دينارين ونصف

قال لي المرحوم السيد مصطفى إن فلاناً يريد السفر إلى إيران، فخذ له شيء من المال من الإمام، وعندما عرضت الأمر على الإمام - وكان يعرف هذا الشخص - قال: «كلا، إنه ليس حوزوياً فلا أعطيه من هذا المال» ولكن السيد مصطفى ألح عليّ بمعاودة المحاولة بعد يوم أو يومين، ففعلت فرفض الإمام فطلب السيد معاودة المحاولة للمرة الثالثة ففعلت فرفض الإمام فقلت شيئاً من المال لي [وأنا حوزوي] وأنا أهبه له. فقال ببعض الانزعاج: «خذ دينارين ونصف وأعطها له».

وبعد أيام أحضرت نجاراً ليرتب مكاناً لمروحة منضدية بهدف توزيع هواء سرداب بيت الإمام، وعندما كان النجار يقوم بعمله استدعاني الإمام فسارعت إليه، فقال لي بصوت بعث الرعب بكل وجودي، «أنت (قالها هذه المرة رغم أنه كان مؤدباً للغاية فلا يخاطب أياً منا إلا بلفظ الجميع - أنتم - تعبيراً عن الاحترام) ومصطفى وأحمد هذا اتحدثم من أجل أن تجعلوني من أهل جهنم!»

^١ السيدة زهراء المصطفوي.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي.

ثم قال: «أنت تتوسط لشخص غير حوزوي لكي أعطيه من هذا المال [سهم الإمام]». فقلت له: يا سيدي لم يكن بالإمكان أن لا نعطيه. (وكان السبب أن هذا الشخص كان وقحاً وجلفاً وهذا ما لم أستطع أن أذكره للإمام). فسألني: «ولماذا لا يمكن أن لا نعطيه» فوقع في خاطري أن أقول: يا سيدي حتى النبي ﷺ كان يعطي من هم أسوء من هذا الشخص! فتبسم من قولي ونجوت أنا من هذا الخطر^١.
اتحدوا لجعلي من أهل جهنم

جاء الشيخ الفرقاني يوماً من منزله بمروحة منضدية لكي تنصب في بيت الإمام فيكون بالإمكان توزيع هواء السرداب عبر النوافذ فيتم بذلك تبريد المكان، وكان هذا الأمر يتطلب إعداد صندوق يفتح طرف منه بمقدار حجم المروحة لكي توضع فيه فأمرنا الإمام بالاستفادة لذلك من صندوق كان يستعمل لحمل الكتب، ولكننا ارتأينا أن نأتي بنجار لكي يصنع صندوقاً خاصة يمكن أن تدور المروحة فيه، فجاء النجار بألواح «الفير» لهذا الغرض، فلما رآها الإمام سألنا عن الأمر فأخبرناه فقال بلهجة عنيفة لم نعهدها من قبل: «أنت ومصطفى وأحمد، اتحدوا من أجل جعلي من أهل جهنم»^٢.

أنت لا تتمسك بعري الاحتياط

في الأيام الأولى لإقامة الإمام في النجف الأشرف استخدم شخص لتوزيع الشاي في بيت الإمام، ولكن ملابسه كانت ممزقة وغير نظيفة، فأمرني المرحوم الحاج السيد مصطفى أن أشتري له قميصاً طويلاً وهو الذي يسمى في العراق «الدشداشة» فقلت سمعاً وطاعة، وطلبت من أحد الأصدقاء أن يرتب الأمر فاشترى القماش وسلمه للخياط فصارت التكلفة ديناراً وربع (ما يعادل ٢٥ تومناً يومذاك تقريباً)، وقد سجلت ذلك في دفترتي وكنت مكلفاً بذلك وبتقديم قائمة المصروفات كل بضعة أيام للإمام، وبعد بضعة أيام من تقديمي القائمة الأخيرة للإمام؛ قال لي - ونحن في طريق العودة من المسجد - : «أنت لا تتمسك بعري الاحتياط». فلم أتذكر أنني قمت بعمل خلاف الاحتياط فسألته عن مقصوده فقال: «كان ينبغي أن تخبرني بأمر القميص [الدشداشة]» فأخبرته بان السيد مصطفى أمرني بذلك فقال: «ينبغي أن أكون أنا القائل لك!» وهذه الكلمة ضاعفت حبي للإمام - الذي كنت على معرفة دقيقة بشخصيته - ألف ضعف، لأنها تعبر عن شدة احتياطه بحيث لا يسمح بالتدخل في هذا الأمر [الصرف من الأموال العامة]

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ القرهي.

^٢ الشيخ القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ١.

حتى للسيد مصطفى - رغم أنه كان يحبه كثيراً ورغم سمو مقام السيد مصطفى - فكيف بغيره من حاشيته والمقربين منه؟!^١.

ليعتزل سماحة الشيخ في طعامه إن رغب في ذلك

يقول حسين المشهدي الذي كان يخدم في بيت الإمام في النجف: أقام عدد من الأشخاص في قسم الاستقبال من بيت الإمام (أي البراني) في شهر رمضان، ولكن مقدار الطعام لم يزد شيئاً عن السابق، فقال لي الشيخ عبد العلي القرهي: إن مقدار اللحم الذي تشتريه قليل جداً، فهؤلاء المقيمون في البراني يحتاجون إلى طعام للسحر والإفطار، اشتر مقداراً أكثر من اللحم، فاشترت مقداراً أكثر من اللحم في ذلك اليوم، وكان علي أن أقدم كل مساء قائمة بالمصروفات للإمام وعندما رأى القائمة في تلك الليلة تعجب وسألني عن سبب شراء الزيادة في اللحم، فأخبرته بأن الشيخ القرهي أمرني بذلك، وكان الإمام يحترم الشيخ، لكنه رغم ذلك قال: «اشتر المقدار الذي كنت تشتريه سابقاً، أما الشيخ فليعتزل في طعامه إن رغب في ذلك»^٢.

إنني فقير فاحذروا الإسراف

كان الإمام يؤكد على لزوم تسجيل كل المصاريف مهما كانت بسيطة، فكنت أسجلها جميعاً وبدقة استجابة لأمره وكان هو مرتاحاً لذلك، وعندما تقرر أن تنتقل إلى المكان الجديد في ضاحية «نوفل لوشاتو» قال الحاج السيد أحمد: إن الإمام يقول: «دققوا بشأن المصروفات لكيلا تغفلوا عن شيء منها» فقلت له اطمئنا من ذلك، فحتى ثمن البنزين اللازم للانتقال من المطار إلى المدينة سنسجله في حسابكم! ولن تحدث مشكلة في هذا المجال إن شاء الله. وقد حظي هذا الأمر بتأييد الإمام.

وكانت حياة الإمام في نوفل لوشاتو في غاية البساطة، وكان يؤكد مراراً على الالتزام بذلك ويقول: «عليكم بالاحتياط قدر المستطاع وأن لا يصرف ولا ديناراً واحداً دونما مبرر». وكان يقول: «إنني فقير فاحذروا الإسراف». وبقي ملتزماً بهذه المعيشة المتواضعة البسيطة. وفي الأيام الأولى لإقامتنا في نوفل لوشاتو كان الهواء طيباً للغاية، فكان الإمام يجلس قبل الصلاة تحت شجرة التفاح التي أصبحت معروفة

^١ الشيخ القرهي، مجلة (اطلاعات الأسبوعية) ١٣٦٩/٦/٣٠.

^٢ آية الله السيد خاتم الزيدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٢.

للجميع ثم يقيم الصلاة وبقي على ذلك الحال أياماً ثم أصبح الهواء بارداً فاضطررنا إلى نصب تلك الخيمة في هذا المكان نفسه كمحل لإقامة الصلاة^١.

الماكسة بشأن أجرة السيارة

ينقل المرحوم الشهيد السيد مصطفى الخميني الحادثة التالية: لم نكن نصدق بإطلاق سراحنا من سجن الشاه. و عندما نزلنا من الطائرة في مطار بغداد كنا نتوقع أن يعتقلنا النظام العراقي فوراً وينقلنا إلى مكان يخضعنا للمراقبة، ولكننا كلما أدرنا النظر لم نر أحد يتوجه إلينا، فأخذنا نتمشى كالغرباء، ثم خرجنا من المطار، وأردنا استئجار سيارة تنقلنا إلى الكاظمية، فأخذ الإمام يماكس سائق السيارة على قيمة الأجرة إذ اعتبرها مرتفعة! فقلت له مازحاً؛ لنركب يا سيدي دونما تأخير قبل أن يأتوا ويعتقلوننا! فركبنا السيارة على الكاظمية ومنها توجهنا إلى النجف الأشرف^٢.

أدفع أجرة سفري وسفرك فقط

عندما عزم الإمام على العودة على إيران [من فرنسا] أعدت مقدمات سفر الصحفيين ومراسلي وكالات الأنباء والهيئة المرافقة للإمام على إيران. وقام السيد أحمد بعرض الموضوع على الإمام فقال الإمام له: «إنني أدفع أجرة سفري وسفرك فقط!»^٣.

الاستفادة من البئر بمقدار الضرورة

سمعت بنفسي الإمام يقول يوماً لشخص كان يسقي أشجار الحديقة: «لماذا تستخدم ماء الإسالة المصفى لسقي الأشجار؟» فأجابه: إنه ليس من ماء الإسالة إنه ماء البئر» فقال: «حتى ماء البئر هو للجميع، لذلك ينبغي أن نقتل الاستفادة منه إلى حد الضرورة»^٤.

يا حاج إنك تكثر الاستفادة من الماء

كنت يوماً اسقي الحديقة فقال لي الإمام: «حذار من أن يكون هذا من ماء الشرب» فقلت: - كلا، يا سيدي إنه يسحب من ماء البئر - فقال: «حذار من أن يكون من بئر يستفيد منه الآخرون» فقلت: كلا، يا سيدي، إنها بئر خاصة بهذا المكان حفرت لسقي أشجاره.

^١ الدكتور حسن حبيبي، صحيفة اطلاعات ١٣٦٠/١١/١٨ هـ.ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٦٨/٤/٢٦ هـ.ش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، صحيفة (كيهان) ١٣٧٣/١١/١١ هـ.ش.

^٤ السيد مصطفى كفاش زاده.

ثم جاء في يوم آخر وقال لي: «يا حاج إنك تكثر من الاستفادة من هذا الماء»، فتعجبت من قوله والبئر لا يستفيد منه غيرنا، ثم عرفت فيما بعد أنه يشير إلى الاقتصاد في استهلاك الكهرباء لأن الماكينة التي تسحب الماء من البئر كهربائية، وكان الإمام شديد الاحتياط تجاه عدم الإسراف في أي أمر فكان يتأذى من إلقاء أي طعام في سلة الزبالة ويعترض بشدة وينهى عن ذلك^١.

شدة الاحتياط عن الإسراف

كنت يوماً اغسل الصحون في المطبخ وكانت حنفية الماء مفتوحة فدخل الإمام واعترض على ذلك، رغم أن الحنفية كانت مفتوحة بدرجة قليلة لكن الإمام كان يذكرنا بالاحتياط رغم أنني كنت أحتاط كثيراً في هذه الأمور. فمثلاً كنت أحمل له أحياناً مقداراً من أوراق «الخس» التي قصت أطرافها فيذكرنا بعدم رمي هذه الأطراف في الزبالة، فأقول له: اطمئن يا سيدي إنني أبقيتها للسلطة. وكان إذا خرج لأمر من غرفته أطفأ جهاز التلفاز ثم يشغله ثانية إذا عاد تجنباً للإسراف^٢.

اجتناب الإسراف في الماء عند الوضوء

يقول احد الأجلاء: كلما جلسنا عند الإمام اكتشفنا فيه بعداً جديداً من أبعاد العظمة لم نكن نعرفه أو ننتبه إليه من قبل، وهذا الأمر يدل على عظمة ونقاء وشفافية جوهره وإلى درجة تجعل الإنسان كلما اقترب منه يدرك المزيد من أبعادها، وهذا الأمر ثمرة الرياضات والمجاهدات والعبادات التي التزم بها الإمام بدقة، وشدة مراقبته لأعماله حتى الصغيرة منها، ولذلك اصطبغت حتى المباحات عنده بصبغة العبادات، فمثلاً كان يحتاط بشدة من الإسراف في الماء عند الوضوء. وكل هذه المراقبات التزم بها منذ بدايات طلبه للعلم^٣.

لم استطع إغلاقها بإحكام

كان الإمام يستدعيني أحياناً بدق جرس غرفته في الساعة (١٠ أو ١١) ليلاً فأذهب إليه فيقول لي: «إن الماء يقطر من الحنفية ولم استطع إغلاقها بإحكام فانظر ما سبب ذلك؟». وكان يتأذى من استهلاك الماء

^١ السيد رحيم ميريان.

^٢ السيدة ربابة الباقي، خادمة في بيت الإمام مجلة (سروش) العدد: ٤٧٦

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوئينيها، مجلة حوزة، العدد: ٣٧-٣٨.

دونما مبرر لذلك كنا نحضر ما نمنع به قطرات الماء من النزول من الحنفية لكي ينام باطمئنان، وإذا لم نستطع القيام بذلك في الماء بادرنا لإصلاح الحنفية في أول فرصة صباحاً^١.

كان شديد الحساسية تجاه الإسراف

كان الإمام شديد الحساسية تجاه الإسراف، فمثلاً إذا كانت حنفية الماء تقطر، دق الجرس القريب منه واستدعانا لإصلاحها فوراً لكي لا يذهب الماء هدرًا فلم يكن يتحمل مثل هذا^٢.

فاضل ماء واجبات الوضوء

طلب مني أحد الأصدقاء أن أجمع له شيئاً من فاضل الماء الذي يتوضأ به الإمام للتبرك به، فنقلت طلبه للإمام ووضعت إناء تحت يديه عند الوضوء، فكان كل ما جمعته لا يملأ قنينة صغيرة من النوع الذي يستخدم لحفظ أقراص الدواء الصغيرة! تبسم الإمام لما شاهده من تعجبي لقلة هذا الماء وقال: «إن هذا هو فاضل ماء واجبات الوضوء!»^٣.

وضوء الإمام وضوء النبي (ص)

شاهدت مرتين وضوء الإمام فوجدته مطابقاً لوضوء النبي ﷺ المذكور في الروايات، فقد ذكر أنه ﷺ كان يكتفي بغسل كل من وجهه المبارك ويديه مرة واحدة، وقد أفتى الإمام - خلافاً للكثير من الفقهاء - بعدم استحباب غسل كل منها لأكثر من مرة واحدة، وأن أفضل وضوء هو وضوء النبي ﷺ الذي كان يغسل كلاً من الوجه واليدين مرة واحدة وبكفٍ واحد من الماء^٤.

إغلاق حنفية الماء بين أغسال الوضوء

رأيت - في باريس - الإمام مراراً عند الوضوء فكان يغلق حنفية الماء بعد كل مرة يأخذ كفاً من الماء لكي لا يذهب أي مقدار منه هدرًا، كما كنت أراه وهو يضع ورقة فوق غناء الماء بعد أن يشرب منه شيئاً فلا يهدر المتبقي منه بل يحفظه ليشربه لاحقاً دون أن يهتم لذهاب برودته^٥.

^١ السيد مصطفى كفاش زاده.

^٢ السيد رحيم ميريان.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي (حفيد الإمام) مجلة حضور، العدد الأول.

^٤ آية الله الشيخ القديري، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة الإمام.

^٥ السيدة مرضية الحديدجي (الدباغ)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

لا يبقي الحنفية مفتوحة

لم يكن الإمام يترك حنفية الماء مفتوحة خلال الوضوء، بل كان يفتحها ويأخذ منها كفاً ثم يغلقها ليفتحها عند الاحتياج لكف آخر^١.

كان بإمكانكم كتابة الرسالة على هذه الورقة

كان الإمام مقتصدًا جداً في استهلاك الورق، فقد كتب الشيخ الرضواني مسؤول أمور الإمام المالية وغيرها شيئاً للإمام على ظهر ظرف ورقي وبعثه للإمام فكتب الجواب على ورقة صغيرة وذيلها بالعبرة التالية: «كان بإمكانكم كتابة الرسالة على هذه الورقة الصغيرة أيضاً». ومنذ ذلك اليوم اخذ الشيخ الرضواني يجمع قصاصات الورق الإضافية ويحفظها في كيس خاص ويكتب عليها أسئلة إلى الإمام الذي كان يكتب الجواب على هذه الأوراق نفسها^٢.

صبوا الماء في الإناء بقدر ما تشربون

كان الإمام يشدد الوصايا بعدم الإسراف، فيقول مثلاً: «لا ترموا المنديل الورقي إذا كان بالإمكان الاستفادة منه مرتين، وصبوا الماء في الإناء بالمقدار الذي تشربونه لا أكثر^٣.

كان ينبغي أن تكتب هذا الأمر في ورقة مستعملة

أقام الإمام عدة أيام في كربلاء عند وصوله إلى العراق، وكان وضع بيته لا يسمح لي بالتردد والدخول عليه من غرفة الاستقبال، وكان عليّ أن أراجعته في الأعمال، لذلك كنت أكتب ما أريد مراجعته بشأنه على ورقة وأبعثها إليه، فكتب لي شيئاً على ورقة مرة، ثم رافقته وهو في طريق الذهاب إلى الحرم فقال لي في الطريق: «إنك لا تحتاط في أعمالك» وكان ذهني خالياً من أمثال هذه التدقيقات فلم أتصور أنني أخطأت، فاستفسرت منه عن مقصوده فقال: «كان ينبغي أن تكتب هذا الأمر في ورقة مستعملة»^٤.

ملاحظات المباحث العلمية على ظروف الرسائل

كان الإمام يستفيد بأقصى ما يمكن من كل شيء كالقلم، فكان يعمل بوصية الإمام علي عليه السلام: «أدقوا أفلامكم وقاربوا بين سطوركم» فمثلاً كان يستفيد من أوراق وظروف الرسائل التي تصله لأن قسماً

^١ الدكتور حسن العارفي.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

^٣ أحد أحفاد الإمام، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ١ ص: ٢٣٢.

^٤ الشيخ القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٦.

كبيراً منها - يقارب الصفحتين - يبقى خالياً والظروف لا يكتب عليها عادة سوى العنوان، فكان يجمعها ويكتب عليها ملاحظات مباحثه العلمية وهي لا زالت محفوظة عند بعض السادة^١.

لم أكن منشغلاً بعمل يحتاج إلى المصباح

كان الشيخ محمد الفرقاني يلازم الإمام ويرافقه في النجف الأشرف في أيام غياب الشيخ عبد العلي القرهي، وقد نقل لي هذه الحادثة التالية، قال: عندما سافر الشيخ عبد العلي القرهي، إلى إيران حضيت بشرف مرافقة الإمام الذي قال لي: « إذا كان لأحد عمل ضروري معي بعد صلاتي المغرب والعشاء، فيمكنكم أخذه إلى قسم الاستقبال «البراني». وفي إحدى الليالي كنت جالساً في قسم الاستقبال من بيت الإمام الذي كان قد رجع من صلاة الجماعة ودخل في القسم الداخلي لبيته، فجاء شخص كان له عمل عاجل مع الإمام، فذهبت إلى القسم الداخلي من البيت لإخبار الإمام فوجت غرفته مظلمة فأردت الرجوع إلى البراني فناداني الإمام وسألني: «هل لك حاجة؟!» فأجبت: أجل، ولكنني رأيت مصباح الغرفة مطفأً فظننت أنكم نائمون، فقال: «لا، ولكنني أطفأت المصباح لأنني لم أكن منشغلاً بعمل يحتاج إليه»^٢.

يشرب المتبقي من ماء المساء

كان الإمام شديداً في اجتناب الإسراف، فلم يكن يسمح بإبقاء مصباح المطالعة مضاء في غير وقت المطالعة، ولم يكن يوقد مصباح الممر ويعلل ذلك بالقول: «لا أستطيع أن أطفأه من ذلك الجانب». وكان يقسم المنديل الورقي إلى نصفين ويستخدم كل مرة نصفه، وكان يضع ورقة على كأس الماء بعد أن يشرب منه في الصباح ويرفض هدر المتبقي منه ويقول إن ذلك من الإسراف فيشربه في المساء^٣.

ينبغي أن تكون الإنارة كافية

يعتقد الإمام أن تكون الإنارة في الغرفة جيدة لكنه - إلى جانب ذلك - يطفى مصابيحها كلما خرج منها^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبي الرودباري، مجلة (١٥) خرداد الشهرية، العدد المزدوج: ٥ - ٦.

^٢ مجلة (پليس انقلاب) السنة ٩، العدد: ١٠٠.

^٣ السيدة زهراء المصطفوي.

لا أرضى باستخدام هاتف المكتب للأعمال الشخصية

يعيش الإمام حياة في غاية البساطة مثل حياة الأفراد العاديين، ويدقق في صرف الحقوق الشرعية رغم كثرة ما يصله منها، وقد أخبر أعضاء مكتبه مراراً وبجدية بعدم رضاه باستخدام هواتف المكتب للأعمال الشخصية، لذلك فنحن نستفيد من الهواتف العامة خارج المكتب لأعمالنا الخاصة. ولا يبقى أي مصباح في بيت الإمام مضاء دون حاجة، وقد حدث أحياناً أن الإمام يلتفت خلال اجتماعاته بالمسؤولين وغيرهم أن مصباح الحمام مضاء دون حاجة، فيقوم بنفسه ويطفئه دون أن يأمر أحداً بذلك. كما أنه يجتنب هدر حتى قطرة من الماء عند الوضوء، فهو يغلق حنفية الماء بين أفعال الوضوء. كما أنه يسعى لحث الآخرين على اجتناب الإسراف والاقتصاد في المصاريف، فكان يذكر أعضاء مكتبه باستمرار بذلك بواسطة الشيخ الصانعي، ويحاسبهم مباشرة في بعض الأحيان على تجاوز الصرف حدّ الضرورة في هذا المورد أو ذاك ويحذرهم من التكرار^١.

أطفئوا المصباح

بسبب شدة الازدحام وكثرة زائريه اضطر الإمام في سنة (١٣٥٨) هـ ش [١٩٧٩م] إلى الصعود إلى سطح منزله في قم للقاء الجماهير وشكرهم على عواطفهم الجياشة، فشهد مرة عند نزوله مصباحاً في ساحة المكتب مضاء في النهار فأمر بإطفائه فوراً^٢.

إنهم يقولون باطلاً!

كان الإمام ملتزماً بصلاة الجماعة، فكان يصلي الظهرين والعشائين جماعة في مدرسة الفيضية، فوصل يوماً قبل وقت الصلاة وجلس في إحدى غرف المدرسة، فخرج أحد الطلبة من غرفته للجلوس عنده وترك مصباح غرفته مضاءً فاعترض الإمام وقال: «لم تركتم المصباح مضاءً» فأجابه أحد الحاضرين: يقولون أن لا إسراف في الضياء، إنهم يقولون باطلاً!^٣.

يعاتب من أبقى المصباح مضاءً

كان الإمام يخرج أحياناً من غرفته في منزله في النجف ويطفئ أي مصباح يراه مضاءً ثم يعاتب في الصباح من أبقاه مضاءً دون حاجة^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرمانى، مجلة (بيام انقلاب= رسالة الثورة) العدد: ٥٢.

^٢ آية الله الشيخ التوسلي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٢.

^٣ المصدر نفسه.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، المصدر السابق، ج ٣.

يظفئ المصباح من أجل بضع دقائق

كان في غرفة الإمام مصباح أنبوبي أبيض وكان يستفيد من مصباح آخر عند القراءة، وقد رأته مراراً يخرج من غرفته باتجاه غرفة العائلة، ثم يرجع قبل الوصول، فيدخل غرفته لإطفاء المصباح الأنبوبي، ثم يتوجه ثانية إلى غرفة العائلة، رغم أنه لا يبقى فيها إلا لبضع دقائق ثم يرجع إلى غرفته^١.

ليذهبوا للصلاة في مكان آخر

كان الإمام يصلي في مسجد الشيخ الأنصاري في النجف، فطلبوا منه شراء مروحة للمسجد بسبب شدة الحر، فأبى، فقالوا له: إن الحر يؤذي الذين يأتون للصلاة في هذا المسجد، فقال: «ليذهبوا للصلاة في غيره!» فقال المرحوم الشهيد السيد المدني - وكان من الأتقياء وأنصار الإمام المواظبين على الصلاة خلفه - : سأحضر للمسجد مروحة من بيتي. فجاء بالمروحة للاستفادة منها عند إقامة الصلاة، وعندئذٍ سمح الإمام بشراء مروحة للمسجد^٢.

لا ينبغي الذهاب إلى مكان جدير بأن يزار

في سنة (١٣٣٨) هـ ش [١٩٥٩م] أصيب الإمام بمرض راجع بسببه أطباء قم، فلم يستطيعوا تشخيصه وأوصوه بالسفر إلى منطقة ذات جو مناسب يستريح فيها مدة، لأن من الممكن أن تتدهور صحته بسبب كثافة نشاطاته العلمية، فاقترح عليه بعض تلامذته الذهاب إلى كرج لقضاء أيام الصيف فيها لطيب هوائها وقربها من طهران، فيسهل عليه هناك مراجعة أطبائها. فذهب إلى كرج وأقام في منزل أعدوه له. وبعد أيام راجع طبيباً في طهران، فاتضح أنه مصاب بمرض «حمى مالطا» والطريف أنه كان يذهب إلى طهران ويرجع منها بواسطة حافلات النقل العامة، رغم أن بعض محبيه كانت لديهم سيارات خاصة وألحوا عليه بأن يستفيد للذهاب إلى طهران لكنه رفض ذلك. كما أن بعض الأصدقاء اقترحوا عليه مراراً الذهاب إلى سد كرج للترهة وإزالة التعب وكانوا يقولون إنه جدير بأن يزار فكان يجيبهم بالقول: «لا ينبغي الذهاب إلى مكان جدير بأن يزار!!»^٣.

يرفض قبول السيارة الخاصة

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان، المصدر السابق، ج ٥.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادي الأصفهاني، المصدر السابق، ج ٥.

^٣ محمد الفاضلي الاشتهاردي، المصدر السابق، ج ٦.

عندما كان الإمام في النجف كان يتنقل ماشياً ويرفض طلبات جميع الأصدقاء والمحبين الملحة، باتخاذ سيارة خاصة يتنقل بها، رغم أن الكثير من أنصاره في الكويت وغيرها كانوا يرغبون في إهداء سيارة خاصة له يدفعون ثمنها من أموالهم الخاصة وليس من الحقوق الشرعية، لكنه كان يرفض^١.

كان دائم المراقبة

قال لي الإمام يوماً: «أعطني النظارة، أريد أن أقرأ» فلما رفعتها من على المنضدة وجدت عليها شيئاً من الغبار فسحبت منديلاً ورقياً ومسحت به النظارة وأعطيتها للإمام فوضعها على عينيه، وهممت دون انتباه إلى إلقاء المنديل الورقي في سلة المهملات فانتبه الإمام لذلك وقال لي: «أيها السيد الأنصاري، إن لم تكن بحاجة لهذا المنديل فسلمه لي، فأنا أرى أنه لازال من الممكن الاستفادة منه، فلا تلقه في سلة المهملات!»

واعتقد أن الإمام كان دائم المراقبة من أجل أن لا يؤدي تسنمه لتلك المسؤولية إلى تغيير في معيشته أو يقوم بعمل يعتبر من الكماليات^٢.

يقطع المنديل الورقي إلى أقسام

يلتزم الإمام بعد هدر ما يتبقى من ماء في الكأس الذي منه فيضع على الكأس منديلاً أو شيئاً آخر لحفظ الماء المتبقي فيه. وإذا أراد استخدام منديل ورقي فصل بين طبقتيه الرقيقتين ثم يقسمها إلى أربعة أقسام يطوي كل قسم منها أربع طيات، ويستفيد من قسم واحد منها إذا أراد مثلاً مسح دهان، وقد يقسم هذا القسم إلى قسمين أو أربعة حسب المقدار الذي يحتاجه من هذا المنديل^٣!

الاستفادة من المصابيح قليلة الاستهلاك للكهرباء

إذا أحضرنا للإمام كأساً من الماء شرب منه مقداراً ووضع الكأس إلى جانبه ليشرب المتبقي منه عند الحاجة التي قد لا يشعر بها إلا بعد عدة ساعات. أما اقتصاده في الماء عند الوضوء فهو من المصاديق البارزة لدقته، فقد كان لا يأخذ أكثر من كف واحد من الماء يغسل به وجهه ويده الأخرى يغلق بها

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، المصدر نفسه، ج ١.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، صحيفة (رسالت) ١٣٧٢/٣/٩ هـ ش.

^٣ السيدة زهراء مصطفوي.

حنفية الماء وهكذا يفعل في غسله ليديه. وكان دائماً يذكر بلزوم إطفاء المصابيح الإضافية واجتناب الإسراف في استهلاك الكهرباء. وقد أخذت على عاتقي مسؤولية إطفاء المصابيح الممر طوال المدة طوال المدة التي أصيب الإمام فيها بوعكة صحية، فقد كان يوصينا دائماً بذلك ويؤكد على الاستفادة من المصابيح ذات الاستهلاك القليل للكهرباء وإن كان نورها ضعيفاً، بدلاً من المصابيح التي تستهلك كثيراً من الكهرباء وإن كان نورها قوياً^١.

وضعت شيئاً على الإناء

ذهبت يوماً لزيارة الإمام، وجلست في المكتب أتحدث مع السيد الحاج أحمد، فأخبرني بأن الإمام يشرب مقداراً من الماء الذي يقدم له يضع على الكأس شيئاً يحفظه ليشرب المتبقي منه فيما بعد، وقد قلنا له مراراً: إن من الممكن أن يتلوث هذا الماء بالميكروبات، فيقول لنا: «كلا، لقد وضعت شيئاً على الكأس لا يسمح بدخول الميكروبات ولا غيرها فيه^٢».

يؤذيني ما أراه من إسراف

ينقل الحاج السيد أحمد قائلاً: أسحب أحياناً منديلين ورقيين من صندوق المناديل الورقية، فأري الإمام يتأذي من ذلك وينهانا عن هذا التصرف. وكان هو بنفسه إذا أراد من المناديل الورقية، اخذ واحداً منها وقطعه إلى أربعة أقسام ويستخدم كل واحد منها بصورة مستقلة. كما ينقل السيد أحمد عن الإمام قوله: «يؤذيني ما أراه من تقارير تصل من عدة جهات: من الشرطة، حرس الثورة، قوات الدرك، وزارة الداخلية وغيرها، وكل منها يكتب الموضوع نفسه ويرسله لي... فلماذا تكون الاستفادة من الورق بهذه الصورة؟!»^٣.

لا مبرر لمثل هذا الإسراف

أعرب الإمام في لقاء لنا مع سماحته عن قلقه من عدم وجود انسجام بين المنشورات الخيرية، وقال: «تصدر عن المؤسسات المختلفة منشورات خيرية متعددة وبصورة مسرفة وبعضها مكررات، فأبي مبرر

^١ السيد خادم، أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور).

^٢ آية الله الشيخ محمد الإمامي الكاشاني، صحيفة (اطلاعات) ١٣٩٢/٥/١ هـ.ش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني رحمته الله، صحيفة (اطلاعات) ١٣٩٢/١٢/١٤ هـ.ش.

لمثل هذا الإسراف؟!»، ثم أمر سماحته بعقد اجتماع يضم رؤساء هذه المؤسسات بهدف الحيلولة دون وقوع مثل هذا الإسراف^١.

على مسؤولي الحج أن يجتنبوا الإسراف

قال الإمام في لقاء مع مسؤولي إقامة فريضة الحج: «يلاحظ عدم الالتزام بالاقتصاد والتشفير - بالمقدار المطلوب - في مراسم الحج بل ويقع فيه إسراف واضح. لذا على مسؤولي أن يجتهدوا في اجتناب الإسراف فهذا مما لا ينبغي السماح بوقوعه»^٢.

هذا الزيت من بيت المال

نقل لي أحد الأصدقاء الثقة أن الإمام خرج يوماً لتجديد الضوء في ساحة منزله، فرأى السيدة التي تخدم بيته تغسل القدر الذي طبخت فيه الأرز فلاحظ أن الزيت المتجمع في أسفل القدر أكثر من المقدار المتعارف، فقال لها: «لماذا أسرفت في الزيت؟». فأجبت: لا أستطيع يا سيدي طبخ الأرز بزيت قليل! فقال: «هذا الزيت من بيت المال فيجب الاقتصاد فيه»^٣.

أحفظوا الطعام لوقت لاحق

إذا بقي شيء من الطعام الذي كنت أحضره للإمام في الظهيرة، أمرني بحفظ المتبقي منه لوقت لاحق بعد بأنه طعام سالم فلا ينبغي هدره، كان دقيقاً إلى هذه الدرجة^٤.

معي مقدار من الزبيب

بعد عودتنا مع الإمام من الحدود الكويتية دخلنا فندقاً جيداً كان يتردد عليه الجانب، لذلك كان العاملون فيه يتحدثون باللغة الإنجليزية، فجاء احدهم مساء وسأل عن الطعام الذي يرغب الإمام في إحضاره له، فأجاب: «خبز ومقدار من اللبن الرائب، وأنا معي مقدار من الزبيب»! ثم أراد الإمام الاستحمام لإزالة غبار السفر وتعبه فقلت للسيد احمد: اطلبوا أن يحضروا منشفة للسيد «لا حاجة لذلك، إن مناشف هذا الحمام جيدة». قال هذا رغم ما قلته بشأن طبيعة رواد هذا الفندق^٥.

^١ السيد كمال الخرازي، صحيفة (اطلاعات) ١٣٦٢/٣/٢٣ هـ ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراي، صحيفة (كيهان) ١٣٦٠/٥/٤ هـ ش.

^٣ آية الله الشيخ حسين النوراني الهمداني، مجلة (زن روز) العدد: ٨٥١.

^٤ السيدة ربابة الباقي، خادمة في بيت الإمام مجلة (سروش) العدد: ٤٧٦.

^٥ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي، مجلة حوزة، العدد: ٤٥.

اكتفى بالخبز والجبنة

بعد عودة الإمام من الكويت إلى العراق، احتجزه الموظفون العراقيون في صفوان إلى حين وصول الإذن من بغداد بدخوله العراق ثانية. فذهب اثنان من مرافقيه إلى البصرة بحجة شراء طعام العشاء فاتصلوا هاتفياً من هناك بالنجف وأخبروا الأخوة بما جرى، ثم عادوا بمقدار من الطعام اشتمل على مقدار المطبوخ اشتروه من احد المطاعم، وعلى مقدار من الجبنة والبطيخ.

في ذلك اليوم لم يتناول الإمام شيئاً منذ طعام الإفطار في الصباح ورغم ذلك فقد اكتفى في طعام العشاء بتناول شيء من الجبنة والخبز، فسق علينا أن يكتفي بهذا ونحن نتناول الطعام المطبوخ، فقال لي السيد أحمد: إن طعام الإمام المعتاد الخبز والجبنة والبطيخ^١.

ياقة جبنة الإمام مرقوعة

كان الإمام يرتدي دائماً ملابس نظيفة، لكن اللباس الحوزوي (الجبنة) عادة ما تتمزق ياقته أسرع من باقي أجزائه، وكنا نلاحظ - عندما نحضر إلقاء الإمام لدرسه - أن ياقت جبته مرقوعة، الأمر الذي يدل على قناعته^٢.

وكذلك جواربه

لازال الإمام إلى اليوم يرتدي جوارب مرقوعة، ويقول أحياناً: «أعطوا هذه الجوارب لمن يرقها لي»^٣.
أجهزة مذياع متواضعة

كان للإمام جهازان أو ثلاثة من أجهزة المذياع من الحجم الصغير لكي يستطيع حملها وهذا هو حسنها، أما عيبها فهو أنها كانت سريعة العطب وتضعف قوة سحبها بمرور الزمان، فكان الإمام يسلم واحداً منها بين يوم وآخر تقريباً ويقول: «انه بحاجة الإصلاح» فقد كان كثير الاستماع للمذياع أثناء ممارسته رياضة المشي وفي غرفة لقاءاته وعمله وكذلك في غرفة استراحته^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا المهري، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ١٠.

^٢ آية الله بني فضل، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بالذكرى السنوية الثانية لوفاة الإمام.

^٣ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيمان.

لا يمكنني القيام بهذا العمل

في خريف عام ١٣٦٤هـ ش [١٩٨٥م] أصابت جلد ساق الإمام حالة من اليبوسة والحساسية، فزاره أحد الأطباء أحد الأطباء المتخصص بالأضرار الجلدية وفحصه ثم كتب له دواء وقال له ضمن وصفه للعلاج: ضعوا قدميكم يوماً مرة أو مرتين في مقدار من الحليب.

وكان الإمام معروفاً بالالتزام الدقيق بالعلاج الذي يصفه الأطباء، لكنه لم يتحمل هذا العلاج الذي وصفه له الطبيب هذه المرة - وضع قدميه في الحليب - فقال بلهجة حازمة: «لا يمكنني القيام بهذا العمل»^١.

هدية للسيد مصطفى بمناسبة زواجه

أتذكر أن الإمام أهدى لنجلاه الحاج السيد مصطفى بمناسبة زواجه سجادة مساحتها (٤×٣) أمتار وكانت مستعملة!^٢.

السيد لا يعطيني مالاً

لاحظت يوماً أن جوارب الحاج السيد مصطفى كانت مثقوبة، فسألته بلغة مباحة عن سبب ذلك، فأجابني: إن السيد [والده] لا يعطيني مالاً!

وكنت أعلم - بدرجة وأخرى - أن والده الإمام لا يعطي نجله السيد مصطفى أكثر من الراتب الذي يعطيه لسائر طلبة الحوزة في النجف الأشرف، وكان هذا الراتب لا يكفي بمصاريف المعيشة الضرورية إلا بمشقة^٣.

يرفض التمييز الطبقي

في السابق كان أصحاب الحمامات العامة يخصصون لروادها أماكن تناسب وضعهم الاجتماعي، ولكن الإمام لم يكن يستجيب لهذا التمييز عندما يدخل الحمامات العامة للاستحمام، بل يختار مكاناً لنفسه من الأماكن التي يستحم فيها عادة الفقراء والضعاف من أفراد المجتمع^٤.

الفصل الرابع

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ رحيمان، كتاب (في أثر الشمس) ص ٨٨.

^٢ آية الله الشيخ الخليلي، صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٧١/١/٢٧هـ ش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، صحيفة اطلاعات ١٣٥٩/٨/١هـ ش.

^٤ السيد حسين شهرزاد (جار الإمام في قم) مجلة (شاهد) العدد: ١٨٦.

اجتناب مظاهر الرأس والتعظيم لشخصه

اجتناب مظاهر التعظيم التشريفياتية

كان الإمام يتجنب الكثير من الأعمال المتكلفة والتعظيمات والتشريفات التي كانت مألوفة في بيوت مراجع التقليد مثل التردد لتقبيل أيديهم وفتح باب بيوتهم ونظائر ذلك^١.

يتأذى من مرافقة الطلبة له

بعد بضعة أيام من وصوله إلى النجف الأشرف أعرب الإمام عن رغبته في البدء بزيارة العلماء، وكان عدد كبير من طلبة الحوزة يرافقونه فيها [تكريماً له] الأمر الذي كان يؤذيه ويصرح بذلك أيضاً لكن عشقهم له لم يسمح لهم بالامتناع عن ذلك حتى أنهم كانوا يسيرون خلف العربة التي كانت تقله أحياناً لبعض هذه الزيارات^٢.

ويرفض السيارة الخاصة

عندما كان الإمام مقيماً في النجف الأشرف اشترى له أحد الإيرانيين سيارة خاصة من ألمانيا للاستفادة منها في التنقل والذهاب إلى الحرم العلوي أو لزيارة كربلاء، لكن الإمام قال بحزم: «لا أريد سيارة خاصة» فقال مشتريها: لقد اشتريتها باسمك وجئت بها من ألمانيا لأجلك، فأجابه الإمام: «إن أصبحت ملكاً لي فإني أبيعها وأوزع ثمنها على طلاب الحوزة» فرفض الرجل واشترط على الإمام أن لا يبيعها فأبى الإمام أن يقبل بهذا الشرط، وكنا قد أخبرنا الرجل مسبقاً بموقف الإمام^٣.

يتنقل وحيداً

كان الإمام يسير وحده دائماً في تنقلاته وزياراته دون مرافقين بل ويكره أن يرافقه أحد تعظيماً له كما كان يرفض التحرك ضمن موكب «موكب» من المرافقين، يقول الشيخ حسن الصانعي: رغب الإمام

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ صادق إحسان بخش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٤ ص ٣٥.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

يوماً عندما كان في قم بزيارة أحد العلماء لكنه لم يكن يعرف عنوانه فطلب مني عنوانه، فطلبت بإصرار مرافقته كدليل على الطريق لكنه رفض^١.

يتجنب مظاهر التكريم المألوفة في الحوزة

كان الإمام ينهانا عن السير خلفه - بعد إلقاء الدرس - إذا رغبتنا في ذلك ولو بحدود خمسة أشخاص فقد كان لا يحب هذا التقليد المألوف في الحوزة كأسلوب اعتاده طلبة الحوزة لتكريم العلماء. فكان يأتي للدرس ويرجع إلى المنزل وحيداً ويتجنب هذه المظاهر التشريفية التي ينظر إليها كعلامة على جلالة مقام الإنسان^٢.

لا يسمح لنا بالمشي خلفه

عندما كان الإمام يلقي دروسه في مسجد «السلامي» في قم في الأعوام (١٣٢٧-١٣٢٨) هـ ش [٤٨-١٩٤٩م] كان منزلنا بالقرب من منزله لذلك كان طريقنا للمسجد واحداً، فكنا نلتقي في الطريق في أكثر الأيام، فإذا شعر بقربنا منه سلم وسألنا عن أحوالنا ثم أمرنا بالسير أمامه، فلم يكن يسمح لنا بأن نسير خلفه، إذ كان يذهب إلى المسجد وحده دائماً^٣.

ويتوقف فور شعوره بذلك

كثيراً ما كان بعض الطلبة يلحقون الإمام بعد خروجه من المسجد إثر انتهاء الدرس إما لحاجة ما أو لسؤاله عن بعض مطالب الدرس دون أن يكون قصدهم المشي خلفه تعظيماً له، ورغم ذلك كان الإمام يتوقف فور شعوره بالأمر ويتوجه إليهم ويسألهم عن حاجتهم، لقد كان يرفض ما ألفه الآخرون من سير المرافقين خلفهم^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة في حياة الإمام الخميني) ج ١.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ صادق إحصان بخش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد علي الغيوري، مجلة (اطلاعات الأسبوعية) العدد: ٢٤٤٢.

^٤ الإسلام والمسلمين الشيخ القرهي.

يكره بشدة إضفاء الواجهة عليه

كان الإمام يكره بشدة الممارسات التي يراد منها إضفاء الجلالة والوجاهة الظاهرية عليه، وكان حازماً في النهي عن القيام بذلك، فإذا سار أحد خلفه توجه إليه ونهاه عن ذلك، ولذلك لم يكن حتى بعض أصحاب المحلات القريبة من منزله يعرفون شخصيته بدقة^١.

ليذهب السادة على مقصدهم

من الخصال التي امتاز بها الإمام رفضه الثابت لأن يحيط به جمع من الطلبة والحوزيين في الطريق حتى لو كان بهدف الإجابة على أسئلتهم فكان يجب عليها في منزله قدر الإمكان، كما كان يختار طريقاً قليل المارة للعودة إلى منزله بعد إلقائه لدروسه في السطوح العالية (الخارج) وقد حدث مراراً أن جمعاً من السادة الراغبين في مرافقته كانوا يحاولون السير خلفه لكنه كان يتوقف فور شعوره بذلك ويقول لهم: «ليذهب السادة إلى مقصدهم»^٢.

تفضلوا أنتم بالرجوع

بعد وفاة السيد البروجردي، تقرر يوماً أن أوصل الإمام لمنزل أحد العلماء الذي رغب في زيارته، وعندما خرجنا من المنزل جاءنا اثنان من السادة لمرافقتنا فقال لهما: «تفضلوا أنتم بالرجوع» ولم يرض بمرافقتي له إلا لكي أدله على منزل العالم المذكور^٣.

هل لديكم سؤال؟

حدث مراراً أننا نخرج سائرين خلف الإمام وهو في طريق عودته إلى المنزل بعد الدرس فيتوقف ويتوجه إلينا بالقول: «هل لديكم سؤال؟» ومقصوده هو: إذا لم يكن لديكم سؤال فلا تتبعوني في السير. فقد كان لا يرغب بأن يمشي خلفه جمع من الحوزيين^٤.

بعد وفاة آية الله البروجردي

سألني الإمام يوماً عن عنوان منزل احد علماء مدينة خرم آباد كان قد وصل حديثاً منها إلى قم، ورغب الإمام في زيارته، فقلت له: هل تأذنون لي بمرافقتكم إلى منزله؟ فرفض إذ أنه كان ملتزماً بعد وفاة السيد البروجردي خاصة بأن لا يرافقه أحد في تنقلاته^٥.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوئينيها، مجلة حوزة، العدد: ٣٧-٣٨.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ القرهي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣ ص ٣١٨.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد علي الفيض، المصدر السابق، ج ٤ ص ٨٤.

طوال ١٥ عاماً

طوال هذه المدة - ١٥ عاماً - لم يكن الإمام يسمح لغير الشيخ الفرقاني بأن يمشي خلفه إذا أراد الذهاب لزيارة الحرم العلوي أو إلقاء الدرس^٢.

لا يحب أن تخفق خلفه النعال

في أحد الأيام وعند دخول الإمام المسجد الأعظم في قم لإلقاء درسه جهر أحد الحاضرين بالصلاة على محمد وآل محمد ﷺ ودعا لسلامة الإمام، فتأذى الإمام من ذلك! وكان يأتي إلى الدرس لوحده ويرجع لوحده أيضاً، وإذا سأله أحد الطلبة عند خروجه عن بعض مطالب الدرس، أصغى لسؤاله بدقة وأجابه، ولكنه لم يكن يسمح لأحد بأن يرافقه، فهو كان لا يحب أن «تخفق خلفه النعال» حسب تعبيرنا نحن الطلبة^٣.

وهكذا كان حاله في النجف أيضاً

طوال إقامته في النجف الأشرف، كان الإمام متواضعاً في هيئة تنقله، فمثلاً سرنا أنا وأحد السادة خلفه يوماً فقال لنا: «ليبق أحدكما - أي منكما - ويرجع الآخر». فلم يكن يحب أن يتمايز عن الآخرين، وكان متواضعاً في الإجابة على أسئلة السائلين فإذا أجاب، كان يقف مقدماً السائل في الذهاب^٤.

لا نجراً على أن نفتح له الطريق

يروى السيد علي الشاهرودي نجل آية الله المرحوم الشاهرودي - أعلى الله مقامه - قائلاً: رأيت الإمام يوماً في حرم مرقد الإمام ﷺ وسط الازدحام وقد اشتد ازدحام الناس إلى درجة تعريضه إلى السقوط في أي لحظة بسبب ضغط الناس عليه، وكان خلفه مرافقان فقلت لهما: لماذا لا تفعلان شيئاً هل تنتظران أن يفتح الإمام لكما الطريق؟! فقالا: إننا لا نجراً على التدخل فهو لا يسمح لنا بأن نفتح له الطريق! ثم أن السيد علي الشاهرودي غضب مما رأى وسمع فألقى عباءته جانباً وأخذ يبعد الناس عن طريق الإمام بالسلام والصلوات ولكن الإمام كان يضع يده على كتفه وينهاه عن إبعاد الناس^٥.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣ ص ٣١٨.

^٢ آية الله السيد خاتم عباس خاتم البيزدي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عباس المحفوظي، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٣٣.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي، المصدر نفسه ج ٤ ص ١٥٨.

^٥ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي، المصدر نفسه ج ٤ ص ١٥٨.

أتريد أن أرجع قبل أن أزور

تشرف السيد الإمام ليلة بزيارة حرم سيد الشهداء عليه السلام في كربلاء، وكان الازدحام شديداً، وكان تدافع أمواج الزائرين يضغط عليه من كل جانب، حتى كاد أن يسقط إثر تدفق حشد كبير من الزائرين دفعة واحدة من داخل الصحن، فبسط الشيخ الفرقاني - وكان يسير إلى جانب السيد الخميني قدس سره - يده ليعبد عنه الناس، فوقف السيد الخميني قدس سره وقال معترضاً: «أتريد أن أرجع قبل أن أزور؟» فتوقف الشيخ الفرقاني عن إبعاد الناس وقالك طلا يا سيدي، لا ترجع.. أجل لم يكن السيد الخميني قدس سره يرضى أبداً أن يفتح له طريقه في الازدحام^١.

لا يرضى أن يمشي خلفه أحد ولو لبضع خطوات

كان الإمام يتمشى في ساحة المنزل فذهبت إليه يوماً لتسليمه الصحف فقال لي: «ضعها في الغرفة» ففعلت وأثناء مروري بساحة المنزل صرت في موقع يتقدمني الإمام بخطوات فكرهت أن أتقدمه فأخذت أسير خلفه ببطء ريثما يغير مسيره فأتابع أنا طريقي إلى المكتب، ولكن الإمام شعر بتحركي خلفه فوقف وفسح لي الطريق وقال: «تفضلوا» لأنه لم يكن يرضى بأن يمشي احد خلفه^٢.

اختار مسير الأزقة

كان الطلبة يمشون بعد انتهاء الدرس خلف أستاذهم الإمام فكان يغير طريقه لكي لا يقال أن مرديه كثيرون، فيمر عبر الأزقة مجتنباً الطريق الرئيسي الذي كنا نتوجه عبره إلى الحرم بعد الخروج من المسجد، وكنا نظن في البداية أن الإمام ذهب على منزله عبر تلك الأزقة، لكننا نراه فيما بعد يدخل الحرم وحينئذ نعرف أنه اختار مسير الأزقة لكي لا يمشي الطلبة خلفه^٣.

يقطب حاجبيه احتجاجاً

بعد انتصار الثورة كانت إشارة أخبار التلفزيون المسائية تشمل على لقطة يظهر فيها الإمام في وسط الجموع المزدحمة حوله، ومن دقق في هذه اللقطة لاحظ ولا شك أن الإمام قد قَطَّب حاجبيه احتجاجاً على ما كان يبدو محاولة قام بها أحد حراس الثورة لإبعاد الناس عن طريق الإمام^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين أحمد رحمت.

^٢ السيد رحيم ميريان.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني عليه السلام، مجلة (آينده سازان) العدد: ١١.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني.

تفضلوا !

كان الإمام يكره أن يرافقه أحد غير شخص واحد كان يرافقه عادة، فإذا شعر بأن أحد الطلبة يمشي خلفه وقريباً منه، توقف وقال له: «تفضلوا». ولهذه الكلمة معنيان: أحدهما إذا كان لكم حاجة فتفضلوا بالإفصاح عنها؛ وإذا لم تكن لكم حاجة فتفضلوا بالذهاب^١.

حفظ كرامة الناس

وصلنا خبر ونحن في النجف الأشرف في أواخر عام ٤٦ وأوائل عام ١٣٤٧هـ ش [١٩٦٨م] أن مجموعة جاءت من غيران وهي مكلفة من قبل الشاه باغتيال الإمام، فقررنا - بدافع الإحساس بالواجب الشرعي القاضي بحماية الإمام - أن نرافقه - وكنا في حدود سبعة أو ثمانية من الأخوة - عند ذهابه لزيارة الحرم العلوي مساءً وعند ذهابه للدرس، سرنا خلفه في الليلة الأولى وهو في طريقه للحرم؛ وبعد خطوات قليلة توقف وتوجه لنا قائلاً: «ارجعوا فترجعنا بعض الشيء في تلك الليلة عن قرارنا السابق لكننا أبلغناه بعزمنا الراسخ على القيام بذلك - رغب هو في ذلك أم لم يرغب - انطلاقاً من إحساسنا بأنه واجب شرعي علينا. وبالفعل التزمنا بذلك، وفي احد الليالي كان الازدحام شديداً في الحرم العلوي وكان الزوار الإيرانيون يتدافعون لتقبيل يد الإمام الأمر الذي كان يؤدي أحياناً إلى الضغط عليه فكنا نتدخل لفتح الطريق أمامه وإبعاد الناس عنه فكان يعترض - وهو في وسط هذه الضغوط - ويقولك «لا تدفعوا الناس»، بل كان يبعدها عن الزوار احتراماً وصوناً لهم من أدنى إهانة^٢.

ارجعوا إنني ذاهبٌ لوحدى

ذهبنا إلى كربلاء المقدسة في زيارة الأربعين في سنة ١٣٤٩هـ ش [١٩٧١م] وبعد انتهاء إقامة الإمام للصلاة مع مجموعة من أنصاره في حسينية المرحوم البروجردى، أراد الذهاب على محل إقامة القريب من حرم أبي الفضل العباس عليه السلام، وكان الازدحام شديداً، فقررنا - أنا وبعض الأصدقاء - مرافقته لحمايته من الأخطار المحتملة بسبب شدة الازدحام ولكي لا يخرج وحده، خرجنا خلفه من الحسينية، لكننا لم نتحرك أكثر من عشر خطوات حتى شعر الإمام بمشينا خلفه فتوقف وتوجه إلينا بالقول: «ارجعوا، إنني ذاهبٌ لوحدى»^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٥.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، المصدر السابق، ج ١.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الروحاني، مجلة (زن روز) العدد: ٨٥١.

الواجب أن أزوره لوحدي

قرر يوماً أن يذهب الإمام لزيارة أحد كبار علماء الحوزة، فتجمع عدد من الطلبة الذين عرفوا بالأمر قرب منزله لمرافقته في هذه الزيارة، فلما خرج ساروا معه، فالتفت إليهم ولم يقل شيئاً حتى وصل إلى منزل ذلك العالم وفتحت بابه فدخل وأغلق الباب بنفسه، وكان معنى هذا الفعل هو: «ليذهب السادة فالواجب أن أزوره لوحدي»، فتفرق السادة جميعاً وقد تعلموا من الإمام درساً في الأخلاق^١.

إن مرافقتكم لي تؤذيني

تابعت ليلة الإمام في زيارته للحرم العلوي وأنا أسير خلفه، وعندما خلع حذائه وسلمه لخدمة الحرم في مدخله ودخل الرواق الأمامي شعر بمتابعتي له فالتفت إليّ وقال: «إن مرافقتكم لي تؤذيني». فقلت: لكننا نحن أيضاً نرغب في زيارة الحرم، فقال: «زوروا في وقت آخر»، فقلت: إن واجبنا أن نحميمكم، فقال: «إذن لا تسيروا خلفي، بل راقبوا الوضع من الجانب الآخر للطريق...»^٢.

لا يحق لأحد أن يرافقتني عند خروجي من المدرسة

في سنة ١٣٤٨هـ ش [١٩٦٩م] أعطيت (٦٠) ألف تأشيرة للحجاج الإيرانيين لزيارة العتبات المقدسة في العراق، وقد اشترك عدد كبير منهم في صلاة الجماعة التي كان يقيمها الإمام في مدرسة البروجردي، وعزموا على مشايعة الإمام عند خروجه بتريد الصلوات بصورة جماعية، لكن الإمام كان يأمر كل ليلة وفور انتهاء الصلاة بإعلام الحاضرين بعدم سماحه لأحد بمرافقته عند خروجه من المدرسة، ولذلك كان الزوار يبقون في المدرسة إلى أن يبتعد عنها ثم يخرجون منها بصورة متفرقة. وقد اتخذ الإمام هذا الموقف رغم أنه كان غريباً في العراق ولا ناصر له^٣.

يمر كفرد عادي

أراد الإمام يوماً الذهاب إلى مجلس لقراءة الفاتحة، فخرج وحده مثل أي طالب حوزوي بسيط أو فرد عادي وعبر من صحن أمير المؤمنين عليه السلام في وسط ازدحام الناس الشديد بدون مرافقين وبدون ترديد الصلوات وأمثالها^٤.

^١ آية الله الشيخ القديري، صحيفة جمهوري إسلامي، الملحق الخاص بمناسبة الذكرى الثانية لوفاة الإمام.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، المصدر السابق، ج ١.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣ ص ٣١٧.

إما أن تتقدموا أو تصبروا حتى أبتعد

بعد أيام من وفاة المرحوم آية الله البروجردي، تقرر أن يذهب الإمام إلى مجلس عقد لقراءة الفاتحة على روحه، فسرنا - أنا والمرحوم الشيخ الإشراقي وشخص ثالث - خلفه، فتوقف وقال لنا: «إما أن تتقدموا أو تصبروا حتى أبتعد عنكم!» فكان دائماً يمشي وحده ويرفض أن يسير خلفه أحد^١.

لا أحب أن تستصغر شخصياتكم بمشيكم خلفي

أتذكر أننا التقينا الإمام صدفة يوماً وهو في طريقه إلى الحرم وكنا نحن متوجهين إليه أيضاً، فأخذنا بالسير، فلما شعر بنا، توقف وقال: «هل للسادة من حاجة؟»، فقلنا: كلا، لكننا نحب مرافقتكم بحد ذاتها فهي تسرنا! فقال: «شكر الله سعيكم، وأشكركم على ذلك، أنتم سادة وطلبة ومحترمون، ولا أحب أن تستصغر شخصياتكم بمشيكم خلفي»^٢.

أحبط مخطط التجليل!

زار أحد علماء إيران النجف بعد عودته من الحج، ونزل في بيت أحد العلماء، فجاء أحد الأشخاص للإمام لكي يأخذه لزيارته وكان قد خطط لإحاطة هذه الزيارة بنوع من التكريم والتجليل للإمام، فجمع عدد من الأشخاص للإمام لكي يرافقه في هذه الزيارة، فلما خرج الإمام وشاهدهم أمرهم بالانصراف، بل وأمر أحد أعضاء بيته - وهو الذي رتب مقدمات الزيارة - بالبقاء في البيت رغم شدة إلحاحه وإصراره على أن يرضى الإمام بمرافقته له، فرفض الإمام ولم يسمح لأحد بأن يرافقه سواي وسوى الشخص الذي كان يعرف عنوان منزل العالم المذكور^٣.

إقامة الإمام الصلاة في مسجد الشيخ الأنصاري

كان الإمام يقيم صلاتي الظهرين في بيته، وكان بالقرب من بيته المسجد المعروف بمسجد الترك الذي يروى أن الشيخ الأنصاري كان يصلي ويدرس فيه لذلك كان يسمى بمدرسة الشيخ، وكان يقيم الجماعة فيه أحد علماء النجف هو المرحوم السيد بحر العلوم، فلما مرض لم يستطع إقامة الصلاة في هذا المسجد المهم فطلبوا من الإمام لإقامتها فيه حتى أن السيد بحر العلوم نفسه أرسل من يطلب من السيد الإمام ذلك، لكن أخلاق وتواضع الإمام لم تسمح له بذلك، فرفض تلك الطلبات المتكررة حتى

^١ السيد محمود البروجردي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٣.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، المصدر السابق، ج ٦.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، المصدر السابق.

جاء هذا العبد الصالح السيد بحر العلوم بنفسه رغم ضعفه وكبر سنه وقال للإمام: إنني لم أذهب إلى الصلاة لو لم تذهب أنت، فقبل حينئذ، ثم إن بعض العلماء جاؤوا لمرافقة السيد الخميني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بصورة جماعية خلال ذهابه للمسجد تكريماً له، لكنه رفض وأصر على رفضه حتى بعد أن ألح عليه اثنان أو ثلاثة من العلماء أن يرافقه وحدهم لا غير^١.

اجتناب السمعة والوجاهة والزعامة

منذ البداية كان الإمام يجتنب كل عمل فيه شائبة طلب السمعة والوجاهة والزعامة، فلم يكن - مثلاً - يسمح لأحد بأن يمشي خلفه وإذا كان لأحد طلابه سؤال يعرضه عليه في الطريق كان يتوقف للإجابة عليه ثم يقول للسائل: «تفضلوا بالذهاب»^٢.

على الإنسان أن يربي نفسه قبل الزعامة

اقترح عدد من المجتهدين والأساتذة والفضلاء الذين كانوا يحضرون درس الإمام وبعد وفاة السيد البروجردي، أن يقيم الإمام مجلساً للفاتحة على روحه فكان يجيبهم: «ليقيم السادة ذلك ونحن نشارك فيه» فقطع الآمال منذ البداية وكان متحرراً من طلب مثل هذه الزعامات . . . لم يكن يجلس في المقعد الخلفي لسيارات النقل بل يجلس جنب السائق فيبعد كل شبهة محتملة، بل ولم يكن يسمح لأحد من طلبته بأن يوجه إليه سؤال خارج المسجد، وهو يقول في كتابه «الجهاد الكبير»: على الإنسان أن يربي قبل أن يصبح معروفاً أو قبل أن تكبر عمامته وتطول لحيته، وإذا لم يفعل قبل ذلك فلن يفعله بعده أيضاً^٣.

شق صفوف المشيعين فوراً

كان الإمام ملتزماً بالتنقل دون مرافقين، وغاية الأمر أنه كان يسمح لولده المرحوم السيد مصطفى بمرافقته أحياناً. وقد رأيت قبل تفجير الثورة يشارك في تشيع أحد العلماء الكبار في قم، ثم أنه شقّ طريق صفوف المشيعين فوراً وعاد لأنه عدداً من العلماء والناس التفوا حوله^٤.

يتأذى إذا أشرنا لأحد بالقيام

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي، مجلة حوزة العدد: ٤٥.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد الموسوي التبريزي، مجلة (جهاد) العدد ٣.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد الموسوي التبريزي، مجلة (جهاد) العدد ٣.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٦.

لم يكن الإمام يسمح لنا بإبعاد ولا شخص واحد عن طريقه وهو يزور الحرم العلوي في النجف، بل إنه كان يفتح الطريق بنفسه لمن كان يرافقه في الزيارة، وكان يرافقه عادة شخص واحد أو اثنان. وأتذكر أن الحرم كان مكتظاً جداً بالزوار عند دخول الإمام في ليلة العيد، فمددت يدي أمامه لكي لا يتعرض للضغط من حشود الزوار، فسحب يدي فوراً ومنعني من أن أبعد أحد الأشخاص عنه! وكان يتأذى أيضاً إذا اشرنا لأحد بأن يتخلى عن مكانه للإمام لكي يقف فيه للزيارة في حين أن معظم الأوقات التي كان يذهب فيها الإمام للزيارة كانت تشهد ازدحام الحرم بالزوار فيصعب الحصول على مكان يزور فيه، ولذلك كان أحد الأخوة يذهب للحرم قبل موعد ذهاب الإمام بنصف ساعة ويتخذ له مكاناً فيه وينشغل بالدعاء والصلاة إلى حين دخول الإمام للحرم وعندها يتخلى عن مكانه للإمام الذي لم يكن يعترض لأنه من معارفه¹.

منعني من التعرض للزوار

كان الإمام يتأذى بشدة من أن يحيط مرافقون وأمثال ذلك، وقد شاهدت بنفسني مراراً أن ضغط ازدحام الزوار كان يشتد عليه ويعتصره مع كبر سنه وضعف بدنه، لكنه رغم ذلك لم يكن يسمح لأحد بإبعاد الناس عنه وفتح الطريق أمامه، يروي المرحوم السيد «إملائي» قائلاً: - رأيت الإمام يوماً في حرم الإمام الحسين عليه السلام في وسط الزوار ولم يكن قادراً على التحرك بسبب شدة الازدحام، فسارعت لإبعاد الناس وفتح الطريق له، فتغير وجهه وتعرض لي مانعاً عن قيامي بذلك، لكنني تابعت عملي هذا، فالتفت فجأة قد غير مسيره وأعرض عن الطريق الذي فتحته له وسار باتجاه آخر وسط الجموع!².

تحمراً يده دون أن يعترض

كان الإمام حسينياً للغاية، ملتزماً بزيارة كربلاء في أيام محرم وتلاوة زيارة عاشوراء - مع ما ورد فيها من السلام واللعن مائة مرة - كل يوم، وهذا العمل كان يستغرق ساعة ونصف وكان يقوم به ت رغم كبر سنه - في الحرم الذي يشتد الازدحام فيه في هذه الأيام خاصة عند جهة الرأس الشريف حيث كان يقف الإمام للزيارة، ولذلك كان الزوار يعبرون من أمامه وعن جانبه دون أن يسمح لنا بالإشارة إلى أحد بالانتباه والامتناع عن العبور، فإذا شعر بأنني قمت بذلك قال: «ألا تريد أن أتابع الزيارة؟!». كما كان

¹ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، المصدر السابق ج 4.

² حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني.

لا يجلس أبداً جانب الجدار - كما يفعل البعض - فيأمن من ضغوط تردد الزوار، ولكي يمكنه الاتكاء على الجدار، خاصة مع كبر سنه والتعب الذي يصيبه بسبب استمرار الزيارة لساعة ونصف. وكنت أرى أحياناً أن بعض الزوار من الأعراب يعبرون عليه وهو ساجد فيدوسون كفه فأراها وقد احمرت دون أن يعترض الإمام ولا بكلمة بل ولا بإشارة^١.

دعه وشأنه

كان الإمام منشغلاً بالزيارة عندما حال بينه وبين الضريح المقدس، وكنا نعرف رفض الإمام لإيجاد مزاحمة لأحد بسببه أو التعامل بصورة تعد من مظاهر التشريف له في الحرم، لذلك سعينا إلى تنبيه ذلك الشخص بطريقة أو بأخرى بأنه حال بين الإمام وبين الضريح المقدس، فلم ينتبه، لذلك تقدمت ومددت يدي لتنبيهه - وأنا أظن أن الإمام لا يراني - فاخرج الإمام يده من تحت العباءة وأمسك بيدي وقال: «دعه وشأنه»^٢.

أنتم لا تدعوني أزور

كان الإمام يوصينا دائماً بأن نسمح له بزيارة الحرم كفرد عادي، فلم يكن يرغب بالعمل بما يشعر الناس بأن الزائر هو مرجع التقليد مثلاً، وقد حدث مراراً أنه كان يعجز عن التحرك بسبب الازدحام ورغم ذلك لا يسمح لنا بفتح الطريق له وإذا قمنا بأدنى حركة من أجل ذلك قال: «أنتم لا تدعوني أزور»^٣.

أوصل نفسه بنفسه إلى الضريح المقدس

كنت أرافق الإمام وحدي في زيارة السيدة المعصومة [فاطمة بنت الإمام موسى الكاظم عليه السلام] وكان الازدحام شديداً، ففهمت أن أطلب من الناس أن يفسحوا في الطريق للإمام لكي يزور فرمقني بنظرة حادة وقال: «دعهم وشأنهم» وشرع في الزيارة وسط الناس. فالإمام لم يكن يميز نفسه عن الناس بشيء أصلاً. وفي ذلك اليوم أيضاً استطاع إيصال نفسه بنفسه وسط أمواج الزائرين وبصعوبة بالغة وبعد مدة على الضريح المقدس حيث اخذ بتلاوة الزيارة^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أكبر المسعودي، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٤ ص ١٥٤.

تقدموا على الإمام لكي يتسع المكان

كان مسجد «السلامي» يضيق بطلبة الإمام عند إلقائه الدرس، فطلبنا منه مراراً أن يختار لدرسه مكاناً آخر أوسع، - وكان هذا رأي جميع السادة الطلبة ولم يكن هدفهم من هذا الطلب الرعاية له - ولكنه كان يرفض هذا الطلب ويقول: « تقدموا على الإمام قليلاً لكي يتسع المكان للبقية». وبقي يلقي درسه من على المنبر وبعض الطلبة يجلسون على الرفوف حتى أقنعه الشيخ نصر الله الخليلي - وكان من أنصاره - بالتدريس في المسجد الأعظم بعد طول إلحاح، لأنه كان يجتنب الحضور في أي مكان إذا كان يفسر مثلاً بأنه استعراض لسعة النفوذ والوجاهة^١.

اجتناب الحضور في المحافل الاجتماعية بهيئة مميزة

كان الإمام يجتنب الحضور في المحافل الاجتماعية بالهيئة المألوفة لحضور سائر العلماء بها؛ بل وكان بعضهم يهتم بالظهور بها فقد كان فيه ميل للعزلة والاجتناب الظهور، فمثلاً كان متعارفاً في قم أن يزور الطلبة علماء الحوزة في الأعياد، لكنه كان لا يولي أهمية لذلك، وأتذكر أننا - أنا والشيخ حسن الصانعي والشيخ الرباني الأملشي وبعض الأخوة الآخرين الذين كنا نشكل مجموعة خاصة أيام الدراسة - قد سعينا كثيراً لإقناع الإمام بالقبول بإقامة تلك المراسم لكي يتمكن الطلبة ومحبيه من زيارته أيام الأعياد، وبالغنا في الإلحاح عليه للقبول إلى حد التجراً عليه، بمعنى أننا عاودنا الذهاب إليه من أجل ذلك حتى أجبرناه على القبول دون أن يقنع، لكنه على أي حال لم يسمح بإحاطة ذلك بمظاهر خاصة^٢.

لا يوجد من يتولى القيام بالترتيبات اللازمة

كنا - الشيخ الرفسنجاني وأخي آية الله الشيخ يوسف الصانعي والمرحوم الشيخ الرباني الأملشي وأنا - نحضر درس الإمام، وكنت والشيخ الرفسنجاني والشيخ الأملشي نجلس في المقدمة على بعد متر واحد من الإمام الذي كان يجلس متربعاً طوال مدة الدرس:

وكان من المتعارف أن يجلس المراجع وكبار العلماء في الأعياد ووفيات الأئمة لاستقبال الزائرين، لكن الإمام كان يجتنب ذلك، فكان يعود فور انتهاء إلقائه الدرس إلى منزله، وإلى اليوم التالي رغم أن مجلس درسه كان كدرس آية الله البروجردي في كفيته وكمية الحاضرين فيه. فطلبنا نحن الثلاثة - منه - وبعد انتهاء الدرس ت أن يجلس لاستقبال الزائرين في الأعياد، وكان المتحدث نيابة عنا الشيخ

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٦.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني رحمته الله، مجلة ندا العدد الأول.

الرفسنجاني الذي قال: - إننا نرغب - يا سيدي - في زيارتكم يوم العيد القادم وكذلك حال بقية طلبتك ومحبيك. فرفض الإمام بشدة رغم طول إلحاحنا؛ لكننا عاودنا المحاولة بعد أيام فأجابنا - في مواجهة هذا الإلحاح -: «لا يوجد من يتولى القيام بالترتيبات اللازمة» فأجبناه: نحن نتولى ذلك! وبالفعل ذهبنا - الشيخ الرفسنجاني والشيخ الأملشي وأخي الشيخ يوسف وأنا - إلى بيته في أول عيد في الصباح الباكر وأكملنا ترتيب الأمور على الظهيرة^١.

هل لدينا ما نجيب به رسول الله

سعى بعض الحوزويين في النجف على وضع برنامج معين تحت غطاء رعاية مراتب مراجع التقليد، في حين كان الهدف الحقيقي الحط من مكانة الإمام وموقعه الاجتماعي، فشق ذلك على الأصدقاء وأمروني واثنين من الأخوة بعرض هذا الأمر على الإمام نيابة عنهم، فقلت له - وكنت أكثر صراحة بالتحدث معه - : لكل مجتمع أعراف وتقاليد لا إشكال في رعايتها يظهر، ومكانتكم الاجتماعية تجعلكم ملكاً لعامة المسلمين، فيجب حفظ هذه المكانة من أجل الإسلام في حين أن أولئك السادة يريدون الحط منها أو المس بشخصيتكم - لا سمح الله - حسب أوهامهم بهذا البرنامج، لذا فإننا نطلب منكم عدم القبول بهذا البرنامج استناداً إلى الأعراف الحاكمة في هذا المحيط [الحوزة].

وبعد انتهاء كلامنا نقل الإمام قصة جعلتنا نحس بالضعة والخجل في مقابل عظمة روحه. قال: «كانت الأزقة في السابق مظلمة بسبب عدم وجود الكهرباء، وكان أحد السادة يتوجه إلى أحد المجالس وامامه يسير شخص يحمل فانوساً ينير له الطريق طبق ما هو متعارف في ذلك الزمان، فصادف في طريقه سيداً آخر كان يذهب على المجلس نفسه، فابتعد عنه بمقدار لا يعرف من يراهما ان له شخصاً مخصصاً لحمل الفانوس ضمن حاشيته ليظهر بذلك وجاهته!» وبعد نقل هذه القصة قال الإمام: «إذا زوجنا يوم القيامة في صف واحد في حضور رسول الله ﷺ وسألونا عن مثل هذه الأعمال، فهل أعد السادة جواباً عن قيامهم بتقديم هذا وتأخير ذلك؟! هل لدينا ما نجيب به رسول الله ﷺ إذا سألنا يومذاك عن مثل هذه الأمور الاعتبارية التي يهتم بها السادة!» ثم قال: «لينفذ السادة البرنامج الذي أعدوه»^٢.

^١ آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهورية إسلامي، بتاريخ ١٨/٣/١٣٧٣هـ.ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد الكريمي، مجلة (باسدار لإسلام) العدد: ٨.

لا تلتصقوا بي هذه العناوين

عقد اجتماع في الأيام الأولى لوصول الإمام على باريس بحضور حجة الإسلام الحاج السيد أحمد، وبني صدر، وقطب زاده، والدكتور اليزدي، والمرحوم الإملائي وغيرهم، للبحث بشأن إدارة وتنظيم أمور مكتب الإمام في باريس وتنسيق نشاطاته، وتم تشكيل لجنة باسم «لجنة اتخاذ القرارات» وكذلك لتعيين شخص مسؤول لكل جانب من نشاطات المكتب، مثل ترتيب محل الإقامة، الإطعام، ترتيب اللقاءات الصحفية، الترجمة، الاتصالات الهاتفية وغير ذلك، وقررت اللجنة أولاً إصدار بيان يتضمن توضيحات بشأن أسباب ومجريات هجرة الإمام من النجف الأشرف إلى الكويت ثم على باريس. وقد كلفوني بكتابة هذا البيان لأنني كنت قد رافقت الإمام في هذه الرحلة، فكتبت البيان المطلوب ولكن وقع اختلاف بين أعضاء اللجنة بشأن من يصدر البيان باسمه، هل يصدر باسم شخص معين أم باسم رئيس مكتب الإمام، أم باسم لجنة اتخاذ القرارات، أم باسم المكتب الخاص، أم بأسماء مرافقي الإمام وحاشيته. ثم عرض نص البيان على مع العناوين المقترحة لمن يصدر باسمه على الإمام، فأجرة على نصه بعض الإصلاحات وأعرب عن رأيه بشأنه ثم قال: «أنا رجل دين وطالب علم أنجز أعمالي بنفسه فلا تلتصقوا بي لا عنوان هذه اللجنة، أو المكتب الخاص ولا غير ذلك»¹.

ابتعدوا كأنكم تزفون عروساً

كان ازدحام الناس شديداً للغاية في مدرسة الفيضية وما حولها في ذلك اليوم الذي ألقى الإمام خطابه التاريخي، فقد تدفقوا على قم من الكثير من المدن القريبة والبعيدة ولعل انتقال الإمام وسط الجموع المحتشدة من باب المدرسة إلى إيوانها الذي ألقى منه ذلك الخطاب، قد استغرق يومذاك قرابة الساعة. وقد خشينا أن يؤدي رجوعه من الطريق نفسه إلى إلحاق صدمات شديدة به لذلك قررنا إخراجه - بعد انتهاء الخطاب - من باب المدرسة المتصلة بصحن السيدة المعصومة، ولكنه رفض ذلك وقال: «كلا ارجع من حيث أتيت» فتوسلنا بالشيخ الإشراقي وكرر هذا الطلب منه فكرر الإمام رفضه. ولم نلتفت في البداية إلى أن من المحتمل أن يكون هذا الرفض بهدف قطع الطريق على تصور بعضهم بأنه ألقى هذا الخطاب العنيف ثم خرج من الباب الخلفية، فلما انتبهنا لذلك قال له بعض الأصدقاء: إن الجميع يعرفونك يا سيدي، ويعرفون أنك لست الذي يقول شيئاً ثم يتوارى، ولكن جميع الشوارع المحيطة مليئة

¹ صحيفة جمهورية إسلامي، بتاريخ ١٨/١١/١٣٦٣هـ.ش.

بالناس فلا يمكن للسيارة أن تتحرك فيها، فقبل الإمام حينئذ بتغيير مسيره، وعندما خرج من تلك الباب لحقت به مجموعة كبيرة من الجماهير للسلام عليه فحمله عدد من الرجال الأشداء من متديني طهران لينقلوه بسرعة عبر صحن المسجد الأعظم إلى الجسر الحديدي ليركب السيارة هناك، فضغط الإمام على أيديهم بعصية ودفعها قائلاً: «ما بالكم؟ كأنكم تزفون عروساً»^١.

الأهالي هم الذين يحرسونني

ظهرت في الأيام الأولى لإقامة الإمام في قم [بعد انتصار الثورة] مشكلة فيما يرتبط بحمايته وتوفير الأمن له، وهي انه كان لا يسمح بأن يرافقه حرس مسلحين ويكرر القول: «لا أريد حارساً مسلحاً» في حين كان يذهب في الليالي لزيارة فضلاء الحوزة وعوائل الشهداء، وكان أهالي قم يسارعون للخروج من منازلهم فور معرفتهم بمرور الإمام من أحد الأزقة والشوارع فيحيطون بسيارته ويصعدون سقفها بحيث يصعب على السائق قيادتها، ورغم ذلك كان الإمام يقول: «لا حاجة لأن يرافقني الحرس، الأهالي هم الذين يحرسونني»^٢.

يجتنب صدر المجالس

كنت أرى الإمام - قبل أن يفجر ثورته - يجلس حيثما وجد مكاناً في أي مجلس يدخله، وغالباً ما كان يجلس قرب الباب وفي وسط عامة الناس، على العكس تماماً من الآخرين الذين لا يجلسون إلا في صدر المجلس ولو كان ممثلاً. لقد كان الإمام يجتنب دائماً صدر المجالس^٣.

أزاح البساط الخاص قبل درس الأخلاق

في بعض السنين كان الإمام يقضي فصل الصيف وأيام تعطيل حوزة قم، في مدينة محلات، وكان يلقي درساً في الأخلاق في مسجدها الجامع قبل غروب الشمس، وكذلك في شهر رمضان المبارك، فجاء يوماً إلى المسجد ووجد أنهم قد فرشوا له بساطاً، فأزاحه فوراً وجلس على سجاد المسجد كسائر الحاضرين وشرع في إلقاء الدرس^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد عبد المجيد الإيرواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٥.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، المصدر نفسه ج ٢.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، المصدر السابق ج ١.

^٤ آية الله الشيخ التوسلي، المصدر السابق ج ٢.

هل يتنقل الإمام بهذه البساطة؟!

وصلت صحفية إلى قم - بعد انتصار الثورة - قادمة من لندن، وكانت تعرفني من أيام إقامتي في لندن، فجاءت إلى بيتي وطلبت بإلحاح أن أرتب لها لقاء مع الإمام، فاتصلت بالمرحوم الإشرافي هاتفياً، وأخبرته بطلبها، وذكرت له أن لديها أسئلة كثيرة تريد توجيهها للإمام، فلم يوافق على الطلب، فزارنا الإمام في منزلنا بعد أيام وقد صادف أن هذه الصحفية كانت في ضيافتنا أيضاً! ومع مجيء الإمام وجدت الجواب على جميع أسئلتها، ثم سألتني: عجيب ما رأيت! هل إن الإمام يزور الناس بهذه البساطة؟!، فقلت لها: نعم إنه يزور منزل الطلبة العاديين أيضاً. فقالت: هذا الرجل الذي اوجد كل هذه الوقائع في العالم يأتي إلى هنا دون أي ترتيبات خاصة، إن هذا لأمر عجيب! لقد أوجدت مشاهدتها لهذه البساطة مودة خاصة، في قلبها للإمام؛ خاصة وأنها كانت قد شاهدت عن قرب المواكب الملكية ومراسمها المعقدة.

وبعد ذهابه، تدفق الجيران على منزلي ليتبركوا بشرب الماء بالكأس الذي شرب منه الإمام، واستمر الحال على ذلك لأكثر من أسبوع، فكنا نصب الماء في هذا الكأس والناس يشربون به، بل وجاءنا أناس من طهران وقالوا: سمعنا أن الإمام قد زاركم! فكانوا يمسحون أيديهم على حلويات قدمناها له ويشربون بالكأس الذي شرب به^١.

لا حاجة لوضع المصباح هنا

كان يفصل بيت الإمام في النجف عن الشارع الرئيسي زقاقان مظلمان فأمرني المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي بشراء مصباح ونصبه على واجهة منزل الإمام لينير له الزقاق، ففعلت، ولكن ما أن وقعت عين الإمام عليه سألتني: «هل أنت الذي نصبت هذا المصباح» فقلت: نعم، فقال: «لا حاجة إليه ولا ضرورة له» فهو لم يكن يحب أن يتمايز عن باقي الناس بشيء^٢.

لا فرق بيني وبين الآخرين

هطلت الأمطار مدة في ضاحية «نوفل لوشاتو» أيام إقامة الإمام فيها وكان الإمام يقيم الصلاة في غرفة على سطح المنزل وكان الداخلون إليها يخلعون أحذيتهم عند بابها حيث تجمع مقدار من ماء المطر

^١ حجة الإسلام والمسلمين أحمد الصابري الهمداني، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣ ص ٢٧٦.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي.

وصارت أرضها رطبة، فقلت للإمام: الأرض رطبة يا سيدي، والمطر مستمر فاخلع نعليك داخل الغرفة! فتبسم وقال: «وما يفعل الآخرون؟ إنني مثلهم أفعل ما يفعلون» فخلع نعليه خارج الغرفة ودخل للصلاة^١.

لم نجد أثراً لتلك المراسم

في العهد الملكي، ذهب الإمام مرة لزيارة مشهد الإمام الرضا عليه السلام بواسطة حافلة نقل عامة كبيرة وصادف أن كنت أحد ركابها، وكنت يومها طالباً شاباً لكنني كنت أعرف مكانة الإمام العلمية والاجتماعية، فرأيت في غاية البساطة، فمثلاً عندما وصلنا إلى مدينة سمنان توقف الباص مدة، فتناول الإمام طعامه ثم جد وضوءه وفرش عباءته وجلس عليها ثم استراح قليلاً، فتصوروا كيف يكون تأثير هذا السلوك المتواضع لأحد أساتذة الحوزة ومجتهديها العظام؟! كان واضحاً لكل ذي عين أن عمله خالصاً لله تعالى. وعندما توقف الباص عند مرقد «الخواجة ربيع» نزل الإمام مثل بقية المسافرين وزار المرقد ورجع. وقد أثارت بساطته إعجابنا جميعاً، فقد كنا نتصور أن الإمام لو أراد السفر على مشهد فلا مناص من إحاطة سفره بمراسم خاصة، لكننا لم نجد أثراً لهذه المراسم^٢.

لا ترفعوا أصواتكم بالصلوات من أجلي

كان الإمام يقضي صيف بعض السنين في مدينة محلات، وقد طلب منه علماءها - الذين كانوا يكونون له الاحترام - عندما وصلها في صيف سنة (١٣٢٥) هـ ش [١٩٤٦م] أن يتصدى لإمامة صلاة الجماعة في مسجد يخصصونه له لكي يستفيد الأهالي من بركة وجوده، فلم يقبل وقال: «دعوني وشأني، وواصلوا أنتم مهامكم. وبعد أيام من دخول شهر رمضان جاؤوه مرة أخرى وقالوا: لقد رفضتم إمامة صلاة الجماعة، فلا ترفضوا طلبنا بأن تلقوا درساً يستفيد منه الطلاب، وبعد إلحاح وافق الإمام على الطلب الثاني فكان يلقي في الساعة الخامسة بعد الظهر درساً في مسجد وسط المدينة، حيث كان يجلس على الأرض عند أحد أعمدته ويلتف المستمعون حوله.

وقد رأيت في هذا الدرس عبرتين لا أنساهما ما حييت. الأولى أن جمعا من علماء المدينة حضروا الدرس في اليوم الأول فقال لهم الإمام بعد انتهائه: «إذا أردتم حضور هذا المجلس العام فإني سأعطله! ينبغي حفظ مكانتكم عند الناس». أما الثانية فهي أنه كان من المتعارف أن ينادي أحد بأن يرفع الناس

^١ السيد مصطفى كفاش زاده.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين أحمد الصابري الهمداني، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣ ص ٢٧٠.

أصواتهم بالصلوات على النبي وآله - إذا دخل عالم المسجد وذلك تعبير عن الاحترام لعلماء الدين، وهذا ما فعله احدهم عند دخول الإمام المسجد في اليوم الأول، فاستدعاه الإمام وقال له: «إذا كنتم ترفعون أصواتكم بهذه الصلوات من أجل النبي الأكرم، فارفعوها في غير وقت دخولي المسجد، وإن كنتم ترفعونها من اجل دخولي المسجد فإنني لست راض بذلك».

وأذكر موعظة للإمام في هذا الدرس حيث قال بلغة واضحة للغاية: «أيها الأخوة المسلمون الأعزاء، إذا وجدتم نفوسكم تتغير ويصيبها التفاخر والتعالي عند ارتداء السروال والمعطف الجديد المعد من الصوف، ففكروا في مصدر تهيئة قماش هذه الملابس الصوفية الفاخرة، أليست معدة من الصوف الذي كان يغطي بدن الخروف دون أن يوجد فيه تفاخراً أو غروراً، فكيف يصيبكم بذلك إذا حيك وصبغ وخيط وتحول إلى سروال، ومعطف؟! فأأي ذلة أو شقاء أشد من أن نفرح بمثل هذه الأشياء التافهة¹.

أزاح العبادة الصوفية وجلس مثل طلبته

كان مسجد السلماسي محل تدريس الإمام في قم، وهو مسجد متواضع كان يفرش بنوع من السجاد الرقيق الذي يعتبر الجلوس عليه في الشتاء البارد نوعاً من الرياضات النفسانية! فتباحث طلبة الإمام بهذا الشأن وقالوا ليس صحيحاً أن يجلس الإمام على هذا السجاد البارد؛ فقام أحد الطلاب وفرش عباءته الصوفية - بعد أن طواها عدة طيات - في المكان الذي يجلس فيه الإمام عادة عند إلقاء الدرس الأمر الذي أدخل السرور على جميع الحاضرين باستثناء الإمام الذي تغير وجهه عندما دخل وشاهدها، فأزاحها عن مجلسه وجلس مثل بقية الطلبة على السجاد البارد، وكانت آثار عدم الارتياح ظاهرة على وجهه طوال إلقائه الدرس².

ويجلس حيثما وجد مكاناً خالياً

عندما كان الإمام في النجف كان يجلس في أي مكان يجده خالياً في أي مجلس يدخله في حين أن المتعارف هو جلوس أساتذة الحوزة والمجتهدين في صف واحد متميز، ولم يكن يستجيب لدعوات البعض بالجلوس في الصدارة في حين كان البعض يضيق على الآخرين من أجل الجلوس في ذلك الصف وفي صدر المجلس. وكان الإمام يطوي أحيانا القاعة التي يقام فيها مجلس الفاتحة لكي يجلس

¹ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ سرور المحلاتي، صحيفة جمهوري إسلامي، العدد الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام.

² حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، صحيفة جمهوري إسلامي، بتاريخ ١٣٦٨/٤/٧ هـ.ش.

في المكان الخالي، ثم يشرع بتلاوة القرآن فور جلوسه ثم يسأل الجالسين حوله عن أحوالهم ثم يقوم ويذهب على منزله^١.

اختار المسجد المتروك محلاً لدرسه

بعد وصول الإمام على النجف الأشرف بدأت زيارة علماء الحوزة وطلابها له، ثم أخذ بزيارة زائريه فيما بعد، وبعد شهرين كثرت الطلبات التي تدعوه للبدء في التدريس واقترحوا عليه التدريس في مدرسة آية الله البروجردي التي كان يقيم صلاة الجماعة فيها لكنه - وبعد دراسة الموضوع باستيعاب - اختار مسجد المرحوم الشيخ الأنصاري - وكان متروكاً - محلاً لإلقاء دروسه^٢.

يرفض تمييزه عن الآخرين

في الأيام الأولى لإقامة الإمام في النجف، كنت افرش له أحياناً «بطانية» في محل جلوسه في بيت الاستقبال «البراني» فكان يقول: «لا حاجتي لي بها أزحها» فيجلس على السجاد كالأخرين لأنه كان يرى في الجلوس على هذه البطانية نوعاً من التمييز له وهذا ما لم يكن يرضى به. ثم أصبح من المتعارف في النجف فرش «منادر قطنية» في المجالس، ففرشنا بعضها في براني بيت الإمام^٣.

ينظف غرفته بنفسه

تولى الإمام - منذ اليوم الأول لإقامته في باريس - مهمة تنظيف غرفته بنفسه ورفض طلبات الآخرين الملحة بأن يقوم غيره بذلك. وكان يعيش طوال إقامته في نوفل لوشاتو الحياة البسيطة التي ألفها فلم يغيرها وظل يتجنب المظاهر التجليلية رغم أن صورته أصبحت تصدر الصفحات الأولى للصحف العالمية وكان مراسلوها يتسابقون لإجراء المقابلات الصحفية معه^٤.

هل أنهم يريدون استقبال كوروش؟!

اتصل الشهيد المظلوم الدكتور السيد البهشتي ممثلاً للجنة استقبال الإمام المستقرة في طهران عبر الهاتف بمكتب الإمام في باريس وكنت مسؤول المكتب والاتصالات الهاتفية، وطلب أن نطلع الإمام على أن اللجنة قررت القيام بجملته من الأمور لمراسم استقباله، مثل فرش المطار بالسجاد ونصب

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، مجلة (ندا) العدد الأول.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٦.

^٤ مراسل صحيفة اطلاعات الموفد إلى باريس، صحيفة اطلاعات ١٤/١١/١٣٧١ هـ.ش.

مصايح الزينة ونقل الإمام من المطار إلى مقبرة «جنة الزهراء» بواسطة طائرة عمودية، وغير ذلك من الإجراءات، فذهب وأخبرت الإمام بذلك وكان يصغي بدقة لحديثي - وهذه سيرته في الإصغاء لمن يحدثه - دون مقاطعة ثم يعطي رأيه بعد انتهاء كلام المتحدث - فلما أتممت كلامي قال بلهجته الصريحة والحاسمة التي يتميز بها - : «اذهب وقل للسادة: هل أنهم يريدون استقبال «كورش»؟ لا حاجة لكل هذه الإجراءات، إن الذي خرج من إيران وهو طالب حوزوي هو نفسه الذي يريد العودة إليها الآن. إنني أريد أن أكون بين أبناء أمتي وأسير معهم ولو كان مصيري السحق»^١.

لم يسمح لنا بتجفيف عرقه

بعد أن تم خطابه التاريخي في جنة الزهراء، نقلنا الإمام بمشقة بالغة إلى سيارات الإسعاف وكان العرق يتصبب منه بكثافة بسبب شدة الازدحام، فأردنا تجفيفه بالغاز الطبي المخصص لذلك، فلم يسمح لنا بذلك ومسح جبينه بمنديل أخرجه من جيبه^٢.

لن أترك هذا المكان مهما حدث

بعث الجيش وفداً إلى جمران لترتيب مكان لهبوط طائرة الهليكوبتر قرب منزل الإمام لنقله بسرعة إذا وقع ما يستدعي ذلك، فلما سمع صوت المكنائ التي كانت تقوم بتسوية قطعة ارض صغيرة قرب منزله سأل: «ما الذي يفعلون» فآخبروه بالأمر فقال: «ومن أمرهم بذلك؟» فاحتملوا أنني أنا الذي سمعت في ذلك، فقلت: لا علاقة لي بذلك، إن القرار اتخذه الأخوة قادة الجيش. فاستدعى الإمام السيد الخامنئي وكان ممثله في الجيش وقال له: «إنني غير راض بالقيام بهذا العمل، واعلموا أنني لن أترك هذا المكان مهما حدث» فتوقف العمل فوراً وتركت تلك القطعة من الأرض على حالها^٣.

إذا أردتم أن أبقى هنا فلا تزينوا الحسينية

كانت حياة الإمام بسيطة في جميع أبعادها، بل وقد كان حريصاً على بساطة كل ما يرتبط به أيضاً، فمثلاً لم يكن يسمح بتزيين حسينية جمران - رغم أنها مرتبطة بالدرجة الأولى بالإمام الحسين عليه السلام فمرة أرادوا

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور، صحيفة كيهان بتاريخ ١٤/٤/١٣٦٨ هـ.ش.

^٢ الدكتور حسن العارفي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني، صحيفة (جمهوري إسلامي) ملحق خاص بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام.

تبييض جدرانها بالجص فقال لهم: «إذا أردتم أن أبقى هنا فلا تقوموا بذلك». وعندما عرف أنهم يريدون فرش أرضها بالكاشي، قال بانفعال: «سأذهب من هنا»^١.

اصبروا حتى أموت...

دخل الإمام يوماً حسينية جمران لاستقبال جموع من الزائرين وشكرهم على عواطفهم الجياشة، وعندما كانوا يرددون شعاراتهم توجهت عينا الإمام إلى الطابق العلوي في الحسينية واخذ يحدق في تغيير طراً عليه، ثم شكر الناس، وانتهى اللقاء ودخل فوراً على غرفته وقال بعصبية: «ما ذا تفعلون بالحسينية» فقال السيدان الرسولي والصانعي: نبيضها بالجص، فقال باللهجة نفسها: «اصبروا حتى أموت، ثم أتموا هذا العمل بدون إذني! فلا يحق لكم القيام بعمل بدون إذني في محل عيشي ما دمت حياً» فأوقفنا العمل فوراً وقلنا للبناء: لقد أصبحت مواصلة تبييض الحسينية عملاً حراماً. ولا زال تبييضها ناقصاً إلى الآن يمكن للزائرين ملاحظته^٢.

يرفض إنشاء الغرف الأمنية

أصرّ طبيب الإمام، الدكتور عارفي على إعداد غرفة صغيرة للمراقبة الطبية الخاصة (C.C.U) في جمران: لكي لا نضطر لانتظار سيارة الإسعاف لنقل الإمام إلى المستشفى في الحالات الطارئة؛ بل يمكننا معالجته هنا لمدة يوم أو يومين، وكان نتيجة هذه الفكرة إنشاء هذه المستشفى الصغيرة للقلب في جمران، ولم نأخذ شيئاً من بيت المال أو سهم الإمام لإنشائها؛ بل قمنا بذلك بأنفسنا لأن الإمام كان يرفض إنشاء مثل هذه الغرف العلاجية أو الأمنية^٣.

من هنا ينفذ الشيطان للإنسان

طلبت يوماً من الإخوة حرس الثورة المستقرين في بيت الإمام لحمايته أن ينصتوا ساجاً للشرفة المطلة للبيت، وأثناء قيامهم بذلك جاء الإمام وقال: «يا احمد، ماذا يفعلون هؤلاء؟»، فقلت: لقد طلبت منهم نصب هذا السياج حفظاً لحياة علي [حفيد الإمام] فهو يصونه من الوقوع من الشرفة، وهذا أمر مألوف

^١ آية الله الشيخ التوسلي، مجلة حوزة، العدد: ٤٥.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، صحيفة (رسالت) ١٣٧٢/٣/٩ هـ ش.

^٣ السيد مصطفى كفاش زاده.

في مثل هذه المنازل؛ فأجابني: «من هنا ينفذ الشيطان للإنسان، يقول له أولاً: إن بيتك بحاجة لسياج ثم لصبغ، ثم يقول له: إن بيتك صغير لا يناسبك، فما يزال به حتى يسيطر على قلبه تدريجياً دون أن يشعر»^١.

لقد قمتم بعمل عبثي

عندما أردنا تصوير صلاة الجماعة التي أقامها الإمام بحضور مسؤولي الدولة وعوائل الشهداء في شهر رمضان المبارك، دخلت عليه للاستئذان منه وكان يتلو القرآن في ساعته المحددة طبق برنامجه اليومي، وطلبت منه أن يأذن لي بتصوير ذلك وأخبرته بأننا أعددنا الوسائل اللازمة لذلك، فقال وقد أطرق بوجهه الذي ظهر عليه الأذى وعدم الارتياح: «لقد قمتم بعمل عبثي إذ أعددتكم وسائل التصوير!» وعندما عرفت أنه لن يأذن لنا بذلك فقلت بالتماس: يا سيدي لقد تحملنا مشقة من اجل ذلك وضيفك يرغبون في أن تأذن بذلك. عندها أذن مضطراً وبدون رغبة^٢.

وأنا في أيام عمري الأخيرة

كانت لقاءات الإمام بمسؤولي الدولة والشخصيات الأخرى تتم في غرفة صغيرة لا تتجاوز أبعادها (٤×٣) أمتار، ولم يكن أحد يعرف محتوى المباحثات التي تجري خلالها، وقد وصلتنا طلبات متعددة من الناس بأن نسجل هذه اللقاءات التي كانت تعقد من سياسية محلية وعالمية أحياناً، من أجل حفظها للتاريخ، لكننا كنا نعلم بان الإمام لن يسمح لنا بذلك ولن يرضى بنصب كاميرات التصوير في غرفته لأنه كان يعتبر ذلك نوعاً من المظاهر التشريفياتية.

وكنت على مدى سنة تقريباً أتحدث مع الإمام - بين الحين والآخر - حول ضرورة هذا الأمر حتى وافق في النهاية، فاستثمرنا فرصة يومين أو ثلاثة لم يكن في برنامج الإمام خلالها لقاءات، وقمنا بمعاونة الأخوة في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون بنصب أجهزة التصوير في الغرفة. ثم دخل الإمام في صباح اليوم التالي طبق البرنامج المحدد للقاءاته إلى هذه الغرفة، فوقعت عينه على سقفها فشاهد أجهزة التصوير ومنها مصباح ذا قدرة عالية (بروجكتر) فلم يرتح لذلك وقال: «أخرجوا هذه الأجهزة من غرفتي اليوم، ولا تنصبوا لي - وأنا في أيام عمري الأخيرة - مثل هذه الأمور التشريفياتية فلست بحاجة إليها»، فطلبنا - مضطرين - من موظفي التلفزيون أن يجمعوا أجهزتهم، وقد بقيت آثارها في سقف الغرفة فأردنا أن

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (رسالت) ١٣٧٢/٣/٩ هـ.ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانى، نشرة خاصة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام الخميني.

نظليه بالدهان، فخشينا أن يعترض علينا الإمام بالقول: لقد خربتم السقف دون مسوغ وتريدون الآن إصلاحه، لذلك استأذنا منه أن نقوم بذلك فقال: «لا حاجة لذلك». ولا تزال هذه الآثار باقية في الغرفة على اليوم^١.

الفصل الخامس

الشفافية ورفعة الذوق

كان مميّزاً عن باقي طلبة الحوزة

عندما بلغ الإمام ثلاثين سنة، أصبح من مدرسي الحوزة المعروفين، ولقد كان منذ البداية مميّزاً عن باقي طلبة الحوزة، كان وسيماً للغاية نظيف الملابس ومنظماً في أعماله^٢.

مجتنباً للرياء والسمعة والتظاهر

لعل ابرز صفات الإمام - في تصوري - هي شدة اجتنابه للرياء والسمعة والتظاهر. كان يرتدي دائماً الملابس النظيفة، فلا أتذكر أنني رأيت ولو بقعة صغيرة من الوساخة عليها، وكان ملتزماً بأن يكون حذاءه نظيفاً وكذلك جواربه، وكان يحفظ عمامته مرتبة وقميصه متناسقاً. فيخرج بهيئة جميلة مرتبة^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانى، نشرة صحيفة رسالت، ١٣٧٢/٣/٩هـ ش

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الصادقي الطهراني.

^٣ آية الله الشيخ جعفر السبحاني.

الإمساك بطرف العباءة

كان الإمام ملتزماً بالإمساك بطرف عباةته ورفع على صدره عند المشي لكي لا يتلاعب بها الريح عند المشي، ويمكنكم ملاحظة ذلك من خلال النظر بدقة في الصور والأفلام الملتقطة له في مختلف مراحل حياته، منذ بداية نهضته إلى أواخر عمره المبارك^١.

كان يضرب به المثل في النظافة

التزم السيد بالنظافة بدقة بالغة حتى عدّ ذلك من خصوصياته البارزة، وتذكر انه كان يضرب به المثل بين أصدقائه في شدة نظافته منذ أيام شبابه حيث كنا صغار وكانت ارض الأزقة مليئة بالطين الذي كان يعلق عادة بعباءات الحوزويين وبكثافة، ولكن الإمام كان يحتاط في المشي فلا تعلق بعباءته إلا نقاط قليلة لا تتجاوز العشرة من الطين، ورغم ذلك كان يجففها بواسطة المدفئة فور دخوله الغرفة ثم نزيلها نحن بحافة الملعقة^٢.

الالتزام بأن يكون وضعه الظاهري مرتباً

كانت توجد على جدار في بيت الإمام مرآة خاصة به اعتاد أن يستفيد منها لترتيب وضعه فور استيقاظه، وقد عرفت دقة الإمام في الالتزام بالنظام والترتيب منذ البداية، ففي السابق لم يكن يهتم العلماء الكبار في السن بمثل هذه الأمور، لكن الإمام كان ملتزماً بأن يكون وضعه الظاهري مرتباً ولا زال ملتزماً بذلك، ولذلك وضعوا له مرآة فوق مكان جلوسه. فهو دقيق للغاية في الالتزام بالنظم والوضع المرتب^٣.

نظام استحمامه الأسبوعي

كان الإمام يستحم مرتين في الأسبوع، في ليلة الثلاثاء وصباح الجمعة، وهذا من مظاهر دقته في النظام إذ قسم الأسبوع على قسمين متساويين يستحم في نهاية كل منهما ويرتدي ملابس بعد كل استحمام.

شدة الاهتمام بالسواك والطيب

لعل الكثيرين لا يولون السواك الأهمية اللازمة، لكن الإمام شديد الاهتمام به وبالاستحمام واستعمال الطيب في الأوقات المناسبة.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٣ ص ٩٧.

^٢ السيدة فريدة المصطفوي

^٣ آية الله الخامنئي، مجلة خرداد، العدد: ١٤.

يمشط لحيته بدقة

بعد أن يجتمع الناس في الحسينية في الأوقات المخصصة لزيارة الإمام يأتي من يخبره بذلك فيقوم ويرتدي ملابسه كاملة ثم يقف أمام المرأة الموجودة في غرفة عمله ويرتب وضع عمامته ويمشط لحيته بدقة إذا لم تكن مرتبة ثم يخرج لدخول الحسينية واستقبال الزائرين^١.

شدة الاهتمام باحترام الآخرين

كان الإمام شديد الاحترام باحترام الذين يأتون إلى قسم الاستقبال «البراني» في بيته، فإذا لاحظ تعاملًا فيه شيء من عدم الاحترام لأحد أياً كان، حاسب عليه، بل وكان يراقب الوضع لكي لا يغفل الخادم، عن تقديم الشاي لأحد الحاضرين أو يقدمه وقد أريق بعضه في الصحن أو بفنجان غير نظيف^٢.

كان يكره إظهار الفقر

يجمع طلبة الإمام على شدة اجتنابه وكرهه لأفعال النفاق والرياء، وكان يتجنب الذكر الظاهري أمامهم رغم أنه من الذاكرين، فلا يدير المسبحة أمامهم، كما كان يكره إظهار الفقر، فكان يحفظ وضعه الظاهري بالصورة المناسبة رغم انه كان مديوناً في الكثير من الأحيان^٣.

ترتيب وضعه ووضع الطيب قبل الخروج

تذكر السيدة [زوجة الإمام] بأنه كان ملتزماً بمسح حدائه بمناديل كلما أراد الخروج لزيارة حرم أمير المؤمنين عليه السلام كما كان يقف أمام مرآة منصوبة في ساحة المنزل ويرتب وضعه ويمشط لحيته ويضع شيئاً من الطيب قبل أن يخرج للزيارة. وكان لا يترك حتى المستحبات ويوصينا دائماً بذلك. وكنا أحياناً نمر على منزله مرتين في اليوم ولكننا نتجنب الدخول عليه في غرفته مباشرة لأننا نتوقع أن يقول لنا - عندما يرى وضعنا الظاهري غير المرتب - :لماذا تخرجون بهذه الهيئة، يجب أن يكون وضعكم الظاهري مرتباً جميلاً، لذلك كنا نسعى أن ندخل عليه بوضع مرتب^٤.

الدقة في وضع كل شيء في مكانه المناسب

عندما كان الإمام يرجع من استقبال الزائرين في حسينية جمران كان يخلع العمامة والجبّة ويطويها بدقة ويضع العمامة فوقها ويغطيها بقطعة قماش بيضاء فلا يجلس في غرفته وهو يرتديهما، حتى لو كان

^١ السيد عيسى الجعفري.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ١ ص ١٤٥.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي.

^٤ آية الله اليزدي.

مضطراً للخروج على الحسينية ثلاث أو أربع مرات في أوقات متقاربة، فكان يرتديهما في كل مرة عند الخروج ويخلعهما عند عودته ثم يرتديهما بعد قليل للخروج ثانية. لقد كان دقيقاً للغاية في وضع كل شيء في مكانه المناسب^١.

يطوي ملابسه بدقة

كان الإمام من الذين لا تبلى ملابسهم بسرعة، لأنه كان يستعملها بصورة صحيحة تحافظ على سلامتها، فمثلاً كان يخلع ملابس خروجه فور عودته إلى غرفته ويطويها بدقة ويضعها جانباً لذلك كانت تبدو دائماً جديدة ومرتبّة^٢.

تناسق ملابسه ونظافتها

كان الإمام نظيفاً وذا وضع مرتب للغاية، وتنقل ابنته أنه كان يعطي ملابسه الداخلية وسراويله في فترات متقاربة لكي تغسل وتكوى كما كان يهتم بأن تكون متناسقة في ألوانها، كما كان يمتنع عن ارتداء السروال إذا كان عريضاً أكثر من اللازم بل يجب أن يكون على نسق واحد في عرضه وبمقدار شبر واحد فلا يرتدي ما زاد عرضه أو قل عن ذلك، وقد نقلت زوجته مثل ذلك وقالت: أنه كان ملتزماً بهذا الوضع المرتب منذ البداية وبأن تكون ملابسه مكوية حتى المنديل والسروال^٣.

زيارة عاشوراء بعد الاستحمام

كان الإمام يذهب صباح كل يوم الجمعة في تمام الساعة الثامنة والنصف إلى الحمام ويخرج في التاسعة ليبدأ فوراً بتلاوة زيارة عاشوراء في غرفته في الشتاء، وفي شرفة البيت في فصل الربيع^٤.

لم أر مثله في نظافته

كان الإمام يرغب في أن يكون ظاهره دائماً ووجهه نظيفاً، ولم أر مثله في نظافته أبداً، ولم أر ولا مرة واحدة بقعة واحدة ولو صغيرة على ملابسه البيضاء، وهذا درس حريٌّ بأن نتعلمه من الإمام^٥.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة في حياة الإمام الخميني) ج ١.

^٢ السيدة زهراء الإشرافي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

^٣ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان = شاهد للنساء) العدد: ١٤٩.

^٤ آية الله الشيخ حسن الصانعي، صحيفة جمهورية إسلامي، بتاريخ ١٨/٣/١٣٧٣هـ ش.

^٥ السيد مصطفى كفاش زاده.

يستعين بزوجته لقص شعره

كان الإمام يستحم مرتين في الأسبوع صباح الجمعة والثلاثاء ويقص شعر لحيته ووجهه بنفسه بعد أن يضع على صدره قطعة قماش يشدها بخيط في عنقه، ويستعين بزوجته لقص شعر رأسه في أكثر الأحيان؛ أو بنا إذا كنا حاضرين عنده، ثم يذهب للحمام بعد ذلك^١.

يرتدي ملابس بيضاء دائماً

كان الإمام حساساً تجاه النظافة كان من الضروري أن يستحم مرتين في الأسبوع (الجمعة والثلاثاء) ويستبدل ملابسه التي تكون بيضاء دائماً^٢.

ملابسه قديمة نظيفة

كانت سيرة الإمام في ملبسه تثير الانتباه حقاً، فقد كانت له عباءة شتوية سوداء من النوع المعروف بالرشتي، وكنا نراه يرتديها نفسها كل شتاء على مدى سنين طويلة، وكذلك الحال مع جبته الشتوية، وكان يحافظ على ملابسه التي كانت قديمة ونظيفة للغاية في آن واحد. وكان حذاه نظيفاً دائماً^٣.

افعلوا مثل ما أفعل

بسبب شدة اهتمامه بالنظافة كان للإمام نعال خاص للحمام وآخر لساحة المنزل وآخر للغرفة، فقلت له يوماً: أنت توصينا بالبساطة، في حين أن لكل منا زوج نعال واحد ولك وحدك سبعة أمثال ما عند كل منا! فقال: «إن نعالكم يبقى سنة واحدة والأزواج السبعة التي عندي تبقى سبعة أعوام، لذلك فلم أسرف في ذلك! فافعلوا مثل ما أفعل، إذ لا ينبغي أن يكون نعال المطبخ هو نفسه نعال الغرفة!»^٤.

في غاية البساطة وغاية النظافة

لم يمتنع الإمام عن برنامجه الثابت في الاستحمام إلا عندما كان يمنعه الأطباء عن ذلك بسبب مرضه؛ وحدث مرة أن عدم استحمامه استمر لأسبوعين، فكان يسأل الأطباء عن السماح له بذلك، ولكنه كان يستبدل ملابسه طبق برنامجه المعتاد. وكانت ملابسه في غاية النظافة مع بساطتها، فلم يشاهد احد على جواربه - مثلاً - أثراً للوساخة وكان قد خصص نعالا للمشي في الغرفة رغم أن بساطها كان نظيفاً على

^١ السيدة زهراء الإشرافي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

^٢ السيدة فريدة المصطفوي.

^٣ السيدة زهراء المصطفوي.

^٤ أحد حراس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور).

جانب بساطته أيضاً، وكان هذا النعال في غاية النظافة رغم أنه كان قد استخدمه سنين طويلة حتى ظهرت عليه الشقوق^١.

تفوح منه رائحة طيبة دائماً

كان الإمام يضع منديلاً طويلاً يغطي صدره وحجره عند تناول الطعام لكي لا يقع شيء من الطعام على ملابسه، وكانت رائحة الطيب تفوح قبل الوصول إلى غرفته بعدة أمتار، فقد كانت له قنيتا عطر إحداها في سجادة الصلاة والثانية على الرف المجاور لمل جلوسه، وكان يتطيب منهما باستمرار؛ كما كان يضع إلى جانبه مشطاً ومرآة صغيرة^٢.

كأنك تدخل الجنة إذا دخلت غرفته

عندما تدخل غرفة الإمام تشعر وكأنك قد دخلت الجنة، فهي تفوح برائحة طيبة، لأن الإمام يستعمل الطيب عدة مرات. كنا ندخل أحياناً غرفة الإمام بعد انتهاء عملنا في المطبخ وعندما نجلس عنده، كان يرفع رأسه ويقول لنا أنكم أعددتم اليوم الطعام الفلاني، لكي ينبهنا - بصورة غير مباشرة - أن رائحة المواد المستخدمة في إعدادها - كالخضرة مثلاً - لا زالت عالقة بنا! لكنه لم يكن يصرح بشيء أبداً، حتى أنني قلت له مرة: ما اشد تحملك لتصرفاتنا؟! فقال - ولم نكن نتوقع منه غير الصدق طبعاً - دوما الحيلة ينبغي لي أن أتحمل^٣.

استعمال الطيب قبل كل صلاة

لاحظت الإمام مراراً وهو يستخدم الطيب قبل كل صلاة، وكان هذا السلوك يثير استغرابي حتى قرأت حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام يقول فيه: «كان رسول الله ينفق على طيبه أكثر مما ينفق لطعامه». وعندما زال استغرابي^٤.

يختار أفضل العطور

كانت حياة الإمام نموذجاً كاملاً لبساطة العيش والقناعة والاقتصاد في استخدام وسائل المعيشة لكن الرائحة الطيبة كانت تفوح دائماً من بيته؛ في غرفة عمله ومحل عبادته واستراحته. وكان يهتم بالنظافة

^١ آية الله الشيخ الإمامي الكاشاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٦.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي.

^٣ كتاب (في ظل الشمس) ص ١٨٥. وقد نقل احد الأطباء المعالجين للإمام، أن منديلاً أيضاً مطويًا قد جذب انتباهه، لكنه عندما اقترب منه عرف انه جوارب الإمام التي بدت لشدت نظافتها وكأنها منديلاً!

^٤ السيدة زهراء الإشرافي.

والاستفادة من أفضل أنواع العطور، وكانت العطور هي الشيء الوحيد الذي يختار أفضل أنواعه وبدقة من الهدايا التي محبوه يهدونها له^١.

يستعمل أنواع العطور

كانت رائحة الطيب تفوح في غرفة الإمام كلما دخلنا إليه، وكان يستفيد من أنواع العطور، فيستعمل أي عطر يهديه له أي شخص^٢.

يختار للصلاة أفضل عطر

كان الإمام يتطيب دائماً قبل الصلاة ويختار لها أفضل العطر، ولعله لم يصلّ أبداً بدون طيب، فقد كان يحمل معه قنينة عطر صغيرة، وهو يقيم صلاة الليل على سطح منزله في النجف^٣.

التعطر للصلاة في اجتماع وفد الوساطة

في وسط الاجتماع الذي كان الإمام يعقده مع زعماء عدد من البلدان الإسلامية الذين زاروه للتوسط بشأن انتهاء الحرب العراقية الإيرانية، رفع أذان الظهر، فقام وقال: «أريد أن أصلي» ثم أشار إليّ أن اجلب له قنينة الطيب لأنه كان ملتزماً بالتعطر قبل الصلاة، فتعطر ثم صلى^٤.

يتطيب سبع مرات في اليوم

كان الإمام يستعمل الطيب سبع مرات في اليوم، لأنه يستحب التطيب قبل كل صلاة، كما كان يمشط لحيته قبل كل صلاة وكان يضع مشطاً في سجادته لذلك، ويضع المسبحة على السجادة على وفق الصورة المستحبة وليس كيفما اتفق؛ ثم يذهب إلى الغرفة الثانية التي وضعت فيها قنينة الطيب فيتعطر منها ثم يرجع إلى سجادته ليقوم الصلاة^٥.

ويهدي الطيب

أهدى الإمام إحدى حفيدته قنينة عطر بمناسبة حلول أحد الأعياد^٦.

^١ السيدة زهراء المصطفوي.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان.

^٤ السيدة زهراء المصطفوي (كلمة في جامعة الشهيد شمران في الأهواز).

^٥ الدكتور محمود البروجردى، (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٣.

^٦ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي.

لكل شيء ملعقة خاصة

كان للإمام نظام خاص في تناول طعام الظهرية مهما كان نوعه - مرق ماء اللحم أو غيره - فكان يستخدم اثنين أو ثلاثة من الملاعق الكبيرة، وسكيناً واثنين أو ثلاثة من الملاعق الصغيرة كل منها خاصة بجزء معين من طعامه البسيط، وكان يفعل ذلك رغم التزامه المعروف بالاقتصاد^١.

يتناول الخبز بالملعقة!

صدقوا! أن الإمام كان يتناول حتى حبة الدواء وقطعة الخبز بواسطة الملعقة فلا يمس الخبز بيده وذلك بسبب شدة اهتمامه بالنظافة^٢.

يرغب في تناول كل لقمة بملعقة خاصة

إن مما يصعب تصديقه أن الإمام - ورغم بساطة طعامه - كان يستخدم ثلاث أو أربع ملاعق في تناوله، وكان يصرح مراراً أنه يرغب في تناول كل لقمة بملعقة خاصة ولا يحب أن يعيد إلى فمه الملعقة التي دخلت مع اللقمة الأولى. وكان يتناول مرق ماء اللحم بملعقة كبيرة، وكان يضع منديلاً كبيراً وفوقه نايلونا لكي لا يلوث الطعام شيئاً من ملابسه، فقد كان شديد الدقة في أمر النظافة، وكنا نقول له أحياناً: طعامكم في غاية القلة ووسائلكم في غاية الكثرة^٣.

يحفظ ماء الشرب من المكروبات

الإمام نظيف جداً، فحتى الكأس الذي يشرب به الماء يغطيه بمنديل لكي لا يتلوث بالميكروبات، ثم يشرب المتبقي منه لاحقاً، فهو لا يهدر الماء أبداً، هكذا كان حاله في باريس وهذا هو حاله في طهران طوال هذه الأعوام العشرة^٤.

طلب من الممرض بالإشارة...

عندما زرت الإمام في أيامه الأخيرة وهو راقد بالمستشفى، لاحظت على قميصه بقعتين بلون اصفر ظهرتا بسبب سقوط قطرات من محلول التعقيم على قميصه، فلما انتبه لهما طلب من الممرض - بالإشارة - أن يخلع القميص ويستبدله بآخر^٥.

^١ السيدة زهراء المصطفوي (كلمة في جامعة الشهيد شمران في الأهواز).

^٢ السيدة عاطفة الإشراقي (حفيدة الإمام) مجلة (زن روز = امرأة اليوم) العدد: ١٢٦٧.

^٣ السيدة زهراء المصطفوي.

^٤ السيد مصطفى كفاش زاده.

^٥ السيدة فريدة المصطفوي.

كيف تخرجين بهذه الهيئة

كنت ارتدي الملابس السوداء - عندما كنت أدرس في الجامعة - لأنني كنت أشعر بالراحة فيها أكثر من غيرها، وقد ذهبت يوماً إلى بيت الإمام من الجامعة مباشرة فرأيتَه يتمشى في ساحة المنزل، فلما رأني قُطِبَ حاجبيه وقال: «كيف تخرجين بهذه الهيئة غير المرتبة؟ ولماذا ترتدين ملابس بهذا اللون؟» فقلت كنت في الجامعة يا سيدي، فقال: «إن عملك هذا نوع من التراس!» فسألته قائلة: ولماذا؟ فقال: «لقد احتذيت حذاء قديماً ثم ذهبت إلى الجامعة، هذا من التراس»^١.

يرتدي أنظف ملابسه للصلاة

حتى في أيام مرضه الأخيرة، ورغم وجود جرح كبير في بطنه يترشح منه الدم، كان الإمام يرتدي للصلاة - عند حلول وقتها - أنظف ملابسه وأطهرها^٢.

ينبغي أن نعرف للبن ملعقة

كان عمري خمسة أو ستة أعوام عندما حدث يوماً أن إصبعي انغمس في إناء اللبن الرائب وقد كنت أريد أن اغمس فيه قطعة الخبز قبل تناولها كما كانت عادتي وأنا صغيرة، فضرب الإمام على يدي، فسحبت يدي وقد آذاني ذلك؛ ولا شك أن الإمام قد انتبه لذلك؛ فأخذ بيدي ووضعها في فمه ثم قال: «إنني لا أكره أن تمس يدك اللبن ولكن يجب علينا أن نعرف عندما نجلس على مائدة يحضرها آخرون أن لهذا اللبن ملعقة!» أجل أن الإمام مع شدة بساطته في المعيشة شديد الاهتمام بالنظافة^٣.

كان يذهب على مسابقات المصارعة

كان الإمام يذهب وهو حدث للتفرج على مسابقات المصارعة التي تقام في بعض محلات قم، وهو ينقل حادثة ترتبط بمسابقة جرت بين المصارع القومي الحاج الشيخ كمال الكمالي ومصارع روسي جاء إلى قم لمصارعته، ويذكر أن المصارع الروسي كان أقوى لكن الحاج كمال دفعه على حجارة؛ لم يرها المصارع الروسي فاصطدمت رجله بها وسقط على ظهره، فحمل القميون الحاج كمال فوراً باعتباره الطرف المنتصر في المسابقة وذهبوا به على حرم السيدة المعصومة عليها السلام^٤.

ويحب الرياضة

^١ السيدة زهراء الإشرافي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

^٢ الدكتور كلاتر المعتمدي من الأطباء المعالجين للإمام، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات).

^٣ السيدة زهراء المصطفوي.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

كان الإمام يحب الرياضة دون أن يرجح نوعاً خاصاً منها، ولكن يمكن القول أنه كان أميل إلى المصارعة والرياضة القديمة، ومع ذلك كانت الرياضات السويدية «الجمناستيك» تجذب اهتمامه أكثر من غيرها، وكان في صغره يمارس رياضة القفز الأفقي والعامودي وقد أصيب بكسور في يديه وإحدى رجليه نتيجة لذلك إضافة إلى كسور في الرأس والوجهة^١.

أنس برؤية سواعدكم

في أيام إقامة الإمام في قم بعد انتصار الثورة كانت تزوره باستمرار وفود من مختلف فئات المجتمع، وقد شاهدت مرة في التلفزيون فيلماً عن زيارة مجموعة من المصارعين للإمام فتحدث إليهم - بمودة خاصة - عن أهمية الرياضة وأن العقل السليم في الجسم السليم، كما أصغى لأحاديثهم، وقد ضحك الإمام في هذا اللقاء وقال مبتسماً: «إنني آنس برؤية سواعدكم المفتولة العضلات هذه»^٢.

الاهتمام بالسلامة البدنية

كان الإمام يهتم في شبابه بسلامته البدنية، ويقرا الكتب الخاصة بالأطعمة وخواصها ويعرف طرق الطبخ ويهتم بالسليمة منها^٣.

الإمام وكرة القدم الثلاثية

ينقل المرحوم السيد رضا التفرشي (وهو من علماء طهران وقد توفي قبل أعوام): كان الإمام - في أيام شبابه - يذهب مع السيد عبد الله الطهراني (وهو من مقربي أصدقاء الإمام القدماء) وسيد ثالث نسيت اسمه يذهبون أيام الجمعة إلى منطقة «خاكفرج» في قم لممارسة رياضة المشي وكرة القدم، وقد كنت يوماً عند المرحوم آية الله الشيخ عبد الكريم الحائري [رئيس حوزة قم آنذاك] فجاء فلّاح وشكى إليه من أن عدد من شباب الحوزة يأتون على مزرعته أيام الجمعة ويضرون بالزرع، فقال الشيخ الحائري للمرحوم الشيخ مهدي البروجردي مسؤول مدرسة الفيضية: حققوا في الأمر واعرفوا من الذين يضرون بزرع هذا المسكين، فاخبره بأنهم: السيد روح الله الخميني، والسيد عبد الله الطهراني والسيد الثالث، فاستدعاهم الشيخ الحائري، وعندما دخلوا عليه وسلموا وجلسوا، توجه الشيخ إلى الإمام وقال: يا عزيزي

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (الإمام الخميني في مرايا الذكريات) ص: ٥٤ - ٥٥.

^٣ المصدر السابق.

يا روح الله ما تقول فيما يقوله هذا الرجل؟ وما هي حقيقة الأمر؟ فأجابه: «لا شأن لنا بزراعته، فنحن نعرف وجوب احترام أموال الناس، نحن نذهب أيام الجمعة للعب كرة القدم في أراضي «خاكفرج» فتقع الكرة أحياناً في مزرعته، فنذهب لالتقاطها باحتياط تجنباً للإضرار بالزراع، وسنحاط أكثر مستقبلاً».

ولم يكن صاحب المزرعة قد رآهم من قبل فكان يتصور أنهم يتعمدون الإضرار بالزراع، فلما شاهدهم ولاحظ اللهجة الودية التي تحدث بها الشيخ الحائري معهم خاصة مع السيد روح الله الخميني، تراجع عن شكواه وقال: لا اعتراض لي على ذلك، فجدد الشيخ الحائري الوصية لهم بزيادة الاحتياط في ذلك وقال: يا عزيزي يا روح الله اجتهد في مزيد من الاحتياط لاجتناب الإضرار بممتلكات الناس، فأجاب الإمام: «سمعاً وطاعة».

فذهب صاحب المزرعة، ولكن السيد الثالث الذي نسيت اسمه قال للشيخ الحائري: يا مولاي! إن لدي شكوى من السيد روح الله ... إنه عندما يضرب الكرة يستهدف بها وجهي، وقد أصابت أنفي ثلاث مرات وأسالت منه الدم! فتبسم الشيخ وقال: يا سيد روح الله، يا عزيزي انتبه أكثر لكي لا تصيب أصدقائك بأذى! فأجابه السيد روح الله: «إنني لا أتعمد يا سيدي ذلك، وما ذنبي أنا إذا كان انف هذا السيد كبيراً فحيثما صوبت الكرة أصابته!» فضحك الشيخ الحائري والحاضرون وانقضى الاجتماع¹.

يعرف فن السباحة

كان الإمام يعرف فن السباحة بالمقدار المتعارف وليس بمقدار الإحاطة التفصيلية بقواعد هذه الرياضة². وكان يمارس الرماية والفروسية

كان الإمام منذ أيان صباه - أي قبل حدود ثمانين عام - يهتم بأمر سلامته البدنية، ولعل هذه من الصفات الذي تميز بها عن سائر مراجعنا وعلمائنا الكبار، فالعلماء عادة لا يهتمون بالرياضة والترويح السليم عن النفس، ولكن الإمام الخميني أو السيد روح الله الخميني - كما كان يسمى قبل ثمانين عاماً - لم يكن يغفل عن الرياضة والترويح السليم عن النفس بهدف تقوية بدنه وروحه، ولم يكن يتستر بذلك، وهكذا كان حاله في خمين قبل أن يبلغ سنه عشرين عاماً وبقي على ذلك في قم إلى أن بلغ عمره خمسة

¹ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (الإمام الخميني في مرايا الذكريات) ص 53.

² حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني.

وعشرون عاماً، وقد قال مرة: «كنت في شبابي أحمل البندقية وأمارس الرماية فيها» وصرح بأنه كان يركب الخيل أيضاً^١.

ويتسلق الجبال عَصراً

كان الإمام يقيم شهراً مع عائلته في منزل امرأة عجوز في منطقة دركة في طهران حيث كان يقضي قسماً من فصل الصيف في بعض السنين، وكان يذهب في تلك الأيام عَصراً إلى تسلق الجبال وهو يرتدي زيه الحوزوي، واستمر على ذلك إلى أن بلغ الخمسين عاماً^٢.

حفظ بدنه كأمانة إلهية

لم نر نظيراً للإمام في سلامة بدنه بين من تقارب أعمارهم عمره، والسبب يرجع إلى أنه حافظ طوال سني عمره الشريف على سلامة بدنه كأمانة إلهية، لقد كانت حالة عروقه الدموية جيدة للغاية وكذلك حال وضع جهازه الهضمي وجلده رغم أن آثار الأذى تظهر بسرعة لدى المتقدمين في السن عادة، لكننا لم نكن نلاحظ أبسط هذه الآثار عندما ندلك ظهره ونشر عليه المسحوق الطبي رغم أنه كان ينام أكثر الأوقات على ظهره. كما كان عمل رثيته جيداً للغاية مقارنة بمن في عمره^٣.

قلب ابن الربيعين وهو بالثمانين

في أيام إقامته في باريس، لم يكن الإمام يستقبل أحداً بعد صلاة الظهر، إذ كان يتناول طعام الظهرية ويستريح قليلاً ثم يستعد للقاءات والتحدث. فجاءني يوماً بعد صلاة الظهر السيد البروفسور صادق - ولم أكن أعرفه قبل ذلك - وعرفني نفسه وقال: إنني جراح للقلب، ومن يرغب في أن يراجعني فعليه أن يحجز وقتاً لذلك قبل شهرين ولكنني أدرك وضع الإمام، وقد جئت من مكان بعيد واشتركت في صلاة الجماعة خلفه وارغب في زيارته عن قرب لكي اقبل يده، فخذوا لي وقتاً لذلك ولو لدقيقتين. فذهبت للإمام وعرضت عليه الأمر وأخبرته أن الرجل على عجلة ويريد أن يرجع، فوافق وجلس لاستقباله في غرفة قرب محل الصلاة، فدخل عليه وقبل يده ثم قال: إنني احمل وسائل الفحص، فلو سمحتم لي بفحص وضع قلبكم وبدنكم. فأجابه الإمام: «إن في ذلك زحمة لك لا أرضى بها» فقال الجراح: وأي زحمة في ذلك وأنا أفخر بأن أخدمكم. فأذن الإمام له، ففحصه وبعد الانتهاء ودعه وخرج، فسألته عن

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (الإمام الخميني في مرايا الذكريات) ص ٥١.

^٢ السيد علي الثقفي.

^٣ الدكتور إيرج فاضل.

انطباعه فقال والسرور يطفح على وجهه: لقد كنت قلقاً على قلب الإمام بسبب تقدم سنه ولكنني بعد أن فحصته وجدته بحالة قلب ابن الأربعين عاماً^١.

كان فناناً خبيراً

إذا نظرنا إلى الإمام بالمعايير الفنية لوجدناه خبيراً، وأشير هنا إلى فن الخط فقط لأنني آنست طويلاً بخطه وقد استنسخت عدداً من مصنفاته الفقهية الخطية، وشاهدت مراراً شدة تأثير خطه في القارئ لمكتوباته المنشورة المصورة عن النسخة الأصلية في المجالات أو المصورة والخالية بالكامل من الشطب وهذا اصدق شاهد على المدعى^٢.

لم يستطع احد بين الخطين

كان الإمام يتمرن عندي - وهو حدث - على الخط لأنني كنت أجيد بعض الشيء خط «النستعليق» [من أنواع الخط الفارسي] فأصبح خطه يشبه خطي إلى درجة أنني كتبت مرة بخطي نصف الصفحة وأكمل هو بخطه نصفها الثاني، ولم يستطع أحد أن يميز بين الخطين^٣.

متى تفتتح هذه الزهرة

بعد عودته من حسينية جمران يوماً حيث ألقى خطاباً بشأن الحرب والبراءة من أمريكا، دخل المنزل وأخذ يتمشى في ساحته، ثم قال لي - وكنت واقفة إلى جانبه - : متى تفتتح هذه الزهرة؟ ما هو عدد الأيام التي ستمضي قبل أن تفتتح هذه الزهرة؟^٤.

أي هذه الأشجار أجمل؟

قال لي الإمام يوماً - وهو يتمشى في ساحة المنزل - : «هلا أخبرتيني أي هذه الأشجار أجمل؟» ولم أكن إلى ذلك اليوم قد فكرت أبداً في مقاييس تحديد جمال الأشجار وتأثير شكل اتصال الأغصان بالساق مثلاً على جمال الشجرة، ولذلك أشرت على إحدى الأشجار وقلت: هذه أجمل، فقال: «وما دليلك؟ لا تقولني شيئاً دون دليل! فكري في الأمر يومين أو ثلاثة!» فقلت ممازحة: إن دليلي أن هذه الشجرة خضراء! فقال: «لا، تأملي لتعرفي الأمور التي تجعل الشجرة جميلة، لاحظي شكل تفرع الغصون من الساق، وطبيعة وضع الساق وكيفية توزع الأوراق على الغصون، وشكل الظل الذي توجده الشجرة...»،

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الدكتور الأحمد، مجلة حضور، العدد: ٤.

^٣ آية الله السيد مرتضى بسنديدة (أخ الإمام) مجلة (باسدار إسلام) العدد: ٨٦.

^٤ السيدة عاطفة الإشرافي، صحيفة كيهان، ١٣٦٨/٤/١٢ هـ ش.

واستمر في تعداد هذه العوامل المؤثرة على جمال الأشجار وهو يريني مصاديقها في الأشجار ثم قال: «لاحظي الصورة العامة للشجرة ككل، ثم كيفية توزع كل جزء منها...»، كنت أتمشى إلى جانبه في الدقائق الثلاثين الأخيرة قبل الغروب، فأشار إلى شجرة في زاوية ساحة المنزل وقال: «يا فاطمة، لم لا ترافقيني في التمشي هنا قبل طلوع الشمس في الصباح لكي تشاهدي كم أصبحت جميلة هذه الشجرة عندما أرتق الشمس على الجزء العلوي لها فأضفت عليه جمالا لا يوصف»^١.

لماذا آذى الشجرة؟

كنت يوماً أرافق الإمام وهو يمارس رياضة المشي في ساحة المنزل، فوقف مقابل شجرة ورد من النوع المحمدي ثم قال: «إن علياً [حفيد الإمام] يأتي ويمسك بهذه الشجرة فتجرحه أشواكها، عليك أن تزيلي الأشواك التي في أسفل الساق لكي لا تؤذي علياً»، ثم أن البستاني أزال كل الأشواك من ساق هذه الشجرة، فلما رآها الإمام فيما بعد قال بتأثر: «لماذا أزال هذا السيد جميع الأشواك وآذى الشجرة؟ لقد طلبت إزالة الأشواك التي في أسفل الشجرة فقط»^٢.

أنظر إلى هذه النيران ما أجمل تشكيلتها؟

كان الإمام يصلي صلاة المغرب في شرفة المنزل عندما علت صفارات الإنذار من الجهات الجوية العراقية، فدقت النظر إلى وجهه فلم أر أدنى تغيير فيه، وكان يؤدي - حينئذ السلام في نهاية الصلاة - ثم وبعد فراغه منها رفع بصره إلى السماء وأجال النظر في نيران المضادات الجوية التي غطت سماء المنطقة، ثم قال بلهجة مفعمة بالسكينة: «أنظر إلى تشكيله هذه النيران، ما أجملها؟»^٣.

ذوق الإمام غاية في اللطافة

كان علينا أن نهتم بجمال ظاهر الطعام الذي نقدمه للإمام وإلا لم يكن يتناول منه حتى لو كان طيباً، أما إذا كان ظاهره جميلاً فيقول: «أذوقه أولاً، فإذا كان طيباً تناول منه»، لقد كان ذوق الإمام غاية في اللطافة، ولقد فكرت مرارا في لزوم الكتابة عن ذوقه الرفيع ولو فعلت لخرج كتاب كامل بخصوص هذا الموضوع^٤.

^١ السيدة فاطمة الطباطبائي، زوجة ولده السيد أحمد.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الخميني، كتاب (حماسه مقاومت) ج ٢.

^٤ السيدة فاطمة الطباطبائي.

وكان يعشق الجمال والنظافة والطيب

كان للإمام حضور قوي في المنزل، فمثلاً كان يعرف بدقة زمن تفتح الوردة وزمن ذبولها وتناثر أوراقها، وأتذكر أنه قال لابنة أختي في اليوم نفسه الذي وقع فيه انفجار مقر الحزب الجمهوري والذي أدى على استشهاد المرحوم السيد البهشتي وعدد كبير من الأصدقاء - قال لها: «أتعرفين متى تفتحت هذه الزهرة؟» وقد قال لي مراراً: «هذه الوردة التي تفتحت للتو هي علي (حفيدة) وتلك الوردة الذابلة التي أخذت أوراقها تتساقط هي أنا!» أجل كان الإمام يعشق الجمال والنظافة والرائحة الطيبة^١.

كلما نظرت إلى هذه الوردة أقول ...

توقف الإمام مرة أثناء مشيه المعتاد في ساحة المنزل، أمام شجرة ورد جدارية وقال: «كلما نظرت إلى هذه الوردة أقول: هذا علي [حفيد الإمام الصغير] الذي بدأت وردته تتفتح» ثم أشار إلى وردة كبيرة في أعلى الشجرة كانت قد ذبلت وسقطت بعض أوراقها وقال: «وهذه هي وردتي، فقد ذبلت وأخذت بالرحيل، إنني أرى هذا التناسب دائماً، فعلي هو تلك الوردة التي بدأت تتفتح، وأنا الراحل عنكم تلك الوردة التي أخذها الذبول»^٢.

تجلى لطافة روح الإمام في شعره

تقول والدتي: ذهبت إلى الإمام يوماً وهو يتمشى في ساحة المنزل قرب حديقته الصغيرة التي كانت فيها كثيرة، فقال لي: «كم عمر هذه الوردة؟» قلت: لا أعلم لي بذلك، فقال: «إن عمرها ثلاثة أيام» ثم أشار إلى ورود أخرى واخبرني بعمر كل واحدة منها ومتى تفتحت ثم أطلق أسماء عليها تناسباً مع عمر كل واحدة منها فقال: «هذه علي، وتلك حسن، وتلك ياسر، وتلك الوردة أنت وتلك أحمد» ثم أشار إلى وردة ذابلة وقال: «وهذه أنا» ومثل هذه التأمّلات تكشف عن لطافة روح الإمام التي تجلت في أشعاره العرفانية أيضاً^٣.

أنظر إلى هذه الوردة كل يوم

كنت أرافق الإمام أحياناً وهو يتمشى في ساحة المنزل، وكان يقوم بذلك على ثلاث فترات في اليوم كانت في الواقع أقرب فرصة للقاء به، وكنت ألاحظ دقته في النظر إلى ما حوله، وأتذكر أنه وقف يوماً

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، صحيفة أبرار: ١٢/٣/١٣٧٢هـ ش.

^٢ السيدة فاطمة الطباطبائي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الخميني، كتاب (حماسه مقاومت) ج ٢.

مقابل وردة وسألني عن عمرها، فقلت لا أعلم، فقال: «لكنني اعرف عمرها الدقيق» وأظن أنه قال - على ما أتذكر - أن عمرها يومان ونصف اليوم، فسألته: وهل تنظر لها كل يوم؟ فقال: «أجل، أنظر إليها كل يوم عندما أمر عليها وألاحظ التغيير الذي طرا عليها، وقد انقضى من عمرها إلى الآن يومان ونصف اليوم!»^١.

ديوان الإمام ضاع ثلاث مرات!

كنت أطلب من الإمام باستمرار أن ينظم الشعر، وكان يجيب على طلبي كل مرة بتعبير معين ولعله كان يعبر بذلك عن تعبه من كثرة إلحاحي عليه. وقد سمعت أنه رتب ديوان أشعاره ثلاث مرات في شبابه، لكنه كان يفقده في كل مرة وهذا المر غير عادي في اعتقادي، لأن الإمام كان منظماً جداً في أعماله، ولكل شيء من وسائله محل ثابت، فلا يمكن أن يضع شيئاً في مكان ثم ينسى أن وضعه. وعلى أي حال، فبعد المرة الأولى التي ضاع فيها ديوانه أعاد كتابة ما كان يحفظه من أشعار وأضاف إليه لاحقاً أشعار جديدة، فضاع هذا الدفتر أيضاً. ثم نفى الإمام على تركيا، فدونت السيدة زوجته ما كانت تحفظه من أشعاره في دفتر خاص، وكانت تحفظ الكثير منها إلى عهد قريب، فأضاف إلى ما دونته الأشعار التي كان يحفظها هو ورتب ديوانه للمرة الثالثة أيضاً، وقد كان هذا الأمر عجباً للغاية في نظره أيضاً. وبعد هجرته إلى النجف انصرف عن متابعة أمر ديوان الذي ضاع ثلاث مرات^٢.

ينظم الشعر بالسلاسة التي يتكلم بها نثراً

طلبت من الإمام أن يكتب لي رسالة في العرفان، فوافق، فطلبت أن تشتمل على نثر ونظم شعري، فأبى وقال: «ليس لدي إقبال نفسي على ذلك الآن»، فقلت لا عجلة في الأمر، أكتبها متى وجدت في نفسك هذا الإقبال. ثم كنت أسأله عنها كلما دخلت عليه وهو يخبرني أنه لم يكتبها بعد، حتى قال لي مرة: «ولماذا تستعجلين الأمر» فعرفت أنه وافق على طلبي ولكن الوقت المناسب لم يحن بعد. وعندما كتبها واستلمتها منه رأيت فيها شعراً، فأخذت ألح عليه طالبة المزيد من شعره، وكان يقول لي كلما سلمني شيئاً من شعره: «خذي ودعيني وشأني» لكنني كنت أزداد شوقاً إلى المزيد منه كلما رأيت شيئاً منه

^١ السيدة فاطمة الطباطبائي.

^٢ المصدر السابق.

فأعود الطلب بإصرار، وعندما أفكر الآن في هذا الأمر أشعر أنني أؤذيه بهذا الإلحاح الشديد، لكنني عندما أرى ما يكتبه من الشعر أقول لنفسي: إن من الحيف أن يترك الشعر من ينظمه بهذه السهولة! وكان الإمام ينظم هذا الشعر أثناء مشيه المعتاد في ساحة المنزل ثم يكتبه على حواف الصحف! وفي الواقع كان الإمام ينظم بالسلاسة والسهولة التي يتحدث بها نثراً، ولم نكن نجد في ما يكتبه من الشعر شطباً وتغييراً إلا في موارد نادرة، ويمكنكم ملاحظة ذلك في صور ما كتبه بخطه في ديوانه المطبوع. وكنت أوصي السيد احمد بأن ينتبه لكي لا يضيع ما يكتبه الإمام من الشعر، فقد كنت قلقة من ان يندم على كتابته فيريق عليه الماء ليمحوه، أو يمزقه الطفل! وكنا نتأخر أحيانا فيأخذوا الجرائد ويضيع ما كتبه عليها من الشعر معها، وعندما كنت أستلم ما يكتبه أعطيه للسيد أحمد ليصوره بسرعة لكي تبقى عندنا صورة منه لو ضاع الأصل لاحقاً لأنني كنت في الواقع مصابة بلدغة ضياع شعره. وعلى أي حال فقد استطعت بذلك أن أجمع مقداراً من شعره^١.

وكان ينتقد الشعر أيضاً

كنت أحيانا أقرأ للإمام ما أراه جميلاً من الأشعار المنشورة في الصحف وغيرها، فكان يصغي ويأنس بها وأحيانا كان ينتقدها أيضاً^٢.

كان يتميز بدوق رفيع

كنا - أنا وغيري - أحيانا نحمل باقات من ورود الياس ونقدمها للإمام، فيتقبلها مبتسماً وبكل ارتياح. لقد كان يتميز بدوق رفيع للغاية؛ وكان ينظم أشعارا جميلة، وكان له دفتر يضم شعراً جيداً من نظمه وقد نهب خلال هجوم السافاك على منزله في قم^٣.

إصغ حديث القلب

كان المرحوم السيد واعظ زاده الخوانساري من العلماء ومن أجلاء أهل العرفان كما كان خطيباً، وكان يأنس كثيراً بالإمام. وقد قال لي يوماً: أيها السيد البرهاني، تعال معي لنذهب إلى زيارة الحاج روح الله،

^١ السيدة فاطمة الطباطبائي.

^٢ المصدر السابق.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الثقفي، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ١ ص ١٤٥.

فذهبنا إليه، فقال أثناء اللقاء: «لقد استفدنا من رفقتكم يا سيد واعظ زاده، فوائد علمية وفوائد أدبية وشعرية» فأجاب السيد واعظ بتلاوة هذه الرباعية:

گیود همه کس کمند و من گیسویت جوید همه کس هلال و من آبرویت
در دایره دوازده برج تمام یک کماه مبارک است آن هم رویت^۱
فأجابه الإمام بداهة بهذه الرباعية:
کشود چشم زخواب ناز از هم نظر کنید در فتنه کشت باز از هم
تو در نماز جماعت نرو که می ترسم کشی امام و بیاشی صف نماز از هم^۲
ثم قرأ المرحوم واعظ زاده شعر جلال الدين الرومي المعروف:
بشنو از نی چون حکایت می کند وز جداییها شکایت می کند^۳
فأجابه الإمام:

نشنو از نی کآن نوای بینواست بشنو از دل کآن حریم کبریاست
نی سوزد تل خاکستر شود دل بسوزد خانه دلبر شود^۴،^۵

وهل أنا شاعر؟! و هل أنا شاعر؟! و هل أنا شاعر!؟

كنت أقرأ الكتب الفلسفية المقررة في الفرع الدراسي الذي كنت أدرس فيه، وكنت أسأل عن بعض العبارات الصعبة والغامضة في هذا الكتاب، وشيئاً فشيئاً تحول طرح هذه الأسئلة إلى درس يستغرق (٢٠) دقيقة، وفي صباح أحد الأيام دخلت على الإمام في هذا الدرس، فوجدته يحذرني برباعية ساخرة يقول بها:

^۱ ترجمتها الثرية هي: ليتعلق الجميع بالحبال، أما أنا فلن أمسك إلا بذؤابتك. وليبحث الجميع عن الهلال أما فلن اطلب إلا حاجبك فلا يوجد في الأبراج الإثني عشر، هلال لشهر مبارك سوى هلال طلعتك.

^۲ ترجمتها الثرية هي: فتح حسن الحبيب عيني وأبعدها عن النوم الهانئ، فانظروا كيف فتح عليّ أبواب الفتنة!؟

لا تذهب أنت لصلاة الجماعة فإني أخشى أن تقتل الإمام وتشت صفوف المصلين!!

^۳ ترجمتها الثرية هي: اصغ لصوت الناي وهو يحكي ويشكو من أشكال الفراق

^۴ ترجمتها الثرية هي: لا تصغ لصوت الناي فهو صوت البائس، واصغ لحديث القلب فهو حرم صاحب الكبرياء.

إذا احترق الناي تحول إلى كومة من الرماد، أما إذا احترق القلب أصبح منزلاً للحبيب.

^۵ حجة الإسلام والمسلمين البرهاني.

فاطي كه كنون فلسفه را مي خواند از فلسفه فاء ولام وسين مي داند
 أميد من آن است كه با نور خدا خود را حجاب فلسفه را برهاند¹
 ولما رأت هذه الرباعية طلبت منه أبياتا أخرى، فكتب بعد أيام هذه الأبيات:
 فاطمي! بسوي دوست سفر بايد كرد از خويشتن خويش گذر بايد كرد
 هو معرفتي كه بوي هستي تو داد ديوي است به ره از آن حذر بايد كرد²
 ثم أثرت فيه طلباتي الملحة فقال بعد مدة:

فاطي! تو وحق معرفت بغي چد دريافت ذات بي صفت يعني چه؟!
 نا خوانده ألف، به يا نخواهي ره يافت ناكرده سلوك موهبت يعني چه؟!³

وجرأني على المزيد من الإصرار لطفه اللام محدود، لذلك كانت طلباتي تزداد باستمرار، حتى تجرأت
 بأن أطلب منه إنشاد بعض الغزل العرفاني، فعاتبني قائلاً: «وهل أنا شاعر؟!»، لكنني لم أكف عن الطلب
 والإصرار حتى سمعته بعد أيام يقول:

تا دوست بود تو را گزندي نرسد تا أوست غبار چون وچندي نبود
 بگزار هر آنچه هست واو را بگزين نيكوتر از اين دو حرف بيندي نبود
 عاشق نشوي اگر نامي داري ديوانه نه أي اگر پيامي داري
 مستي نچشيدي اگر هوش تو راست ما را بنواز تا كه جامي داري⁴،⁵

¹ ترجمتها الثرية هي: فاطمة تدرس الآن الفلسفة، وهي تعرف من الفلسفة الفاء واللام والسين!

أرجو أن تحرر نفسها بنور الله من حجاب الفلسفة!

² ترجمتها الثرية هي: يا فاطمة يجب السير إلى الحبيب وهجران بيت النفس.

كل علم تشم منه رائحة «الأنا» هو عفريت يصد عن الصراط فيجب الحذر منه!

³ ترجمتها الثرية هي: يا فاطمة ما أنتِ وحق المعرفة؟! وما معنى إدراك الذات بدون الصفات؟!!

لن تصلي إلى الباء وأنتِ ولم تعرفي الألف بعد، فما معنى «الهيئة» لمن لم يبدأ السلوك بعد؟!!

⁴ ترجمتها الثرية هي: لن يضيرك شيء ما دمت مع الحبيب، وما دام الحبيب حاضراً فلا محل للشك

اعرضي عن كل شيء، واختره هو لا غير، لا موعظة فوق هاتين الكلمتين.

ما دمت تحمل اسماً فلن تصير عاشقاً، ولن تصير مجنوناً ما دام لك كلام من عندك.

لن تذو نشوة السكر وأنت واع، غن لنا ما دام في الكأس بقية!

⁵ السيدة فاطمة الطباطبائي، زوجة ولده السيد أحمد.

الفصل السادس

الرفقة والرحمة والعواطف الجياشة

إنني باق عندكم

تنقل والدتي أن أول أولادها كان ذكراً اسمه محمد وقد توفي وهو رضيع فيما بقي اللبن يدر من ثدييها، وكان الإمام رضيعاً يشارك طفلاً آخر الرضاعة من والدته، وفي احد الأيام كان والدي في ساحة منزل السيد مصطفى والد الإمام - وكان يعمل حارساً عنده - فقالت له أخت السيد مصطفى (عمة الإمام): لقد سمعنا أن رضيعكم قد توفي، فلو أن زوجتكم «خاور» ترضى بأن تتولى رضاعة روح الله، فإنها بذلك تنقذ حياة هذا الطفل الذي له شريك في الرضاعة فتحصل بذلك على ثواب جزيل، أجاب والدي بأن عليه أن يستأذن زوجته في هذا الأمر، ثم جاء إلى المنزل وعرض عليها الأمر قائلاً: يا خاور، إن أخت السيد تقول أنك إذا رضيت بإرضاع روح الله فستحصلين على ثواب جزيل. فضحكت والدتي وقالت مستبشرة: أجل، ببركة ذلك لن تمس نار جهنم صدري، فرجع والدي بسرعة إلى عمة الإمام وأخبرها بموافقة والدتي، فجاءوا بسرعة بمهد السيد روح الله إلى بيتنا، فقامت والدتي وغسلت صدرها وثدييها وقرأت سورتي الحمد والتوحيد، وقبّلت وجه الطفل ووضعت ثدييها في فمه. ثم قال والد السيد روح الله لوالدتي أطلب منك أن لا تأكلي طعام أحد ما دمت ترضعين ولدي. وكان يرسل كل يوم لها وجبات طعامها، وبقي السيد روح الله يرضع منها حتى أتم العامين، ففطموه وأخذوه إلى منزل والده، لكنه كان يأتي باستمرار إلى والدتي ويبقى عندها وهي تستبشر بذلك، فيما كان والدي يقول له: يا حبيبي يا روح الله، أنت لم تعد ترضع اللبن، فلماذا لا تذهب إلي بيتكم؟ فيقول الإمام: «إنني باق عندكم»¹.

¹ السيدة بهجت (ابنة حاضنة الإمام) مجلة ندا، العدد الأول.

لنشترك في إعداد الطعام للشيخ

أتذكر أنني كنت صغيرة عندما جاء رجل مسن بالتراب اللازم لحديقة منزلنا، وكنا حينئذ نتناول طعام الظهيرة، فقال الإمام: «إن هذا الشيخ لم يتناول طعامه بعد» ولكن طعامنا لم يكن يزد على حاجتنا، فرجع الإمام صحناً وصبّ فيه مقدار من طعامه هو، وقال لنا: «ليصبّ كل منكم من طعامه لكي نعد بذلك طعاماً لشخص إضافي» ففعلنا رغم أن طعامنا كان قليلاً في ذلك اليوم، وقد سرنى هذا العمل - وأنا في عالم الطفولة - بما لم يمكنني وصفه^١.

حب الإمام لأولاده

تحدث ابن الإمام عن حب الإمام لأولاده فقال: كان للإمام ولد مشلول توفي بعد بضع سنين لكن التأثير كان يظهر على الإمام كلما ذكره. رغم أنه توفي بسرعة^٢.

أنظر أين مصطفى؟

كان الإمام يحب ولده السيد مصطفى كثيراً، وكان منزل السيد مصطفى بالقرب من مسجد الترك في النجف، فإذا تأخر في المجيء يوماً قال لي: «يا شيخ غلام رضا اذهب وتفقد ابني مصطفى»^٣.

دموعه تجري لمدة (٢٠) دقيقة

بعد وقوع فاجعة (١٥) خرداد زرت الإمام وحدثته على مدى (٣٥) دقيقة عن وقائعها، وكانت الدموع تجري من عينيه حدود (٢٠) دقيقة^٤.

ظهور القلق على وجه الإمام

كان الإمام شديد الحب لأولاده خاصة الشهيد السيد مصطفى، فمثلاً حلّ أحد العلماء ضيفاً على الإمام في منزله ولأن الجو كان حار جداً أخذوا الضيف لكي يستريح على سطح الدار، فظهر أثر القلق على وجه الإمام عندما شاهد ولده السيد مصطفى يتحدث مع الطباخ وهو على حافة السطح^٥.

^١ إحدى بنات الإمام، مجلة (رشد دانش آموز) السنة: ٣ العدد: ٣.

^٢ آية الله السيد خاتم الزيدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

^٣ الشيخ غلام رضا، خادم بيت الإمام في النجف، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٥٨/٩/١٤ هـ ش.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ واعظ الطبسي، مجلة (پیام انقلاب) العدد: ٨٢.

^٥ مجلة (پیام انقلاب) العدد: ٨١.

أيقظني اللقاء بالإمام

كنا يوماً نحضر مجلساً للغناء الحسيني في المسجد عندما وصل خبر وفاة آية الله البروجردي، ثم إرسال الشاه بقرية تعزية بهذه المناسبة إلى آية الله الحكيم في النجف، فعلت جميع أصوات الحاضرين في المسجد احتجاجاً على البرقية إلى آية الله الحكيم واضطرب وضع المجلس، وقد حققت على مدى يومين بشأن أعلم العلماء الموجودين فتوصلت في النهاية إلى أن آية الله العظمى الإمام الخميني هو الأعلم من بين علماء الشيعة الكبار التسعة يومذاك، ولم أكن قد رأيته إلى ذلك اليوم، لكنني قد رأيت صورة له وهو ابن أربعين عاماً، ثم قررت الذهاب إلى منزله في قم للحصول على رسالته العملية. وكان يوم ذهابي لزيارته من الأيام التي لا تنسى، لقد صادفت مسؤولاً في الشرطة كان هو الآخر يذهب لزيارة الإمام أيضاً ويبدو أنه كان مكلفاً بذلك من قبل الحكومة، وعندما دخلت على الإمام أعطاني كتاباً وعاملني بلطف ومودة رغم أنه لم يكن يعرفني وعندما خرجت لقيت ذلك المسؤول الأمني واقفاً وقد تغير لونه بوضوح فسألته عن علة ذلك، فقال: لقد أسر الإمام في قلبي بشيء وجدته فيه؛ ثم عرفت أنه استقال من منصبه فيما بعد. ولقد حصلت لي الحالة التي حصلت له. لقد أيقظني اللقاء بالإمام¹.

إن شئتم فصلوا

بعد وفاة آية الله البروجردي، ذهبت يوماً إلى طهران برفقة الإمام فوصلنا قبل الظهر بساعة إلى منزل السيد اللواساني الواقع في المحلة التي يقع فيها مرقد السيد يحيى، وكان السيد اللواساني قد ذهب إلى المسجد فجلسنا في الاستقبال، وقدموا لنا فالودج «الكرمك»²، وكنت أجلس بحالة من التأدب أمام الإمام لما أراه فيه من عظمة وهيبة، وقد لاحظ ذلك فقال: «إذا كنت متعباً فخذ قسطاً من الراحة» فذهبت إلى غرفة مجاورة، ونمت فيها. فطرق الإمام الباب عند الزوال مع ارتفاع صوت الأذان وقال: «يا سيد صانعي، حان أول وقت الظهر إذا أرت الصلاة». فنهضت للوضوء وصليت خلف الإمام. ثم جاء السيد اللواساني وقدموا له طعام الظهرية وكنت أخجل من الأكل في محضر الإمام، فانتبه لذلك، وكانت سيرته ملاحظة ورعاية مشاعر الآخرين، وإكرامهم في تعامله الاجتماعي. فأشار على لبن رائب ومنشف كانوا قد جاؤوا به قرية لواسانات التي ينتمي عليها السيد اللواساني، وقال: «هذا لبن لواسانات وقد نشفوه فكل

¹ صحيفة جمهوري إسلامي، ١٣٥٩/٩/٦هـ.ش.

² نوع من البطيخ.

منه!» فعقب السيد اللواساني على ذلك بالقول: لا تخشى الأكل منه، فلن يضرنا ذلك! فخفت حالة الخجل في اثر هذه الكلمات الودودة من السيدين^١.

الوفاء لقدماء الزملاء

تعرفت على الإمام عندما ذهبت إلى أراك للدراسة حيث كنا نحضر معاً دروس المرحوم آية الله الحائري في الفقه والأصول وكنا نتباحث بنشاطها بمشاركة الشيخ فريد الكلبيكاني والسيد محمد الداماد، وكنا نحن الأربعة نحضر درساً خاصاً خصنا به آية الله الحائري، كما كنت أحضر مع الإمام درس المرحوم الشاه آبادي الخاص في العلوم العقلية. وقد حالفني توفيق زيارة الإمام بعد انتصار الثورة الإسلامية عدة مرات، وكان يحيطني كل مرة بالكثير من اللطف والمودة، وكان قد قال لحراس بيته: «لا تعترضوا طريق السيد النخعي في أي وقت يأتي إلينا». وكان كل منا يأنس كثيراً بالثاني، وعندما كنت أزوره في الآونة الأخيرة كان يقول لي في كل مرة عندما أهدم بالقيام للخروج: «ابق عندنا لوقت إضافي آخر»^٢.

أدخل على قلوبنا سروراً عظيماً

كان يوم التاسع من ربيع الأول وكنا عائدين من المسجد مع الإمام حتى وصل إلى منزله، فدخل المنزل وكنا قد اتفقنا مع بعض الأصدقاء على الذهاب على منزل الشيخ نصر الهوا لخلخاله لزيارته، لكننا عندما وصلنا بيت الإمام غيرنا قرارنا ودخلنا مع الشيخ القرهي قسم «البراني» في بيت الإمام، فجاءوا لنا في الطعام، وقبل أن نبدأ بتناول الطعام جاء الشيخ القرهي بوعاء فيه لبن رائب كان قد قدم للإمام كطعام له، فلما عرف بوجودنا في البراني خصنا بالقسم الكبر منه وقال: «قدموه للضيوف» فعبر بذلك عن لطفه ومودته وإكرامه لنا، وقد ادخل بذلك على قلوبنا سروراً عظيماً^٣.

أجاب بلطف على السؤال في الغد

على مدى عدة سنين، كنت أرافق الإمام بعد خروجه من مسجد السلماسي إثر انتهاء درسه، فأعرض عليه ما لدي من أسئلة وهو يجيبني حتى يصل إلى منزله، ولم يبدِ ولا مرة واحدة أدنى ما يشير إلى أنه غير راغب في الإجابة على أسئلتي أو مرافقتي له بسبب ذلك، رغم أن ذلك لم يقتصر على يوم أو

^١ آية الله الشيخ يوسف الصانعي، مجلة حوزة، العدد: ٣٢.

^٢ آية الله الشيخ ريحان الله النخعي، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٤ ص ٢٨٦.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد رفعت.

يومين، بل كنت أقوم بذلك في اغلب الأيام تقريباً، منذ الأيام الأولى لحضوري درسه وإلى الأيام الأخيرة.

ولكن بعد خروج الإمام من السجن، اشتد الإقبال الجماهيري عليه كمرجعية بارزة، فكان عدد كبير من الناس يلتفون حوله لتقبيل يده عند خروجه من المسجد الأعظم بعد انتهاء الدرس فاضطر إلى استخدام سيارة الأجرة في الذهاب إلى المسجد والعودة منه، لذلك ذهبت يوماً بعد الدرس إلى منزله وعرضت عليه أسئلتني فلم يجبني بل قال: «اكتبها»، ففعلت وقدمتها له فأخذها ولكنه لم يجب عليها أيضاً، فخرجت، ولأنني كنت قد آنست بتعامله الترحيبي السابق، فقد شعرت ببعض الأذى لما شاهدت منه هذه المرة، ولم يرغب عنه ذلك الطبع، ثم لقاني أخي وسألني عن سبب عدم ارتياحي فقلت: ذهبت إلى السيد وعرضت عليه سؤالاً لكنه لم يجبني! فقال لي بلغة المعاتب: إن ابنة السيد مريضة وهو متأثر لذلك وقد أمرني بأن نقوم بورد (أمن يجيب)، وندعو آية الله السيد القاضي بذلك، فلعلك تتوقع أن يجيبك على أسئلتك كالمعتاد!!

ولكن الإمام عرض سؤالي في اليوم التالي في درسه العام الذي كان يشارك فيه قرابة الألف طالب وأجاب عليه وأشار ضمناً إلى عدم ارتياحي من عدم إجابته على سؤالي في اليوم السابق¹.

لم يسمح للأصدقاء بإيقاظي

عاد الإمام من بغداد بعد منعه من دخول الكويت، وصادف ذلك قبيل غروب شمس يوم الخميس، فقال: «أريد أن أذهب لزيارة حرم الكاظمين». وقال الأصدقاء أنهم يرغبون في الزيارة برفقته، لكنه لما رآنا نستعد جميعاً لذلك نظر إلي ثم إلى الحقيبة التي تحتوي على الوثائق ووسائله الشخصية وقال بين هاتين النظرتين: «أنت ابق هنا» فعرفت مقصوده فبقيت، وقد أخبرني الأصدقاء فيما بعد عن المشهد العظيم الذي اشتملت عليه هذه الزيارة إثر اجتماع الزائرين العرب وأهل المدينة حول السيد الخميني قده في الحرم الكاظمي المقدس، وعلى أي حال، فقد بقيت أنا في الفندق وأغلقت أبواب غرفتنا ووضعت المفتاح في جيبي وجلست على كرسي عند باب الغرفة فمنت بسبب شدة التعب

¹ آية الله الشيخ يوسف الصانعي، مجلة حوزة، العدد: ٣٢.

وعندما رجع، وعرف بأني نائم خلف باب الغرفة لم يسمح للأصدقاء بإيقاظي وبقي واقفاً عند الباب حتى استيقظت إثر سماعي لصوت، فرأيته واقفاً إلى جانبي، فقامت فوراً وفتحت الباب ودخلنا، وفرش السيد عباءته فوراً وشرع في الصلاة، وبعدها سألتناه عن الطعام الذي يرغب في أن نعهده لعشاءه فقال: «قليل من اللبن الرائب مع قليل من الخبز» ثم تناول العشاء، وبعدها أخذ بتلاوة القرآن^١.

لا أرضى بتسبب المزاحمة ولو لشخص واحد

وعندما جاء السيد الخميني قدس سره إلى النجف الأشرف طلب منه طلبة الحوزة أن يقيم صلاة الجماعة في مدرسة السيد البروجردي، وقد بعث قدومه فيهم حالة عجيبة من الحماس والسرور، حتى أنهم أخرجوا من مكتبة المدرسة نسخة نفيسة من القرآن الكريم كان بلاط الشاه قد أهداها للمدرسة، وأعادوها إلى القنصلية الإيرانية في كربلاء، ولكن بعض أهل الحل والعقد قالوا له: إن إقامة صلاة الجماعة في المدرسة تسبب بعض المزاحمات للطلبة الدارسين فيها، فامتنع السيد الخميني قدس سره فوراً عن إقامتها، وكأنه ينتظر مثل هذا الكلام، فتصور الطلاب أن سبب امتناعه هو حلول شهر رمضان وصعوبة إقامة الصلاة جماعة عليه في هذا الشهر، ولكن الشهر المبارك انقضى ولم يحضر لصلاة الجماعة فحققوا في الأمر، ولما عرفوا السبب الحقيقي جاؤوا للسيد الخميني قدس سره وتعهدوا بأن يختاروا للصلاة مكاناً لا يقابل غرفة أي من الطلبة لكي لا تزاحم تردد أي منهم على غرفته أثناء الصلاة، فقال لهم: «إنني لم أعتد على الذهاب إلى مكان لإقامة صلاة الجماعة فيه حتى عندما كنت في قم كنت أقيمها في منزلي، لا أرضى بأن يسبب حضوري مزاحمة ولو لشخص واحد»^٢.

كان رؤوفاً للغاية

كان الإمام رؤوفاً للغاية. فمثلاً ذهبنا يوماً مع علي [حفيد الإمام] إلى الحديقة فرأى فيها طفلة صغيرة في عمره هي ابنة أحد الحرس فأصر أن نصطحبها معه إلى الإمام، وعندما دخلنا عليه كان يتناول طعام الظهيرة فقال لعلي: «اجلس أنت وصديقتك لكي نتناول الطعام معاً» فجلسنا وقد حاولنا إخراج الطفلة عدة مرات لكي لا تزاحمه لكنه كان ينهانا ويقول: «دعوا الطفلة تأكل طعامها». وعندما أنهت تناول

^١ حجة الإسلام والمسلمين الناصري، مجلة (پیام اسلام = رسالة الثورة) العدد: ٥٨.

^٢ آية الله الشيخ القديري، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بالذكرى السنوية الثانية لوفاة السيد الخميني قدس سره.

طعامها، ذهبنا إليه لإرجاعها وقد أهدى لها (٥٠٠) توماناً. أجل كان يأنس بالأطفال ويرأف بهم، وهذه سيرته في التعامل مع جميع الأطفال وليس مع علي فقط^١.

يعطي حلواه للطفل ويستجيب لطلب الزائر

كنت في كربلاء عندما جاء الإمام للزيارة، وكان ملتزماً بزيارتها في ليالي الجمعة وكذلك في الموسم السبعة التي وردت فيها زيارات مخصوصة لسيد الشهداء عليه السلام مثلما وردت ثلاث زيارات مخصوصة للنجف الأشرف. وكان يتعبد في الحرم أثناء الزيارة وينشغل بالصلاة والدعاء مثل سائر المتعبدين في حين أن باقي العلماء كانت لا تزيد مدة زيارتهم للحرم على (١٠-١٥) دقيقة، يصلون ركعتين ويتلون نصوص الزيارة والدعاء عن حفظ، أما الإمام فكان يجلس في الحرم مثل بقية الزائرين ويقرأ الزيارة والدعاء من كتاب مفاتيح الجنان. ومرة رايته يصلي عند الجهة المقابلة للرأس الشريف في مرقد الإمام الحسين عليه السلام وكنت أنا وطفلي الصغير نجلس بالقرب منه، فجاء رجل وأخذ يوزع الحلوى على الزائرين - كما هي عادة أهل بغداد - وقدمها أمامنا، فتناول الإمام قطعة من الحلوى مثلما فعل الآخرون، لكنه قدّم قطعه إلى ولدي الصغير الذي غفل الرجل عن تقديم الحلوى له والتفت الإمام لذلك فأعطاه حلواه.

وأثناء هذه الزيارة، جلب التفاتي موقف آخر هو أن أحد الزائرين الإيرانيين جاء للإمام وقدّم له «تربة» كان قد اشتراها وطلب منه أن يصلي عليها للتبرك بذلك ثم يرجعها له، فوافق بكل تواضع وقام بكل خشوع وصلّى ركعتين ثم قدمها للزائر، وقد أسرني كثيراً هذا الأمر الذي يعبر من جهة؛ عن اعتقاد الناس بسمو مقام الإمام المعنوي، كما يعبر من جهة ثانية عن اعتقاده هو بنفسه بهذه القضايا المعنوية، الأمر الذي يدحض تصورات البعض، بأن كون الإمام رجل جهاد يعني أنه لا يرى مثل هذه القضايا من الخرافات، ولكن اتضح أنه يعتقد بها بقوة ويعمل بها لأنها وردت في الأحاديث الشريفة^٢.

^١ الحاج عيسى الجعفري (خادم في بيت الإمام في جمران).

^٢ آية الله الشيخ محمد هادي معرفت، مجلة حوزة، العدد: ٣٢.

نظراته مفعمة بالمودة

كان وجود الإمام يفتح بالعواطف الجياشة ونظراته مفعمة بالمودة تزيل الأذى عن روح من تتوجه إليه، لذلك كنا نذهب إليه كلما أصابنا أذى فيزول عنا بمجرد أن نسمع جوابه الودود على سلامتنا، لقد كنا ننسى ما أصابنا حقاً فور ذلك^١.

وعواطفه جياشة قوية

الإمام رجل ذو عاطفة قوية، فمثلاً كان مشهد توديعه لأخواتي - بعدما يأتين لزيارته في النجف الأشرف - مؤثراً للغاية بحيث أنني لم أكن أطيق الوقوف في ساحة المنزل ورؤية هذا المشهد وتوديع الإمام لهن قبل عودتهن إلى إيران، وكان أخي المرحوم [السيد مصطفى] يقول أنه أيضاً لم يكن يتحمل رؤية هذا التوديع. الإمام يتعامل بعواطف جياشة مع أولاده لكنه لا يسمح - في الوقت نفسه - أن تؤثر هذه العواطف أبداً على قراراته وأعماله^٢.

ويحرص على سلامة الآخرين

الإمام يحب زوجته وأولاده وأحفاده بل وأقرباءه كثيراً، بل وحتى أعضاء مكتبه فإذا مرض أحدهم نجده يكرر السؤال عن حاله ويوصي بمعالجته ويتابع حاله باستمرار ويأمره بالذهاب على المستشفى. وقد ذهب يوماً السيد احمد لقراءة بيان للإمام في إحدى المراسم، وقبل أن يقرأه قال في مقابلة يسمعها الإمام عبر المذياع، إن حالته الصحية غير مناسبة، فاتصل الإمام عبر الهاتف فوراً للاستفسار عن صحته وسبب مرضه^٣.

انتبهوا لكي لا يؤذيكم القلم

كان الإمام شديد الاهتمام بسلامتنا، فمثلاً إذا كنا نكتب شيئاً يقول لنا: «انتبهوا لكي لا يؤذي القلم أعينكم»، فنسأله: وما علاقة القلم بالعين؟ فيجيب: «من المحتمل أن يقع طفل عليكم فيصيب القلم أعينكم!»^٤.

يهتم بتعزية حفيدته

^١ السيدة فرشته الإعرابي، حفيدة الإمام.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة پیام انقلاب، العدد: ٦٠.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، المصدر السابق، العدد: ٥٠.

^٤ السيدة زهراء الإشرافي (حفيدة الإمام) ملحق صحيفة اطلاعات ١٣٦٩/٣/١٤ هـ.ش.

عندما توفي آية الله السيد الخاتمي - والد زوجي - : سافرت إلى يزد للمشاركة في مراسم العزاء، فكانت أمي تقول: إن الإمام يسأل عنك باستمرار، وكان يعرب باستمرار عن رغبته في رؤيتي وتقديم العزاء لي لكي يخفف من حزني، وفور عودتي على طهران استدعاني للقائه. وكان ذلك مثيراً لإعجابي حقاً فهو - ورغم كثرة مشاغله - لم يكن يغفل عن متابعة شؤون عائلته ويهتم بقضية مثل تعزية حفيدته على وفاة والد زوجها. إنه لم يكن يغفل عن أي قضية^١.

في المستشفى يسأل عن حال المرضى

عندما كان في المستشفى يخضع للعلاج، مرضت أختي، فكان يسأل عن حالها كلما أفاق من حالة الإغماء التي تصيبه بين الحين والآخر أثناء العلاج، وهذا نموذج واضح للدلالة على شدة اهتمامه بالارتباط العاطفي وقوة عاطفته^٢.

يخفف عن عانديه في مرضه

كان سمو أخلاق الإمام يمنعه حتى من التأوه منشدة الآلام التي كان يقاسيها وهو راقد على فراش المرض في المستشفى، بل وكان يخفف عن زواره ويزيل قلقهم عليه فيجيب على أسئلتهم عن حالته بالقول: «حالي جيدة، فكيف صحتكم، لقد أصابتكم وعكة، فهل زالت عنكم!»^٣.
اجلسوا لكي لا تتعبوا

تدهورت صحة الإمام بشدة وورق بالمستشفى، فكنا نذهب لعيادته وعندما نقف عند سريره كان يقول بمودة: «اجلسوا فالكرسي موجود!» فكنا نقول: نحن مرتاحون يا سيدي، فيقول: «اجلسوا لكي لا تتعبوا من الوقوف»^٤.

لا تأتين إلى هنا بدون طفلتك!

كنا إذا انشغلنا عن زيارة الإمام يوماً أو يومين قال لنا: «أين كنتم؟ كأنكم لا تعرفوني!» فكان يهتم بالتواصل إلى هذه الدرجة، ذهبت لزيارته يوماً وحدي دون أن أصطحب معي ابنتي الصغيرة فاطمة، وعندما دخلت المنزل كان يتمشى في ساحته فسألني عنها بعد أن رد سلامي، فقلت: إنها تؤذي يا

^١ السيدة زهراء الإشراقى (حفيدة الإمام).

^٢ السيدة زهراء الإشراقى (حفيدة الإمام) ملحق صحيفة اطلاعات ١٣٦٩/٣/١٤ هـ.ش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانى، النشرة الخاصة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام.

^٤ السيدة فرشته الإعرابى، حفيدة الإمام.

سيدي، ولذلك جئت وحدي، فأذاه هذا القول إلى درجة أنه قال: «إذا أردت المجيء إلى هنا ثانية بدون فاطمة، فلا ينبغي لك المجيء!» أجل كانت روحه شفافة جداً، سألته: لماذا تحب الأطفال إلى هذه الدرجة؟ هل لأنهم أولادنا؟ فقال: «لا ليس هذا السبب عندما أدخل الحسينية فإن انتباهي يتوجه إلى من فيها من الأطفال، وحتى إذا تكلمت مع الحاضرين كان انتباهي يتوجه على الأطفال من بينهم إذا سمعت بكاء أحدهم أو شاهدت أحدهم يلوح بيده إليّ أو يشير إليّ»^١.

اترك الطفل وشأنه

ذهبت يوماً لزيارة الإمام مع ولدي حامد وهو يومئذ ابن أربع سنين، وكان إلى جانب الإمام كيس كبير مملوء لأكثر من نصفه بالأوراق والرسائل، وهو يخرج واحدة تلو الأخرى ويقرأها ثم يضع الرسالة التي تحتاج إلى كتابة جواب عليها تحت الملحفة ويضع الباقيات جانباً. وعندما جلسنا بدا يتحدث مع حامد فسأله مثلاً عن اسم والده مع أنه يعرف اسمي، ثم اخذ حامد باللعب، فخشيت أن يضايق لعبه عمل الإمام فاستأذنت للانصراف به فقال: «اترك الطفل وشأنه، إن كان لديك أنت عمل فتفضل: . فخرجت من عنده، وبعد نصف ساعة قلت لنفسني: لعل الطفل يؤذي الإمام بلعبه، فعدت لإخراجه، وعندما دخلت وجدته واضعاً رأسه على رجل الإمام ومسنداً قدميه على الجدار وهو يقول له: ضع هذه الورقة في محلها وبصورة مرتبة . . . والإمام يضحك من قوله، فقلت للإمام: اسمحوا لي بإخراجه إنه يزاحم عملكم، فأجابني: «كلا، الطفل لا يزاحمني، فانصرفوا أنتم»^٢.

يأنس بالأطفال ويلعب معهم

كان الإمام مفعماً بالعاطفة، فمثلاً كان يأنس كثيراً بعلي ابن السيد أحمد، وقد يستغرق لعبه معه أحياناً عدة ساعات، وأتذكر أننا أخذنا عليه مرة لزيارة مرقد الإمام الرضا عليه السلام في مشهد؛ ورغم أن الإمام لم يكن يتحدث مباشرة مع أحد عبر الهاتف إلا أنه وعندما اتصلنا هاتفياً بطهران طلب التحدث مع علي، وعندما حادثه عرف - بفراسسته الاستثنائية - أنه مريض فأوصانا برعايته^٣.

^١ السيدة زهراء الإشرافي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

^٢ السيد علي الثقفي (شقيق زوجة الإمام).

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (مرزداران = حرس الحدود) العدد: ٦.

ويضع صورة حفيده في غرفة نومه

تحمل الإمام مصيبة فقد إحدى حفيداته أيضاً، إذ أن إحدى بناتي لم تنجب إلا بعد اثني عشر عاماً من زواجها، وعندما أنجبت لم ترَ وليدها، وهذا الأمر يحز في نفسي كثيراً، على أي حال كان الإمام شديد الحب لطفلها حتى أنه وضع صورته فوق محل نومه. وقد زارنا يوماً ضيوفٌ أحبوا رؤية صورة هذا الطفل فأرسلت في طلبها من الإمام فأعطاها وقال: «خذي هذه الصور على نحو الأمانة ثم أرجعها لي بعد أن يشاهدوها». وكان قد وضع بنفسه هذه الصورة في إطار من الورق المقوى¹.

هل استيقظت على صوت المنبه

كنت أنام في غرفة السيد [الإمام] في الأيام التي كانت تسافر فيها والدتي، لكنه كان يقول: «لا حاجة لأن تنامي أنت هنا، فومك خفيف جداً، وهذا الأمر يؤذيني!» لقد لفَّ الساعة التي كان يستفيد منها للاستيقاظ بقطعة من القماش ووضعها في مكان بعيد عني لكي لا استيقظ على صوت جرسها. وفي سحر إحدى الليالي كنت مستيقظة لكنني لم أظهر ذلك لأنه كان قد قام لصلاة الليل، وفي الصباح سألتني: «هل سمعت صوت جرس الساعة؟» فقد أراد أن يعرف إن كنت قد استيقظت أم لا، فأجبت به بسؤال أردت أن أتهرب به من الإجابة الصريحة، إذ قلت: وهل توجد في غرفتك ساعة لكي أستيقظ على صوتها؟! لكنه عرف هدفي من هذه الإجابة فقال: «أجيبني على سؤالي بوضوح: هل استيقظت على صوت جرس الساعة؟» فاضطرت إلى القول: أتصور أنني كنت مستيقظة. وكنت صادقة في ذلك لأن صوت الساعة كان بعيداً وضعيفاً جداً، إلا أنه قال: «لا ينبغي أن تنامي في غرفتي بعد الآن، فهذا يجعلني دائماً في قلق بسبب احتمال استيقاظك لأقل صوت». فقلت نحن نعلم أن ينام عندك من يكون نومه خفيفاً لكي يستيقظ بسرعة إذا أصابتك وعكة، وكان ذلك بعد الأزمة القلبية التي أصابته وجاء إلى طهران بسببها، لكنه رغم ذلك قال: «كلا، لا حاجة لذلك، قولي لابنتك ليلي أن تنام في غرفتي بدلاً عنك»؛ فاستجبنا لأمره.

¹ السيدة صديقة المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (سروش) العدد: ٤٧٦.

وبعد أيام قال: لا حاجة لأن تنام ليلي أيضاً هنا، فهي تزيج عن نفسها الملحفة وهي نائمة فأضطر إلى القيام مراراً في الليل لتغطيتها بها!¹.

الشيخ مسيب صاحبنا

كان الإمام ينظر بعين المحبة والمودة الخاصة لأشخاص قد لا يعبأ بهم الآخرون مثل الشيخ المرحوم «مسيب» وهو من محبي الإمام في النجف الأشرف وقد توفي إثر إصابته بمرض السرطان قبل وفاة الإمام بأيام قليلة، فقد كان يحيطه برعاية ومودة خاصة لا تتوقع لمن مثله وبقي على ذلك إلى حين وفاته، حتى أنه ذكر هذا الشيخ عند الإمام مرة فقال متسائلاً: «تعنون الشيخ مسيباً صاحبنا؟»².

آذاه غيرنا فلماذا يعرض عنا

رجع أحد الأصدقاء من أعضاء مكتب الإمام قبل أن يصل إلى محل عمله نتيجة لتصرف غير لائق من أحد العاملين حديثاً هناك كان قد آذاه، وعندما دخلنا على الإمام سأل عن صاحبنا فوراً فأخبرناه بما جرى فقال بلهجة ودية مع ابتسامة: «آذاه غيرنا فلماذا يعرض عنا؟. فلما سمع صاحبنا بقول، سارع للعودة إلى عمله»³.

ما أقل زيارتك لنا

لم تسنح الفرصة وعلى مدى عدة أيام للشهيد المطهري للذهاب إلى قم لزيارة الإمام بعد انتصار الثورة الإسلامية، فلما زاره في يوم الخميس - قبل خمسة أيام من استشهاده - قال له الإمام: «ما أقل زيارتك لنا». وقد قال بحقه بعد استشهاده كلمات قلما تكلم بمثله عن غيره من قبل ومن بعد⁴.

شدة تأثيره لاستشهاد أصحابه

تصيب الإمام حالة شديدة من التأثير عند سماع خبر استشهاد أي من أصحابه، فهو مفعم بالعاطفة في جانب كونه صبوراً كالجبل، ولذلك لم نتجرأ مثلاً على إخباره باستشهاد المرحوم الدكتور بهشتي، وكانت إحدى مهمامي في الأعوام الثلاثة التي تلت انتصار الثورة هو نقل مثل هذه الأخبار، وقد تأثر

¹ السيدة زهراء المصطفوي.

² حجة الإسلام والمسلمين رحيمان.

³ المصدر السابق.

⁴ مجلة (آينده سازان) العدد: ٢٠.

كثيراً لاستشهاد المرحوم الرجائي والمرحوم البهشتي وقال من أعماق قلبه: «عاش البهشتي مظلوماً وتوفي مظلوماً»^١.

يمسح بيده على رؤوس الأطفال وأكتافهم

نحن نعلم مراراً للحرس والزوار أن يمتنعوا عن إيصال الأطفال إلى الشرفة التي يقف عليها الإمام في حسينية جمران، لكن الإمام عندما يرى تفجر مشاعر الناس ويلاحظ رغبة الأطفال الشديدة بأن يمسح بيده على رؤوسهم، كان يسمح بذلك ويوصي بالانتباه إليهم لكيلا يسقطوا ثم يمسح بيده على رؤوسهم وأكتافهم^٢.

شدة حبه لأولاد الشهداء

كان الإمام عطوفاً ورؤوفاً للغاية بالآخرين وخاصة بالأطفال الذين كان يحبهم كثيراً ويتعامل معهم كأحدهم ويقول عنهم: «عندما أدخل إلى الحسينية فإن أكثر نظري يتوجه إلى الأطفال» وعندما يراهم يتأذون بسبب شدة الازدحام أحياناً كان يقول: «إن اصطحاب الأطفال في ظل هذا الازدحام يؤذيني كثيراً لأنهم يتأذون من الازدحام!» وكان يحب أولاد الشهداء كحبه لأولاده إن لم نقل أنه يحبهم أكثر^٣.

يسكن برأفته لوعة طفلة الشهيد

كنت يوماً في جمران في أيام إقامة الإمام فيها في سني الحرب الأولى، فرأيت بين القادمين لزيارة الإمام امرأة شابة استشهد زوجها قريباً ومعها طفلة الصغيرة التي كانت تبكي بلوعة وقد سالت دموعها بغزارة على وجهها التريب، في حين كانت والدتها تسعى لإيصال هذه الطفلة اليتيمة إلى الإمام عسى أن تسكن روحها، وكانت الأم تقول: إن ما يؤذيني ليس استشهاد زوجي فانا قد مهدت بنفسني لذهابه إلى الجبهة، ولكن أكثر ما يؤذيني هو لوعة طفلتي الصغيرة لفقد والدها، إنني لا أجد سبيلاً لتسكين لوعتها إلا بقاء الإمام.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (صالحين روستا=الصالحين في القرية) العدد: ٣.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرمانلي، مجلة (جهاد روستا) العدد: ٢٢٢.

^٣ السيدة نعيمة الإشرافي (حفيدة الإمام) صحيفة كيهان ١٣٦٨/٤/١٢ هـ ش.

وإثر ذلك أخذ أخي بيد الطفلة وذهبنا بها إلى الإمام الذي كان يتمشى في ساحة المنزل، وكنا نتوقع أن يمسح بيده على رأسها ثم نرجعها إلى والدتها، لكنه عندما رأى حالها وبكائها أخذ بيدها واحتضنها وجلس عند حافة الحوض ومسح دموعها بمحبة ومودة بالغة وأخذ يحادثها مدة حتى هدأت الطفلة بالكامل وعلت وجهها السكينة، ثم أخذناها إلى والدتها^١.

أعينوا الصبي على الصعود إليّ

طوال أيام إقامة الإمام في مدرسة علوي كانت الوفود الجماهيرية تتدفق باستمرار (الرجال صباحاً والنساء عصرًا) وكانت شدة الازدحام تؤدي على إغماء بعض الزائرين وأحياناً إلى نقلهم إلى المستشفى، في أحد الأيام كنت بالقرب من الإمام وكان ازدحام الزائرين شديداً للغاية، فرأى صبياً عمره حدود العشرة أعوام قد اشتد الضغط عليه وأخذ بالبكاء لكنه رغم ذلك كان يسعى إلى شق الصفوف بهدف الوصول إلى الإمام الذي أشار على من حوله أن يعينوا الصبي ويأتوا به إليه في الشرفة، ففعلوا، ووصل الصبي إلى الإمام والعرق يتصبب منه وهو يبكي فأحاطه الإمام بمودته ولطفه، ثم طلب الصبي إلى الإمام أن يأذن له بأن يقبل خده، فقدم له خده الأيمن فقبله وطلب تقبيل خده الآخر فأدار له وجهه وقبل الصبي الخد ثم طلب تقبيل جبهته فانحنى الإمام بكل تواضع للصبي الذي جبهة الإمام والسرور يطفح من عينيه^٢.

يجيب بنفسه على رسالة الطفلة

كتبت طفلة يبلغ عمرها ستة أعوام رسالة للإمام قالت فيها: إنني أحب كثيراً أن أزورك وأراك عن قرب ولكن أعضاء المكتب لا يسمحون لي بذلك. فكتب الإمام بخطه الجواب التالي على رسالتها: «بسمه تعالى: قرأت رسالتك يا ابنتي، يمكنك المجيء إليّ متى شئت». ثم أمرنا بإيصال رسالته الجوابية إلى منزل الطفلة لكي تستطيع المجيء لزيارته متى شاءت!^٣.

اقرأ يا عزيزي

كان المسؤول عن مراسم استقبال الإمام قد أعدوا مكاناً خاصاً قرب المنصة استقر فيه الإمام والسيد أحمد وعدد من العلماء بعد أن هبطت الطائرة العمودية؛ في بداية المراسم تلا صبي بصوت حسن آيات

^١ السيد علي الثقفى، مجلة (بيك إرشاد) الشهر الرابع سنة ١٣٦٨ هـ ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الكروبي.

^٣ أحد أعضاء بيت الإمام، مجلة (آينده سازان) العدد: ١٤٤.

من القرآن مع ترجمتها وتكرر عدة مرات أنه كلما أراد أن يختم التلاوة كان الإمام يقول له: «اقرأ يا عزيزي»^١.

البت وليد مبارك

في شتاء سنة ١٣٦٣ هـ ش [١٩٨٤م] رزقني الله بنتاً فحملتها إلى الإمام تبركاً فاستقبلني بوجه مستبشر وقال: «هل الوليد لك؟» فقلت: نعم، فمد يده لحملها وهو يسألني: «ذكراً أو أنثى» فقلت أنثى، فاحتضنها ووضع خده على خدها ثم قبل وجهها وهو يقول: «البت جيدة جداً، البنت وليد مبارك» وتلا الدعاء في إذنها، ثم سألتني عن الاسم فقلت: أوكلت تسميتها لسماحتكم، فقال دون تأمل ثلاث مرات: «فاطمة اسم جيد جداً»^٢.

الاهتمام بسلامة الآخرين

عندما كان الإمام يرى ابسط جرح في وجه أحد أو عندما كان يشعر بأنه يحس بألم ما كان يسأله حتماً عن سببه، ثم يوصيه بالمزيد من الاهتمام بسلامته^٣.

قم هي مدينتي حقاً

عندما زار وفد من أهل قم الإمام في حسينية جمران تعامل معهم وكأنه أحد أهل قم، وبعد أيام زرناه وسألناه: هل أنت يا سيدي من أهل خمين أم من أهل قم؟ فقال: «إن قم هي مدينتي حقاً، وتربطني بأهلها ألفة قديمة»^٤.

الحرص على راحة الآخرين

عندما كان الإمام يقوم لصلاة الليل في السحر، كان يستعمل مصباحاً يدوية صغيراً لا ينير سوى مساحة صغيرة بين قدميه ويجتنب إيقاد المصابيح الكبيرة ويمشي بهدوء لكي لا يسبب ما يؤدي إلى إيقاظ الآخرين^٥.

^١ صحيفة كيهان، ١٤/١١/١٣٥٧ هـ ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، نشرة خاصة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام الخميني.

^٤ آية الله الشهيد البهشتي، صحيفة جمهوري إسلامي ١/٤/١٣٦٥ هـ ش.

^٥ الدكتور محمود البروجردي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٣.

في احد ليالي شهر رمضان...

في منتصف إحدى ليالي شهر رمضان المبارك، شاهدت أحد الأخوة الحرس يتجه نحونا راكضاً وهو يقول: هلموا لقد جاء الإمام للحسينية، فسارعنا إليها - وكنا حدود (٢٠) شخصاً - فرأينا الإمام بلباسه المنزلي المتواضع فلما رأنا تبسم أحاطنا برأفته ومودته^١.

يتفقدونهم بالأسحار

ينقل بعض الأخوة الحرس في قم أن الإمام كان يمر عليهم ويتفقد أحوالهم في الأسحار قبل أن يتوجه لنافلة الليل والتهجد^٢.

يتفقدنا أثناء تنظيف الحسينية

كنا ليلة - مع عدد من الأخوات - نقوم بتنظيف حسينية جمران، فدخل الإمام فجأة لتفقد أحوالنا، فتقدمت أحد الأخوات نحوه وقد غمرهن الفرح والسرور فأعطاهن مجموعة من القطع النقدية الصغيرة من فئة الريالين^٣.

أشد رافة بنا من الوالد

كان الإمام يعاملنا برافة لم نكن نتوقعها حتى من الآباء، وعندما كنا نزوره كنا نخرج من عنده ونحن أشد شوقاً لزيارته مرة أخرى لقد كان يعاملنا بهذه الرافة وهو الذي بث الرعب بصلابته في قلوب الجناة الدوليين الكبار^٤.

شدة تأثره من مشاهدة الجرحى

كان الأذى الشديد يظهر على الإمام عندما يشاهد تقارير التلفزيون المصورة عن جرحى الحرب، فيضع يديه على وجهه - وكانت هذه عادته إذا أحزنه أمر - وقد فكرت في أن اطلب من مسؤولي الإذاعة والتلفزيون عدم بث مثل هذه التقارير لشدة تأثيرها على سلامة قلبه^٥.

رعاية الجيران حتى لغير المسلمين

^١ السيد التيموري، أحد حرس بيت الإمام. كتاب (في رثاء النور).

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرمانى، مجلة (بيام انقلاب= رسالة الثورة) العدد: ٤٨.

^٣ السيد التيموري، أحد حرس بيت الإمام. كتاب (في رثاء النور).

^٤ أحد حرس بيت الإمام، المصدر السابق.

^٥ السيدة زهراء المصطفوي.

في الأيام الأولى لإقامته في باريس سكن الإمام في منزل كان احد الطلبة الجامعيين قد استأجره ولم يسكن فيه فسكنه الإمام بعد أن اشترط أن يدفع هو قيمة الإيجار، وكان المنزل هو عبارة عن شقة تقع في الطابق الرابع لإحدى البنايات، فلاحظ الإمام أن كثرة التردد عليه والزيارة له تؤذي جيرانه، فقرر الانتقال إلى مكان لا يسبب ذلك مزاحمة لأحد، ولذلك انتقل إلى إحدى ضواحي باريس (نوفل لوشاتو) للإقامة فيها^١.

كان يذكرني أثناء عدم حضوري بوصف أختي

تشرفت بخدمة الإمام عن قرب على مدى أربعة أشهر و (١٦) يوماً، وفي نوفل لوشاتو كان يأمرني بمهام من قبيل : اتصلي بالقس الفلاني وأعرضي عليه قضايا الثورة، أو: ناقشي الصحفي الفلاني بهذا الخصوص. وقد سمعت من أهل بيته أنه كان يذكرني في أثناء عدم حضوري بوصف: «أختي» وهذا الوصف نعمة ومكرمة تفضل الله بها علي^٢.

وأين طعامك أنت؟

عندما كنا في باريس أخبرني الإمام يوماً، - كانت عائلته قد ذهبت فيه إلى منزل أحد الأصدقاء - بأن آية الله المطهري وآية الله الصدوقي سيتناولان طعام الظهيرة معه، فوزعت الطعام المعتاد - وهو مرق ماء اللحم - على ثلاثة صحون لكي أقدمه لهم، وقررت أن أذهب إلى المبنى الآخر وأتناول الطعام المؤلف هناك وهو الخبز والجبنه والطماطم؛ ولكنني عندما قدمت الطعام سألتني: «أين طعامك أنت؟» فلم استطع الكذب فقلت: تفضلوا أتم سأذهب بعد قليل إلى المبنى وأتناول فيه شيئاً. فقال: «اذهبي وأتني بصحن» ولما أحضرت الصحن الرابع قام بنفسه بتقسيم الطعام الموجود على الصحون الأربعة^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد المحشمي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ١.

^٢ السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (زن روز) ١٣٦٩/٣/١٢ هـ ش.

^٣ السيدة مرضية الحديدجي (الدباغ)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٤.

أتيت لأعينكم على غسل الصحون

اتفق أن عدد الضيوف كان أكثر من المعتاد في منزل الإمام يوماً، وبعد تناول الطعام وجمع الصحون كنت في المطبخ فدخل الإمام فاستغربت لأنه لم يكن موعد تجديده الوضوء فسألته عن ذلك فقال: «الصحون كثيرة اليوم فأتيت لأعينكم على غسلها» أجل كان شديد الاهتمام برعاية حقوق الآخرين^١.

لم استطع النوم الليلة الماضية

زار عدد من الإيرانيين منزل الإمام في فرنسا يوماً وباتوا فيه، ولم يكن المكان يتسع للجميع فأخليت لهم مكاناً صغيراً خلف غرفة الإمام كنت أنام فيه ونمت في المطبخ، وكان الإمام قد لاحظ ذلك فقال في اليوم التالي: «لم استطع النوم الليلة الماضية بسبب تفكيري باحتمال إصابتك بالزكام لنومك في المطبخ»^٢.

يجتنب الطين رعاية لحالي

كنت أقوم - برغبة - بتنظيف حذاء الإمام وإزالة الطين الذي كان يلتصق به عند عودته من محل إقامة الصلاة في الأيام الممطرة، ولكن عندما التفت الإمام لذلك أخذ يحرص على أن لا يلتصق بحذائه شيء من الطين، لكي لا يحتاج الأمر إلى قيامي بتنظيفه^٣.

هداياه إلى أهالي نوفل لوشاتو

أصدر الإمام بياناً موجهاً لمسيحي العالم بمناسبة ذكرى مولد المسيح عليه السلام وقد تناقلته وكالات الأنباء، وقد أمرنا الإمام أن نوزع على أهالي قرية نوفل لوشاتو الهدايا التي جاء بها الأخوة من إيران وهي الحلوى والكرزات عادة فأضفنا إليها باقات من الورد وأخذنا بتوزيعها، فلاحظنا استغراب بعضهم من أن يقوم زعيم إيراني غير مسيحي في مثل هذه المناسبة المسيحية بهذه المبادرة الودية خاصة في الغرب الذي لم يالف مثل هذه المبادرات الودية حتى بين الأبناء والآباء؛ وقد تفجرت الدموع من عين إحدى السيدات مثلاً عندما قدمنا لها هدية الإمام وقد غمرتها المشاعر الجياشة لهذه البادرة التي اثر في معظمهم فطلبوا موعداً للقاء الإمام فوافق فوراً، فجاء حدود (١٥) منهم للقاء وهم يحملون باقات من الورد، وطلب الإمام من المترجم أن يسألهم عن أحوالهم ثم عما إذا كانت لديهم حاجات يقضيها لهم؛ فأجابوا

^١ المصدر نفسه.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ المصدر نفسه.

أنهم إنما جاؤوا لرؤية الإمام عن قرب وتقديم هذه الباقات من الورد هدية له، ولا حاجة لهم غير ذلك، فتبسم الإمام وأخذ يتسلم باقات الورد بنفسه من أيديهم فرداً فرداً، فزاد ذلك من سرورهم بلقائه^١.

الحذر الشديد من إيذاء الجيران

كان الإمام يشدد الوصية علينا بالانتباه الشديد لكي لا تصدر من أي حركة تؤذي جيرانه في فرنسا، فقد كان حريصاً للغاية على رعاية أحوالهم - وكانوا من المسيحيين - حذراً من أن يصيبهم كثرة التردد على محل إقامته بأذى، فكانت ثمرة هذه الأخلاق الإجتماعية السامية أن أهالي قرية نوفل لوشاتو أعربوا عن حزنهم لفراقه عندما عزم العودة إلى إيران وأهدوه مقدار من تراب ضاحيتهم^٢.

يسأل عن أحوال جيرانه في باريس

كان الإمام يتعامل بطريقة طيبة للغاية مع جيرانه في باريس ويسأل عن أحوالهم ويبعث لهم رسائل التبريك والورود في عيدهم، ويجسد الأخلاق الكريمة عموماً في معاشرتهم^٣.

اعتذروا من الجيران

عندما تقرر - بصورة نهائية - أن يعود الإمام إلى إيران، أمرني بأن أطوف على منازل أهالي ضاحية نوفل لوشاتو وأعتذر نيابة عنه منهم لحرمانهم من الهدوء خلال مدة إقامته فيها، فذهبنا أنا والشيخ الإشراقي وبعض الأخوة - إلى جميع بيوت الضاحية وأبلغنا ساكنيها رسالة الإمام واعتذاره^٤.

هدية الإمام للسيدتين المسيحتين

عشية عودة الإمام إلى إيران جاءت سيدتان مسيحتان فرنسيتان إلى محل إقامته مع غروب الشمس، وطلبتا الالتقاء به فاعتذرتُ منهما لعدم إمكان ذلك بسبب موعد الصلاة، فقالتا: إذا لم يكن بالإمكان الالتقاء به فنرجو منكم أن تقدموا له هذه - وكانت قنينة زجاجية فيها شيء من التراب - إن عادتنا إذا أحببنا شخصاً أن نهدي له عند وداعه أعز ما لدينا، وهذا تراب وطننا نهديه له فهو أعز ما لدينا. ثم طلبتا

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، المصدر السابق: ج ١.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد السجادي الأصفهاني.

^٣ السيد مصطفى كفاش زاده.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، موسوعة موثر، ج ٢.

صورتين للإمام موقعة بخطه، فلما أخبرنا الإمام تبسم، وأخذ القنينة الزجاجية ووقع على صورتين له، فلما حملنا هديته لهما قبلتا الصورتين شاكرتين لنا^١.

أتعلم كم أحبك

أحاطني الإمام في مناسبتين أو ثلاثة تشرفت بها بزيارته، بألفه الكريمة إلى درجة شعرت معها بالخجل، وفي إحدى الزيارات أخذ بيدي ووضعها على كفه المباركة وقال: «أتعلم كم أحبك؟»^٢.

ضاق صدري شوقاً لشمران

اتصل الحاج السيد أحمد يوماً من مكتب الإمام بمقر العمليات الفدائية في الأهواز وقال: إن الإمام يقول: «لقد ضاق صدري شوقاً للدكتور شمran، قولوا له أن يأتي إلى طهران» وكان الدكتور يومئذ قد أصيب بجروح في قدمه في منطقة عمليات سوسنجر، فلما سمع بأمر الإمام توجه فوراً إلى طهران وزار الإمام وقد حملنا معه خرائط منطقة العمليات لعرضها على الإمام وقد جلس في محضره متربعاً رغم أن إصابته في رجله كانت تجعل عليه مثل هذه الجلسة شاقة مؤذية لكنه كان يتحمل ألمها احتراماً للإمام الذي يعشقه، وأخذ يشرح أوضاع منطقة العمليات على ضوء تلك الخرائط، فأحس الإمام بفراسته الخاصة بما يعانیه فقال له: «أيها السيد الدكتور، مدّ رجلك واجلس براحة» أجاب الدكتور: إنني مرتاح يا سيدي، فقال الإمام: «أقول: مدّ رجلك» ولكن الدكتور لم يقبل احتراماً للإمام، فكرر الإمام قوله للمرة الثالثة فاضطر الدكتور للإسجابة.

وبعد انتهاء اللقاء، استعد الإمام للذهاب إلى الحسينية لاستقبال زائريه، لكنه قبل دخولها وقف ونادى ولده السيد أحمد الذي لم يسمح صوته لأنه كان في ساحة المنزل فناديته - إذ كنت في الشرفة واقرب إليه - فلما جاء قال له الإمام: «إن السيد شمran لا يستطيع العبور برجله المصابة عبر هذه الطاولات التي وضعتوها هنا أزيحوها وافتحوا له الطريق»^٣.

صلة الإمام للسيد حجازي

^١ حجة الإسلام والمسلمين فردوسي بور (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ١.

^٢ الفريق قاسم علي ظهير نجاد.

^٣ السيد مهدي شمran، شقيق الشهيد شمran.

بعدهما قرأ السيد فخر الدين حجازي قصيدته في محضر الإمام تحت عنوان «والفجر» وطلب منه صلة عليها فسأله الإمام: «وأي صلة تريد أن أعطيك؟» فقال: مثل الهدية التي وهبها الإمام الرضا عليه السلام لدعبل! فأرسل له الإمام فيما بعد قميصه^١.

كانت أخلاق الإمام محمدية

كانت أخلاق الإمام محمدية حقاً! فطوال المدة التي كنا نعالجها فيها ورغم تلك العملية الجراحية الصعبة التي أجريناها له، لم يقطب ولا مرة واحدة حاجبيه إظهاراً للألم والتوجع؛ ولم يعترض ولا مرة على أوامرنا بالقيام أو المشي - حسب مقتضيات العلاج - كان يعاملنا باحترام فائق، وأستطيع القول أنه كان مريضاً نموذجياً! ولا أتصور أن أحداً يستطيع أن يتحلى بالرضا بالقدر الإلهي إلى هذه الدرجة، فيتحمل كل هذه الآلام ويتحلى معها بحسن الخلق إلى درجة يمتنع عن إظهار أي شيء يسبب لنا الأذى^٢.

يتورع عن قتل ذبابة

تؤدي أحياناً مشاهدة ابن أو أب لشهيد إلى جعل الإمام يبكي بحرقة تجعل الإنسان ينسى أن هذا الباكي هو نفسه الذي يصدر الأوامر الحربية ويبشر المقاتلين بأن مصيرهم الجنة سواء قتلوا أعدائهم أم قتلوا!

لقد جمع الإمام صفات متضادة، فهو يتورع عن قتل ذبابة في حين لا يتهبب عن قتل آلاف مؤلفة من

الكافرين^٣

عرفانه للجميل

إن من خصوصيات الإمام بلوغه مقام «جمع الجمع» فهو لا يغفل عن ابسط القضايا في الوقت نفسه الذي يهتم بعظائمها، فمثلاً إذا قدّم شخص خدمة له في زمن ما، فإنه يحرص على التعبير عن عرفانه لجميله بتفقد أحواله وأحوال عائلته وأبنائه^٤.

أخرج الذبابة ولا تقتلها

كنت واقفاً خارج غرفة الإمام يوماً فرأيتته يشير إلي من خلف النافذة بالدخول عليه، فسارعت إليه، وعندما دخلت عليه وجدت بيده منديلاً ورقية، قال لي: «يا حاج عيسى، توجد خلف زجاجة النافذة

^١ مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام) العدد: ١٠٢.

^٢ الدكتور كلانتر المعتمدي، مجلة (اطلاعات هفتكي) العدد: ٦٠.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (پیام انقلاب) العدد: ٦٠.

^٤ آية الله العباثي الخراساني، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٦٨/٤/٨ هـ.ش.

ذبابة كبيرة، فأخرجها من الغرفة ولكن دون أن تقتلها» ثم كرر القول: «حذار من أن تقتلها» وخرج من الغرفة، لقد كان رحيماً إلى هذه الدرجة حتى بالحشرات ولم يكن يستخدم السموم الكيماوية للتخلص من أذاهما، فقد سعى لإخراج الذبابة بالمنديل الورقي فلم يستطع ولذلك استدعاني لإخراجها^١.

عندما كان الذباب يؤذيه

أتذكر أنني كنت ألاحظ أيام شبابي أن الإمام عندما كان يتأذى أحياناً من وجود الذباب في غرفته عندما يضطجع لنوم الظهر لم يكن يقوم بقتلها أبداً بل كان يفتح باب الغرفة قليلاً ويخرجها واحدة تلو الأخرى، وكان هذا العمل يستغرق أحياناً دقائق طويلة^٢.

يتورع عن استخدام السموم المضادة للحشرات

كان الإمام إذا أراد إخراج ذبابة من الغرفة، أخرجها بواسطة الكساء، فلم يكن يستخدم السموم المضادة للحشرات أبداً، بل كان يخرج الذباب مهما كثر عدده بواسطة الكساء ثم ينام، فقد كان يتورع عن استخدام السموم أو أي شيء يؤدي إلى قتلها^٣.

ويطعم القطة من طعامه

كانت تتردد على منزل الإمام قطة كبيرة وكان يطعمها من طعامه، وكلما دعوناه إلى الإعراض عنها وتناول طعامه، كان يرد علينا بالقول: «لا شأن لكم بها» وكانت تجتمع في منزله أحياناً عدة قطط، فيعاملها جميعاً بمودة بالغة جعلت بعض الأخوة ممازحين: يا ليتني كنت قطة!!^٤.

بعد أن اطمئن من تناول القطة لطعامها تناول طعامه

في ظهيرة يوم شديد الحر جاؤوا للإمام بطعامه المعتاد في بساطته والبساطة لسمة مميزة لعيش هذا العظيم، وكان طعامه عبارة عن قليل من مرق ماء اللحم وقليل من الأرز، ولما هم بتناوله سمع بصوت قطة في ساحة المنزل وصلت لمشامها رائحة الطعام، فنادى ابنه السيد أحمد وأخرج قطعة اللحم من صحن طعامه وأعطاهها له وقال: «أعطها للقطة يا أحمد» فقال السيد أحمد: إنها ليست جائعة يا سيدي،

^١ الحاج عيسى الجعفري.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي.

^٣ السيدة صديقة المصطفوي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

^٤ مجلة (أرمغان) العدد: ١١.

قال: «لو لم تكن جائعة لما جاءت إلى ساحة المنزل» اضطر السيد احمد إلى أخذ قطعة اللحم وذهب بها إلى القطة؛ وبعد أن اطمأن الإمام من تناول القطة لها بدأ بتناول طعامه!^١.

ما الفرق بينك وبين القطة؟!

كان مما يثير إعجابي حب الإمام ورأفته بالحيوانات، عندما كان يدخل إلى الغرفة لتناول طعام الظهيرة كانت القطة تجتمع أحياناً خلف بابه فيأخذ قطع اللحم الذي في طعامه ويعطيها لها، ويكتفي هو - كعادته دائماً - بتناول مقدار من ماء اللحم مع قليل من الأرز، ولا أتذكر أنه أكل يوماً اللحم الذي يطبخ في المرق أو غيره من طعامه، قالت له يوماً أُمي وكنا عنده أثناء تناول طعامه وبعد أن أعطى ما فيه من اللحم للقطة: يا سيدي لماذا تعطي اللحم للقطة في ظل هذا الغلاء في الأسعار، فأجابها بلهجة فيها بعض الألم: «وما الفرق بينك وبينها، إنها تتنفس مثلما تتنفسين! فمن يعطيها الطعام إن لم نعطيها نحن؟»^٢.

قدموا للأسير ما يحب من الطعام

اعتقلت عناصر لجنة استقبال الإمام عدداً من عملاء النظام الملكي الظالم ونقلوهم إلى مكان يقع خلف مبنى البرلمان القديم في ميدان بهارستان، وقدموا لهم في المساء طعاماً هو عبارة عن الأرز المطبوخ مع المرق وهو نفسه الذي كان يأكل منه الإمام وأصحابه، لكن أحد هؤلاء المعتقلين رفض تناوله وقال أنه لم يأكل مثل هذه الأطعمة من قبل وطلب دجاجاً مطبوخاً مع الأرز، فلما أخبرنا الإمام بذلك قال: «قدموا له ما يحب من الطعام!» فاضطر الأخوة إلى الذهاب في تلك الليلة - إلى المطعم وشراء وجبة من طعام الدجاج المطبوخ مع الأرز!^٣.

حريص على هداية أعدائه

جرى الحديث يوماً عن خصوصيات الإمام مع حجة الإسلام والمسلمين الشهيد سليمي أثناء زيارته للجهات الجنوبية مبعوثاً من مكتب الإمام لتقوية معنويات المقاتلين وتفقد أحوالهم، فقال: أخبرنا الإمام قبل أيام عن الإهانات والكلام البذيء الذي كان يتفوه به الشيخ علي الطهراني عبر إذاعة بغداد ضد

^١ المصدر السابق.

^٢ السيدة زهراء الإشرافي، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

^٣ السيد روح الله المهدي، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٢ ص ١٨٠.

الإمام، ولما انتهى حديثنا قال الإمام: «قبل أيام ذكرت الشيخ الطهراني ودعوت له!» لقد كان الإمام شديد الحرص حتى على هداية وإصلاح أعدائه ومعارضيه^١.

يرجوهم أن لا يضلوا

لقد شاهدت بنفسي الدموع التي كان الإمام يذرفها حزناً على انفصال بعض الحوزويين والساسة والشباب من اليساريين الفاقدين للأصالة الإسلامية عن جبهة الثورة وانحرافهم عن مسيرتها وعن ثقافتها الأصيلة، وشاهدت عن قرب الجهود والمساعي المكثفة التي كان يبذلها في دعوتهم إلى التقوى والفضيلة، فقد كنت أحد الذين حملوا رسائله المكررة إليهم والتي كان يرجو منهم أن لا ينحرفوا عن مسيرة الشعب وجماهيره المليونية^٢.

رعاية البعد الإنساني قبل كل شيء

كان أحد الرهائن الأميركيين مصاباً بمرض مزمن اشتد عليه في الآونة الأخيرة، ولما فحصه الأطباء الثقات ذكروا أن إمكانيات معالجته غير متوفرة في إيران، فعرضنا الأمر على الإمام مباشرة لأن مجلس الشورى لأن مجلس الشورى لم يكن يومئذٍ في حالة تؤهله لاتخاذ القرارات، فالتفت الإمام إلى البعد الإنساني في القضية قبل كل شيء ولذلك أمر بإطلاق سراحه فوراً، فتم ذلك ونقل إلى أميركا^٣.

شديد على الكفار رحيم بالمؤمنين

الإمام شديد صلب في مواجهة القوى الكبرى وأعداء الله وخلقهم، تجد قلبه كالجبل الشامخ بل وأصلب في مواجهتهم، لكنه رقيق القلب - في الوقت نفسه - يذرف دموع الرحمة والتأثر عندما يرى وجوه المحرومين والمظلومين من أبناء شعبه ومسلمي العالم ويلاحظ ما تحكيه من مشاهد المعاناة والمحن^٤.

يقرأ الدعاء في آذاننا عندما نودعه

الإمام رجل ودي عطف رحيم للغاية خاصة مع والدتنا التي يكن لها احتراماً خاصاً. هذه هي طريقة تعامله مع الآخرين ومعنا لم تتغير منذ كان طالباً وإلى اليوم، كان - منذ البداية - يتعامل معنا بالطريقة نفسها. وكنا منذ البداية نكن له احتراماً خالصاً ونسعى إلى اجتناب أي عمل لا يرضاه لنا، ولا زال حاله

^١ السيد غلام علي الرجائي، كتاب (شريك صلوات).

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانى، نشرة خاصة بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام الخميني.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوينيها، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٥٩/٤/٢٦ هـ.ش.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانى، مجلة پیام انقلاب، العدد: ٥٠.

اليوم هو هذا فلم يغفل عن شؤون عائلته رغم كثرة مشاغله السياسية والاجتماعية، فلا زال يقرأ الدعاء في لآذاننا - مثل أكثر الآباء - إذا أردنا أن نودعه بعد أن نزوره^١.

كان يتلطف في معاملتنا

أصابني القلق عندما ذهبت السيد كبرى في إجازة، فقد كانت المسؤولة عن إعداد الطعام وتقديمه للإمام وهذه مهمة كان ينبغي القيام بدقة ودون تغيير، ولذلك كنت قلقة بسبب عدم اطمئنانني من قدرتي على القيام بهذه المهمة بالصورة المطلوبة. وكان مقرراً لكل منا إجازة تستغرق أربعة أيام، ولما ذهبت السيدة كبرى في إجازتها، وتكفلت بهذه المهمة، قال لي الإمام وقد ذهبت إليه: «لقد تضاعفت مزاحمتنا لك يا ربابة» فقلت: فديتك يا سيدي المهم أن تكون أنت راضٍ عنا.

ثم انتهت إجازة السيدة كبرى وعادت إلى المنزل لكنني لم اخبر الإمام بذلك، وحملت إليه بنفسني عصير الفاكهة، فقال لي: «اذهبي واستريحي يا ربابة لقد عادت السيدة كبرى!» قلت: هل أنت راضٍ عني يا سيدي؟ أجب - بعد أن رفع رأسه وابتسم - : «أنا راضٍ عنك فقد أحسنت أداء مهمتك». لاحظت أنه يحمل كتاباً بيده فأرت أن أعينه فأحمله بدلاً عنه وأضعه في مكانه لكنه رفض وحمله بنفسه حتى وصل إلى غرفته وأنا أمشي خلفه، فقال: «ياربابة، هل تتناولين طعاماً جيداً في سحورك؟ أرجو أن لا يكون العيش صعباً عليك هنا» أجبت: كلا، يا سيدي، من يعيش في منزلك لا يجد غير الراحة.

أجل كان يتفقد باستمرار أحوال العاملين عنده ويسعى إلى أن يكونوا راضين، إذا حملت له تفاحة مثلاً خصص لي جزء منها، وهذا ما يفعله مع كل ما أقدمه له، حملت له يوماً قليلاً من الفستق فقال: «تناوليه أنت هو لك» قلت: لقد أتيت به إليك يا سيدي، فقال: «خذيه ولا تؤذيني!» كان يتلطف في معاملتنا إلى هذا الحد^٢.

لقد وعت بها فيجب أن تأخذها

فقد الإمام يوماً فص خاتمه فقال لنا: - أنا وبقية العاملين في منزله والسيد احمد - : «من وجدته فله عندي هدية» لكنني لم ارغب في العثور عليه خشية من أن يكون ذلك طمعاً في الهدية، لذلك اكتفيت بإلقاء

^١ السيدة فريدة المصطفوي، مجلة (زن روز) العدد: ١٩٦٦.

^٢ السيدة ربابة الباقي، خادمة في بيت الإمام مجلة (سروش) العدد: ٤٧٦.

نظرة سريعة على المكان، فقال لي: «لا يمكن العثور عليه بهذه الطريقة، ينبغي أن تجلسي وتمسحي على الأرض فهو فص صغير» ففعلت ورغبتني في العثور عليه كانت من اجل الإمام لا من أجل الهدية، لكنني لم أجده فقلت له: لم أجده يا سيدي، فقال: «لم تبحتي عنه جيداً» قلت: لقد مسحت بيدي على كل شيء ولم أكتف بالنظر يا سيدي، فقال: «يجب العثور عليه فأنا في حاجة شديدة إليه». وعندما سمعت منه هذا القول نذرت - من أجل العثور عليه - تلاوة الصلوات على محمد وآله (١٤) مرة تيمناً بعدد المعصومين الأربعة وقلت: إلهي ما دام الإمام راجباً في العثور على هذا الفص إلى هذه الدرجة فأعنا على العثور عليه، فإنني أستطيع التهرب من الهدية بحيلة ما، والمهم أن ندخل السرور على قلب الإمام.

ثم خرجت من الغرفة، ولكنني ما أن دخلت إلى المطبخ - وأنا أتلو ذكر الصلوات - حتى اقلب نعلي ووقع بصري على أسفله فوجدت الفص لاصقاً بهو فوضعتة في طبق وذهبت مبتسمة إلى الإمام فأخذ وقال: «هذا نصفه ويوجد نصف آخر له» عدت إلى المطبخ وعثرت على النصف الآخر وحملتة إليه وخرجت بسرعة من غرفته وأغلقت بابها لكي أتجنب استلام الهدية لكنني ما أن وصلت إلى غرفتنا حتى علا صوت الهاتف الداخلي فرفعت سماعته لأسمع صوت الإمام - الذي يبدو أنه لم يعرف صوتي - وهو يقول: «قولوا لربابة أن تأتي إليّ بسرعة» فذهبت إليه مسرعة وأنا أتصور أن أمراً مهماً قد حدث فاستدعاني بهذه العجلة. لكنني عندما دخلت عليه قال: «لماذا ذهبت قبل استلام هديتك المقررة؟» أجبتة: إن هديتي هي سروركم للعثور على الفص، لا أريد هدية أخرى ولذلك خرجت بسرعة، فأجابني بكلمة أثارت تعجبي، إذ قال - وكأنه عرف ما في ضميري -: «إنني أعرفك جيداً يا ربابة» في حين أنه لم يكن قد مرّ يوماً ذاك إلا اقل من شهرين على عملي في منزله!!

ثم اخرج (٥٠٠) تومان وقدمها هدية لي، فامتنعت عن قبولها بكل ما أستطيع لكنه أصر وقال: «لقد وعدت بها ويجب أن تأخذها». فأخذتها مضطراً!

أراف بالضعفاء

كلما كان العامل في بيت الإمام اضعف كلما كانت رافة الإمام به وعطفه عليه ورعايته له اشد من غيره.^٢

^١ المصدر السابق.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي.

احتراسه ورعايته لخدمة بيته

أصيبت السيدة الكبرى التي تتولى مهمة الطبخ بمرض جعلها ترقد في الفراش (٤-٣) أيام، فجاء الإمام إلى غرفتنا ولما سألته عما يريد من قال: «أتيت لأسأل عن صحة الكبرى» أجبتة أنها نائمة يا سيدي، فقال: «لا توقظيها، خذيها فيما بعد إلى الطبيب، أرجو منك أن تهتمي بها وبرعايتها بنفسك». قلت سمعاً وطاعة، والعجب قد سيطر عليّ من شدة احترامه ورعايته لخدمة بيته^١.

يخرج بنفسه للقاء الفقير والضعيف

تتجلى في الإمام صورة سامية للرأفة والعاطفة، خاصة بالضعفاء الذين يكن لهم مودة عجيبة حقاً ويحيطهم برعاية خاصة، فمثلاً إذا قلت له إن شيخاً كبيراً أو رجلاً فقيراً يقف على باب منزلكم خرج بنفسه حتماً لكنه لا يفعل مثل ذلك مع رئيس المؤسسة الفلانية وأمثاله!!^٢.

كتب الله لك السلامة

في الساعة (١٢) ظهراً من اليوم الأخير من حياة الإمام الخميني استدعى النساء [من أهل بيته] فلما دخلن عليه قال لهن: «إن هذا الطريق صعب» ثم قال: «اجتنبن المعاصي» ثم استدعى الشيخين التوسلي والأنصاري وتحدث معهما بشأن الاختلاف بين الفقهاء في موارد لم أعرفها.

وفي الساعة (١٠/٢٠) مساءً أظهرت صورة تخطيط القلب على الشاشة الطبية توقف دقات القلب فعلت أصوات الحرس بالبكاء، وكان وجه الإمام حاراً للغاية، فهذا الوجه الضعيف المريض تحول فجأة إلى وجه ممتلئ ونوراني جداً... لقد تحمل الإمام الآلام القاتلة على مدى عشرة أيام ولكنه لم ينطق ولا بكلمة واحدة من الشكوى، وكنا كلما سألناه عن صحته قال: «كتب الله لك أنت السلامة»^٣.

انتوني بعلي أقبله

تحسنت صحة الإمام بعض الشيء في صباح يوم السبت [آخر أيام حياته] فاقتربت من سريره ففتح عينه بصعوبة وأشار إليّ أن آتية بحفيده الصغير علي لكي يقبله، فأخذته إليه وكانت المرة الأخيرة التي ودع فيها حفيده العزيز^٤.

^١ السيدة ربابة الباقي، خادمة في بيت الإمام مجلة (سروش) العدد: ٤٧٦.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي.

^٣ السيدة زهراء الإشرافي، مجلة (زن روز) العدد: ١٢٢٠.

^٤ الحاج عيسى الجعفري، مجلة (باسدار لإسلام) العدد: ٩١.

اللقاء الأخير بالشهيد الأشرفي الأصفهاني

كان الإمام يكن مودة خاصة لآية الله الشهيد الأشرفي الأصفهاني، وفي آخر لقاء له به عانقه بحرارة لم تعهد منه من قبل، وقد قال لي الشهيد الأصفهاني بعد اللقاء بعد اللقاء: لقد فهمت من الطريقة التي عاملني بها الإمام أن هذا هو اللقاء الأخير! وبالفعل فقد استشهد بعد يوم واحد من هذا اللقاء^١.

لنلتقط صورة تذكارية

قال الشهيد الأشرفي الأصفهاني قبيل استشهاده: عندما زرت الإمام هذه المرة نظر لي نظرة خاصة وقال لي: لنلتقط معاً صورة تذكارية^٢.

من أقسى ليالي حياة الإمام

في الليلة التي سجنوا الإمام فيها في زنزانه انفرادية سعوا لتعذيبه روحياً بتعذيب شخص في زنزانه مجاورة بحيث كانت استغاثاته تطرق أسماع الإمام، فندر الإمام نذراً لنجاة هذا الشخص من التعذيب، وقد قال لي بنفسه فيما بعد: «كانت تلك الليلة من أقسى ليالي عمري»^٣.

الدراسة بهدف خدمة الإسلام

بتاريخ ١٣٦٥/٥/٢٠ هـ ش، ١٩٨٦/٨/١١ م وصلت مكتب الإمام رسالة من أحد الأئمة المحترمين؛ وكان من معارف الإمام وتلامذته؛ وقال في هذه الرسالة ما مضمونه أنه يتولى منذ سبع سنين مسؤولية إمامة الجمعة في مدينته وأن هذه المسؤولية تستنزف (١٤) ساعة من وقته كل يوم الأمر الذي لم يسمح له بمتابعة نشاطه العلمي بل وأدى إلى نسيانه لما اكتسبه من العلوم سابقاً، لذلك طلب من الإمام قبول استقالته من هذه المسؤولية لكي يرجع إلى متابعة نشاطه العلمي في الحوزة، فأجاب الإمام على ذلك بالقول: «إن الهدف من النشاط العلمي الحوزوي هو خدمة الإسلام والمسلمين، وأنتم تقومون بهذه الخدمة بالفعل من خلال توليكم لهذه المسؤولية، فإذا كنتم ترغبون في الدراسة فاستمروا في عملكم الفعلي إلى جانب تخصيص وقت للنشاط العلمي أيضاً»^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ محمد الأشرفي الأصفهاني (نجل الشهيد الأصفهاني) صحيفة كيهان ١٣٦٤/٧/٢٣ هـ ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين اديب، صحيفة كيهان، ١٣٦٨/٧/٢٢ هـ ش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، موسوعة كوثر، ج ٢.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان.

يزيل الغم والحزن عن قلب اليتيمة

بعثت معلمة إيطالية بقلادة ومعها رسالة إلى الإمام عبّرت فيها عن عواطف جياشة تجاهه وتجاه منهجه وقالت فيها: إن هذه القلادة هي هدية زواجي ولذلك فإني أحبها كثيراً ولكني مع ذلك أقدمها لكم تعبيراً عن عمق احترامي لكم ولنهجمكم. احتفظنا بهذه القلادة مدة ثم قدمناها للإمام مع ترجمة للرسالة ونحن نشك في قبوله لها لكنه قبلها ووضعها على منضدة في غرفة عمله. وبعد يومين أو ثلاثة جاؤوا بطفلة صغيرة فقد والدها في الجبهة، فأمر الإمام بإدخالها عليه وأجلسها في حجره ووضع خده على خدها وهو يمسح على رأسها وهذا لم نكن نراه يفعل حتى مع أولاده. وظل يحادثها همساً وهو على تلك الحالة حتى زال عنها الغم والحزن وضحكت، ثم أخذ القلادة التي بعثتها له السيدة الإيطالية، ووضعها بنفسه في عنق الطفلة فغمرها الفرح، وقد شاهدناه متجلياً على وجهها وهي تخرج من عنده¹.

قررنا أن ننصحك يا إمامنا

كان الإمام يجيب على بمودة بالغة على بعض الرسائل الكثيرة التي كان يبعثها محبوه إلى مكتبه، ونقل هنا نموذجاً منها هو رسالة بعثها إليه عدد من الأطفال وأجاب عليها بنفسه وبخط يده:

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام على إمامنا العزيز، نحن طلبة الصف الخامس الابتدائي (جهاد) في مدرسة الفاطمية. وقد قرأنا في كتاب التربية الدينية الرسالة التي بعثها الإمام محمد التقي عليه السلام لوالي سيستان ونصحها فيها، لذلك قررنا أن نكتب رسالة لك ننصحك فيها، ولكننا لا نستطيع أن ننصحك يا إمامنا، فأنت عظيم بعيد عن كل المعاصي.

يا إمامنا، نطلب منك - نحن الأطفال الصغار - ومن أعماق قلوبنا طلباً نرجو أن نكون جديرين بأن تلبيه لنا وهو أولاً أن تكتب يا أبانا الكبير ويا شيخ جمران ويا روح الله جواب رسالتنا بخطك الجميل وتنصح فيه معلمينا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جواب الإمام: يا ليتكم كنتم قد نصحتموني

«أبنائي الأعزاء، قرأت رسالتكم الودية؛ ويا ليتكم - أيها الأعزاء - كنتم قد نصحتموني فيها فانا محتاج لنصيححتكم. أرجو أن تدرسوا بنشاط وحيوية وتقوموا إلى جانب ذلك بالواجبات الإسلامية فهي التي

¹ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان.

تربي الإنسان؛ وأن تتحلوا بالأخلاق الفاضلة، وتحرصوا على طاعة آبائكم وأمهاتكم وتسعوا بالفوز برضاهم عنكم، وتولوا معلمكم مزيداً من الاحترام، اجتهدوا في أن تكونوا أفراداً نافعين للإسلام وللجمهورية الإسلامية ولوطنكم. أسأل الله تعالى لكم - يا قررة عيوننا - السلامة والسعادة والرفق في العلم والعمل. وسلام عليكم جميعاً.

٢٩/صفر/١٤٠٣هـ روح الله الموسوي الخميني^١.

اشتد شوقي للسيد رجائي

قال الإمام يوماً للسيد أحمد: «لقد اشتد شوقي للسيد رجائي» وكان مقرراً أن يزوره السيد رجائي في اليوم التالي، فقد كان يحب السيد رجائي ويحب لقائه بنفس المقدار الذي كان يبغض بني صدر والليبرالين ويكره لقائهم^٢.

تعال إلى لقائي متى شئت

كان الإمام يكتب بخطه المبارك جواب رسائل الأطفال، الذين كانوا يعبرون عن حبهم له بنوع خاص، فمثلاً كتب أحدهم رسالة للإمام قال فيها: إنني احبك كثيراً وأحب أن أراك عن قرب، فكتب له الإمام في الجواب: «قرأت رسالتك يا ولدي، تعال إلى لقائي متى شئت»^٣.

إهداء عمامته

كتب أحد طلبة الحوزة رسالة للإمام طلب فيها أن يحييه^٤ - إن رأى صلاحاً في الأمر - العمامة التي يصلي بها نافلة الليل، فأرسل له عمامته بواسطة أحد وكلائه^٥.

شديد الحب للأطفال

كان الإمام شديد الحب وبصورة استثنائية للأطفال، كما كان حساساً تجاه مختلف القضايا، فمثلاً إذا ارتدنا سروراً ولا حظ أن طويل اعترض علينا وحذرنا من السقوط على الأرض نتيجة التعثر به، كما كان حريصاً على أن نلبس الجوارب، كان حساساً للغاية^٦.

^١ المصدر السابق.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني).

^٤ أي يهديه هدية محببة.

^٥ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، المصدر السابق.

^٦ السيدة صديقة المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (سروش) العدد: ٤٧٦.

كفى لا تحدثني بأكثر من هذا

زرت الإمام بعد فاجعة مكة الدامية، وبعد أن سلمت قال لي: «هل شهدت واقعة مكة؟» قلت نعم، فطلب أن أحدثه بما جرى، فأخذت أحدثه حتى وصلت إلى الحديث عن حادثة هي أن عددا من النساء والرجال الطاعنين في السن كانوا في سيارة تحمل مكبرة صوت وهم يهتفون بالشعارات الإسلامية، فهاجمهم أفراد الشرطة السعودية وأخذوا يجرونهم الواحد تلو الآخر ويضربون رؤوسهم بهراوات قوية فيسقطون على الأرض جرحى وقد أستشهد بعضهم فوراً، ولما رويت له هذه الحادثة قال لي: «كفى لا تحدثني بأكثر من هذا»^١.

لا تقتلوا الفار

حدثني أختي التي كانت تخدم في بيت الإمام في النجف الأشرف فقالت: أمسكنا يوماً بفار حي في مطبخ بيت الإمام، فلما عرف بالأمر لأخذ يكرر الوصية لنا قائلاً أكثر من مرة: «لا تقتلوه، لا تقتلوا الفأر، خذوه وألقوه خارج البيت ولكن لا تقتلوه!»^٢.

قرأ في أذني دعاء السفر

كان الإمام يتعامل مع جميع من في بيته برأفة ومودة شديدة لا تقل عن طريقة تعامله مع أولاده، فمثلاً عازمت على السفر إلى الشام في سنة ١٣٦٤هـ ش ١٩٨٥م فذهبت لتوديعه فقرأ دعاء السفر في أذني مثلما كان يفعل مع أرحامه والمقربين منه، ولم أكن أتوقع أن يفعل مثل ذلك معي أيضاً^٣.
وأهدى لي عباءة نظيفة

نادتني السيدة حواء الخادمة في بيت الإمام يوماً وقالت لي: هنيئاً لك يا حاج عيسى، عندي لك خبر سار، قلت: وما هو؟ قالت: أعطاني الإمام هدية لكي أسلمها لك. فأخذتها منها وكانت مغلفة بغلاف ورقي، وفرحت بها كثيراً قبل أن افتح غلافها وأعرف ما هي، وذهبت بها إلى منزلي، وكانت الهدية عبارة عن عباءة نظيفة^٤.

^١ السيد رحيم ميربان، من أعضاء مكتب الإمام.

^٢ الحاج عيسى الجعفري.

^٣ المصدر السابق.

^٤ المصدر السابق.

وماذا تأكل القطط؟! ¹

في الأيام الأخيرة من حياة الإمام، أمرني الدكتور عارفي أن أهيئ للإمام مقداراً من اللحم المشوي يتناوله مع طعامه بهدف معالجته ضعف الشيخوخة؛ ولكن الإمام كان منظماً في برنامجه إلى درجة أن كان يتناول طعامه بدون هذا اللحم المشوي إذا تأخرت دقائق قليلة عن تقديمه له في وقت تناوله طعام الظهيرة وحتى عندما كنت أقدمه كان يطعم القطط التي تتردد على منزله فإذا قلنا له: كله أنت يا سيدي، قال: «وماذا تأكل القطط؟!». ¹

يقاسم ولده السيد مصطفى ثواب أعماله

قالت والدتي يوماً أن السيد قاسم خالي السيد مصطفى أعماله المستحبة بعد استشهاده، أي كان ينوي إهداء نصف ثواب كل عمل مستحب يقوم به للسيد مصطفى. ²

رغبت في أن أقبل يد الشيخ

قال رجل طاعن في السن للإمام في أحد اللقاءات الخاصة: لدي ابنان أحدهما أستشهد والثاني فقد أثره في الجبهة، فأذنوا لي أيضاً بالذهاب على الجبهة! ثم أن الإمام قال لأحد الأشخاص: لقد اثر في كلام هذا الشيخ إلى درجة رغبت معها تقبيل يده. ³

كان يتأثر عند رؤية المرضى

رقد الإمام سنة ١٣٥٨هـ ش ١٩٧٩م في مستشفى الشهيد الرجائي لأمراض القلب لتلقي العلاج فيها، وكنا ننقله عبر ممر المستشفى إلى المغاسل بواسطة الكرسي المتحرك، فكان يرى المرضى الراقدين فيها وبعضهم من المصابين بالأمراض القلبية الوراثية وبعضهم باختلال عمل صمامات القلب أو ضيق العروق الدموية، وبسبب شدة اهتمامه بشعبه كانت رؤيته لآثار المرض عليهم تزيد من ضربات قلبه وإن لم يكن يظهر ذلك لكننا كنا نلاحظ ذلك عندما ندخله غرفة الإنعاش. ⁴

دعاء الإمام وعدم انقطاع حبل النخاع

كان الإمام يحب ثمرة «الخرمالو» لذا كنا نجتمعها في فصلها من شجرتها في ساحة المنزل ونقدمها له، وقد وضعت يوماً سلماً طويلاً بعض الشيء للصعود عليه وجمع مقدار أكبر منها، وأثناء انشغالي بجني

¹ الحاج عيسى الجعفري.

² حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي (حفيد الإمام).

³ آية الله الشيخ التوسلي.

⁴ الدكتور حسن العارفي، مجلة حضور، العدد: ٨.

الثمار مل السلم وسقطت على الأرض وأغمي عليّ. فنادى الشخص الذي كان يمسك بالسلم بعض الأشخاص ونقلوني على المستشفى القريب من الحسينية ثم إلى مستشفى «بقية الله» حيث علّقوا في رقبتني أثقالاً وشرعوا بمعالجتي وكانوا يائسين من شفائي لأن الاحتمال الراجح كان هو أن جبل النخاع الشوكي قد انقطع بسبب سقوطي على أحجار ساحة البيت. وقد اجتنب أعضاء مكتب الإمام في ذلك اليوم إخباره بما جرى خشية من آثار ذلك على قلبه، لكنه سأل عني في اليوم التالي وعرف بما جرى فقال فوراً: «اذهبوا الآن إلى المستشفى لعيادة الحاج عيسى نيابة عني وأتوني بخبر عن صحته». وكنت يومها في قسم الإنعاش والرعاية الخاصة لا يسمح لأحد بزيارتي، ولكن مسؤولي المستشفى عندما عرفوا أن السيد بهاء الدين وشخصاً آخر قد جاؤوا لعيادتي مبعوثين من قبل الإمام ألبسوهما ملابس طبية خاصة وأدخلوهما عليّ.

وبعد أن تحسنت صحتي نسبياً ذهبت لزيارة الإمام وكان في لقاء مع عدد من الأشخاص، فلما رأني أمر بأن يوضع لي كرسيّاً لكي اجلس عليه. ثم قال لي: «لقد دعوت لك، دعوت لك كثيراً»؛ وعندها عرفت سر عدم انقطاع جبل النخاع الشوكي رغم أن الجميع كانوا على يقين من انقطاعه، إنه دعاء الإمام. ثم قال لي: «لا تصعد الشجرة بعد الآن يا حاج عيسى» فقلت: سمعاً وطاعة.

وبعد أن خرجت من المستشفى وعدت على المنزل قدموا لي صحناً من ثمار «الخرمالو» بعثها الإمام إليّ، فقلت: لا بد أن في هذا الأمر حكمة ما! لقد عرفت أن الإمام أراد بذلك أن أنتبه إلى أن ما جنيتَه على نفسي من أجل جني مقدار قليل من هذه الثمار، وهذا ما أفصح عنه الإمام بنفسه عندما سأله عن علة إرساله هذه الثمار لي، لقد قال: «أرسلت هذه الثمار للحاج عيسى لكي يراها ويعرف قيمتها ويعرف أنها لا تستحق أن يعرض الإنسان نفسه من أجلها لخطر الشلل». وقد كان في عمله هذا درساً مفعماً بالمودة والرأفة¹.

كان قلبه مفعماً بالرحمة

أصبت مدة بمرض صعب اضطرني للسفر إلى الخارج للعلاج، وصباح اليوم الذي سبق موعد السفر زرت الإمام في غرفته وكان يستعد للذهاب إلى الحسينية للالتقاء بالناس، فأخذ بيدي وضغط عليها بمودة وكان بالغرفة السيد الحاج أحمد والسيد كفاش زادة، ثم قال لسيد كفاش زاده: «إن الشيخ صديق

¹ الحاج عيسى الجعفري.

عزيز عليّ، فاسعوا من أجل أن لا يواجه مشكلة في أمر العلاج» ثم تلا دعاء السفر في أذني وتوجع عبر الشرفة إلى الحسينية. ولقد كان الإمام يتميز بودية تعامله مع الآخرين وكان ذلك سر شدة انجذابهم إليه. لقد كان قلبه مفعماً بالرأفة. فمثلاً كنت أذهب كل شهرين إلى قم - ليومين أو ثلاث - لتوزيع رواتب الإمام على طلبته حوزتها، فإذا تأخرت يوماً سألت الإمام الحاج السيد أحمد عني وعن سبب تأخيري¹.
مشى حافياً رأفة بي!!

سافرت والدة السيد مصطفى بمعية زوجته إلى إيران مرة وبقي الإمام لوحده في المنزل مع الخدم، لذلك كان السيد مصطفى يبيت عند والده، وخلال هذه الأيام أصر الأصدقاء على السيد مصطفى أن يرافقهم في زيارة للمراقد المقدسة في الكاظمية وسامراء فطلب مني أن لا أترك الإمام وحده في تلك الليلة، فقبلت ولما رجعنا في المساء من حرم أمير المؤمنين عليه السلام تناول الإمام طعام العشاء ثم صعد إلى سطح المنزل للنوم فصعدت معه وفرشت ملحفة لكي أنام بالقرب منه، فقال لي: «ماذا تفعل هنا؟» أجبت: لا شيء يا سيدي أريد أن أنام هنا قال: «تريد أن تحرسني أنت؟!» أجبت: كلا يا سيدي، ولكن السيد مصطفى أوصاني بذلك قبل أن يذهب لزيارة الكاظمية. فقال: «لا حاجة لذلك، يكفي أن الخدم موجودين في البراني فاذهب أنت إلى شأنك» أجبت: لن أذهب يا سيدي! قال: «أيها الشيخ الفرقاني اذهب ونم في بيتك». قلت: لا يا سيدي، لقد أوصاني السيد مصطفى بالمبيت عندك، ولا شك أن ذهابي إلى بيتي سيؤذي، فلم يعترض بعد ذلك. فبقيت عنده تلك الليلة وأنا بين الشعور بالاعتزاز لميبيتي عند هذا السيد الجليل وبين الشعور بالقلق من أن يصيبه أدنى أذى، لذلك قضيت تلك الليلة بين اليقظة والنام، وفجأة أحسست بحركة تشبه حركة النسيم بالقرب مني فلم أتحرك لكنني فتحت عيني فرأيت السيد قد قام وبدلاً من يحتذي نعاله الإسفنجي فقد حمله بيده رغم أنه لا يصدر منه صوت عالٍ أثناء المشي، لكنه اجتنب حتى هذا الصوت الضعيف للنعال الإسفنجي لكي لا يسبب أدنى صوت يحتمل أن يوقظني وسار حافياً حتى نزل إلى ساحة المنزل، فبكيته لما رأيت من شدة احتياط الإمام في رعاية الآخرين

¹ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأشثاني.

واجتناب أدنى إيذاء محتمل لهم، لقد بكيت كثيراً في تلك الليلة وناجيت ربي بالقول: إلهي كأن هذا السيد قد استضاف غريباً في منزله وليس الذي يبيت عنده هو المرافق له في أكثر الأوقات^١.

شدة رحمته بالصبيان

كان الإمام عطوفاً للغاية في التعامل مع الأطفال سواء كانوا من ذريته أو من ذرية غيره، فإذا رأى فإذا رأى أحدهم تلتف به ومسح بيده على رأسه وعامله بعاطفة جياشة ومودة خاصة ورعاية خاصة لا يعامل غيرهم بمثلها^٢.

جرى الدمع من عينيه

قالت لي سيدة في تبريز يوماً: لقد وقع ولدي أسيراً بأيدي العراقيين وقد عرفت مؤخراً أنهم قتلوه، وقد أتيت لأقول لكم: قولوا للإمام أنني لست في أذى مما أصاب ولدي فإن ما أطلبه هو سلامة الإمام، ولما نقلت قولها للإمام، جرى الدمع من عينيه وتغير حاله وأصابه حزن شديد وإلى درجة مؤثرة للغاية^٣.

لم يأكل شيئاً لشدة حزنه لما أصاب الناس

زار الإمام في بداية إقامته في النجف الأشرف أحد الأتقياء القادمين من إيران، وفي اليوم التالي دخلت إلى بيت الإمام لحاجة فرأيت السيدة زوجته في أذى شديد، ولما سألتها قالت: إن هذا الزائر نقل للإمام شيئاً آذاه كثيراً حتى أنه لم يتناول أي طعام أو شراب حتى الشاي على مدى يوم كامل، ثم عرفنا أن هذا الرجل حدث الإمام عن وقائع مظاهرات قم وما أصاب الناس فيها وقال في حديثه: رأيت بنفسي امرأة تحمل طفلاً رضيعاً لا يتجاوز عمره بضعة شهور وقد ألبسته قميصاً أبيضاً وهي تهتف بالشعارات في هذه المظاهرات فهاجمها أحد حرس الشاه وضرب كتفها بقبضة بندقيته بقوة فسقط طفلها من يديها واصطدم رأسه بحافة الشارع، ولما سمع الإمام هذه الحادثة بكى بحرقة ولم يستطع تناول الطعام لشدة حزنه يوماً كاملاً^٤.

يبكي بحرقة لاستشهاد الحرس

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٣ آية الله الخامنئي. صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٦٢/٨/٧ هـ.ش.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

الإمام رجل صبور جدا ولا يظهر مشاعره بسرعة لكنه يتأثر بشدة إذا استشهد مثلا أحد أفراد الحرس أو الجيش أو قوات التعبئة، ولا أنسى أنني شاهدته يبكي بحرقة عند استشهاد عدد من الأخوة الحرس الثوري في الهجوم الأول الذي شنه عليهم أفراد عصابة الحزب الديمقراطي^١.

بكي كثيراً على شهيدين

قالت السيدة زوجة الإمام عند زيارتها لمنزلنا: لاحظت أن الإمام بكى كثيراً عند استشهاد اثنين: الشهيد المطهري الذي حزن الإمام كثيراً لاستشهاده والثاني هو الشهيد المحلاتي^٢.

يذهب لعيادة الخادمة المريضة يومياً

كانت أختي - واسمها «إقليما» - تعمل في الخدمة في بيت الإمام منذ كان في النجف، وقد أصيب قبل وفاة الإمام بسنة بمرض سرطان الدم، ووقدت في فراش المرض في إحدى غرف منزل الإمام، وطوال هذه المدة كان الإمام يعودها أربع مرات في اليوم وكان يتأذى كثيراً لما أصابها، فاضطر الدكتور عارفي إلى أن يطلب منا نقلها إلى مكان آخر تجنباً لآثار عيادة الإمام لها على سلامة قلبه المنفعم بالعاطفة والشفقة^٣.

كان ودوداً رؤوفاً مع عائلته

كان الإمام يتعامل مع أفراد عائلته بالمودة والرأفة إلى أقصى الحدود، لكننا كنا مع ذلك نهابه ونحرص على رضاه للهيبة الخاصة التي كانت تتجلى فيه، وكان ينظر إلى جميع أولاده بنظرة واحدة ويعاملهم بمقدار متساوٍ من المحبة بحيث أننا لم نعرف إلى الآن وبعد هذه السنين من هو أحب أولاده إليه!^٤.

أطلب منك أن تصفح عني

في أحد الأيام لعودة الإمام إلى طهران كنت أرافقه في طريق عودته من الصلاة وقد وضع يده المباركة في يدي، لكنه سحبها فجأة وبصورة شعرت بأنها متعمدة الأمر الذي دفعني - دون اختيار مني - إلى البكاء فقد تأذيت كثيراً من ذلك خاصة مع شدة حبي له، وأخذت أفكر فيما فعلته وأسأل نفسي: أي ذنب ارتكبت لكي يسحب الإمام يده من يدي بهذه الصورة؟! لم أطق تحمل هذه الحالة المؤذية، فذهبت إلى حضرة حجة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ حسن الصانعي وكان واقفاً عند باب غرفة

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (پیام انقلاب) العدد: ٥٩.

^٢ ابنة الشهيد المحلاتي، المصدر السابق.

^٣ الحاج عيسى الجعفري.

^٤ السيدة فريدة المصطفوي.

الإمام وأخبرته بما جرى وقلت له: تكاد روحي تزهق مما جرى فأرجوك أن تسال الإمام عن سبب أذاه وغضبه عليّ؛ فدخل على الإمام وأخبره بما جرى فأمر بأن أدخل عليه، فدخلت وقبلت يده، قال: «كأنك تأذيت مني!» قلتك كلا يا سيدي، إنما تصورت أنكم أنتم قد تأذيتم مني! قال: «لا، كأنني - طبق ما أخبرني الشيخ - وقد سحبت يدي من يدكم؛ إنني لم ألتفت لذلك بسبب شدة الازدحام ولم أدقق في ذلك، فإن كان هذا الفعل قد آذاك فإنني أطلب منك أن تصفح عني!»

قلت: كلا يا سيدي، إنما كان أذاي بسبب تصوري أنني آذيتك! وعندما استأذنت للخروج من عنده قال: «صفحت عني؟!». ^١

لا تبقى هنا الليلة

في مساء اليوم الذي ألقى فيه الإمام خطابه العنيف ضد الملك في المدرسة الفيضية، كنت في بيت الإمام فقال لي: «لا تبقى هنا الليلة، فليس بعيداً أن يأتوا لاعتقالي، اذهب إلى منزل السيد الهندي (يعني أخانا). وفي الليلة اللاحقة جاؤوا واعتقلوا الإمام وأخذوه إلى طهران وحبسوه في سجن «قصر» ^٢.

قبل الهدية ثم أهداها لمهديها

زار أعضاء الاتحاد الإسلامي في القوة الجوية الإمام، وكان بينهم السيد عباس السليمي الذي فاز بالمرتبة الأولى في المسابقات الدولية لتلاوة القرآن التي أقيمت في ماليزيا، وقد أهديت له نسخة خطية نفيسة للقرآن الكريم يرجع تاريخ كتابتها إلى ما قبل (٥٠٠) سنة وكانت هذه هي الجائزة الأولى في هذه المسابقات السيد السليمي أهدى بدوره هذه الجائزة القيمة للإمام الخميني فقبلها منه. ثم ألقى الإمام كلمة حثّ فيها على الوحدة بين أفراد الجيش. وبعد انتهاء كلمته أخذ تلك النسخة النفيسة من القرآن وقبلها ثم قدمها هدية منه إلى السيد عباس السليمي ^٣.

الفصل السابع

طمأنينة النفس والسكينة والوقار

^١ اللواء محسن رفيق دوست، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣ ص ١٤١.

^٢ آية الله السيد مرتضى بسنديدة (شقيق الإمام).

^٣ صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٥٨/٦/١١ هـ ش، صحيفة نور، ج ٩ ص ٩.

لم يتزعزع أمام هجوم المجنون الهائج

كنا نذهب إلى بيت الإمام في قم صباحاً ونرجع ظهراً وذلك قبل نفيه إلى النجف، فجاء يوماً رجل وقال: لقد سلمتكم رسالة لم تجيبوا عليها على الآن، بحثوا عن رسالته ووجدوها ولما قرأتها وجدته قد كتب فيها: إنني أنا المهدي الموعود وسأظهر بعد ثلاثة شهور، فأقرضوني خمسة آلاف تومان وسأعيدها لكم عندما أظهر!! كان الرجل مجنوناً، ثم أمرنا الإمام بإرجاع رسالته إليه فأرجعناها؛ لكنه ظل مرابطاً بالقرب من غرفة الإمام إلى الظهر دون أن يحصل على ما يريد، وعند الظهر ذهبت إلى منزلي ثم عدت عصراً فوجدت شخصين يقفان عند باب غرفة الإمام في الطابق العلوي، وكان على من يريد الدخول عليه أن يستأذن منهما أولاً. ولكن ذلك المجنون هجم عليهما ودفعهما وهو يصرخ: إنني أنا المهدي الموعود فدعوني أدخل على الإمام لكي أراه، فدخل وهو في هذه الحالة من الهيجان على الإمام وهو جالس وكان عنده السيد رسولي فهجم عليه بصورة متوحشة بحيث أنني عندما دخلت الغرفة وجدت نظارة السيد رسولي قد رمت جانباً والوضع مضطرباً للغاية، ورغم ذلك لاحظت أن الإمام جالس في مكانه كالجبل لم يتزعزع أمام هجوم هذا المجنون الهائج!

بقي جالساً بسكينة على المنبر

لم يكن الإمام يسمح بتسجيل دروسه صوتياً عندما كان بالنجف، ولكن مع بدء دروسه في الحكومة الإسلامية أمر بنفسه بتسجيلها، وبسبب ضعف الصوت وضعنا مكبرة للصوت وميكروفوناً، وكان للسيد الحاج أحمد دور في ذلك، ولكن الإمام اعترض على ذلك عندما جاء لإلقاء الدرس، فقلنا إن السادة الحاضرين يشكون من ضعف الصوت خاصة في بداية الدرس، وأيد الحاضرون قولنا وعندما وافق الإمام على عملنا، وقد استخدمنا في البداية جهازاً يقوم بتكبير الصوت وتسجيل الدرس آن واحد، ثم هيأنا فيما بعد جهازاً مستقلاً لتكبير الصوت غي جهاز التسجيل، وكنت أعدهما كل يوم لذلك قبل بدء الدرس بعشرين دقيقة واطمئن من سلامة عملهما، وكانت عادة الإمام أن يحضر قبل بدء الدرس بخمس دقائق ويصعد المنبر، وفي احد الأيام وبعد صعود الإمام للمنبر وقبل أن يبدأ بإلقاء درسه حدث اتصال في الأسلاك الكهربائية لهذه الأجهزة التي وضعناها تحت المنبر؛ وأدى ذلك إلى حدوث

¹ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الصادق الطهراني.

انفجار ثم حريق وارتفاع السنة اللهب، فقام جميع الحاضرين من أماكنهم باستثناء الإمام الذي بقي جالساً بسكينة على المنبر وكذلك المرحوم السيد مصطفى الذي كان يجلس متكئاً على الجدار. ثم انتشرت السنة اللهب حتى اقتربت من عباءة الإمام وعندها نزل بهدوء من المنبر وقد سقطت بعض غلاف الأسلاك على بساط بلاستيكي أسفل المنبر وأشعلت فيه النار فبادرت إلى إطفائها بيدي وكان الإمام واقفاً بهدوء يراقب الوضع، ثم قطعوا التيار الكهربائي وخدمت السنة اللهب، فسألني: «هل أصابك أذى» فأجبت: كلا يا سيدي، فصعد المنبر ثانية بهدوء وأخذ بإلقاء الدرس^١.

هو الذي وهب هذه الأمانة وهو الذي استرجعها

عندما سألت أحد مقربي أصدقاء آية الله الخميني عن خصوصياته بدأ جوابه بالحديث عن حادثة غرق طفلة صغيرة لآية الله الخميني قبل (٢٥) عاماً، وذكر انه عندما وصل كان هذا العالم الروحاني [الإمام] يقف عند جسد هذه الصبية وهي سادسة أولاده ويتلو دعاء على روحها، يقول هذا الصديق: عندما أمعنت النظر في وجهه لم ألاحظ أي اثر للاضطراب رغم أنني كنت أعلم بشدة حبه لهذه الطفلة، ولا زال إلى اليوم أيضاً لا يظهر حزناً واضطراباً لذلك، ويواصل هذا الصديق حديثه عن هذه الحادثة فيقول: عندما حضر الإمام الخميني عند جسد ابنته بعد قليل من وفاتها قال: «إن الله هو الذي وهبني هذه الطفلة أمانة وهو الذي استرجعها» ثم اخذ بتلاوة الدعاء على روحها^٢.

لم يكن يحزن بما فات ولا يفرح بما هو آت

إضافة إلى الكتب الفقهية والعلمية المطبوعة له، صنّف الإمام عشرات المؤلفات القيمة الأخرى في مختلف فروع المعرفة تميزت بصيغة تحقيقية عالية لكنه لم يتخذ أي خطوة لطبعها، بل وبلغ زهده درجة لم نجد معها فيه أدنى تعلق بهذه المصنفات القيمة، فلم يكن يحزن عند إخباره بمصادرة السافاك [جهاز الأمن الملكي] لها، كما لم يكن يفرح عند إخباره باسترجاعها جميعاً^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ أحمد رحمت.

^٢ مجلة التايم الأميركية، كما في صحيفة اطلاعات ١٣٥٨/٥/١ هـ.ش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

لم أخش أحداً إلى اليوم

أذكر أن الإمام قال في إحدى خطبه في المسجد الأعظم في سني الجهاد وبحضور عدد كبير من الناس أنه لم يرهب إلى الآن أي تهديد ولم يخش أي أحد؛ ولم يكن يلاحظ عليه أي أثر للخوف أو الرهبة بسبب أي حادثة، ولقد قال في تلك الخطبة وكان عمره يومها (٦٣) عاماً - ولا استذكر أن كان أقسم أم لا قال: «إنني إلى اليوم لم أخش أي شيء أو شخص ولم يجد الخوف إلى نفسي سبيلاً»^١.

اجتباب البكاء أمام الملاء

رافقت الإمام في حضور معظم مجالس الفاتحة والتأبين التي أقيمت إثر استشهاد ولده السيد مصطفى، فلم أر عليه في أي منها أثراً للحزن العميق أو ذرف الدموع الأمر الذي أثار الإعجاب بقوة صبره وثباته، كان الإمام يبكي بكثرة إذا كان وحده لكنه كان يجتنب البكاء أمام الناس أو أمام النساء في منزله^٢.

بكى الجميع على السيد مصطفى باستثناء والده

يروى الحاج السيد أحمد، أنه وعند سماع الإمام لخبر استشهاد السيد مصطفى في النجف الأشرف - وهو نجله الحبيب والعالم العارف والفقير المجتهد - جلس في زاوية من البيت وأخذ يتلو القرآن بكل صبر واستقامة في حين أن باقي أفراد العائلة قد ضجوا بالبكاء وكان الإمام يخفف عنهم ويعزيهم^٣. يرفض ترك منزله بحزم

في تلك الأيام التي تكتفت فيها تهديدات الحكومة الملكية للإمام - وبصور مختلفة - وروجت الإذاعات الأجنبية احتمال اعتقال المراجع في قم، كان الإمام يزورنا أحياناً في منزلنا الذي يقابل منزله، فكنا نطلب منه أن لا يبقى في منزله لاحتمال اعتقاله في هذه الليلة أو تلك لكنه كان يرفض ذلك بحزم^٤.

إنني لا أضطرب في أي حال

لم يكن للاضطراب محلاً في وجود الإمام. عندما اضطربت الأوضاع في كردستان سأله المرحوم رباني املشي: ألم تضطربوا لذلك؟ فقال: «إنني لا أضطرب في أي حال»^٥.

^١ آية الله فاضل اللكراني.

^٢ آية الله السيد خاتم اليزدي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (مرزداران = حرس الحدود) العدد: ٨٤.

^٤ الدكتور محمود البروجردى (صهر الإمام) مجلة (باسدار إسلام = حارس الإسلام) العدد: ٢٤.

^٥ حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣ ص ٣١٨.

لم يخش إلا الله

حدثني عالم موثوق للغاية فقال: كنا جالسين مع مجموعة من الفضلاء يوماً عند الإمام فجرى الحديث عن القوى الدولية الكبرى فقال الإمام: «لا أتذكر أنني خفت إلى اليوم من شيء أو من أحد سوى الله تعالى»^١.

لا بأس عليك لماذا لا تجلس

بعد أن أصدر الإمام بيانه الذي قال فيه أن حب الشاه يعني سلب الناس ونهبهم، وكان النظام الملكي يسوق الكثيرين من طلبة الحوزة وفضلائها إلى الخدمة العسكرية الإجبارية، فنقلهم من قم إلى حديقة الشاه في طهران ونزع عنهم الزي الحوزوي وألبسهم الزي العسكري. وفي احد تلك الأيام كنا جالسين عنده فدخل فجأة سيد معمم وقد سيطر عليه الاضطراب إلى درجة فتح معها باب منزل الإمام بصورة غريبة ودخل غرفة الإمام بتلك الهيئة التي أثارت الضحك والحزن فينا في آن واحد. أما الإمام فقد كان منشغلاً بكتابة شيء ولم يرفع رأسه أصلاً! ثم قال السيد بصوت عالٍ: يا سيدي لقد هاجمنا شرطة الحكومة عند خروجنا من درس الشيخ المشكيني في مسجد الإمام الحسن العسكري عليه السلام واعتقلوا الطلبة واركبهم شاحنة عسكرية وساقوهم إلى الجندية، وكان بينهم الشيخ الرفسنجاني أيضاً!

تأثر الجميع وتغير حالنا لما رأينا وسمعنا من هذا السيد وبكى بعضنا، أما الإمام فقد بقى على سكينته المعهودة والقلم في يده، ثم نظر إلى السيد من فوق نظارته وقال: «لا بأس عليك لماذا لا تجلس؟ اجلس». جلس السيد وعندها نزع الإمام نظارته وقال بهدوئه المعروف: «هل ساقوهم إلى الجندية؟» قال السيد بانفعال واضح: نعم يا سيدي. فقال الإمام: «لا ضير في ذلك، يجب أن يتعلموا الفنون العسكرية، فإن لنا بها حاجة مستقبلاً!» وصدور هذا القول من الإمام في ذلك الوقت كان بمثابة معجزة حقيقية^٢.

وأقام الصلاة مع نوافلها بكل سكينة

قبيل غروب شمس ذلك اليوم الذي شهد وقوع تلك الفاجعة في المدرسة الفيضية، كنا في بيت الإمام عندما وصل خبر مهاجمة جلاوزة الشاه للمدرسة وضربهم لطلبها وعزمهم على المجيء على بيت الإمام، فقام المرحوم السيد محمد صادق اللواساني - وهو من قدماء أصدقاء الإمام المقربين - وأغلق باب المنزل، ولما عرف الإمام بذلك قام فوراً وفتح بنفسه وقال: «كيف أغلق باب بيتي وقد ضربوا أولادي؟»

^١ العلامة الشيخ محمد تقي الجعفري، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧-٣٨.

^٢ كتاب (الإمام الخميني في مرآة الذكريات) ص ١٢٧.

ثم أقام صلاتي المغرب والعشاء مع نوافلهما بكل سكينه في حين كان من المحتمل أن يهاجم جلاوزة الشاه منزله في كل لحظة^١.

سكينته وهو معرض للاعتقال

في مساء اليوم التي وقعت فيه فاجعة المدرسة الفيضية، كان من المحتمل أن يعتقل الإمام في أي لحظة وقد أعطى الإمام مقداراً من المال إلى أهلي وقال: «إذا حدث لي حادث فأعطوا هذا المال إلى السيد الصالح، فهذه هي رواتب طلبة الحوزة». وقد قضى تلك الليلة في بيته ولم يغير مكانه رغم أن الكثير من السادة زاروه في تلك الليلة وطلبوا منه أن ينتقل - ولو في هذه الليلة فقط - إلى منزل آخر لكنه رفض تلك الطلبات بحزم^٢.

الطمأنينة الروحية في الأوضاع الحرجة

خرجت في الصباح الباكر في احد الأيام التي سبقت وقوع فاجعة المدرسة الفيضية قبل عيد النوروز فرأيت بيانات كثيرة ملصقة على الجدران كانت منظمة الأمن الملكي (السافاك) قد نشرتها موقعة بعناوين عدة مثل: الجبهة الوطنية، جمعية المرأة الإيرانية، وقد وجهت فيها أنواع السباب المبتذل للإمام، فأذاني ذلك كثيراً، وعندما ذهبت إلى بيت الإمام وجدت نسخاً من هذه البيانات قد جاؤوا بها إليه ثم طلبت - وقد ازداد تأثيري - من الشيخ الصانعي أن يستأذن لي للدخول على الإمام فدخل عليه وبعد دقائق أذن لي فدخلت عليه ورأيتته منشغلاً بالتحضير للدرس! الأمر الذي أثار استغرابي من شدة سيطرته على أعصابه وتوجهه للمطالعة العلمية في ظل تلك الأوضاع المضطربة والمعقدة ورغم نشر تلك البيانات التي آذنتنا جميعاً. والطريف أن الكتاب الذي كان الإمام يطلعه، لم يكن من الكتب الدراسية، بل هو كتاب لأحد العلماء حول موضوع معين كان الإمام يقرأه بهدف مناقشته والرد عليه في الدرس. لقد تعجبت كثيراً من هذه الطمأنينة الروحية التي يتحلى بها الإمام والتي مكنته من المطالعة بكل طمأنينة وسكينه في ظل أوضاع حرجة جعلتنا عاجزين حتى عن مجرد النظر إلى مثل هذا الكتاب!^٣.

^١ آية الله التوسلي، مجلة حوزة، العدد:

^٢ الدكتور محمود البروجردى، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٣.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الخرم آبادي، كتاب (أزهار من بساتين الذكريات).

احتفظ بها حتى ارجع من الفيضية

جاء رجل ومعه مقدار من الحقوق الشرعية وقدمها للإمام طالباً إيصال بالاستلام لأنه كان موفداً من قبل صاحب هذه الحقوق، وكان الإمام حينئذٍ قد استعد للذهاب إلى المدرسة الفيضية لإلقاء ذلك الخطاب التاريخي المعروف، لذلك قال للرجل: «احتفظ بهذه الأموال حتى أرجع وأكتب لك الإيصال» قال ذلك في وقت كان احتمال عودتنا من المدرسة ضعيفاً للغاية [بسبب خطر اعتقال جلاوزة النظام لنا] الأمر الذي أثار إعجابي بعمق ثقة الإمام وسكينة واعتقاده بما يقوم به¹.

أذهب إلى بيتك ولا تقلق

أقام أحد المراجع (آية الله الكلبايكاني) في المدرسة الفيضية مجلساً للغزاة بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام الصادق عليه السلام وقد حضرت المجلس ولاحظت أن الأوضاع غير عادية، فقد حاصرت القوات الخاصة المكان وكانت تراقب حركات جميع الحاضرين، ثم شاع في المجلس خبر يقولك أن الإمام الخميني ينوي المجيء إلى المدرسة الفيضية، فسارعت في الذهاب إلى بيته لإقناعه بعدم الذهاب للمدرسة . . وعندما دخلت بيته سألت السيد مصطفى عن صحة الخبر فأيد صحته، وعندها وقفت عند باب البيت لكي امنع الإمام من الخروج إذا قرر الذهاب، وقررت أن القي نفسي أمام سيارة الأجرة التي سيذهب بها إذا لم يستجب لطلبي بعدم الذهاب! وعندما أفكر اليوم في هذا الأمر أجد أنني لم أكن قادراً على منعه بكل ذلك لو كان قد عزم على الذهاب، ولكن الذي حدث هو أن إرادة الله شاءت أن تمنعه عن ذلك بوسيلة أخرى؛ إذ جاء في تلك اللحظات موكب عزائي قادم من طهران إلى بيت الإمام وأقاموا مراسم الغزاء فيه فاضطر الإمام للبقاء في المنزل وعد الذهاب للمدرسة، ورغم ذلك بقيت واقفاً عند الباب لمنع الإمام من الخروج إلى أن حل موعد صلاتي المغرب والعشاء وجاء طلبة الحوزة فرادى وجماعات بهيئات مضطربة إثر هجوم جلاوزة الشاه على المدرسة الفيضية وطلبتها. فأخبرت المرحوم الحاج مصطفى بما جرى وبسبب وقوفي عند الباب، فنظر لي نظرة خاصة وقال: كنا نتصور أنك في غاية الشجاعة! قلت: إنني مستعد للقيام بأي عمل من أجل المحافظة على حياة الإمام.

¹ حجة الإسلام والمسلمين السيد حسن الطاهري الخرم آبادي.

وعلى أي حال فقد قال لي الإمام بعد إقامة صلاتي المغرب والعشاء: «اذهب إلى بيتك ولا تقلق». قلت: احتمال وقوع خطر عليك. قال: «هل تعتبر هذا المنزل ملكاً لي أم لا؟ إن كنت تراه ملكاً لي. فإنني لا أَرْضِي أن تبقى فيه، فاذهب إلى منزلك وعيالك». فبقيت عنده إلى منتصف الليل ثم ذهبت^١.

نومكم هنا لا يزيدني طمأنينة

بعد وقوع الهجوم على المدرسة الفيضية قرر بعض الأخوة أن يبقوا في منزل الإمام ليلاً للمحافظة عليه ولكي لا يبقى وحده، ولكن الإمام كان يرفض ذلك ويقول: «إن نومكم هنا لا يزيدني طمأنينة»^٢.

قسماً بجدي لم يدخلني أي خوف

قال لي الإمام يوماً: «عندما جاؤوا كسروا الباب وأخذونا واقتادونا إلى السيارة، وفي الطريق كانوا يرتجفون أما أنا فقسماً بجدي لم يدخلني أي خوف»^٣.

هؤلاء سيسقطون

بتاريخ (١٣٤٢/١/٢ هـ ش، ١٩٦٣/٣/٢٢ م) هاجم جلاوزة الشاه الخائن المدرسة الفيضية، وكنا يومها من شباب طلبة الحوزة، لم نر من قبل هذا المشهد إذ قام هؤلاء الجلاوزة بمهاجمة الناس بالأسلحة النارية والعصي وغيرها وقتل بعضهم وإلقاء البعض الآخر من فوق السطح إلى الأرض. في ذلك اليوم دخلنا غرفة الإمام بعد إقامة صلاتي المغرب والعشاء وقد سيطر علينا الاضطراب والقلق بسبب قلة تجاربنا، فتحدث الإمام لنا على مدى عشرين دقيقة وقال ضمن حديثه: «هؤلاء [النظام الملكي] سيسقطون وأنتم ستبقون!»^٤.

والله لم يدخلني الخوف

هاجم جلاوزة منظمة الأمن الملكي (السافاك) منزل الإمام ليلاً بعد إلقائه خطابه التاريخي في (١٥) خرداد [١٩٦٣/٦/٥ م] واعتقلوه وقد تحدث عن هذه الحادثة فقال: «بعد أن قبضوا عليّ اركبوني السيارة وساروا بها بسرعة في شوارع قم باتجاه طهران وكانوا ينظرون باستمرار إلى خلفهم وما حولهم بقلق؛ فسألتهم: لماذا أنتم خائفون مضطربون؟ أجابوا: نخشى أن يلاحقنا الأهالي فهم يحبونك!» ثم قال الإمام:

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ لطف علي الفقيهي، مجلة (اطلاعات هفتكي) العدد: ٢٤٤٢.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ مهدي الكروبي.

^٣ آية الله المشكيني، مجلة جهاد، العدد: ٤٤.

^٤ آية الله الخامنئي، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٥٩/١١/١٥ هـ ش.

«والله لم يداخني خوف أبداً، أما هم فقد استولى عليهم الخوف إلى درجة لم يسمحوا لي بالنزول من السيارة لإقامة فريضة الفجر، وقالوا: نخشى أن يصل الأهالي إلينا! ولذل اضطرت إلى أداء الصلاة جالساً في السيارة بين اثنين من هؤلاء»^١.

لم أجد في نفسي أي تغيير

قال الإمام يوماً: «انحرفت السيارة في وسط الطريق بين قم وطهران فجأة وسارت في طريق ترابي فأيقنت أنهم عزموا على قتلي، ولكن عادت السيارة بعد فترة إلى الطريق الأصلي. وعندما رجعت إلى نفسي لم أجد فيها أي تغيير بسبب ذلك»^٢.

لماذا أنتم خائفون؟

ذكر الإمام - ضمن حديثه عن حادثة اعتقاله - أن جلاوزة النظام لم يشغلوا السيارة التي نقلوه بها في البداية، بل أخذوا يدفعونها بأيديهم من باب منزله إلى وصلوا المستشفى [القريبة من منزله] وذلك خشية من أن يوقظ صوتها الجيران، كما جلس عدد منهم وهم يرتدون ملابس سوداء لا تري في الليل لكي يغطوا السيارة فلا يظهر منها أي شيء، ثم قال: «لاحظت أن الذين كانوا معي في السيارة قد استحوذ عليهم الخوف فقلت لهم: لماذا أنتم خائفون؟ فأجابوا: إن الناس يحبونك ويخشى أن يهجموا علينا! وكانوا ينظرون باستمرار إلى الخلف بقلق وهم ينتظرون وصول سيارات أخرى لحمايتهم»^٣.

كنت أنا الذي يخفف عنهم خوفهم

نقل المرحوم الحاج السيد مصطفى عن والده الإمام أنه قال بشأن الليلة التي اعتقلوه فيها ونقلوه من قم إلى طهران: «انحرفت السيارة التي نقلنا عن الطريق الأصلي بين قم وطهران، قلت في نفسي: إنهم يريدون حسم الأمر (بقتلي)، فرجعت إلى قلبي فلم أجد أدنى اضطراب أو تغيير بسبب ذلك». وقد أشار لذلك في خطابه الذي ألقاه في المسجد الأعظم بعد إطلاق سراحه سنة ١٣٤٣هـ ش، ١٩٦٤م حيث قال: «والله إنني لم أخف شيئاً طوال عمري، حتى في تلك الليلة التي اعتقلوني فيها، كانوا هم الذين استولى عليهم الخوف فيما كنت أنا الذي يخفف عنهم»^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، صحيفة جمهوري إسلامي، بتاريخ ١٣٦٨/٤/٧هـ ش.

^٢ آية الله السيد خاتم الزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٢.

^٣ الدكتور محمود البروجردي، المصدر السابق.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، المصدر السابق، ج ١.

عندما أرادوا التوجه به إلى بحيرة الملح

عندما أطلق سراح الإمام من السجن بعد انتفاضة الخامس عشر من خرداد ونقل إلى منطقة «قبطرية» في طهران زاره آية الله السيد المرعشي وسأله: هل داخلك الخوف عندما اعتقلوك؟ فأجاب: «كلا، لم أخف بالمرّة، حتى عندما لاحظت أنهم أشاروا للسائق بالتوجه إلى بحيرة حوض سلطان، وهذه البحيرة هي المعروفة ببحيرة الملح، وكان معروفاً يومذاك أن جلاوزة النظام الملكي كانوا يلقون فيها معارضي الشاه أو الحكومة من العسكريين وغيرهم بعد قتلهم^١.

والله لم يختلف حالي يومها

ينقل الحاج السيد أحمد أنه سأل الإمام في النجف عن حاله عندما أركبوه الطائرة التي نقلته إلى تركيا فأجاب: «والله لم يختلف حالي يومها عن حالي الآن وأنا جالس إلى جانبكم^٢.

واصل استقبال زائريه بكل سكينة ووقار

صادف لقائي الأول بالإمام في قم [بعد انتصار الثورة] اليوم الذي أثار فيه الحزب الجمهوري الشعبي تلك الفتنة المؤلمة في قم والتي تجرأ فيها هذا الحزب على السعي لمهاجمة بيت الإمام وإن كانت هذه المؤامرة الاستعمارية قد أحبط بفضل مقاومة عشاق الإمام، وأتذكر أن بعض شوارع قم أصبحت يومها أشبه ما تكون بشوارع المدن الحربية فقد حطمت الواجهات الزجاجية للصيديات والمحلات التجارية، وكان من الطبيعي أن نتوقع من أي قائد أن يلغي لقاءاته العادية في ظل مثل هذه الأوضاع، ولكن الإمام لم يفعل ذلك بل واصل لقاءاته العادية واستقبال زائريه بكل سكينة ووقار^٣.

لم يصبني ذلك بأدنى أذى

بعد أكثر من سنتين من نفي الإمام عن إيران، ذهب آية الله المنتظري لزيارته في النجف فذهبنا معه وكان يعرف عنوان منزله، وبعد أن عانقه وقبل يده سأله الإمام عن حال ولده المرحوم الشهيد حجة الإسلام الشيخ محمد المنتظري وكان يومها سجيناً، ثم قال له الإمام: «سمعت أن اعتقال ولدكم محمد قد آذاكم كثيراً، لا ينبغي لكم ذلك، فمثل هذه الحوادث تقع عادة وهي مفيدة لتربية الإنسان وإعداده

^١ السيد محمود البروجردي، مجلة (ندا) العدد الأول.

^٢ كتاب (في رثاء النور).

^٣ السيد غلام علي الرجائي.

للمستقبل. عندما زارني للمرة الأولى بعض السادة القادمين من إيران وأنا يومها في تركيا سألتهم عن حال مصطفى فأخبروني باعتقاله فلم يصبني بأي أذى!¹.

لم يتغير برنامجه المعتاد في يوم اعتقال ولده

بتاريخ ١٣٤٨/٣/٢١ هـ ش، ١١/٧/١٩٦٩ م زار رئيس منظمة الأمن وقائم مقام النجف الإمام وأخبراه أنهما مكلفان من قبل مجلس قيادة الثورة العراقي بإرسال السيد مصطفى معتقلاً إلى بغداد (وكان اتهامه هو قيامه بزيارة المرحوم السيد الحكيم ممثلاً للإمام، بهدف مواساته بعد التعرض لولده السيد مهدي الحكيم بعد عودة السيد الحكيم من بغداد. ثم طلبا من الإمام أن يأذن لهما بتنفيذ هذه المهمة، فأجابهما قائلاً: «إذا كان إرسال مصطفى إلى بغداد مشروطاً بأن أسمح بذلك، فإنني لن أسمح بذلك أبداً، أما إذا كنتم مكلفون باعتقاله وإرساله فأنتم أعرف بواجبكم!»

وفي الساعة الثامنة صباحاً أرسل السيد مصطفى مخفوراً إلى بغداد ومعه عدد من مسؤولي الأمن العراقي، ورغم ذلك، فإن الإمام حضر في اليوم نفسه إلى المسجد وطبق برنامجه اليومي، المعتاد لإلقاء درسه وشرع في بيان المباحث العلمية والفقهية بكل سكينة وطمأنينة في حين كان القلق والحزن لاعتقال السيد مصطفى قد سيطر على الحاضرين، كما تابع بسائر فقرات برنامجه اليومي مقل إقامة صلاة الجماعة واللقاءات دون أدنى تغيير².

يخفف عنا مصابنا باستشهاد ولده!

يقول السيد أحمد: ذهبنا للإمام بمعية عدد من السادة لإخباره نبأ استشهاد أخي، وقد قرأ في البداية أحد السادة مقاطع من مصائب الإمام الحسين عليه السلام [كمقدمة لإخبار الإمام بذلك النبأ المحزن] وبعد انتهاء التعزية قال الإمام: «كيف حال مصطفى؟» وعندها بكى بعض الحاضرين، والتفت الإمام إلى شدة بكائي، فأخذ ينصحنا وينقل قصص الذين ابتلوا بأنواع المصائب ويسلي قلوبنا بذلك³.

¹ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ٣٩.

² حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني) ج ٢.

³ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد الموسوي خوئيني ها،

اكتفى بالاسترجاع عند وفاة ولده

كنت نائماً، وفي وقت مبكر، حوالي الساعة (5) صباحاً هزّت قدمي ففتحت عيني فرأيت السيد الخميني قدس سره وهو يقول: أنهض واذهب إلى بيت مصطفى..، اذهب إلى هناك، أظن أن السيدة معصومة (زوجة السيد مصطفى) غير مرتاحة وفي الليلة الماضية جلبوا طبيباً.

فذهبت مستعجلاً إلى هناك، فرأيت سيارة أجرة أمام بيته، وعندما دخلت رأيت ثلاثة أشخاص: السيد محمود دعائي وأحد الأخوة الأفغان -الذي كان يدرس هناك- وشخص آخر.

صعدت إلى الطابق العلوي من المنزل فرأيتهم قد حملوا أخي لينزلوه من السلم، وضعت يدي على جبهته؛ فكانت حرارته مرتفعة، وضعناه في سيارة الأجرة، ولكن كأن شخصاً يقول لي في تلك اللحظة: إن السيد مصطفى قد رحل من الدنيا، حملته في حضني، وأوصلناه إلى المستشفى، وبعد فحصه قال الطبيب: للأسف إنه متوفى.

عدت إلى البيت ولم أعرف ماذا أقول للسيد الخميني قدس سره، كان عليّ أن أقول شيئاً، ذهبت إلى المضيف ثم أرسلت إليه اثنين من الأشخاص ليقولوا له: إن صحة السيد مصطفى سيئة، وأنه نقل إلى المستشفى، فذهبا وقالوا له ذلك، فقال السيد الخميني قدس سره قولاً لأحمد أن يأتي، جئت إليه، فقال: أريد أن أذهب إلى المستشفى وأرى مصطفى، تأثرت جداً، وخرجت وأخبرت السيد رضواني، وطلبت منه أن يقول للسيد الخميني قدس سره إن الطبيب قد منع زيارته، وذلك لأجل تأخير اطلاع السيد على الموضوع قدر المستطاع، اتفقنا أن يذهب ويخبر السيد الخميني قدس سره بهذا الشكل، وكان الجميع يخافون من طرح القضية.

كنت في الطابق العلوي، وكانت هناك نافذة، فشاهدني منها فصاح قائلاً: أحمد.. فنزلت إليه، فقال: هل توفي مصطفى؟ تأثراً جداً وبكيت ولم أقل شيئاً، كان جالساً وواضعاً يديه على ركبتيه، فهز يديه عدة مرات، وقال ثلاثاً: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ثم أضاف بقوله: «كان مصطفى أمل الإسلام.. كان أمانة خسرها».

ثم بدا الأخوة فوراً بالدخول عليه لتقديم التعازي ولم يغير بعد سماعه النبأ برنامجه اليومي المعتاد أصلاً، فأقام صلاة الجماعة عند الظهر والمغرب حتى في اليوم الذي اخذوا جسد ولده المجاهد إلى كربلاء^١.

كنت أتوقع أن يخدم الإسلام والمسلمين

كان من الصعب علينا أن نصدق خبر استشهاد المرحوم السيد مصطفى، جلسنا نبكي في أحد غرف منزل الإمام وكان معنا المرحوم آية الله الميرزا حبيب الأراكي، ولم يكن الإمام قد عرف بالخبر بعد ولكنه كان يعلم بنقل السيد مصطفى إلى المستشفى، فطلب السيد احمد منا وكان في الطابق العلوي من المنزل أن ندخل على الإمام ونخبره بالأمر، وأصر علينا لذلك استجبنا لطلبه وإن كان شاقاً علينا، ولما دخلنا على الإمام سألتني: «هل لديك خبر عن حال مصطفى» فقلت: لا علم لي بأكثر من أنهم نقلوه للمستشفى، وكنا جميعاً نعهد في الإمام أنه لا يتعامل مع أحد بلغة الأمر، لكنني لاحظته هذه المرة يأمرني بإصرار أن أستأجر سيارة تنقله إلى المستشفى لكي يرى ولده، ولما تأخرت في الاستجابة لأمره قال لي بلهجة خاصة: «قلت لكم اذهبوا واستأجروا لي سيارة». فاضطرت للخروج، فلما رأني السيد أحمد سألتني عن الأمر - وكان على ما يبدو قد عرف بالأمر - فأخبرته فقال: ليس صحيحاً بالمرّة أن يذهب الإمام للمستشفى، اذهب وقل له: إن حالة السيد مصطفى سيئة وقد منع الأطباء زيارته لأي سبب، فعدت إلى الإمام وقلت له ما قال لي السيد احمد الذي كان واقفاً في الطابق العلوي بحيث يراه الإمام من نافذة غرفته، فناداه الإمام ثم قال له: «ما خبرك عن حالة مصطفى؟» وعندها بكى السيد أحمد، فعرف الإمام بالأمر وقال ثلاث مرات: «إنا لله وإنا إليه راجعون» ثم قال: «كنت أتوقع أن يخدم مصطفى الإسلام والمسلمين»^٢.

لم تخرج من عينه ولا دمعة واحدة

عندما عرف الإمام نبأ استشهاد المرحوم السيد مصطفى، كنت وعدد آخر من الأخوة حاضرين عنده فشرعنا بالبكاء والنحيب الشديد، لكننا لاحظنا أن الإمام أشد صبراً فلم تجر من عينه ولا دمعة. وكنت قد

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (جوانان إمروز العدد: ٧٦٦، وينقل أن الإمام ذهب بعد إقامة صلاتي الظهرين إلى منزل ولده الشهيد وعزاً عائلته وقال لأمه المشكولة: «كان أمانة استودعها الله عندنا ثم استرجعها، إنني صابر على هذه المصيبة، فاصبروا أنتم أيضاً وليكن صبركم لله».

^٢ آية الله السيد عباس خاتم اليزدي.

سمعت في وقت سابق من أحد الأشخاص أن علي من يصاب بمصيبة أن يبكي وإلا أصابته سكتة قلبية، ولذلك قمت إلى الشيخ الفرقاني - وكان ذا صوت حسن ويجيد قراءة مجالس العزاء - وطلبت منه أن يقرأ شيئاً من مصيبة سيد الشهداء عليه السلام عسى أن يبكي الإمام، فأخذ بقراءة مصيبة علي الأكبر عليه السلام وأشعار بالفارسية والعربية رقيقة للغاية في هذا المجال وعلى مدى عشرين دقيقة وبصورة تبكي كل سامع ولكن الإمام لم يبك ولم تخرج من عينه ولا دمعة واحدة رغم أننا جميعاً شاهدنا الإمام كثير البكاء على مصائب سيد الشهداء عليه السلام فبمجرد أن يبدأ الخطيب بقراءة هذه المصائب كان الإمام يخرج منديله من جيبه ويبكي بحرقة^١.

كلنا نموت عودوا على أعمالكم!

إثر وفاة السيد مصطفى تقرر أن يدخل جمع من السادة بمعية السيد أحمد علي الإمام ويخبروه - بصورة تدريجية - بهذا النبأ، فقال أحدهم: ما خبركم عن حالة السيد مصطفى؟ فأجاب المرحوم الميرزا حبيب الله الأراكي: لقد اتصلوا من المستشفى الآن وقالوا يجب نقله إلى بغداد بسرعة، ولكن السيد أحمد فقد السيطرة على نفسه ولم يستطع منعها من البكاء فأدار وجهه لكي لا يراه الإمام، لكن الإمام أدار وجهه وقال: «ما بك يا أحمد؟ هل توفي السيد مصطفى؟ إن أهل السماء يموتون وأهل الأرض لا يقون، كلنا نموت، ليعود السادة إلى أعمالهم» ثم قام وتوضأ وأخذ يتلو القرآن^٢.

قوموا بالمستحبات لأجله

لقد تعامل الإمام بدرجة عالية من السكينة والصبر مع قضية استشهاد السيد مصطفى، فعندما أخبرناه بذلك، اكتفى بأن حرك إصبعه وقال ثلاث مرات: «إنا لله وإنا إليه راجعون» والجملة الوحيدة التي قالها بعد الاسترجاع هي: «اجتهدوا في القيام بالمستحبات من أجله»^٣.

الخميني لا يبكي أبداً

كان بيت الإمام في يوم استشهاد ولده مصطفى مليئاً بالقادمين لتقديم التعازي له بهذه المناسبة ولم يفرغ منهم إلا قبيل الظهر، ومع ارتفاع صوت الأذان قم الإمام وجدد الوضوء وقال: «أذهب إلى المسجد» فقلت عجباً من السيد لا يترك صلاة الجماعة حتى في هذا اليوم! ثم قلت لأحد الخدم: اذهب إلى خادم

^١ آية الله خاتم البزدي.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ١.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (پیام انقلاب) العدد: ٦٠.

المسجد وأخبره بأن الإمام سيأتي للصلاة، وعندما عرف الناس بأن الإمام قادم للمسجد تدفقوا عليه من كل جانب، وعندما وصلنا مع الإمام إلى المسجد ضجوا بالبكاء والنحيب، ثم فتحوا لطريق للإمام فدخل المسجد وهو على وقاره المعهود الذي اثار تعجب الناس فكان يقول بعضهم لبعض [بالعربية]: عجيب أمره! إن الخميني لا يبكي أبدا!!^١.

السكينة في ذروة المصيبة

لم يظهر على الطلعة النيرة للإمام أدنى أثر للانكسار المعنوي بسبب وفاة السيد مصطفى، بل على العكس كان يبدو أشد عزمًا، وكان أغلب علماء النجف سيكون عند تقديم التعازي له وهم يزورنه بهذه المناسبة أما هو فقد كان يستقبلهم وهو في أعلى حالات السكينة^٢.

إذا كان مصطفى قد توفي فأخبروني

عندما توفي السيد مصطفى، أرادوا إخبار الإمام بذلك بصورة تدريجية، فقالوا له أولاً أن صحته قد تدهورت ونقل إلى المستشفى، قال: «أريد الذهاب إلى لزيارته» فقالوا: إن زيارته ممنوعة، فقال: «إذا كان مصطفى قد توفي فأخبروني» وعندها انفجر الأخوة بالبكاء، فقال الإمام: «إنا لله وإنا إليه راجعون كنت أرجو أن يبقى مصطفى لكي يخدم الأمة» ولم نسمع منه غير هذه العبارة عند وفاة ولده^٣.

كان مصطفى أمل مستقبل الإسلام

لم تظهر على الطلعة النيرة للإمام ولا ذرة من الانكسار بسبب مصيبة استشهاد الفقيه السعيد حضرة آية الله الحاج مصطفى الخميني رغم أنه كان رفيق والده في المنفى ومؤنسه في جلسات البحث وأمله لإدارة شؤون المسلمين في المستقبل. والجملة الوحيدة التي قالها يوم وفاته كانت: «كان مصطفى أمل مستقبل الإسلام» وفي اليوم الحادي عشر لوفاته قال الإمام بعد أن حضر لإلقاء الدرس: «إن الله أطفأ خفية ووفاة مصطفى أحد هذه الأطفاف»^٤.

تلك هدية منَّ بها الله علينا

عندما وصل خبر استشهاد السيد مصطفى اجتمع الجميع للتشاور في طريقة إخبار الإمام بذلك، ولم يكن أحد منهم يتجرأ على إخباره بذلك لسيطرة الحزن عليهم جميعاً، أما السيد أحمد فلم يكن يقر له قرار

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ١.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الطهراني، المصدر السابق، ج ٥.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الناصري، المصدر السابق، ج ٤.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الكريمي، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ٩.

وكان في الطابق العلوي وقد وقع ظله على نافذة الغرفة التي كان الإمام جالساً فيها، فالتفت الإمام لحاله وناداه فلما أجابه سأله: «أخبرني ما الذي جرى» فانفجر السيد بالبكاء إذ إن السيطرة على المشاعر في مثل هذه الحالات صعبة للغاية، ولكن الإمام بقي على صلابته وصبره، اكتفى بأن قال ثلاث مرات «إنا لله وإنا إليه راجعون» ثم قال: «مصطفى هدية وهبها الله لنا، وقد استرجعها اليوم، فقوموا لترتيب الأمور وتحديد مكان نقله ودفنه». ثم ذهب الجميع لترتيب هذه الأمور، وكنت أنا في ساحة المنزل عندما خرج من تلك الغرفة، كنت أبكي بحرقة وقد سيطر عليّ الحزن فالسيد مصطفى كان شخصاً محبوباً، ولما رأى الإمام ما أنا فيه أعرب عن أسفه وقال: «ما أصعب ما مر عليك منذ أن جئت إلى العراق» ثم كان يحدثني في الأيام اللاحقة بقصص تناسب الحال، وخاصة في الأيام التي أقامت السيدة زوجته في منزل المرحوم السيد مصطفى، فقد كنت أبقى في خدمته مدة أطول، وقال مرة: «نحن ضعفاء جداً، مقارنة بذلك الرجل الجليل الذي توفى ولده في يوم العيد، فقد كان عنده ضيوف جلسوا على مائدة طعامه، فسمع أثناء ذلك صرخة جفل فخرج من الغرفة ثم عاد وقال لضيوفه: لا تقلقوا لم يحدث شيء مهم إنما هي عيدية وهدية من الله بها علينا، تفضلوا وتناولوا طعامكم، وعندما ذهبوا ضيوفه عرفوا أن تلك الصرخة كانت بسبب سقوط ولده الصغير في حوض الماء وغرقه ووفاته، ولكن صاحب البيت سيطر على مشاعره ولم يخبر ضيوفه بما جرى لكي لا يعكر عليهم الضيافة وبقي على تلك الحالة حتى خرجوا من عنده ثم أخذ بترتيب الأمور اللازمة».

نقل الإمام هذه القصة وقال: «نحن ضعفاء للغاية» رغم أننا لم نر منه إلا الجلادة المعنوية وقوة الروح، حتى أنه لم يترك برنامج مشيه اليومي بين الساعة (٣٠، ١٠ - ٣٠، ١١) في ذلك اليوم، ثم وقف قبيل الظهر باتجاه القبلة كعادته وتوضأ ثم مشط لحيته ووضع شيء من الطيب وصلى! وفي تلك الأيام قال السيد أحمد له: إن أصدقاء وطلبة السيد مصطفى قد اشتد عليهم الحزن بسبب هذه المصيبة، فتحدث لهم بشيء تسكن لهم أرواحهم ويهدأ روعهم. فكان أن قال الإمام في بداية إلقائه لدرسه في اليوم الأول لاستئناف الدرس تلك الكلمة التي دوت في المحافل: «إن وفاة السيد مصطفى من ألطف الله الخفية»^١.

^١ السيدة فاطمة الطباطبائي، زوجة السيد أحمد، مجلة (ندا) العدد الأول.

يخفف حزن المعزين له!

زار آية الله محمد صادق اللواساني - وهو من قدماء أصدقاء الإمام وزملائه أيام الدراسة - النجف الأشرف بعد استشهاد المرحوم السيد مصطفى لتقديم التعازي له بهذه المناسبة، وصادف أن إلتقاه عند قبر المرحوم السيد مصطفى حيث جاء لقراءة الفاتحة على روحه بعد زيارته لأمرير المؤمنين عليه السلام، وكانت آثار الشيخوخة قد ظهرت على السيد اللواساني إلى درجة لم يعرفه الإمام في البداية، فسأل عنه بالإشارة فقبل له إنه السيد اللواساني، فتبسم وقال له: «لقد أسرع إليك الشيخوخة!» ثم وضع السيد اللواساني رأسه على كتف الإمام وبكى وقدم له التعازي باستشهاد ولده، فمسح الإمام على كتف السيد وأخذ يخفف من حزنه!!¹.

عند قبر ولده الشهيد

في المرة الأولى التي زار الإمام قبر ولده السيد مصطفى احتشد حوله الكثيرون ليروا ما يفعله القائد الأب، والأب القائد عند قبر ولده المجاهد، فشاهدوه يجلس بكل تواضع على الأرض ويضع إصبعه على القبر ويقرأ سورة الفاتحة بطمأنينة ثم يقول للحاضرين: «اقرأوا سورة الفاتحة أيضاً على روح المرحوم الشيخ محمد الأصفهاني». ثم طلب منهم أن يطلبوا من الله المغفرة لولده الشهيد، إن هذا الشهيد مغفور له، ثم قام وذهب إلى منزله بسكينة ووقار وهدوء وسط ارتفاع أصوات الحاضرين بالبكاء على وفاة ولده!².

طمأنينة تبعث الأمل في كل من يزوره

حالفني التوفيق في سنة ١٣٤٨هـ ش، ١٩٦٩م لزيارة الإمام في النجف الأشرف؛ ولم يكن يخفى علي أعين جواسيس منظمة أمن النظام الطاغوتي هوية الذين يذهبون لزيارة الإمام في تلك السنين، لذلك لم يكن يتردد على بيته إلا عدد محدود من الأشخاص، وكان يومها يعيش في منزل متواضع مع عائلته المحترمة وعدد قليل من الأصدقاء. وفي اليوم الذي ذهبت فيه لزيارته لم يزره سوى أربعة أو خمسة أشخاص رغم أنها كانت أيام النوروز التي يزداد فيها عدد الزوار الإيرانيين في العراق.

¹ حجة الإسلام والمسلمين السيد علي أكبر المحتشمي

² حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، صحيفة اطلاعات ١/١٣٥٩هـ ش.

وفي تلك السنة كان النظام الطاغوتي يقيم أو يعد لإقامة الاحتفالات الضخمة بمناسبة مرور (٢٥٠٠) سنة على حكم الملكية في إيران والتي كانت توصف بأنها علامة قوة وثبات هذا النظام، فتصوروا ما الذي كان يعكسه وجه الإمام في تلك الأيام؟ هل كان يكشف عن الضعف أو الانكسار أو القلق؟ كلا، كان الإمام يتحدث بوجه مطمئن مستبشر ويتعامل بهذه الروح مع القضايا فيبعث بذلك الأمل الكبير في قلب كل من يزوره^١.

لا تظهر على صوته ووجهه آثار الانفعال

وافق آية الخميني على استقبال المبعوث الخاص لصحيفة اللومند في منفاه في النجف، وتحدث معنا بوجه نحيف طلق زادته اللحية البيضاء طولاً، وعلى مدى ساعتين لم تتغير خلالهما لهجته الصريحة الهادئة والشجاعة؛ ولم يكن يظهر على صوته آثار الانفعال وعلى وجهه آثار التغير والتأثر بشيء حتى عندما كان يكرر القول بأن إيران يجب أن تتخلص من الشاه أو عندما أشار على وفاة ولده، كان حكيماً للغاية في تعامله وسيطرته الفائقة على نفسه وعلى مشاعرها، إنه يوصل ما يعتقد به إلى قلب من يخاطبه ليس بالضغط على الكلمات بل بنظراته الخاصة النافذة دوماً؛ ولكنه - رغم ذلك - إذا تحدث عن أمر حساس وأساسي يصبح حاداً إلى درجة لا يمكن مقاومتها. إن آية الله الخميني رجل ذو عزم راسخ وكامل، ولا يقبل أي مساومة، إنه عازم بكل حزم على مواصلة كفاحه ضد الشاه حتى النهاية^٢.

ابتسم عندما عرف الرفض الكويتي

طال انتظارنا لوصول مبعوث الحكومة الكويتية من المدينة إلى الحدود أكثر من ساعتين، وعندما وصل نادى أخي وقال له بصوت منخفض: إن ما يسر دولة الكويت كثيراً أن تستضيف السيد الخميني، ولكن ذلك لا ييسر لها في هذه الأوضاع لأنه يسبب لنا مشاكل إذ أن لدينا علاقات مع إيران كما تعلمون. فلما عرف الإمام بهذا الموقف ابتسم وقال: «اسمحوا لنا بالذهاب إلى مطار دولة الكويت لنذهب منه بواسطة

^١ آية الله الدكتور الشهيد البهشتي، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٦٥/٤/١ هـ.ش.

^٢ مراسل صحيفة اللومند الفرنسية، وكانت هذه المقابلة أول مقابلة يوافق الإمام على إجرائها مع صحيفة أجنبية وقد طبعت بالفارسية في كراس يحمل عنوان (طلية انقلاب إسلامي).

الطائرة إلى حيث نشاء» ولكن الجواب كان سلبياً على هذا الطلب أيضاً. وعندها استعد الإمام للعودة إلى العراق^١.

ثقوا بان الإمام سينتصر أيضاً

أردنا العودة إلى العراق بعد منعنا من دخول الكويت، فمنعونا من العودة للعراق أيضاً، وقد كدت أبكي من ذلك بسبب شدة تعبي إذ أنني كنت أتولى قيادة السيارة وعلى مدى عشر ساعات متواصلة، لكنني سيطرت على أعصابي بصعوبة وقلت للموظف العراقي: لقد آذت قريش النبي ﷺ كثيراً وعندما ذهب إلى الطائف آذاه أهلها أيضاً فاضطر إلى العودة إلى مكة لكنه هاجر فيما بعد إلى المدينة وانتصر وعاد إلى مكة فاتحاً؛ كونوا على ثقة من أن الإمام سينتصر أيضاً.

وقد أصابت هذه الكلمات الموظف العراقي بالذهول والحيرة، ولا زلت إلى اليوم أجدد الشكر لله الذي نصرنا كلما تذكرت حوادث تلك الحوادث الصعبة^٢.

مازحنا وأضحكنا عدة مرات

احتجز المسؤولون العراقيون الإمام عدة ساعات في منطقة صفوان الحدودية بعد عودته من الكويت، وقد آذانا ذلك وأقلقنا حرصاً على الإمام فقط إذ أننا لم نكن نفكر بغيره، ولكن الإمام نفسه مازحنا عدة مرات وأضحكنا منذ بداية دخولنا الغرفة وكان واضحاً أن هدفه هو تقوية معنوياتنا، فأظهر هذا التعامل العادي مع الأمر لكي يبعد عنا الأذى ولكي لا نتصور أنه في حالة أشبه ما تكون بحالة السجين، وإن كان حاله في الواقع هو حال السجين^٣.

سيطر القلق على الجميع باستثناء الإمام

عندما تقرر أن يذهب الإمام إلى باريس بدلا من الكويت، كان ينبغي كتمان وجهة مقصده لأسباب أمنية، ولذلك مرت علينا تلك الأيام بصعوبة بالغة، وقد سيطر عليّ القلق في الليلة الأخيرة التي سبقت سفره بمعية عدد من خواص أصحابه، ولم أستطع النوم فجلست ورأيت الإمام وقد قام للتهجد كما هي عادته وعندما رأني يقظة قال لي بهدوء: «نامي». وقد سيطرت حالة عجيبة من الوجوم وحبس الأنفاس

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا المهري، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ١٠.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد الدعائي، مجلة جهاد، العدد: ٢٧.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد رضا المهري، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ١٠.

والصمت على جميع أفراد العائلة عندما استعد الإمام للسفر في سحر تلك الليلة، والشخص الوحيد الذي كان في غاية الطمأنينة هو الإمام الذي ودعنا بسكينة وخرج بمعية أخانا^١.

وكأنه في سفر آمن لا خطورة فيه

بعد مضي ساعتين تقريباً من تحليق الطائرة التي أقلتنا من العراق على فرنسا، عرفنا أننا محبوسون في الطابق العلوي! إذ أنه وعندما توجه أحدنا إلى المغاسل لاحظنا ملاحقة الأشخاص الثلاثة المكلفين بحراستنا له، وللتأكد من صحة فهمنا لكوننا محبوسين في الواقع، قام المرحوم إملائي للنزول إلى الطابق الأول من الطائرة فمنعه الحراس، وإثر ذلك جرى الحديث بيننا - نحن المرافقون للإمام - بشأن احتمالات ما سيفعلونه بنا، هل أنهم سيقتلوننا أم سيخطفوننا أم سيسجنوننا في احد البلدان في احد البلدان؟ أما الإمام فقد كان ينظر بسكينة من نافذة الطائرة إلى الأرض وكأنه في سفر آمن يخلو من أي خطر!^٢.

وهل ثمة خبر آخر

دخلت على الإمام بعد صلاة الفجر من اليوم الذي خرج فيه الشاه من إيران وقلت له: إن الإخوة يقولون: أن الشاه قد غادر إيران وقد بثت الإذاعات هذا الخبر، وكان طبيعياً أن تظهر آثار الفرح على الجميع أما الإمام فقد اكتفى بأن سألتني: «هل ثمة خبر آخر؟!». ^٣.

سكينته عند انتصار الثورة

كان الإمام كالجبل الشامخ في ثباته وسكينته، فمثلاً عندما انتصرت الثورة سيطرت حالة من الهيجان والانفعال على الجميع - ومن بينهم أنا - حتى أن بعضنا أخذ يبكي بشدة فرحاً أما الإمام فقد بقي على سكينته وهدوئه دون أدنى انفعال في حين أن الانفعال الشديد قد أصاب الآخرين، كان الإمام يبعث المعنويات العالية في الجميع^٤.

لم يظهر أي أثر للانفعال حتى في نبرات صوته

عندما وصل خبر خروج الشاه من إيران اتصلوا بنا من مقر للشرطة الفرنسية، فذهبنا بمعية السيد غرضي الذي يجيد الفرنسية، حيث نقلوا لنا هذا الخبر وكان ذلك في السحر ومع قيام الإمام لعبادة الليل، ثم حضر الصحفيون ودخلنا على الإمام وأخبرناه بالخبر وبمجيء الصحفيين لمقابلته، فقال: «أخرج لهم في

^١ السيدة فريدة المصطفوي، صحيفة اطلاعات ١٣٦٠/١٢/١١ هـ.ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة حضور، العدد: ٣.

^٣ السيدة مرضية الحديدجي (الدباغ)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد الدعائي.

النهار!) وكان هذا الأمر عجباً للغاية بالنسبة لهؤلاء الصحفيين والأجانب وأخذوا يتساءلون: كيف يحفظ هذا القائد هدوءه في وقت خروج الشخص الذي سعى طويلاً إلى إخراجه من إيران؛ ويبقى ملتزماً ببرنامج العادي! ثم أن الإمام قدم موعد خروجه للصحفيين ساعة بسبب ازدياد عددهم، ووقف في مكان منخفض فوضعنا له كرسيًا لكف يقف عليه ولكي يستطيع الصحفيون سماع صوته وهو يدلي بتصريحاته بشأن هذا الحدث التاريخي المهم وكنت أتوقع ، أنا أيضاً - أنه سينفعل أثناء أدلائه بهذه التصريحات، لكنني - ورغم أنني كنت قريباً منه - لم ألاحظ أبسط أثر للانفعال عليه! لقد تحدث بهدوء - عبر الميكروفون الصغير الذي وضعناه أمامه إذ لم يكن لدينا جهاز جيد لتكبير الصوت - وكانت أول كلمة يلقيها بعد خروج الشاه من إيران، وقد حدد فيها مسار تحرك النهضة بعد هذا الحدث وقال: « إن إخراج الشاه هو الخطوة الأولى» قال ذلك بكل هدوء ودون أن يتغير أي شيء من طريقته في الحديث ولم يظهر أي أثر للانفعال حتى في نبرات صوته^١.

نظرات الإمام تعكس طمأنينته

عندما ذهبت إلى باريس لزيارة الإمام قال لي أحد المصورين الإيرانيين المقيمين في باريس وكان ماهراً في فن التصوير: أنقل لك يا فلان ما شاهدته عندما وصل الإمام إلى مطار باريس، كان مجيئه إلى فرنسا قد تم دون استعدادات مسبقة ولذلك كان احتمال تعرضه لمشاكل فيها قائماً خاصة بعد ما منعه من دخول الكويت، وبعد انعدام الأوضاع المناسبة للذهاب إلى سوريا، فكيف يمكن أن يكون حال قائد في مثل عمره في ظل هذه المرحلة الحساسة من حركته الثورية؟! لقد اخترت مكاناً جيداً للغاية في مطار باريس، اخترته طبق خبرتي في التصوير والعمل الصحفي لكي يوفر لي أفضل زاوية ممكنة لمشاهدة وجه الإمام ونظراته والتعرف من خلال ذلك على حالته الروحية عند وصوله إلى العاصمة الفرنسية في تلك الأيام الحساسة. وقفت في هذا المكان الذي يمر من أمامه كل مسافر يدخل مبنى المطار بعد نزوله من الطائرة، والتقطت صور رائعة جداً للإمام لازلت احتفظ بها، لقد نظمت عدسة الكاميرا بحيث تستوعب عينا الإمام كل مساحتها والتقطت هذه الصورة فلم أجد في نظراته شيئاً من الاضطراب، بل كانت نظراته تعكس كمال السكينة والطمأنينة والاعتدال والحزم والعزم الراسخ^٢.

^١ السيد مصطفى كفاش زادة

^٢ آية الله الشهيد البهشتي، مجلة حضور، العدد: ٣.

هل سيوجهون لنا نيران مضاداتهم الجوية

عندما صعد آية الله الخميني إلى طائرة الخطوط الجزية الفرنسية، أخذ الصحفيون وسائر مرافقيه يتساءلون: هل سيعترضون [حكومة باختيار] طريق الطائرة ويوجهون لها نيران مضاداتهم الجوية؟ ولم يجدوا جواباً على هذا السؤال فبقوا في حيرة وترقب، أما آية الله الخميني فإنه قد توجه للصلاة في الطائرة ثم نام إلى الساعة الخامسة عصراً، وعندما استيقظ تناول شيئاً من اللبن الرائب، وبعد ذلك لفت أحد المنفيين - لم يكن قد ذاق طعم النوم في الليلة الماضية - انتباه الإمام إلى مدينة طهران التي لم يرها الإمام منذ (١٤) عاماً^١.

كان يبدو مسروراً للغاية

عندما أراد الإمام الخميني مغادرة نوفل لوشاتو باتجاه طهران كنت موجوداً في محل إقامته وقد ودعته وكان يبدو مسروراً للغاية^٢.

الكل قلقون باستثناء الإمام

قال اثنان من زملائي في تقرير أعداه لمجلة «جان أفريك» كان القلق مسيطر على جميع ركاب الطائرة التي نقلت الإمام إلى طهران، وكانوا يتساءلون هل ستهبط هذه الطائرة في طهران أم ستسقطها المقاومات الجوية التابعة للنظام الملكي؟ ولم يستطع أحد من الركاب النوم بسبب هذا القلق باستثناء شخص واحد هو الإمام الخميني الذي صعد إلى الطابق العلوي من الطائرة واضطجع على أرضيته ونام إلى الفجر!^٣.

لا أشعر بإحساس خاص

أثار تعجبي كثيراً جواب الإمام على من سأله عن إحساسه وهو يرجع إلى إيران، فقال: «لا أشعر بإحساس خاص»!^٤.

لا اثر للإحساس بالخوف والاضطراب

في تلك الأوضاع الخطرة التي كان من المحتمل أن يتعرض الإمام فيها لحادثة في كل لحظة سألت صحفي الإمام عن إحساسه فأجابته: «لا أشعر بإحساس خاص». وكان هدف الصحفي معرفة ما إذا كانت

^١ السيد حسنين هيكل، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٦٠/٤/١٨ هـ.ش.

^٢ البروفسور مونتني.

^٣ السيد القاندي، صحفي فرنسي.

^٤ السيد مالارد، صحفي إيراني.

الأوضاع الخطرة قد أوجدت حالة من الاضطراب أو الأذى في الإمام، ولكن الإمام نفى بهذا الجواب حدوث أي إحساس بالاضطراب عنده، وعاد على إيران وهبط في مطارها بحالة طبيعية للغاية وكأن شيئاً لم يكن أصلاً^١.

أقم صلاة الليل بكل سكينة

كانت السكينة تتجلى في سلوك الإمام وهو في الطائرة التي عاد بها من فرنسا على طهران، ولم يصبه أدنى اضطراب، لقد أقام في الليلة التي سبقت عودته صلاة الليل وصلاة الفجر ثم نام قليلاً طبق برنامجهِ اليومي المعتاد ثم صعد إلى الطائرة^٢.

وأبطل كل التصورات

كنت جالساً جنب الإمام في الطائرة التي أقلته من باريس إلى إيران، وعندما اقتربت الطائرة من طهران جاء صحفي إليه وسأله: ما هو إحساسك الآن؟ فأجابه: «لا شيء!» لقد تصور هذا الصحفي أن الإمام سيشعر - كما هو حال غيره - بحالة من التأثير ويسكب دموع الشوق والسرور، أو بحالة شبيهة لحالة الخوف والحيرة التي استولت على البعض وجعلتهم يتساءلون بقلق عن مصير هذه الطائرة وهل سيسقطونها أم ستهبط بسلام؟ أو هل سيعتقلون جميع ركابها عند هبوطها وغير ذلك من الاحتمالات، ولكن الإمام أبطل هذا التصور فقد كانت حالته عادية بالكامل لأنه قد أعد نفسه من قبل لكل الاحتمالات حتى القتل والشهادة وأعلن منذ بداية نهضته: «إن صدري على أهبة الاستعداد لتلقي رصاصاتكم»^٣.

تابع برنامجهِ اليومي بطمأنينة

من الأمور التي لا تنسى هي أن جميع مرافقي الإمام في تلك الطائرة كانوا قلقين تجاه مصيرها والشخص الوحيد الذي تابع بكل طمأنينة وسكينة برنامجهِ اليومي المعتاد هو الإمام^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد رضا الأستاذي.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوييني ها، مجلة حوزة، العدد: ٣٧-٣٨.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوييني ها، مجلة (مرزداران) العدد: ٣٩.

قوة توكله على الله وثقته به

إن مما يثير الإعجاب في الإمام قوة توكله على الله وثقته به، كان ذا نفس مطمئنة وقد تجلت هذه السكينة الروحية بوضوح في حالته وهو في الطائرة التي رجع بها من فرنسا إلى إيران؛ وفي تلك الأوضاع الحساسة التي دفعت الكثير من المقرئين منه أن يصروا عليه بأن ينتظر ولا يعرض نفسه للخطر ولا يعود إلى إيران إلا بعد أن يسقط الشعب الحكومة ويمسك بزمام الأمور؛ لكن الإمام رفض ذلك وقرر بشجاعة أن يكون إلى جانب شعبه رغم أنه كان يحتمل أن يعرض نفسه بذلك للقتل والشهادة. كانت اللحظات التي تلت وصوله على أرض الوطن في ظل تلك الأوضاع المضطربة للغاية تمر علينا - نحن الحرس السري له - بصعوبة بالغة، فمثلاً، لم نكن نعلم هل أن الطائرة العمودية التي نقلت الإمام على المستشفى ثم إلى مقبرة الزهراء كانت تابعة لمؤيدي النظام الملكي أم لا، وهل أنهم كانوا يخططون لقتل الإمام؟! كان الإمام يتحلى بالسكينة والطمأنينة في تلك الأوضاع وهو يعتقد بأن استشهاد سيوصل ثورة الشعب لساحل النصر^١.

سكينة تبعث الطمأنينة في القلوب

غادرنا في يوم عودة الإمام مبنى الجامعة - حيث كنا معتصمين فيه - وتوجهنا إلى المطار لاستقباله وكان جميع من في السيارة فرحين يضحكون، أما أنا فكانت أبكي بدون إرادتي بسبب قلقي على الإمام من الأخطار التي تحدق به فلم أكن أعرف ماذا سيقع خاصة مع وجود كل تلك التهديدات التي كانوا يطلقونها ضده. وعندما دخلنا المطار ورأينا الإمام زال كل القلق ولاضطراب عنا ببركة السكينة التي شاهدناها متجلية في طلعه، فبعث بها الطمأنينة في قلبي ولعل في قلوب الكثيرين غيري من الذين كانوا قلقين عليه، لقد زال عني فجأة تعب كل تلك السنين الطويلة بمجرد أن شاهدته بعد سنين الفراق، وكان الشعور السائد هو أن جميع الآمال تتجسد في وجود الإمام^٢.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي.

^٢ آية الله الخامنئي. صحيفة اطلاعات ١٣٦٣/٨/٢٩ هـ ش.

في الطريق على جنة الزهراء (ع)

في طريقنا على مقبرة جنة الزهراء عليها السلام تغير حال السيد أحمد فجأة وسقط - وهو في السيارة - مغشياً عليه إثر حمل الجماهير لهذه السيارة لكنني لم ألاحظ أبسط تغيير في حال الإمام سوى تلك الابتسامة التي استقبل بها الجماهير^١.

تتجلى فيه سكينه التسليم لله

لعلكم رأيتم تلك الصورة التي ظهر الإمام فيها وقد سقطت عمامته بسبب الازدحام الجماهيري الشديد في مراسم عودته إلى إيران التي أقيمت في مقبرة جنة الزهراء عليها السلام وكنت حينها في غاية القلق من أن تصيبه صدمات شديدة بسبب هذا الازدحام خاصة وأنه لم يصغ أحد لصرخاتي المعبرة عن هذا القلق وقد أحسست لحظة أننا فقدنا الإمام الذي كانت تتقاذفه أمواج الجماهير، ولكن رغم ذلك كانت السكينة تتجلى في وجهه معبرة عن عمق تسليمه لله تعالى، وفجأة لاحظت وكأن قوة خفية قد أنقذته من وسط هذا الازدحام الشديد، ومهما فكرت في ذلك لا أجد غير أنها كانت قوة إلهية^٢.

كانت فيه طمأنينة من يعلم بما سيقع

رغم أن الإمام كان بعيداً عن إيران (١٣ - ١٤) سنة إلا أنه لم يظهر عليه أبسط آثار الشعور بالقلق وهو يعود إليها وكأنه كان يعلم أنه سيسقط الحكومة ويشكل حكومة جديدة ويرجع الأمور إلى نصابها فكان يجلس بكل طمأنينة - دون اهتمام بالقواعد الأمنية - في غرفة تحيطها نوافذ زجاجية ويلتقي الناس الذين يدخلون عليه دون قيود، فلم يكن يقف على الباب من ينظم دخولهم عليه، وكان بإمكان كل من يريد زيارته أن يدخل عليه وكانت هذه الشجاعة مما يثير الإعجاب بالإمام في تلك الأيام الحرجة^٣.

أنا باق هنا من كان خائفاً فليذهب

كنا إلى جانب الإمام في تلك الأيام الحرجة التي سبقت انتصار الثورة، وكانت تثير تعجبنا وإعجابنا صفاته وامتانة معنوياته خاصة في ذلك اليوم الذي لن أنساه أبداً، وهو اليوم الذي شهد إعلان الحكم العسكري وحالة الطوارئ كان ذلك في الساعة (٤،٣٠) من عصر يوم (٢١) بهمن [١٩٧٨/٢/١٠م] وكنا يومئذٍ عند الإمام وقد سيطر علينا القلق ولاضطراب الشديد، باستثناء الإمام الذي كان يتعامل بطريقة

^١ السيد محسن رفیق دوست، مجلة ٥٠ أميد انقلاب) العدد: ٢٥.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين لشيخ ناطق نوري، ملحق صحيفة جمهوري إسلامي الخاص بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام الخميني.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني رحمته الله، مجلة (شاهد) العدد: ١٦٧.

عادية وكأنه لم يحدث أي شيء!! كان منهما كتاب بيانه الذي دعا فيه لنقض مقررات الحكم العسكري وحالة الطوارئ، وقال أثناء ذلك: «هل بقي احد في المدرسة؟» فقلنا: لقد أغلقنا بابها تجنباً لوقوع المخاطر المحتملة، فقال فوراً: «افتحوا بابها لكي يأتي الناس». وفي مساء اليوم التالي إي ليلة (٢٢) بهمن قوى احتمال قصف المدرسة والقيام بانقلاب عسكري فطلبنا بإلحاح من الإمام الانتقال من المدرسة إلى مكان آخر فأجابنا بكل طمأنينة: «إنني باق هنا، من كان خائفاً فليذهب»^١.

عندما قوى احتمال قصف محل إقامته

أعلن الحاكم العسكري لظهران أن كل من يخرج للشارع بعد الساعة الرابعة عصراً سيعرض نفسه للقتل، فاستدعانا الإمام وكتب بياناً قصيراً أوجب فيه على الجميع الخروج للشوارع في تلك الساعة والصمود فيها، فبدأت إثر ذلك المعركة الأخيرة وكان احتمال قصف مقر الإمام قوياً، فأعددنا له مكاناً آمناً خلف مدرسة علوي وطلبنا منه الانتقال إليه لكنه رفض بحزم وقال: «لن أخرج من هذه الغرفة، إن كنتم خائفين فاتركوني واذهبوا»^٢.

ما وقع فقد وقع وما يجب أن يقع سيقع

قال أحد الأخوة - ضمن حديثه عن قضية فرار بني صدر: في ليلة انتصار الثورة كان جميع المسؤولين وحاشية الإمام يفكرون فيما يجب القيام به في تلك الساعة الحساسة، أما الإمام نفسه فقد بسط فراش نومه واستعد للنوم في موعد نومه المعتاد، فقالوا له: إن مسير الحوادث يتجه بالاتجاه الفلاني، فأجابهم: «إن ما وقع قد وقع وما يجب أن يقع سيقع، عليكم أنتم القيام بواجباتكم وما سوى ذلك فأمره إلى الله، وسواء نمت أم لم أنم فلن أستطيع الآن القيام بشيء ولكن إذ لم أنم فلن أستطيع القيام بأعمالي اللاحقة بالصورة المطلوبة»^٣.

لم يداخله الخوف ولا للحظة

كنا يوماً في مدرسة «رفاه» عندما وصلت أخبار موثقة تفيد أنهم [بقايا نظام الشاه] قد خططوا لمهاجمة المدرسة ومقر الإمام، فاخترنا منزلاً خلف مدرسة علوي لكي ننقله إليه من الباب الخلفي للمدرسة فيقضي تلك الليلة فيه، فطلب الشيخ الرفسنجاني وجميع الأخوة من الإمام الانتقال إليه لكنه قال بحزم:

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ ناطق نوري، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٦٧.

^٢ آية الله الشهيد المحلاني، مجلة (پیام انقلاب) العدد: ١٠٤.

^٣ السيدة مرضية الحديدجي.

«كل من أراد الذهاب فليذهب أما أنا فلن أترك هذه الغرفة» وينقل الشيخ الهاشمي أنه ذهب عليه مرتين وقال له: إن حفظ وجودكم ضروري، فكرر الإمام الجواب نفسه قال: «من كان خائفاً فليذهب، أما أنا فباق لوحدي في غرفتي» كان الجميع خائفين لكن الإمام لم يداخله الخوف ولا للحظة، نام في وقت نومه المعتاد وقام للتهجد في السحر طبق برنامجه اليومي^١.

وأقام نافلة الليل بكل طمأنينة

ذهب عدد من الإخوة إلى الإمام وألحوا عليه في أن يغادر المدرسة والانتقال إلى مكان آمن لكن هذا العزيز رفض وصرح - وهو في أعلى مراتب السكينة - أنه لن يغادر المدرسة لأي سبب، وأتذكر أن الشيخ الخلخالي قال في تلك الليلة: لقد قررت أن اقضي هذه الليلة عند باب غرفة الإمام لكي أكون أول من يفديه بروحه إذا وقعت أي حادثة. لقد قضى الإمام تلك الليلة بكل طمأنينة وأقام نافلة الليل كما هو حاله في الليالي الأخرى^٢.

ليغادر أعضاء المجلس الثوري

عقد المجلس الثوري اجتماعه يوم (٢١) بهمن في هذا المكان، فوصلنا خبر بأن هذا المقر مستهدف وأنهم قرروا قصف المنطقة، ثم جاء من قال: إن المهاجمين يقتربون من المركز، ثم دخل شخص وقال: ليغادر المركز الذين لا يستطيعون حمل السلاح، وكان الإمام يقيم في مكان قريب من هذا المركز، فقلنا: إذا كان يجب أن نخلي هذا المركز فعلينا الانتقال إلى مقر إقامة الإمام، فوصلنا أمر منه يقول: «ليغادر أعضاء المجلس الثوري ولا يربطوا أنفسهم بي!» هذا الأمر أصاب أعضاء المجلس - وكنت أحدهم - بحالة عجيبة لا يمكنني وصفها، فهم من جهة تلقوا أمراً من القائد عليهم أن يطيعوه ومن جهة أخرى كانوا قلقين على حياته فكيف يمكنهم المغادرة وتركه وهو مصر على البقاء في منطقة معرضة لهجوم العساكر والقصف؟ ورغم ذلك فقد غادر بعضهم المنطقة^٣.

^١ آية الله الشهيد المحلاتي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (مرزداران = حرس الحدود) العدد: ٨٣.

^٣ آية الله السيد الموسوي الأردبيلي، مجلة (اطلاعات هفتگی) العدد: ٢١٧٧.

أشار لهم بنظرة مطمئنة وحازمة

لن أنسى موقف الإمام في ليلة (٢٢) بهمن التي كانت طهران تعيش فيها وضاعاً حرجة وكان مقر الإمام يستهدف بعبارات نارية من كل صوب، لقد سيطر الخوف على بعض الأخوة فقررُوا أن يحملوا فراش الإمام وينقلوه إلى مكان آمن، أما الإمام فقد أشار لهم بنظرة مطمئنة وحازمة بأن لا حاجة لذلك!.

كلمة أقوى تأثيراً من الأقراص المنومة

كنا ليلة (٢٢) بهمن في خدمة الإمام في مدرسة «رفاه» فأرادوا أن يطلبوا منه بإلحاح أن ينتقل إلى مكان آخر لكي يقضي فيه تلك الليلة لأن المدرسة كانت مستهدفة فقلت لهم: الإمام لن يوافق على ذلك فلا تتعبوا أنفسكم بعرض هذا الطلب عليه، فقالوا لننقل العائلة على الأقل إلى مكان آمن، ثم عرضوا هذا الاقتراح على الإمام فقال: «هذا المكان آمن» ثم ذهب الجميع إلى النوم، ولكنني لم أستطع النوم وكنت في الغرفة المجاورة لغرفة الإمام فذهبت إلى غرفته وفتحت الباب فاستيقظ، قلت له: لعل الاشتباكات اقتربت وأنا قلق، فألقى الإمام نظرة إلى خارج المبنى وقال: «اذهب ونم» فكان لهذه الكلمة تأثير أقوى من تأثير الأقراص المنومة عليّ فذهبت ونمت بكل راحة^١.

ينام بكل طمأنينة في ظل احتمال القصف

لم نستطع النوم في ليلة (٢٢) بهمن، فقد وصلت أخبار بأن محل إقامة الإمام سيقصف، واتخذ الحرس والعسكريون إجراءات رقابة خاصة، ولكن الإمام نام في فراشه بكل طمأنينة في الساعة (١٢) ليلاً كعادته، وقد مررت عليه بعد منتصف الليل فوجدته نائماً بكل طمأنينة كما هو حاله في الليالي العادية^٢.

لم يحدث شيء مهم بعد

في الساعات الأولى لانتصار الثورة سيطرنا - مع عدد من الإخوة - على مبنى منظمة الأمن (السافاك) ولما رجعت إلى منزلنا سمعت من الإذاعة خبر انتصار الثورة الإسلامية، فذهبت بسرعة إلى مدرسة علوي حيث مقر إقامة الإمام يومذاك وكان الازدحام شديداً للغاية فيها، دخلت على الإمام فوجدته يتفرج على ما يبثه التلفزيون، وكانت عائلتنا في الغرفة أيضاً، بادرت بفرح وحماس إلى تقبيل يده وباركت له انتصار الثورة، فقال - بحالة غريبة من الهدوء - : «لم يحدث شيء مهم بعد، لم يحدث شيء بعد» كانت

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشجوني، المصدر السابق، العدد: ٢٠٢٧.

^٢ آية الله الإشرافي، مجلة حضور، العدد: ٣.

^٣ آية الله الإشرافي، صحيفة كيهان، ١٣٥٩/٤/٢١ هـ.ش.

هذه العبارة بالضبط ما قاله، فقلت: إنها يا سيدي واقعة مهمة جداً، قال: «الحمد لله رب العالمين، ولكن لم يحدث شيء بعد»؛ تعجبت كثيراً من قوله هذا رغم أن ما حدث هو سقوط النظام الملكي المشؤوم الذي تمت جذوره إلى (٢٥٠٠) سنة والذي كانت له شوكة وهيبة على الصعيد الدولي^١.

أذهبوا مطمئني الببال

بعد منتصف إحدى الليالي وصل خبر يقول إن من المقرر وقوع انقلاب عسكري، فدخل الحاج السيد أحمد بسرعة على الإمام الذي كان يصلي نافلة الليل كما هي عادته في مثل هذا الوقت من كل ليلة، فبقي السيد أحمد ينتظر مدة طويلة والإمام غارق في مناجاة ربه والتضرع إليه، ثم أخبره السيد أحمد بالخبر فقال الإمام بسكينته ووقاره المعهودين: «القضية ليست مهمة، اذهبوا مطمئني الببال...»^٢.

أذهبوا أنتم على الملجأ

ذهبت مرة مع اثنين من المسؤولين لإخباره عن الانقلاب العسكري الذي كان القوميون يزمعون على القيام به، قلنا له: انتقلوا يا سيدي إلى مكان آخر لكي تقضوا فيه هذه الليلة فمن المحتمل أن يقصفوا هذا المكان بالطائرات، فأجابنا: «أما أنا فلا أخاف، إن كنتم خائفين فاذهبوا إلى الملجأ، أنا باقٍ في مكاني»^٣.

اطمأنوا لن يصيبني شيء

في ليلة وقوع انقلاب «نوجه» العسكري، ذهب السيدان الخامنئي والهاشمي إلى الإمام واقترحا عليه الانتقال على مكان آمن، فأبى، فقالوا: إن حياتك هنا في خطر، أجب: «كلا، لست في خطر، اذهبوا أنتم واحرسوا أنفسكم ومبنى الإذاعة والتلفزيون، وقولوا لهم أن يحضروا جهازاً إلى هنا، إذا أردت أن أوجه بياناً للناس». فقال السيد الخامنئي: لعلكم لن تكونوا موجودين في الغد لكي تصدروا البيان - فقد وصلت أخبار تفيد باحتمال الهجوم على منزل الإمام! تبسم الإمام وقال: «اطمئنوا، لن يصيبني شيء، فكروا أنتم بسلامتكم، أنا باق هنا». وبقي في منزله وبعث موقفه المعنويات العالية في الجميع وخرج السادة من عنده وقد اطمأنت قلوبهم^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (ياسدار سلام) العدد: ٩٢.

^٢ المصدر السابق.

^٣ الفريق حرس الثورة محسن رضائي، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٣ ص ١٢٦.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني، صحيفة (جمهوري إسلامي) ملحق خاص بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام.

لقد اقترح عليّ الآخرون مثل هذا

في تلك الليلة التي كان من المقرر وقوع الانقلاب العسكري فيها، ذهبت إلى منزل الإمام وأنا تعب للغاية فقد قضيت يومي في تفقد أوضاع بعض الوزارات، فقال لي الإمام: «خذ السيدة [زوجته] وغادروا المنزل في هذه الليلة» سألته باستغراب عن السبب فقال: «وصلتنا أخبار بأن بعض الخونة يزمعون قصف منزلنا هذه الليلة» وكان أول سؤالٍ أسأله هو: أليس من الأفضل أن تغادروا أنتم المنزل إلى مكان آمن، فأجابني: «لقد اقترح عليّ آخرون مثل هذا فرفضت، لن أغادر هذا المكان أبداً»^١.

أطلعوه على المؤامرة فتبسم

في الليلة التي كان من المقرر فيها تنفيذ انقلاب «نوجه» العسكري، ذهب المقربون من الإمام إليه وأطلعوه على هذه المؤامرة الأميركية، فتبسم وقال بهدوئه وطمأنينته المعهودة: «لا يمكن القيام بانقلاب عسكري ضد هذا الشعب». وعندما طلبوا منه مغادرة محل إقامته كاحتياط أمني، أجابهم: «لن أتحرك من هذا المكان، أنا باقي هنا، فمن شاء فليذهب»^٢.

إنهم لن يصلوا إلينا

كانت تلك القضايا المرتبطة بانقلاب «نوجه» العسكري تناقش في المجلس الثوري وكانت المعلومات الواصلة مجملة وكنا نطلع الإمام عليها أحياناً كما هي، وفي اليوم الأخير - وكان يوم الأربعاء - اتضح بالكامل أنهم ينوون تنفيذ الخطة في الساعة الرابعة صباحاً وأن من المقرر أن تأتي طائرات إلى طهران لتقصف عدة مناطق بينها منزل الإمام؛ ففكرنا أن نذهب إليه لإخباره بذلك والطلب منه أن يغادر منزله، وإن كنا نعلم أنه لا يقبل عادة مثل هذه الطلبات، فقد انتشرت إشاعات كثيرة بشأن التخطيط لقصف مدرسة علوي التي كان يقيم فيها خلال الأيام الأولى لعودته من باريس وعرضت عليه مثل هذه الطلبات لكنه رفضها جميعاً بحزم. وعلى أي حال فقد ذهبت إليه بمعية السيد الخامنئي وأخبرناه بالأمر، فتبسم وضحك بل وأخذ يمازحنا أيضاً خلافاً لجديته المعروفة في مثل هذه الاجتماعات، كان مطمئناً من أن القضية ليست جدية، قال في البداية: «هذا مما لا يمكن تصديقه! لا يمكن القيام بانقلاب عسكري ضد هذا الشعب، فالمنفذون لهذا الانقلاب مضطرون للهبوط إلى الأرض فكيف يمكنهم أن يعيشوا بين الناس؟ ذاك الرجل الذي يقولون عنه: ينبغي له أن يقيم الآن خارج إيران ويدخن غليون الترياك، كيف

^١ آية الله الإشرافي، صحيفة كيهان، ١٣٥٩/٢/٢١ هـ.ش.

^٢ السيد الركني (أحد عناصر انقلاب نوجه العسكري) صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٦٠/٤/٢٤.

يرضى بالرجوع إلى إيران لكي يقتل؟!». . . وعلى أي حالة فقد أخذنا نقل له تفاصيل المؤامرة حتى أذعن لها وعندها قال: «على ضوء هذا الاستعداد الذي أعطيتموه لنا لا حاجة لأن نغادر المنزل، إنهم لن يصلوا إلينا». ثم دعا الله بالتوفيق لهؤلاء الشباب والعاملين في مواجهة هذه المؤامرة^١.

لا تقلقوا أنا موجود

تم التخطيط لانقلاب «نوجه» العسكري الفاشل، من قبل بعض عملاء أميركا بهدف إسقاط نظام الجمهورية الإسلامية، فكانوا ينوون - من أجل تحقيق هدفهم المشؤوم هذا - احتلال عدد من المراكز الحكومية الحساسة وقصف أماكن لإقامة كبار مسؤولي الجمهورية الإسلامية ومنزل الإمام، مستعينين بذلك بعدد من العسكريين من جلاوزة النظام الملكي البائد، ولكن الإرادة الإلهية شاءت كشف هذه المؤامرة واعتقال مدبريها، فقد أخبر أحد المشاركين فيها والدته بالأمر، فحذرته ووعظته قائلة: إن هذا النظام على الحق، فهو حكومة الإسلام وحكومة الله، يرأسها مرجع للتقليد هو نائب إمام الزمان - عجل الله فرجه - وقد أوجب الله علينا طاعته، فكل عمل ضد هذا النظام مخالف للإسلام.

هذه الكلمات أثرت في الرجل فذهب إلى أحد المسؤولين - هو آية الله الخامنئي على ما أذكر - فذهب هذا المسؤول فوراً بمعية شخص آخر إلى الإمام وأطلعاه على الأمر وطلباً منه بالحاح أن يغادر منزله إلى مكان آخر، لكنه أعلن فوراً - دونما تأمل - رفضه قائلاً: «كلا، أنا باقٍ هنا» ثم قال: «أذهبوا واحرسوا مبنى الإذاعة والتلفزيون، لكي أوجه عبرهما بياناً للشعب - إذا وقعت واقعة - أخبره بحقيقة المؤامرة». أصر الشخص الثاني الذي كان مع السيد الخامنئي على الطلب السابق وقال بلهجة مشوبة بالخجل: إن احتمال الخطر قائم، ونحن خائفون على حياتك، الأفضل أن تنتقلوا إلى مكان آخر». لكن الإمام قال - في بسمة محببة - : «لا تقلقوا، أنا موجود، وإذا حدث أمر أصدر بياني». فأدت طمأنينة الإمام إلى أن يذعن هذا الأخ لموقف الإمام، كما أنها أزالته القلق عن الجميع، وقد لاحظنا كيف أن هذه المؤامرة قد فشلت بسرعة دون أن تحقق شيئاً^٢.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني رحمته الله، صحيفة (اطلاعات) ١٣٥٩/٤/٢٣.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (مرزداران) العدد: ٨٣، والشخص الثاني المذكور هنا هو الشيخ الرفسنجاني رحمته الله.

لم يصبني الاضطراب طوال عمري

ينقل أحد الأصدقاء أنه كان حاضراً عند الإمام عندما نقلوا له خبر الفتنة التي أثارها أعوان بني صدر وأنصاره في الجامعة بتاريخ ١٤/١٢/١٣٦٠هـ ش، ٥/٣/١٩٨١م فسأله: ألم تضطرب يا سيدي لهذا الخبر؟ فقال الإمام: «كلا، لم يصبني الاضطراب طوال عمري، والآن أيضاً لست مضطرباً»^١.

كان يتحلى بطمأنينة مميزة

كنت في طهران عندما تعرض آية الله الخامنئي لمحاولة الاغتيال سنة ١٣٦٠هـ ش، ١٩٨١م وكان جميع الأخوة حائرين في كيفية إخبار الإمام بذلك. فسألني الشيخ حسن الصانعي - كطبيب - : ما هو التدبير الذي تقترحون عليّ أن أتخذه لو أردتم إخبار الإمام بهذه الحادثة؟ وبعد فترة من التفكير قلت: لو وضعتهم في فنجان الشاي قرصاً مهدئاً ثم أخبرتموه بالأمر بعد نصف ساعة من تناوله فلا خوف عليه - في هذه الحالة - من اثر الصدمة. استخار الشيخ الصانعي بشأن هذا الحل، فخرجت بالنهي، فدخل - وهو مضطرب - وأخبر الإمام بالأمر، وعندما خرج قال لي: قبل أن أخبر الإمام بخبر الاغتيال سألني: «هل حدثت حادثة للسيد الخامنئي؟». فأخبرته بالأمر فقال: «قولوا لطبيبه أن يرسل لي تقريراً عن حالته الصحية بصورة مفصلة كل نصف ساعة!» كان الإمام يتحلى حقاً بطمأنينة مميزة^٢.

أين الإمام

في يوم وفاة آية الله الطالقاني جاء احد أطباء قم في وقت مبكر إلى منزل الإمام وقال بلهفة: أين الإمام؟ أريد أن أراه لأعرف مقدار ارتفاع ضغط دمه. فقلنا له: لا تقلقوا، إن الحوادث قد تؤدي إلى أن يحزن الإمام ولكن نبض قلبه لا يتجاوز المستوى العادي^٣.

النفس المهذبة ترى الموت عين الحياة

عندما وقعت فاجعة السابع من تير، خشي جميع المسؤولين وكذلك السيد أحمد من أن لا يطيق الإمام تحمل خبر هذه الفاجعة العظيمة خاصة مع كونه مصاباً بمرض في القلب، لذلك أخذ السيد جهاز المذياع الذي كان الإمام يضعه عادة عند رأسه أثناء نومه لكي لا يسمع الإمام بهذا النبأ قبل التمهيد

^١ آية الله الشيخ الإمامي الكاشاني، مجلة (بيام انقلاب) العدد: ١٢١.

^٢ الدكتور پور مقدس، من الأطباء المعالجين للإمام.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٢.

لذلك، لكن الإمام عندما استيقظ ولم يجد المذيع أدرك بفراسته القوية أن حادثة مهمة قد وقعت، ثم تم إخبار الإمام تدريجياً بهذا الخبر المؤلم، يقول السيد أحمد: كان الإمام يتمشى في ساحة المنزل وهو يتلو الأذكار وعندما اقتربت منه قال لي: «تقاربت الآجال!» وكان يقول: «إن منطلقنا هو منطلق القرآن والإسلام ولا يمكن للأعداء أبداً أن يبطلوا هذا المنطق» وكان يكرر مراراً القول: «مع وجود تهذيب النفس يكون الموت عين الحياة»^١.

اتركوا المذيع في محله

وصل خبر استشهاد الدكتور بهشتي وأصحابه إلى مكتب الإمام مساء، فلم نعرف كيف نخبره بذلك ونحن نعلم شدة حبه للشهيد بهشتي، وكان الإمام يستمع عادة للأخبار المسائية التي تبث عبر إذاعة وتلفزيون الجمهورية الإسلامية، لذلك أمروا هذه المؤسسة بعد بث الخبر في تلك الليلة، وتقرر أن يطلع السيد أحمد والشيخ الهاشمي على نبأ الفاجعة في اليوم التالي وبطريقة خاصة لكي لا تصيبه سكتة قلبية، كما أصبت العائلة بنقل جهاز المذيع الذي كان الإمام يضعه بالقرب من رأسه إلى مكان آخر لأنه كان من المحتمل أن يذاع الخبر في أخبار الساعة السابعة أو الثامنة، والطريف أنه عندما ذهبت إحدى السيدات للقيام بذلك قبل الساعة السابعة صباحاً قال لها الإمام: «ترك المذيع في محله، لا حاجة لذلك، لقد سمعت الخبر من الإذاعات الأجنبية!» والأكثر طرافة أنه عندما دخل عليه السيد أحمد والشيخ الرفسنجاني كان هو الذي يخفف عليهما من عظم المصاب، ثم أمر فوراً بعقد اجتماع مجلس الشورى وانتخاب وزراء جدد ورئيس لديوان القضاء الأعلى^٢.

أنزل الإمام السكينة في قلوبنا جميعاً

بعد وقوع فاجعة (٧ تير) [٢٨ تموز] سيطر القلق على جميع المسؤولين تجاه مستقبل الثورة؛ فقد استشهد في هذه الفاجعة عدد من كبار المسؤولين بينهم رأس السلطة القضائية الشهيد المظلوم آية الله الدكتور بهشتي. وفي صباح اليوم التالي ذهب الشهيدان رجائي وبا هنر بمعية عدد من الوزراء - والقلق قد سيطر عليهم - إلى الإمام لمعرفة ما يجب عليهم القيام به، فلما خرجوا من عنده قال السيد رجائي: يبضع

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (مرزداران) العدد: ٨٣.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٢.

كلمات أنزل السكينة في قلوبنا، لقد قال: « إن حوادث العالم كثيرة فلا ينبغي الإعراض عن السعي للهدف المنشود بسبب استشهاد عدد من الأجلة». أجل لقد بعثت هذه الكلمات السكينة فيهم إلى درجة عادوا معها لمتابعة أعمالهم بثقة ومعنويات عالية^١.

أثرت فينا روحه المعنوية

قبل الالتقاء بالإمام بمناسبة استشهاد السيد بهشتي و(٧٢) من أنصار الإمام، قررنا أن نخفي حزننا وأذانا أثناء اللقاء لكي لا نزيده أذى، فوجدنا أنفسنا عاجزين عن هذه المهمة الصعبة لكننا عندما دخلنا عليه أثرت فينا روحه المعنوية العالية ف شعرنا بالسكينة، ووجدنا أنفسنا نعرض قضايانا عليه بصورة عادية، ثم أمرنا بحزم أن ننتخب فوراً - ولو بصورة مؤقتة - أشخاصاً للقيام بأعمال الوزراء الذين استشهدوا^٢.

روى قصة للصامتين

بعد يوم من فاجعة (٧تير) ذهبنا بمعية الشهيد رجائي والسيد الموسوي الأردبيلي والشيخ الهاشمي الرفسنجاني لزيارة الإمام وجرى الحديث في الطريق بشأن كيفية الحديث عن الفاجعة وعرضها للإمام بطريقة لا تؤذيه خاصة مع ما كان يعانيه من أزمات في قلبه، وقد تقرر أن يتحدث الشيخ الهاشمي نيابة عن الجميع، لكنه لم يستطع أن يتحدث عندما دخلنا على الإمام فساد في بداية اللقاء صمت ذو معنى واضح، التفت له الإمام فتحدث بدلاً من الشيخ الرفسنجاني، ثم نقل حادثة وهي: شهدت إحدى المناطق قديماً شيوع مرض وبائي أدى إلى موت الكثيرين وإلى درجة كانت أجساد الموتى توضع بصورة جماعية للصلاة عليها قبل دفنها، الأمر الذي أدى إلى إثارة خوف شديد كاد أن يهلكهم، وعندما تصدى أحد العلماء لتدارك الأمر وخاطب الناس بقوله: ما بالكم، ولم أنتم مضطربون، إن ما حدث هو أن الآجال قد تقاربت، والذين كتب عليهم الموت قد تقاربت آجالهم، فلا تدعوا الخوف يسيطر عليكم فيقتلكم! ثم قال الإمام بعد نقل هذه الحادثة: «إن ما جرى في الليلة الماضية هو من مصاديق تقارب الآجال، ف وقعت في وقت واحد وفاة هؤلاء الشهداء الذين كتب عليهم الموت، فلا يوجد مبرر للقلق والخوف».

^١ حجة الإسلام والمسلمين التوسلي.

^٢ رئيس الجمهوري الإسلامية الشهيد محمد علي وُجائي، صحيفة اطلاعات ١٣٦٠/٤/٨ هـ.ش.

لقد تعامل الإمام بصلافة وقوة معنوية عالية مع هذه الفاجعة الأمر الذي جعل جميع أصحابه يتعاملون معها بشجاعة لا نظير لها. ثم قال: «ليقوم السيد الرديلي بمهام الشهيد البهشتي، وأنا أيضاً سأصدر الحكم اللازم له» ثم قال للشيخ الرفسنجاني: يجب أن تواصلوا اجتماعات مجلس الشورى بأي صورة لكي لا يتعطل عمله» ولذا جاؤوا في اليوم التالي بالنواب الجرحى على أسرة المرض والمغذي الطبي (المصل) موصول بهم إلى مبنى المجلس لكي يكتمل النصاب الرسمي لانعقاد جلسات (مجلس الشورى)^١.

لم يكن لقلوبنا المضطربة من ملجئ غيره

في الساعة (٨،٣٠) من صباح يوم (٧ تير) التقينا الإمام في غرفة الاستقبال الصغيرة في منزله، وكان من الصعب علينا للغاية أن نخبره باستشهاد مجموعة من الأشخاص كانت منزلتهم في قلبه الرؤوف لا تقل عن منزلة أولاده الصليبين خاصة وأنه كان مصاباً بأزمة قلبية خضع بسببها لرقابة طبية مشددة، ولكن لم يكن لدينا في المقابل محلاً نحل فيه مشاكلنا غير تلك الغرفة الصغيرة التي لم يكن لدينا ملجئ غيرها كما لم يكن لدينا شخص نبث إليه همومنا غير هذا القائد. لقد عرف من هو من قبل بالكثير من تفصيلات ما جئنا لإخباره به، وعرف حاجتنا له لكي يخفف عنا المصائب ويقوي معنوياتنا ويهدينا، لذلك وافق بسرعة على استقبالنا، وعندما دخلنا عليه وقدمنا له التعازي، تحدث لنا بما يخفف عنا هول المصائب ونقل لنا حادثة لطيفة من التاريخ القديم لحوزة النجف الأشرف ترتبط بمصيبة عامة حلت بها، وأشار إلى سيرة الأنبياء والأولياء وما حل بهم، وتحدث عن أشكال اللطف والهداية الإلهية، فبعث بذلك الطمأنينة والثقة بالنفس في قلوبنا^٢.

أنزل السكينة بكلماته

وَلَدَّ الانفجار الذي أوجد فاجعة السابع من شهر تير انفجاراً آخراً في بيت الإمام! إذ أننا لم نكن نعرف كيف نخبر افمام بوقوع هذه الفاجعة، لقد سيطرت علينا جميعاً حالة شديدة من الاضطراب والقلق، ولكنني رأيت أن الإمام جاء إلى الحسينية في صباح ذلك اليوم وألقى ذلك الخطاب الذي انزل السكينة في كل القلوب^٣.

^١ السيد علي أكبر برورش، كلمة قبل صلاة الجمعة في طهران بتاريخ ١٠/٤/١٣٧٣هـ.ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني (عليه السلام)، مجلة (اطلاعات هفتگی) العدد: ٢١٥٩.

^٣ الدكتور بور مقدس.

قرب الله آجالهم

إثر وقوع فاجعة (٧تير) دخل الشيخ الهاشمي والسيد احمد على الإمام، فخفف عنهم عظم المصاب ونقل لهم حادثة مفادها أن أحد علماء الإسلام كان يتحدث من على المنبر عندما جاؤوا بخبر وقوع حادثة أدت إلى وفاة عدد من كبير الناس، فقال هذا العالم دون أن يغير طريقة جلوسه على المنبر: لقد حدث تقارب في الآجال، إذ كان من المقرر أن يتوفى هؤلاء بصورة متفرقة فقرب الله بين آجالهم^١.

لا يضطرب عند الحوادث بل ينبري لمعالجتها

شاهدت بنفسى عدة حالات وسمعت بأخرى من السيد أحمد تبيين أن الذين كانوا ينقلون أخبار الحوادث المهمة للإمام، كانوا يعانون من التفكير بالطريقة التي يخبرونه بتلك الحوادث دون أن يسببوا له أزمات قلبية ناتجة من شدة التأثر والحزن، ولكنهم كانوا يجدونه - بعد نقل كل من تلك الأخبار له - أنه يتعامل معها بطريقة عادية هادئة متحلياً بأعلى مراتب الصبر ومكتفياً بتكرار كلمات تشمل على معان سامية من قبيل «إنا لله وإنا إليه راجعون».

وهذه الطريقة في التعامل لا تعني عدم اهتمام وحزنه لمصرع سبعين من أنصاره في فاجعة (٧تير) أو غيرهم من الأجلاء، فهو كان يتميز بحالة عميقة من الرأفة ورقة القلب، لكنه كان قد أعد نفسه من قبل لطوارق الحدثن، ولذلك لم يكن يضطرب عند وقوعها، بل ينبري لمعالجتها بأعصاب قوية^٢.

جاء لص وألقى حجراً

في اليوم الذي هاجمت فيه الطائرات العراقية البلاد بغتة على طول الحدود الغربية والجنوبية بادئة العدوان العراقي على إيران، زار المسؤولون والقادة العسكريون الإمام وقد سيطرت عليهم من الاضطراب والحيرة، فتحدث إليهم لفترة قصيرة وقد لهم توجيهاته بهذا الشأن، فخرجوا من عنده بمعنويات عالية جعلت أحدهم يقول: سندمر النظام العراقي، والآخر يقول: سنتقدم حتى نصل بغداد!! ثم وجه الإمام خطاباً للشعب أزال عنه كل قلق بكلمته المعروفة: «لقد جاء لص وألقى حجراً»!^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرمانى، مجلة (آزادگان) العدد: ٥.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوئينيها، مجلة حوزة، العدد: ٣٧-٣٨.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانى، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٢.

ليس ثمة ما يبعث القلق

وضعوا في بداية الحرب تسع قواعد للمضادات الجوية في أطراف منطقة جمران لحماية بيت الإمام، وعندما كنت اذهب ذات يوم مساء لصلاة المغرب في مسجد جمران، بدأت جميع هذه المضادات بإطلاق نيرانها فجأة، ولم أكن إلى ذلك اليوم قد سمعت صوت طلقاتها، فهالني صوتها وذهبت إلى فوراً إلى منزل الإمام للاطمئنان على حله لأن الأطباء كانوا قد صرحوا بأن إطلاق أي صوت مباغت يضر بصحته، وعندما وصلت إلى المنزل وجدت أفراد عائلة الإمام يصرون عليه بالذهاب إلى سرداب الحسينية وهو يرفض ويقول: «لا تخافوا الأمر ليس مهماً إن شئتم فادخلوا أنتم إلى السرداب» وعندما رأني عند باب الحسينية - وكانت أصوات المضادات قد توقفت - قال لي بابتسامة مليحة: «هل أصابك الخوف أنت أيضاً، لا تقلق، ليس ثمة ما يبعث القلق»^١.

نحن منتصرون أن شاء الله

وفي اليوم الرابع لبدء الحرب زرت الإمام لتقديم تقرير عن زيارتي للأهواز وآبادان وخرمشهر التي استغرقت يومين، فوجدته على حالته المعهودة مستبشراً باشأ ومفعماً بالأمل، وقال لي: «نحن منتصرين إن شاء الله»^٢.

وجدناه يصلي فزال القلق

في بدايات الحرب، سمعنا يوماً صوت إطلاق نيران المضادات الجوية، ولم نكن على معرفة به فتصورنا أنه صوت انفجار قبلة فذهبنا وجلين إلى غرفة الإمام وقد سيطر علينا القلق على سلامته، فوجدناه يصلي في الشرفة مقبلاً على العبادة وكأنه لم يشعر بدخولنا عليه، فأزال هذا المشهد عنا كل قلق واضطراب^٣.

لا تغيّر في نبض قلبه

عاش الجميع حالة الاضطراب أيم القصف الجوي والصاروخي لطهران، لكننا كنا نلاحظ - أثناء فترات القصف - أن الشاشة الطيبة لا تظهر أدنى ازدياد في نبض قلب الإمام، وعندما نقيس ضغطه كنا نجد في حالة عادية الأمر الذي يكشف أنه لم يكن يخاف شيء أصلاً^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني، وقد اتضح فيما بعد أن قائد المضادات الجوية في المنطقة أراد اختبار عملها لكنه لم ينسق في ذلك مع بيت الإمام.

^٢ بني صدر، الرئيس الإيراني المخلوع، صحيفة اطلاعات ١٣٥٩/٧/٥هـ ش.

^٣ السيدة عاطفة الإشرافي (حفيدة الإمام) مجلة (زن روز = امرأة اليوم) العدد: ١٢٦٧.

^٤ الدكتور بور مقدس، مجلة (پاسدار إسلام) العدد: ٩٦.

الانفجار الصاروخي هزّ الجميع باستثناءه

في حدود الساعة الثامنة وعشر دقائق من صباح أحد الأيام سقط صاروخ عراقي قرب جمران فهزّ انفجاره المنطقة بشدة وفتح باب غرفة الإمام بقوة، وضربت ظهري إذ كنت جالساً بالقرب منه، في غضون ذلك كنت متنبهاً لحال الإمام بالكامل لكنني لم ألاحظ أدنى تغيير عليه، ثم سألت أحد الأطباء الذي كان يراقب باستمرار حالة قلب الإمام بواسطة جهاز طبي خاص عن ذلك، فأجابني أن هذا الجهاز لم يظهر أي تغيير حتى في عدد ضربات قلبه^١.

سكينته تسري إلى الجميع

الشيء الذي كنا نجدّه في الإمام ويؤثر فينا عندما نلتقيه أكثر مما تؤثر فينا توجيهاته هي حالة السكينة والطمأنينة التي كان يتعامل بها مع الحوادث المختلفة. فكانت هذه الحالة تنتقل إلى الذين يلتقون به^٢.

وبها يبعث الأمل في قلوب الآخرين

أدرك الذين كانوا على تماس بالإمام أنه كان يتمتع بنفس مطمئنة كانت هي سر عدم إصابته بالاضطراب بسبب الحوادث المختلفة، والجميع يعلمون كثرة الحوادث والمشاكل والصعوبات التي مرت بها الثورة الإسلامية منذ بداية انتصارها والتي كانت توقع الكثيرين في أشكال الاضطراب والقلق باستثناء الإمام الذي كان يحافظ على سكينته فيها. ولقد كان يأتيه بعض الأشخاص وقد سيطر عليهم اليأس والاضطراب بسبب ضخامة المشاكل فيسألونه: هل يمكن حل هذه المشكلة أو تلك، وكان جوابه المنطلق من سكينته القلبية وصفائه الباطني هو: «المشكلة ليست مما لا يمكن حله». ثم يتحقق ما كان يخبر عنه وتحل المشكلة، فكانوا يدخلون عليه مضطربين مشوشين البال ويخرجون من عنده مطمئنين.

ويؤيد هذه الحقيقة المسؤولون المحترمون الذين كانوا يلتقون بالإمام كثيراً بحكم مسؤولياتهم، وهذه الحقيقة شاهدها بنفسه ولم أشاهد ولا حالة واحدة تنقضها، لقد كان يتحلى في أشد الأوضاع اضطراباً وتأزماً بحالة نادرة من السكينة القلبية الحقيقية وبها كان يبعث الأمل في قلوب الآخرين^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان.

^٢ السيد مير حسين الموسوي (رئيس حكومة الجمهورية الإسلامية).

^٣ آية الله الشيخ إبراهيم الأميني (خطوات في أثر الشمس) ج ٢ ص ٢٦٨.

مسيطر على نفسه بالكامل

كنا نرى الإمام دائماً في حالة من السكينة والوقار والطمأنينة تتجلى في نظراته وكلامه وفي مشيه وعوده وقيامه، ولم يكن يلتفت إلى ما حوله أثناء المشي حتى لو سمع أصواتاً غريبة. كان مسيطراً على نفسه بالكامل^١.

ولم يعرف ما هو الخوف

سمعت من عائلة الإمام أنه قال لهم في لقاءاتهم العائلية: «إنني لم اعرف ظاهرة الخوف أصلاً، ولا أعرف ما يطرأ على الإنسان إذا خاف».

وقد عرفنا استناداً إلى اختصاصنا الطبي عدم ظهور علامات الخوف الطبية في بدن الإمام، لأن من المعروف في علم الطب أن بدن من يصيبه الخوف يفرز مادة تسمى «آدرنالين» وهذه المادة هي التي تؤدي إلى ظهور علامات الخوف مثل ازدياد نبض القلب وتغير لون الإنسان إلى البياض والشحوب، وارتعاش الأعضاء وارتفاع ضغط الدم وإصابة الإنسان بحالة غير مرغوبه. وقد كنا على مدى ثمان أو تسع سنين نراقب نبض قلب الإمام وضغط دمه، وفي الفترة الأخيرة كنا نستخدم جهازاً طبياً خاصاً يعرض حالة نبض القلب على شاشة تلفزيونية تمكنا من معرفة حالة النبض في كل دقيقة، وقد وقعت خلال هذه المدة الكثير من الحوادث والمشاكل التي كان ينبغي أن تؤدي على الأقل إلى ازدياد النبض وضربان قلب الإمام، لكننا لم نلاحظ ذلك ولا لمرة واحدة^٢.

ولم يكن في قاموسه الوجودي محل للاضطراب

عقد رؤساء السلطات الثلاث اجتماعاً في ليلة عيد في بيت الأخ العزيز الحاج السيد أحمد، وقد حضر الإمام لاحقاً هذا الاجتماع، وبعد فترة وجيزة شن النظام العراقي هجوماً جويًا، فتبسم الإمام وقال بطمأنينة متميزة: «ما أشد حماقة هؤلاء، إنهم لا يدركون أن قيامهم بهذا القصف في مثل هذه الليلة يفجر عداة الناس ضدهم». أجل لم يكن في قاموس وجود الإمام محل لمفردات مثل الخوف والاضطراب والتزعزع^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٦.

^٢ الدكتور بور مقدس، مجلة (ياسدار إسلام) العدد: ٩٦.

^٣ السيد مير حسين الموسوي، مجلة حوزة، العدد المزدوج ٣٧-٣٨.

سكينته الروحية في ظل القصف

في أواخر شهر خرداد سنة ١٣٦٤هـ ش، حزيران ١٩٨٥م الذي اقترن بشهر رمضان المبارك، كثّف النظام العراقي من غاراته الجوية على مدينة طهران في أوقات متفرقة من الليل والنهار، وكانت ترافق أصوات القصف أصوات طلقات المدافع المضادة للجو، وتدوي هذه الأصوات المزعجة خاصة في سفوح جبال شمال طهران سالبة أهلها النوم والراحة، الأمر الذي أدى الأمر الذي أدى إلى اختلال في أعمالهم اليومية بسبب الاضطراب البدني الناتج من قلة النوم، فكانوا يذهبون إلى أعمالهم كسالى متأخرين باستثناء الإمام الذي كان يحضر في محل عمله بنشاط في تمام الساعة الثامنة صباحاً كما كان حاله في الأوقات العادية رغم أن الجميع كانوا يرغبون أن يخلدوا في ساعات الصباح الأولى للنوم والاستراحة تعويضاً عن عدم قدرتهم على النوم في الليل لكنه يكن بالارتباط بأحد، وقد سأله الدكتور العارفي - وكان مسؤولاً عن مراقبة سلامته - يوماً وبعد أن فحصه: ألم يتغير وضع نومكم في شهر رمضان؟ ألم يقل نومكم في هذه الأيام التي تكاثفت فيها الغارات الجوية، فأجاب الإمام بالنفي، فاستغرب الدكتور جوابه وأعاد السؤال، فأعاد الإمام جوابه بالنفي^١.

لن أغير محل إقامتي

في أواسط شهر اسفند ١٣٦٦هـ ش، آذار ١٩٨٨م، دخل غرفتي السيد الأنصاري في حدود (١١،٣٠) قبيل الظهر وقال: لنذهب يا دكتور إلى الإمام، فقممت معه - دون أن أسأله عن السبب - ودخلنا على الإمام الذي كان يتمشى في غرفته والمسبحة في يده وهو يذكر الله، وعندما رأنا تعجب من دخولنا عليه وبتلك الصورة المفاجئة. وكان السيد الأنصاري مقرباً منه ويتحدث معه عادة دون صعوبة، ولكنه هذه المرة أطرق برأسه على الأرض وأخذ يتحدث بصعوبة وبكلمات متقطعة فقال ما مضمونه: إن وضع المدينة أصبح بحالة اضطر معظم أهلها إلى مغادرتها والذين بقوا فيها لديهم ملاجئ يحتمون بها في منازلهم، ويوجد في هذا البيت الشريف أشخاص مختلفون اجتمعوا مثل الفراشات حولكم لأسباب متنوعة مثلي أنا والدكتور، وهم خائفون وقلقون عليك من أخطار هذا القصف المستمر، فإذن لنا - ولو من أجلنا - بأن ننقلك إلى مكان آمن؛ خاصة وقد وصلتنا معلومات تفيد أن العدو يخطط لقصف جمران

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

من قواعد صاروخية، ولدينا وثائق تؤيد صحة هذه المعلومات، لذلك فنحن نلتمس منكم بإلحاح أن ننقلكم إلى مكان آمن.

ولكن الإمام أشار بكل هدوء إلى منزل السيد أحمد وقال: «ليأخذ أحمد عائلته ويذهب» ثم قال بحزم: «أما أنا فلم أغير محل إقامتي أبداً!» وكان مقصوده من ذكر السيد أحمد بالذات هو أنكم أنتم يمكنكم الذهاب، وكان هذا الجواب يعني أن السيد الأنصاري لم يحقق ما يريد، فبكى وكرر طلبه بعبارات عاطفية مؤثرة للغاية، راجياً من الإمام الاستجابة، فتبسم الإمام وقال بلطف: «أيها السيد الأنصاري، لماذا تقعون في الاشتباه أثناء تدبيركم؟! ثم لماذا تغلبكم العواطف؟! تغلبوا على عواطفكم وسيطروا عليها». ثم قال بأدب كامل بعد أن شاهد شدة تضرع السيد الأنصاري إليه: «اذهبوا مع الدكتور وأعدوا مع باقي السادة مقترحاتكم وخطتكم ثم أتوني بها لأنظر في الأمر».

فرحنا كثيراً بهذا الجواب المستجيب لطلبنا في النهاية، وقد قبلت السيد الأنصاري لشدة سروري وقلت له: لقد طلب كل هؤلاء الأجلاء - من زعماء قم وغيرهم - من الإمام أن ينتقل إلى مكان آمن في ظل هذه الأوضاع لكنه رفض بحزم كل تلك الطلبات، وقد قبل الآن ببركة تأثير كلماتكم! ولكن لم تمض سوى عشرة دقائق على خروجنا من عنده حتى اتصل السيد أحمد عبر الهاتف وقال: لا تتبعوا أنفسكم بإعداد الخطة، إنما قال الإمام لكم ذلك لكي يعتذر منكم بأدب ويتجنب إيذائكم بالرفض الصريح لقد قال لي الآن: «إني لا أغير محل إقامتي أبداً!»¹.

تأثر لما سمع دون أن يضطرب

ذهبت إلى باختران بدعوة من الحرس الثوري لإلقاء كلمة في اجتماع لقادته عقد هناك، وعندما وصلت وجدت أن برنامجهم يشتمل على إلقاء الشيخ جوادي آملي لكلمتهم في الجلسة الصباحية، على أن ألقى أنا كلمتي عصرًا، لذلك قررت أن أذهب لمدينة حلبجة في الصباح وكانت قد شهدت للتو تلك الفاجعة المؤلمة [فاجعة القصف الكيماوي] فأعدوا لنا طائرة عمودية كانت تحلق بنا بارتفاعات قليلة وبين الجبال لكي لا تكتشفها رادارات العدو، وعندما دخلنا المدينة شاهدنا مناظر مؤلمة للغاية لا يمكن لم يراها أن ينساها، كانت أجساد الضحايا لم تدفن بعد، رأيت والده ورضيعها وقد توفيا معاً وثندي الأم في فم الرضيع، آذتنا كثيراً مشاهدة هذه المآسي فلم نطق العودة رغم أن أصوات قذائف المدافع

¹ الدكتور بور مقدس، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ٩٦.

والدبابات كانت تهز المدينة فقد كانت المعارك متواصلة في أطرافها. وفي الحال عندنا، وشاهدنا أفواجاً من أهالي حلبجة وهم يتوجهون إلى إيران، فطلبت من الطيار أن يهبط بالطائرة لكي أتفقد أحوالهم وأعرب عن مواساتنا لهم. وبعد أن تفقدنا أحوالهم عدنا إلى الطائرة التي عادت بنا إلى محل الاجتماع فوجدته منفضاً ولم أجد من يخبرنا عن علة ذلك إلى أن جاء السيد الشمخاني^١ فأخبرنا بسقوط «الفاو» بيد الجيش العراقي وهذا ما لم يكن يتوقعه أحد، ولذلك انفض الاجتماع إذ نفذ صبر الجميع.

ولم يبق سوى السيد الصفائي الذي بقي من أجلي.

رجعنا إلى طهران وقد سلبتنا تلك الحوادث المؤلمة والشعور بعظم المصيبة كل حيوية ونشاط، وفور وصولنا اتصلت بمكتب الإمام وطلبت موعداً لزيارته فقيل لي: تعالوا غداً أو بعد غد مثلاً، فطلبت موعداً اقرب، فقيل لي: تعال الآن، فذهبت ودخلت على الإمام الذي كان قد سمع الأخبار ولكن على نحو الإجمال دون تفصيل، فشرحت له الواقعة وقد سيطر عليّ الانفعال والاضطراب، فتأثر كثيراً لما سمع لكن دون أن يظهر عليه شيء من الانفعال والاضطراب الذي سيطر عليّ؛ لقد استمع لكلامي بقلب مطمئن بالكامل، فأزال بسكينته ووقاره الاضطراب عني وإن كانت بقيت بنظري^٢.

أنزلت كلماته السكينة في قلوبنا

تشرفت يوماً بلقاء الإمام، وكنت أفكر - قبل اللقاء - بأن أخبار الحرب لا تنقل بصورة دقيقة له ولعله لا يعلم بها، لذلك من الأفضل أن أذهب إليه وأحدثه بها عن قرب، ولكنني عندما زرته تبسم وقال لي - ووجهه النوراني الذي لا يمكن أن يغيب عن ذهني يشع هيبة - : «ارجعوا وأنتم على ثقة بأنكم منتصرون». وقد حضر اللقاء عالم دين من كردستان وعرض على الإمام بعض المشاكل فأجابه الإمام: «هذه الأمور ليست مهمة، سنظهر المنطقة - إن شاء الله - وبعد ذلك ستحل مشاكلكم بصورة تلقائية». فأنزلت هذه الكلمات السكينة إلى قلوبنا وإلى درجة جعلتنا نرجع إلى محال عملنا بمعنويات عالية وعزم راسخ^٣.

^١ كان يومها نائب القائد العام لقوات حرس الثورة الإسلامية.

^٢ آية الله السيد الموسوي الأردبيلي، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٧٣/٣/١٧ هـ.ش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الموسوي الجزائري (إمام جمعة أهواز) مجلة أميد انقلاب (العدد: ١٤٢).

لم يغير أثناء القصف الصاروخي حتى محل جلوسه

في سني الحرب الأخيرة اخذ العدو يقصف طهران بالصواريخ وبمعدل عشرة صواريخ في اليوم وكان عدد منها يصيب قوساً يحيط بمنطقة جمران، وقد غادر معظم أهالي طهران ومنطقة شميران منازلهم إلى أماكن آمنه، لكن الإمام رفض حتى الاستفادة من الملجئ للاحتماء به من القصف فلم يغير محل إقامته ولا برنامجه اليومي المعتاد، بل ولم يغير مكان جلوسه في الغرفة حيث كان يجلس قرب النافذة الزجاجية، والتغيير الوحيد الذي أجري هناك هو وضع أشرطة لاصقة على زجاج النوافذ، لقد رفض الإمام حتى الاستفادة من ملجئ صغير أعد بهدف آخر في مكان قريب من منزله، ثم أمر لاحقاً بإزالته^١.

رفض إبعاد القرآن ومفاتيح الجنان

عجزنا عن إقناع الإمام بالانتقال من مكانه في اشد فترات القصف الصاروخي، وكان خلف الأريكة التي كان يجلس عليها رف يضع عليه كتاب مفاتيح الجنان والقرآن الكريم وكتباً أخرى إضافة إلى جهاز مذياع، وقد لاحظتم ذلك مرارا ولا شك في أفلام لقاءاته الخاصة التي يعرضها التلفزيون. وفي أيام القصف كانت شدة الانفجار تؤدي أحيانا إلى تحريك هذه الكتب، فقلنا: لنرفع - على الأقل - هذه الكتب عن الرف لكي لا تسقط على رأس الإمام عند القصف، لكننا لم نستطع نقل القرآن ومفاتيح الجنان فقد رفض ذلك وسمح برفع الكتب الأخرى، لكنه كان يحتاج إلى مراجعتها ولذلك اضطررنا إلى وضعها في مكان آخر قريب منه. ولكن ليس قريب من رأسه^٢.

لم يسألنا ولا سؤالاً واحداً

دخلنا على الإمام وأخبرناه أن نتيجة التحليلات والفحوص تبين بأن النزف الأخير الذي حدث له بسبب جروح في معدته وأنها قد توصلنا بعد نقاش طويل ودراسة مفصلة إلى إن أفضل طريق للعلاج هو إجراء عملية جراحية، وقلنا له: لقد أتينا للاستئذان منكم والبدء بالعمل؛ فنظر الإمام إلينا بتواضع وقال: «اعملوا

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان.

^٢ السيدة فرشته الإعرابي، حفيدة الإمام مجلة سروش، العدد: ٤٧٦.

بما ترون الصلاح فيه». وكانت هذه طريقته بالتعامل دائماً، إنني لم أر طوال عمري مريضاً كالإمام في طاعته ودقة عمله بتوصيات الطبيب، لم يكن يظهر أبداً أي قلق، في حين أننا كنا نواجه - في الحالات المماثلة بل وحتى في الحالات البسيطة الخالية من أي خطر - بعشرات الأسئلة القلقة من المريض عند إخباره بلزوم العملية الجراحية، أما الإمام فلم يسألنا ولا سؤالاً واحداً^١.

الموت ليس بالشيء المهم

لم يطرأ أي تغيير عن معنويات الإمام إلى آخر نفس وآخر لحظة من حياته، فقد تعامل في حديثه عن الموت بطريقته العادية التي كان يتحدث بها عن الأمور الأخرى، قال له أحد أرحامه: إن مرضكم ليس مهماً وستحسن صحتكم، فأجابه: «لا المجيء شيء مهم يستحق الذكر ولا الرحيل ولا الموت، كلها ليست مهمة»^٢.

لا فرق عندي بين هذه الدنيا وبين الحياة الأخرى

في أحد أيام سنة ١٣٥٨هـ ش، ١٩٧٩م انخفض ضغط الدم بشدة وأصابته ذبحة شديدة، فأحس بالانتقال إلى العالم الآخر لكنه كان في درجة عالية من الهدوء والسكينة، دون أن يصيبه ما يصيب الآخرين عادة في تلك اللحظات فيضطربون ويقولون مثلاً لردد الصلوات على محمد وآله لآخر مرتين قبل الموت. والطريف أنه عندما انخفض ضغطه وعاد إلى الحالة الطبيعية قال للسيد أحمد: «لا فرق عندي بين هذه الحياة وبين الحياة الأخرى. لقد أنجزت المهمة التي كان عليّ القيام بها وأدبت واجبي وغاية الأمر أن بعض الأمور المرتبطة بالثورة لم تكتمل بعد»^٣.

كان يعلم بالليلة الأخيرة

لم يختلف حال الإمام بشيء في الليلة الأخيرة من حياته عن حاله في الليالي السابقة، لقد كان يعلم - وقبل أن يشخص الأطباء الأمر - أن عمره الشريف قد انتهى وأن هذه الطريق لا عودة عنه، ورغم ذلك لم يصبه أي خوف أو اضطراب أو قلق^٤.

^١ الدكتور إيرج فاضل.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني، صحيفة (جمهوري إسلامي) ملحق خاص بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام.

^٣ الدكتور حسن العارفي، مجلة حضور، العدد: ٨.

^٤ الدكتور بور مقدس، من الأطباء الذين عالجوا الإمام، مجلة (باسدار اسلام = حارس الإسلام) العدد: ٩٦.

الحوادث الجسيمة تغرق في بحر السكينة

كانت بعض الحوادث تبدو لنا جسيمة ومهمة إلى درجة نصاب معها بالاضطراب فنذهب هلوعين لنخبر الإمام بها ونحن نتوقع أنه سيضطرب ويقوم ويتحرك هنا وهناك فور سماعه بأخبارها، لكننا كنا نراه يتعامل بهدوء معها وكأن شيئاً لم يحدث بالمرّة، كما كنا نتعامل مع بعض الحوادث الجسيمة وكأن السماء قد أطبقت علينا وهدمت بيت أفكارنا، فنتصور أن الإمام سيصاب بمثل ذلك لو أخبرناه بها، لكننا كنا نرى أن تلك الحوادث ورغم جسامتها تختفي كقطرة في ارض فكر الإمام الرحب وبحر سكينته العميق^١.

لن يكون ثمة غد

صباح يوم الاثنين جئت إلى بيت الإمام، تناولنا طعام الظهرية بسرور وهناء، ولم يكن قرار إجراء العملية الجراحية له قد أخذ بصورة قطعية بعد، فالقرار أتخذ عسراً، وكان الإمام قد أصيب ببعض الآلام في قلبه في نفس تلك الليلة ولم أستطع حينها النظر إلى وجهه. فقال الإمام للسيدة زوجته: إنني أنصحك أيتها السيدة بأن تلتزمي الصبر عند موتي ولا تجزعي». فأجابته: «وما هذا الكلام الذي تقوله؟! تناول طعامك، سيجرون غداً العملية لك بسلامة، وسأطعمك بنفس طعامك بالقوة!!» قال: «لا، لن أتناول طعامي، لن يكون ثمة غد».

وعندما كان يطوي الطريق إلى المستشفى عبر الزقاق الذي كان منحدرًا قال وهو يتسّم: «هذا المنحدر الذي أسير فيه لن أطويه صاعداً مرة أخرى» وكان لهذه الكلمات عدة معانٍ، فهو قد أعرب بها عن تأسّفه وقلقه لبقاء زوجته وحيدة بعده، وكان يبدي حباً شديداً لها وكان يوصي دائماً خالي السيد احمد بأن لا يدع الوالدة وحيدة، أما المعنى الآخر الذي أعربت عنه ابتسامته فهو أنه كان يتحلى بسكينة عالية واطمئنان في مواجهة الموت^٢.

لا تقلقوا، الفتح والظفر حليفكم

قبل تنفيذ عمليات «الفتح المبين» أعددنا أربعة قواعد كمنطلقات لتحرك القوات في العمليات، ولكن العدو شن هجوماً سريعاً على محورين منها قبل بدء عملياتنا، وعرضهما لخطر حقيقي سرى إلى

^١ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانى، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني).

^٢ السيدة زهراء الإشرافي، مجلة (زن روز) العدد: ١٢٢٠.

المحورين الآخرين أيضاً، لذلك اتفق الأخوة على ضرورة الاستفسار من الإمام وتسلم أوامره بشأن ما ينبغي فعله مع وقوع هذا التطور الجديد، ولم تكن أمامنا فرصة طويلة لذلك جئت بسرعة من ديزفول إلى طهران التي وصلتها صباحاً وطلبت موعداً للقاء الإمام ثم زرته عصرًا وعرضت عليه المشكلة الجديدة فقال: «وما الذي تنوون فعله الآن؟ هل تريدون تستخبروا الله في الأمر» أجبت: «نحن مطيعون لكل ما تأمرنا به» فقال: «لا تقلقوا، سيكون الفتح والظفر حليفكم في هذه العمليات إن شاء الله، نفذوا العمليات، وإذا أردتم أن تستخبروا الله فاستخبروا بأنفسكم». بعث هذا الموقف المطمئن الواثق الصادر عن صاحب النفس المطمئنة الأمر والمعنويات العالية، فرجعت إلى ديزفول وأخبرت الأخوة بهذا الموقف، ولأنه لم ينهانا عن الاستخارة فقد تفألنا بالقرآن الكريم فخرجت إلينا هذه الآية [١٨] من سورة الفتح المباركة: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ والآية تتحدث عن غنائم كثيرة يأخذونها من العدو! فتضاعفت إثر هذه الاستخارة معنوياتنا بشأن القيام بهذه العمليات التي اخترنا لها اسم «الفتح المبين» تيمناً بقوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [سورة الفتح: ١] فكان «الفتح» إشارة إلى نتيجة العمليات و«المبين» إشارة إلى عظمة الانتصارات التي ستحققها.

ومما يجلب الانتباه أننا بقينا لمدة سبعة شهور بعد عمليات تحرير خرمشهر التي نفذت بعد عمليات الفتح المبين بشهر واحد، نجمع الغنائم الحربية التي خلفها العدو، وبسبب كثرة مخازن العتاد التي خلفها العدو وتفرقتها وعدم معرفتنا بمواقع الكثير منها، فقد كان بعضها ينفجر إثر تبادل إطلاق النار. لقد حققت عمليات الفتح المبين أهدافها بسرعة وأخمدت نيران العدو في منطقتها، وكل ما حصلنا عليه فيها من انتصارات ومفاخر كان ببركة روح الإمام السامية^١.

إنها الحرب يوم لنا ويوم لهم

لن ننسى أنا وسائر الإخوة الذين كانوا يتابعون لحظات هجوم العدو البعثي على مدينة خرمشهر تلك الليلة التي سقطت فيها هذه المدينة، كانت الاتصالات الهاتفية بمكتب الإمام قلما تنقطع وهي تنقل لنا سيطرة البعثيين على مناطق المدينة الواحدة تلو الأخرى. وقد سيطر القلق والاضطراب على الإخوة في المكتب إلى درجة لم يكونوا معها قادرين على القيام بأي عمل سوى الإجابة على الاتصالات الهاتفية،

^١ الفريق محسن رضائي، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٦٨.

دخان السجائر ملاً جو الغرفة التي كانت نوافذها قد غطيت بالملاحف استتارا من طائرات العدو فقد كانت تشن غارات على المنطقة؛ وقد جاء ولدي إلى الغرفة للتعرف على آخر الأخبار ونقلها إلى داخل المنزل، لكنه لم يستطع التعرف على الحاضرين في هذه الغرفة فعاد وأخبر الإمام بوضعها وكانت الدقائق تمر ثقيلة للغاية إلى أن حلت بنا الصاعقة بوصول خبر سقوط خرمشهر بالكامل.

لقد كلفني الإخوة بأن أتولى مهمة نقل خبر هذه الفاجعة إلى الإمام، لكنني كنت أخشى من أن أعجز عن ذلك بسبب الحزن والأذى الذي كان يضغط على صدري ويثقل لساني، لكنني اضطررت بالتالي إلى دخول منزل الإمام وبمجرد وصولي إلى الغرفة توجهت إليّ الأنظار للتعرف على ما أحمله من أخبار. وقلما أصابني حالة من الأذى مثل تلك التي أصابني عندما سألني الإمام: «ما الخبر؟» أجبت بصعوبة بالغة: لا شيء، وقد شعر بحالتي فلم يسألني سؤالاً آخر، ثم جلست بالقرب منه وأخذت بالتفرج على التلفزيون، وبعد ثلاث أو أربع دقائق قال لي: «ما الجديد عندك؟» فأجبت وقد سيطر عليّ الحزن: لقد احتلوا خرمشهر . . . وعندها قال بلهجة المعاتب: «إنها الحرب، يكون الانتصار فيها حليفنا يوماً وحليفهم يوماً آخر». هذه الكلمة القصيرة تركت آثارها عليّ بما لا أستطيع وصفه وكأنها صبت على رأسي الماء البارد - حسب المثل المعروف - فأخرجتني من تلك الحالة من الحزن فصرت في حالة جديدة كأن الحرب لم تقع أصلاً!

أخذ يدعو بسكينة وطمأنينة

كثف العدو لمدة من قصفه المتواصل لجزيرة خارك والمنشآت النفطية فيها، فذهبنا إليها بمعية عدد من أعضاء مكتب الإمام، وعندما وصلنا إليها طلب منا المسؤولون هناك - استناداً لمقرراتهم - أن لا نتوجه فوراً إلى أرصفة ضخ النفط في الشاحنات لأن هذا الوقت هو الذي اعتاد فيه العدو قصفها وطلبوا منا أن نستريح أولاً في محل أعدوه لنا، لكننا رفضنا وذهبنا إليها فوراً، وكنا هناك عندما أغارت على المنطقة طائرات حربية من نوع «ميغ ٢٩» وألقت (١٨) قنبلة وزن كل منها «٥٠٠» كيلو غرام سقط عدد منها في البحر فيما أصاب المتبقي نقاطاً متفرقة في الجزيرة دون أن تصيب أي قنبلة منها تلك الأرصفة، والطريف أن إحدى القنابل أصابت ذلك المبني الذي طلبوا منا أن نستريح فيه!!

^١ السيد محمود البروجردي، مجلة (ندا) العدد الأول.

وعلى أي حال فقد تفقدنا المنطقة وشاهدنا أوضاعها عن قرب ثم رجعنا ليلة الجمعة إلى طهران، وفي صباح أخبرت الإمام بعد أن استمع على موجز أخبار الساعة الثامنة بذهابنا إلى جزيرة خارك، فجلس رغم أنه كان يذهب إلى الحمام عادة في هذا الوقت، وقدمت له تقريراً عن أوضاع الجزيرة ورسالة المسؤولين فيها إليه وقد قالوا: «مع استمرار هذه الأوضاع فإن تصدير النفط سيتوقف بعد يومين حتماً» وكان انقطاع تصدير النفط أمر مقلق للغاية في ظل شدة حاجة البلد إلى العملة الصعبة خاصة في تلك الأوضاع الحساسة التي أوجدتها الحرب.

أصغى الإمام بدقة لكلامي ثم أخذ يدعو وهو على سكينه وطمأنينة لا يمكن وصفها، إنها سكينه الإيمان والتوكل على الله، وهي سكينه كشفت لنا لاحقاً وبوضوح حقيقة أن الإمام كان أعرف بأوضاع جزيرة خارك ومستقبلها من المسؤولين المباشرين أنفسهم، فقد استمر تصدير النفط من هذه الجزيرة وإلى نهاية الحرب على الرغم من جميع ضغوط العدو وهجماته عليها^١.

الفصل الثامن الشجاعة وقوة القلب والإباء

رضا خان لا يفهم

كتب الإمام في كتابه كشف الأسرار ويوم كانت حكومة العائلة البهلوية في ذروة قوتها: «أما رضا خان الأمي فهو لا يعرف هل تكتب كلمة السياسة بالسین أم بالصاد!»^٢.

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٢ آية الله الشيخ أبو القاسم الخزعلي، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٣ ص ٣٨.

صفح بقوة احد الدراويش

اقتحم مجموعة من الدراويش يوماً المدرسة الفيضية واحتلوا عدد من غرفها للإقامة فيها، وكان أمر إخراجهم منها محفوفاً بعدة محاذير، لكن الإمام كان قادراً على مواجهة مثل هذه القضايا، فنهزم وصفح أحدهم بقوة على وجهه وكان ذلك فاتحة الطريق لطردهم من المدرسة^١.

حذروا من انتقاد أميركا فشن أعنف هجوم عليها

جاء أحد المسؤولين الحكوميين إلى قم للتباحث مع الإمام فيما يرتبط بقضية معارضته لمصادقة البرلمان الملكي على قرار منح الحصانة القضائية للأميركيين العاملين في إيران المعروفة بلائحة «الكاتبولاسيون» لكن الإمام لم يأذن له بالدخول عليه، فالتقى السيد مصطفى وقال له: إذا أراد الإمام التحدث ضد هذه اللائحة فلا يهاجم أميركا فهذا أمر محفوف بالأخطار هذه الأيام أكثر من التحدث ضد الملك! ورداً على هذا التهديد شن الإمام أعنف هجوم على أميركا وقال في خطابه المعروف بهذا الشأن: «ليعلم الرئيس الأمريكي أن شعبنا يكرهه أكثر من أي شخص آخر! إن أميركا هي علة جميع مشاكلنا وما سينا اليوم!»^٢.

أنصحك وحكومتك محذراً

بعث بعض مراجع قم إلى الشاه طلبوا منه ردع الحكومة عن انحرافاتهما عن الدين، فقال الشاه في برقيته الجوابية: نسأل لكم التوفيق في إرشاد العوام! فكتب الإمام خطاباً للشاه جاء فيه: «ما دمت تطلب التوفيق للمراجع في إرشاد العوام، فإنني أنصحك وأنصح حكومتك محذراً لكم من» يعني أنكم - أي الشاه - عوام ينبغي تحذيركم وإرشادكم^٣.

خذ أوراقك واذهب لا أحب جلوسك هنا

سعى نظام الشاه بعد انتفاضة (١٥) خرداد إلى انتزاع اعترافات كاذبة بأساليب التعذيب الجهنمية من الشخصيات والمجاهدين الذين اعتقلهم إثر هذه الانتفاضة الشعبية، وكان هدفه من ذلك ترتيب وثائق مفتراة يستند إليها لمحاكمة الإمام وإدانتها، ولكن فشل في الحصول على ما يريد رغم كثرة الضغوط

^١ آية الله العاملي، مجلة (شاهد بانوان = شاهد للنساء) العدد: ١٦٧.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٦٨/٥/٣ هـ ش.

^٣ آية الله الشيخ محمد المؤمن، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٣.

التي فرضها على أولئك المعتقلين، لذلك توجه إلى الإمام عسى أن يحصل منه على ما يستند إليه في تحقيق ما يريد، فأرسل إلى الإمام الذي كان معتقلاً في معسكر «قصر» أحد المحققين الماهرين لكي يعمل على استجوابه والحصول منه - بأساليب الخداع المختلفة التي تمرسوا فيها - على إقرار أو اعتراف يحقق للنظام غايته. وعندما طرح المحقق أسئلته على الإمام لم يلق إلا التجاهل والإعراض، لقد قام الإمام وقال له بلهجة صارمة: «أنت مأمور أعمرى لسادتك، فلا يحق لك الاستجواب، خذ أوراقك واذهب، لا أحب أن تجلس هنا»^١.

سنامر قواتنا الخاصة بتأديب مبعوثي صاحب الجلالة

في صبيحة يوم عاشوراء سنة ١٣٤٢هـ ش [١٣٨٧هـ ق] كان الإمام جالساً وسط الناس في منزله يستمع لخطيب المنبر الحسيني في المجلس الذي أقامه بهذه المناسبة، فدخل أحد مسؤولي منظمة الأمن (السافاك) وأوصل نفسه إلى الإمام وعرف نفسه ثم قال: إنني مأمور من قبل صاحب الجلالة الملكية بأن أبلغكم رسالته بأنكم لو ذهبتم إلى المدرسة الفيضية وألقيتم خطاباً فيها فإننا سنهاجمكم بالقوات الخاصة ونقتلكم تفتيلاً. فأجابه الإمام فوراً دون أن يظهر على وجهه أدنى تعبير: «عندها سنامر - نحن أيضاً - قواتنا الخاصة بتأديب مبعوثي صاحب الجلالة»^٢.

سأطلب من الناس أن يقطعواكم إرباً

في أيام النوروز من سنة ١٣٤٢هـ ش والتي صادفت ذكرى استشهاد الإمام الصادق عليه السلام (٢٥ شوال) هاجم أفراد القوات الخاصة التابعة لنظام الشاه - وكانوا يرتدون ملابس الفلاحين - المدرسة الفيضية وانهاهوا بالضرب على الناس وطلبة الحوزة، واستمر الاضطراب في قم ثلاثة أيام، وقد ذهب هؤلاء أولاً إلى منزل الإمام حيث كان يقيم مجلساً للعزاء، فسعوا لإثارة الاضطراب في هذا المجلس، وعندها اضطر الإمام لأن يتحدث بنفسه، فهددهم قائلاً: «إذا سعيتم إلى إثارة الاضطراب، فسأطلب من الناس ان يقطعونكم إرباً» فخاف أفراد القوات الخاصة، ثم وقعت في المدرسة الفيضية تلك الحادثة عصراً^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لهضة الإمام الخميني) ج ١.

^٢ المصدر السابق.

^٣ آية الله الشيخ محمد المؤمن، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٣.

كيف تغلق بابي وأولادي يضربون

كنت في منزل الإمام عندما جاءوه بخبر هجوم جلاوزة الشاه على المدرسة الفيضية وقيامهم بإلقاء البعض من فوق سطحها إلى الأرض، وضرب الرجال الطاعنين بالسن، وتخريبهم غرف المدرسة وإحراقهم نسخ القرآن الكريم ومهاجمتهم للأهالي على طريقة المغول، وقبيل الغروب كانت الأخبار تصل متتابعة بأن هؤلاء الجلاوزة ينوون مهاجمة منزل الإمام، فأمر احد السادة بإغلاق باب المنزل، وعندما التفت الإمام لذلك قام وقال: «إنهم يضربون أولادي طلبة الحوزة في المدرسة ويخربونها، فكيف تغلق باب منزلي؟» ثم أمر فوراً بفتح باب المنزل وتوجه لفتحها بنفسه، وقال: «اسمحو للدخول لكل من أراد»^١.

وذهب بنفسه وفتح الباب على مصراعيه

مما لا نقاش فيه أن الإمام كان يتحلى بشجاعة فائقة في قضية المدرسة الفيضية المعروفة، أرسل الشاه ألفاً من جلاوزته متنكرين بملابس مدنية وارتكبوا تلك الجريمة في المدرس ثم خرجوا منها على هيئة الفاتحين وتظاهروا في شوارع قم وهم يرددون هتافات «الخلود للشاه» وقد أوجدوا حالة من الرعب في المدينة سلبت الجرأة على الاعتراض من الجميع. وكان مقر هؤلاء الجلاوزة في ثانوية «حكيم نظامي» القريبة من منزل الإمام، ولذلك تصور بعض الحاضرين أن هؤلاء الجلاوزة يتجهون لمهاجمة منزل الإمام، فقالوا له: إن هؤلاء المسلحين - وعددهم كبير - يتجهون إلى منزلكم وهم يرددون الشعارات، وتصور بعض آخر إن من الضروري إغلاق باب المنزل ووضع قفل عليه من الداخل مثلاً لمنع دخول الجلاوزة إلى المنزل، فأغلقوا الباب وهم يتصورون أن الإمام راضٍ بذلك لكنه عندما عرف بذلك نزل من الغرفة - دون أن يتحدث مع أحد - وذهب بنفسه وفتح الباب على مصراعيه، وعاد إلى تلك الغرفة القريبة من الباب وجلس فيها في حين كان صوت تحرك أفراد القوات الخاصة يشتد في كل لحظة، ورغم ذلك بقي جالساً ومستعداً دون أن يصيبه أدنى قلق من أن يدخل هؤلاء اللف من الجلاوزة منزله وينفذوا خططهم^٢.

^١ آية الله الشيخ التوسلي. المصدر السابق، ج ٢.

^٢ آية الله فاضل النكراني، المصدر السابق، ج ٦.

يجب أن أكون بين إخواني في المدرسة الفيضية

كان الإمام حاضراً في مجلس العزاء المقام في منزله بمناسبة ذكرى وفاة الإمام الصادق عليه السلام في يوم (٢٥ شوال) الذي صادف تلك السنة يوم الثاني من فروردين سنة ١٣٤٢هـ ش، فجاءوا بعدد من جرحى حادثة المدرسة الفيضية وقد ارتفعت أصوات البكاء والشعارات من جموع الأهالي الذين كانوا يتبعونهم، دخلوا منزل الإمام الذي لم يكن لديهم مأوى سواه يخفف عنهم آلامهم، ولجئوا إليه شاكين من جور جلاوزة النظام الفاسد، ومنتظرين من قائدهم الكبير أن يهديهم سبل الفوز برضا الله بواسطة مجاهدة الطاغوت، فمسح الإمام بيد الرأفة والأبوة على رؤوس الجرحى وواساهم، في وقت كان الخوف قد سيطر على الجميع إذ كان احتمال مهاجمة جلاوزة النظام لمنزل الإمام يزداد قوة بشدة وقال: «ليبق باب المنزل مفتوحاً، وليخرج مصطفى» ثم أمر الحاضرين بالصلاة وقال: «ما أحسن أن نقوم للصلاة، فإذا هاجمنا الجلاوزة نكون في حال الصلاة فنفوز بفيض عظيم، فيها جموننا ونحن متوجهين للحضرة الإلهية، فيكون ذلك أعظم فلاحاً وانتصاراً لنا، وأكبر فضيحة لهم». قال الإمام كلمات بهذا المضمون ثم أقيمت الصلاة.

انقضى ذلك اليوم وكان الخوف والرعب مسيطراً على الجميع - بدرجة أو بأخرى - باستثناء الإمام الذي كان يقف كالجبل الشامخ يبعث السكينة في قلوب الناس. وأتذكر أن قام فجأة وقال: «يجب أن أذهب إلى المدرسة الفيضية لكي أكون بين إخواني أواسيهم فيما يجري عليهم». وهنا ارتفعت أصوات البكاء وطلبات الرجاء لمنعه من الذهاب، لقد أدركوا خطورة ذلك عليه، ولذلك ارتفعت أصوات بكاء وتوسلات الحاضرين جميعاً - وكان المجلس حاشداً - وتدخل جماعة للتباحث معه حتى أقنعوه بعد الذهاب.

وكان هناك أيضاً بعض جواسيس النظام وعناصر منظمة الأمن (السافاك) يسعون لترسيخ أجواء الرعب والمطالبة بإغلاق باب منزل الإمام، وهذا ما رفضه بحزم وأصر على إبقاء الباب مفتوحة بوجه الناس، وقد بقي الناس في منزل الإمام شطراً من تلك الليلة^١.

^١ السيد غلام حسين الأحمدى، صحيفة كيهان ١٣٥٨/٦/٢٩هـ ش.

لماذا تقومون بمثل هذه الأعمال

ينقل المشهدي حسين - الذي كان يوزع الشاي في بيت الإمام ونفوه على تركيا - أن الإمام قال لجلالوزة النظام: «ما هذه الضجة التي أثيرتموها؟ ألا تستحون؟! لماذا لم يأت أحدكم ويدق الباب ويقول ليخرج الخميني، وحينها كنت سأخرج لكم». ثم نقل لي السيد الإمام بنفسه فيما بعد وفيما يرتبط بتلك الليلة قائلاً: «عندما وصلنا إلى آبار النفط ونحن في طريقنا إلى طهران، قلت: إن جميع مصائبنا هي بسبب هذا النفط! لماذا تقومون بمثل هذه الأعمال... وأخذت أحدثهم بمثل هذه الأحاديث حتى وصلنا طهران، وكان أحدهم - وهو الجالس إلى جانبي - يبكي حتى وصلنا إلى طهران»^١.

أنا روح الله الخميني

في يوم (١٥) خرداد مساء وبالتحديد قبيل أذان الفجر وصل جلالوزة الشاه إلى منزل الإمام لاعتقاله، فضربوا خادمه في ساحة المنزل، وعندما عرف الإمام بذلك صاح بهم: «ما هذه الأعمال الوحشية؟ أنا روح الله الخميني، فلماذا تتعرضون للآخرين؟ لماذا تتركبون هذه الأعمال الوحشية»^٢.

لماذا تضربون هؤلاء؟

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل عندما تسلق أفراد القوات الخاصة جدار المنزل - وقد بقيت آثار سواد أحذيتهم العسكرية عليه إلى فترة قريبة - دخلوا المنزل وأخذوا يصرخون ويضربوننا وهم يطلبون أن نفتح باب غرفة الإمام، فقلنا، وما علاقتنا بذلك إن المفتاح عنده فلماذا تؤذوننا، ثم كسروا قفل الباب، وفي غضون ذلك خرج السيد من الباب الخلفية لساحة المنزل إلى الزقاق وهو يحمل عباءته فأحاط به الضباط والشرطة والقوات الخاصة فصاح بهم: «ما هذه الوحشية، لماذا تؤذون الناس؟ إذا كنت أنا مطلبكم فلماذا تضربون هؤلاء؟»^٣.

يرفض أن يحرسه احد

في تلك الأيام الصعبة التي تلت فاجعة المدرسة الفيضية، كان الجلالوزة يتعرضون بالضرب المبرح للناس، ورغم ذلك كان الإمام يخرج بمعية الشيخ الصانعي فقط في المساء ويسير في أزقة قم، وقد

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام انقلاب) العدد: ٦٠.

^٢ كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٢.

^٣ كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٢.

طلبت منه أن يسمح ببقاء بعض الأشخاص في منزله ليلاً لحمايته من الأخطار والهجمات الليلية المحتملة، لكنه رفض ذلك ورفض أيضاً أن يرافقه أحد لحمايته»¹.

أخرجوا إنني خارج إليكم

في أيام إخضاع الإمام للإقامة الجبرية بعد إخراجه من السجن، اقترح السيد الروغني أن يقيم الإمام في منزله، وقد استقر عدد كبير من أفراد عناصر الأمن (السافاك) في منزل مقابل لمنزل السيد الروغني كما استأجروا منزلاً قريباً من منزله، وكان يربط هناك حدود (٣٠) نفرًا من عناصر السافاك، ولم يكونوا يسمحون بالدخول على الإمام إلا لوالدتي أو لأختي. وقد بقي الإمام في بيت السيد الروغني في منطقة قيطرية سبعة شهور، ثم قال رئيس منظمة السافاك - وكان لقبه الأنصاري - للإمام: متى ما رغبتم بالعودة إلى قم أحضرنا لكم سيارة تنقلكم. فرجعنا على قم حيث كان منزل الإمام قد خصص للرجال فاستأجروا لنا منزلاً مجاوراً فتحوا له باباً على منزل الإمام، وأقمنا هناك ثمانية شهور، بدءاً من الأيام الأولى من النوروز إلى يوم ١٣ آبان، ٤ نوفمبر فألقى الإمام خطابه الآخر الذي عارض فيه لائحة الكابيتولاسيون [لائحة منح الحصانة القضائية للأمريكان العاملين في إيران]. وإثر ذلك هاجموا المنزل ليلاً بعد أن تسلقوا جداره المرتفع واحداً إثر الآخر وكنت أراهم فقد كنت في إيوان المنزل، فناديت الإمام الذي كان في الجانب الآخر من ساحة المنزل، وفي أثناء ذلك ركلوا الباب المتصل بقسم «البراني» من بيت الإمام، ولما سمع الإمام صوتي صاح بهم: «لقد كسرتم الباب، أنا قادم!» ثم تسلق الجدار شخص آخر ودخل الباب، وعندها ظهر عليّ الخوف، وكان الوقت سحراً، فخرج الإمام وصاح بهم: «لقد كسرتم الباب، أخرجوا، إنني خارج إليكم». فلما رأوا الإمام قد خرج من الغرفة ويتجه نحوي وقد كنت واقفة في الإيوان قفزوا - عبر الجدار أيضاً - إلى الخارج.

ثم جاء الإمام إليّ وأعطاني ختمه ومفتاح خزانة أوراقه ووثائقه الخاصة وقال لي: «احتفظي بها حتى يأتيك خبر مني» ثم خرج فأخفيتهما خشية من أن يأخذونهما. وقد أخفيت الختم إلى أن وصل السيد للعراق فبعث لي برسالة من النجف قال فيها: «سلمي ختمي إلى شخص أمين لكي يأتيني به» فأخبرت

¹ آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج:٦.

الشيخ الإشراقي بالأمر فقال: إن الشيخ عبد العلي القرهي رجل ثقة ولديه جواز سفر. فكتبت رسالة للإمام وسلمتها له مع الختم والمفتاح، فذهب بها إلى النجف وسلمها للسيد^١.

أنا جندي للإسلام

بعد إطلاق سراح الإمام وخروجه من سجن النظام الشاهنشاهي، نشرت صحيفة اطلاعات مقالة قالت فيها إن العلماء ساوموا النظام الحاكم، فألقى الإمام خطاباً كذب فيه هذا الادعاء وأدان نشر المقالة، فأرسل النظام العقيد المولوي رئيس منظمة السافاك لكي يعتذر من الإمام، فطلب لقاء خاصاً به - على انفراد - ولكن الإمام لم يكن يوافق على عقد لقاءات خاصة مع أي من رجال السياسة سواء كانوا من الحكومة أو غيرها، لذلك أمر بأن يحضر اللقاء عدد من الأشخاص فحضروا وكنت أنا أحدهم، وقد بدأ العقيد المولوي الحديث واعتذر من الإمام وقال إن ما حدث كان خطأ، لكنه ضمن كلامه عبارة تشم منها رائحة الإهانة والتهديد إذ قال: لا تضطرونا يا سيدي للقيام بما يقتضيه عملنا العسكري! فأجابه الإمام فوراً وبحدة وقد وضع إصبعه على صدره المبارك: «وأنا أيضاً جندي للإسلام، فلا تضطرونا للقيام بما يقتضيه واجبنا العسكري»^٢.

يا رجيل لا تفعل ما يجعلني أمر بطردك

كان من المقرر أن يلقي الإمام خطاباً في يوم عاشوراء سنة ١٣٤٢هـ ش، ١٣٨٧هـ ق، وكان عناصر أفراد الشاه الخاصة يرابطون في المدرسة الفيضية، وقد سادت المدينة حالة من التأزم الشديد وقد شاع أن الإمام معرض لأخطار شديدة لذلك نصحوه بأن لا يذهب إلى المدرسة الفيضية، لكنه رفض ذلك بل وأبى إلا أن يذهب إليها بسيارة مكشوفة، لذلك استقل سيارة جيب وذهب إلى المدرسة ودخلها وهو في وسط الأهالي، وألقى خطابه الذي وجه فيه تهديداً صريحاً للشاه قال فيه: «يا رجيل! لا تفعل فعلاً يجعلني أقول للناس أن يطردوك من هذا البلد!!»^٣.

^١ السيدة خديجة الثقفي، زوجة الإمام، مجلة (ندا) العدد: ١٢.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي، مجلة (پاسدار إسلام) العدد: ١٣.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين حسن الروحاني، مجلة (زن روز) العدد: ٨٥١.

سأذهب بسيارة مكشوفة

قبل يوم من حادثة الخامس عشر من خرداد سنة ١٣٤٢هـ ش، شاهدت في قم عدة شاحنات تحمل القوات الخاصة التابعة للشاه جاؤوا لمنع الإمام من إلقاء خطابه، فذهب جماعة إليه وقالوا: إن حياتك في خطر فلا تخرج اليوم، فأجابهم: «كلا، سأخرج في سيارة مكشوفة لكي يراني الجميع!»^١.

لا تخافوا أنا معكم

زرت الإمام بعد عدة أيام من اعتقاله ونقله إلى طهران، وقلت له: أحب أن تخبرني عما جرى عندما هاجموا منزلكم، فتبسم وقال: «لقد دخلوا المنزل وركلوا الباب وكسروها فصحت بهم: أخرجوا إنني قادم بنفسي إليكم، ثم ارتديت ملابسني وخرجت وركبت السيارة في المقعد الخلفي وجلس إلى جانبيّ اثنان منهم، ورغم أنهما كانا مسلحين إلا أن الاضطراب سيطر عليهما بشدة ووضوح عندما تحركت السيارة بنا، كانت أقدامهما ترتعش باستمرار، فنظرت إليهما وقلت لهما: ما الذي أصابكم؟ ولماذا ترتعش أقدامكم؟! قالوا: الحقيقة يا سيدي هي أن الرعب والخوف قد سيطر علينا، نحن قلقون تجاه ما سيجري علينا لو عرف أهل قم أننا نذهب بكم! كان هذا حالهم رغم أن عدة سيارات مسلحة أخرى كانت تحميهم» ثم قال الإمام: «فوضعت يدي على أرجلهم وقلت: أنا معكم، لا تخافوا، ولا تضطربوا ما دمت معكم، فأزلت عنهم الاضطراب والقلق...»^٢.

عملكم أسوء من عمل اليهود

بدأت الحكومة البعثية بإخراج الإيرانيين المقيمين في العراق، فكان البعثيون يعتقلون كل يوم عدد كبيراً منهم ويؤذّنهم ويصادرون أموالهم ويخرجونهم بصورة مهينة، ثم أعلنت الحكومة أن على جميع الإيرانيين الخروج من العراق خلال ستة أيام، وكان ذلك في فصل الشتاء، فأخذ الإيرانيون يستعدون للخروج، وقرر الإمام أيضاً ذلك وهذا ما لم تكن الحكومة العراقية ترغب فيه لذلك بعثت خبيراً إلى النجف بأنها سترسل وفداً يضم أحد معاوني صدام اسمه علي رضا للالتقاء بالإمام والتباحث معه بهذا الخصوص، فأعلن: «إنني لن أسمح لهم بالدخول إلى منزلي ولا يحق لأي منهم الالتقاء بي، وقد أرسلت جواز سفري لمهره بتأشيرة الخروج لكي أخرج معي أبناء وطني».

^١ حجة الإسلام والمسلمين حسن الروحاني، صحيفة كيهان ١٣٦٢/٣/٢٤هـ ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين حيدر علي الجلالى الخميني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٦.

وقد أثار هذا الموقف الشعور بالخطر لدى الآخرين لأن المدعو علي رضا هذا كان معروفاً بالوحشية والتمادي في الظلم، لذلك طلب جمع من العلماء والأهالي من المرحوم الشيخ نصر الله الخلخالي أن يطلب من الإمام أن يلتقي بهذا المسؤول، فلما نقل له هذا الطلب أجابه: «لقد قررت منذ البداية أن التقى به، ولكن يجب أولاً أن أكسر شوكته، وعندما أسمح له باللقاء».

ثم أذن لهذا الوفد بزيارته، وقال لهم أثناء اللقاء بكل صراحة: «لقد كان تعاملكم أسوء من عمل اليهود وإسرائيل، عندما أخرجوا اليهود من العراق أمهلوهم ستة شهور ثم مددوها بعد انتهائها لكي يتموا انجاز أعمالهم، وأنتم لم تمهلوا الإيرانيين سوى ستة أيام»^١.

الحكومة الإيرانية على خطأ وأنتم أيضاً على خطأ

وقع نزاع بين الحكومتين العراقية والإيرانية بشأن الحدود وشط العرب أيام إقامة الإمام في النجف الأشرف، فسعت الحكومة البعثية للحصول على بيانات ضد الحكومة الإيرانية المتجبرة من علماء النجف، وكانت تتصور أن الإمام سيصدر بياناً مطولاً ضد الشاه لما قاساه من حكومته ولأنه منفي في العراق فسيكون موقفه مؤيداً للحكومة العراقية ولكنه خاطب وبكل صراحة محافظ كربلاء ورئيس منظمة الأمن ورئيس الشرطة وقائمقام النجف الذين اجتمعوا به لهذا الغرض، وقال لهم: «الحكومة الإيرانية على خطأ وأنتم أيضاً على خطأ، ولا علاقة للحوزة ولمراجع الشيعة بهذه المشكلة القائمة بينكم لكي يصدروا بيانات بشأنها، اذهبوا وحلوا مشكلتكم بأيديكم».

وقد أثار هذا الموقف الجريء غضب المرتزقة البعثيين حتى قال أحد اللذين حضروا هذا الاجتماع: سنخرج الخميني من النجف غداً، فلما سمع الإمام بذلك قال: «إنهم يتصورون أنني مسرور بالإقامة في بلد يحارب فيه الإسلام علناً وتنتهك نوااميسه وحرماته، هذا جواز سفري خذوه وأرسلوني حيثما شئتم، فأني مكان أذهب إليه هو أفضل من هنا، إن المكان الذي أكون فيه في راحة هو الذي يكون المسلمون فيه مرتاحين، فأني شيء يريحني هنا؟» وكان ذلك في وقت أعرب فيه بعض المراجع عن عدم ارتياحهم لموقف الإمام، وأعربوا عن قلقهم من أن يرسل الجهاز الحاكم في العراق قوات مسلحة لمهاجمة مدينة النجف الأشرف وتدميرها^٢.

^١ آية الله السيد خاتم عباس خاتم اليزدي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٢.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد الكريمي، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ١١.

إنني لا أخاف أحداً

يقول احد الأصدقاء: كنت أعرف الإمام لبعض الأشخاص في حرم أبي الفضل العباس عليه السلام، فاستدعاني وخمس في أذني: «ما الحاجة إلى هذا العمل؟ أقول ذلك خشية عليك». وقد وقعت لي أنا أيضاً حادثة مماثلة، فعندما جاء الشيخ حسن الكروبي بكتاب «ولاية الفقيه» لكي أصححه لغوياً قال لي: يقول لك الإمام: «لا ينبغي أن يعرف أحد أنك تقوم بهذا العمل لنا . . ولا أقول ذلك خشية على نفسي بل عليك، فأنا لا أخاف أحداً»^١.

بأي جرأة وشجاعة يخرج لوحده؟!

كان الإمام يتمشى كل يوم نصف ساعة عندما كان في ضاحية نوفل لوشاتو في باريس، فجاء أفراد شرطة المدينة مضطربين في صباح احد الأيام، وقد علاهم الاستغراب من جرأة الإمام وشجاعته، وهو يخرج وحده في المحافل العامة ولحضور الصلاة، رغم أنه شخصية عالمية وأعداؤه كثيرون، وكانوا قد رأوا الإمام في ذلك اليوم وقد خرج - بعد صلاة الفجر وتعقيباتها - يتمشى لوحده في أزقة نوفل لوشاتو والشوارع المحيطة بمحل إقامته^٢.

ليدخل علي الجميع دون تفتيش

ينقل أحد مقربي السيد أحمد الخميني: كنا نفتش الداخلين على السيد خشية أن يكونوا حاملين للأسلحة، فلما عرف بذلك أمر بأن يدخل عليه الجميع بدون تفتيش، وكان هذا الأمر مثيراً للإعجاب بعمق شجاعته.

وكانت الشرطة الفرنسية تقوم بإغلاق الشارع المؤدي إلى محل إقامة الإمام في نوفل لوشاتو عند إقامته لصلاة الجماعة أو عند إلقائه خطاباً، كما كانت تراقب الأوضاع باستمرار وتفتش الطرودات البريدية وغيرها بدقة، وقد تم استبدال عناصر حفظ الأمن المستقرين في هذا المحل بعناصر أخرى أكثر خبرة وذوي رواتب أعلى كما ضوعف عددهم إلى عشرة أضعاف، وذلك بعد انتشار هذه الإشاعات، فقد أخبروا أعضاء مكتب وبيت الإمام، أن الحكومة الفرنسية حصلت على تقرير يفيد بأنه تم استئجار مجموعة من المرتزقة من رعايا إحدى الدول الآسيوية لاغتيال الإمام مقابل (٥٠٠) مليون دولار،

^١ آية الله محمد هادي معرفت، مجلة حوزة، العدد: ٣٢.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد المحشمي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ١.

ويلاحظ بوضوح أن الأوضاع في مدينة باريس وضواحيها والمطارات والمواقع الحساسة ومراكز تجمع الجامعيين، غير عادية^١.

إن أميركا عاجزة عن ارتكاب أي حماقة

كان معظم مسؤولي الحكومة يعارضون احتلال وكر الجاسوسية [السفارة الأميركية] وكانوا يطرحون كل يوم مشكلة جديدة، فواحد يقول: لا يمكن الدخول في معركة ضد أميركا، وآخر يقول: إن أميركا أنزلت قواتها في المنطقة، وآخر يقول: إن الأسطول الحربي الأميركي قد دخل المنطقة، أما الإمام فقد قال: «أن أميركا عاجزة عن ارتكاب أي حماقة!» وعندما شكى أحد رجال الثورة للإمام من كثرة المؤامرات، لماذا أنت خائف؟ لن يحدث أي سوء^٢.

لا يخشى غير الله

لم يرض الإمام حتى في أصعب الأوضاع وأكثر أيام ما قبل انتصار الثورة خطراً أن يبقى بعض الإخوة في منزله كحرس له، وكنت أحياناً أراه يسير لوحده أو مع شخص واحد فقط في أزقة قم دون أن يخشى أحداً غير الله^٣.

ليس ثمة خطر

في الأيام الأولى لعودة الإمام إلى إيران أعددنا له غرفة وضعت لنوافذها زجاجات مضادة للرصاص، لكنه عندما دخل الغرفة فتح نوافذها وبابها وقال: «ليس ثمة خطر!!»^٤.

لو كان الأمر بيدي لضربت أول بارجة أميركية

نقل الحاج السيد أحمد أن الإمام قال يوماً: «لو كان الأمر بيدي لضربت أول بارجة أميركية تدخل الخليج الفارسي» هذا الموقف الحازم جعل مسؤولية قادة الدولة جسيمة للغاية، فهم من جهة كانوا يصرحون بضرورة تحقيق ما يريده الإمام وكانوا يؤمنون بذلك، لكنهم زاروا الإمام للتباحث معه أكثر بشأن تبعات هذا الموقف، فقال لهم: «رغم أنني قلت: لو كان الأمر بيدي لضربت أول بارجة حربية

^١ موسوعة كوثر، ج ٢، نقلاً عن وثائق منظمة الأمن الملكي (السافاك) نقلاً عن المهندس مهدي بازرجان، مجلة (١٥) خرداد الشهرية. خرداد ١٣٦٩هـ ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانى، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج: ٢.

^٣ السيد علي الغوري، صحيفة رسالت، ١٤/٤/١٣٦٨هـ ش.

^٤ السيد المقصودي / مجلة (زن روز) العدد: ٩٠٢.

تدخل المنطقة، ولكنكم أنتم قادة الدولة، فادرسوا الأمر بصورة مستوعبة واستشيروا الخبراء العسكريين ثم اتخذوا القرار الذي فيه صلاح النظام والمسلمين»^١.

لم يكن يخشى أي قوة

كان الإمام في جميع أعماله لا يتوجه سوى إلى الله تعالى فلم يكن يطلب سوى رضاه عز وجل، ولم أره ولا لمرة واحدة يخشى أي قوة، بل قد شاهدت فيه طوال أربعين سنة تشرفت فيها بمعرفته مظاهر هذه الشجاعة حتى في أصعب الأوضاع، فكان يرفض في أشد الأيام خطورة أن يلازمه أحد لحراسته، بل وكان يصرح بأن لا يعرض أحد نفسه لمشقة حمايته وحماية بيته!!^٢.

اسمحو للمهاجمين بالمجيء

توليت مسؤولية تنظيم برنامج لقاءات الإمام بعد انتصار الثورة. وقبل انتصارها كان أبناء الشعب الإيراني يأتون إلى قم للاستماع إلى خطاباته في المسجد الأعظم أو في منزله. وكان بعض الأشخاص في العهد السابق أيضاً يعقدون لقاءات خصوصية معه لكنه لم يكن يسمح أبداً لأي من المسؤولين الحكوميين باللقاءات الخصوصية المنفردة، فإذا حضر أحدهم عنده طلب من بعض الإخوة أن يحضروا اللقاء معه. أما بعد انتصار الثورة، فكان له نوعان من اللقاءات؛ العامة وكانت تعقد في البداية في المدرسة الفيضية حيث يتوافد عليها أبناء الشعب من جميع المدن الإيرانية لزيارة الإمام بعد عودته من فرنسا، ولكن إثر استشهاد عدد من النساء بسبب شدة الازدحام فيها؛ وإصرار الجماهير على زيارته رغم ذلك؛ اضطر إلى نقل المحل إلى الأزقة المحيطة بمنزله في قم فكان يصعد إلى سطح المنزل ويحي زائريه. إما النوع الثاني فهي اللقاءات الخاصة التي كان يعقدها في غرفة صغيرة متواضعة للغاية مع أشخاص يأتون لزيارته من داخل إيران وخارجها، وكان يلقي أحياناً خمس خطابات في اليوم في هذه الغرفة أو في ساحة المنزل، ورغم أنه كان يتعب بسبب هذه اللقاءات إلا أن شدة حبه للناس كانت تمنعه من الحد منها. وكانت آخر اللقاءات العامة التي حضرها قبل انتقاله إلى طهران هي التي استقبل فيها جمعاً حاشداً من أهالي محافظة أذربيجان الشرقية، وأثناء حديثه معهم جاءوا بخبر يقول أن عدداً من أعضاء حزب الشعب المسلم يزمعون مهاجمة منزله فقال: «اسمحو لهم بالمجيء!» فجاءوا ثم عرف أهالي قم بالأمر

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (اطلاعات هفتكي) العدد: ٢٤٨١.

^٢ السيد علي الغيوري، المصدر السابق، العدد: ٢٤٤٢.

قبيل الظهر فخرجوا بمظاهرات غاضبة ضدهم! ولعلي لم أرَ التأثر والحزن ظاهراً على الإمام بمثل ما ظهر عليه في ذلك اليوم فقد كانت هذه أول ضربة توجهها عناصر من الجبهة الداخلية ضد الثورة الإسلامية، وكانت سبباً بظهور الأزمة القلبية التي أصابته ونقل إثرها إلى مستشفى القلب في طهران. وبعد خروجه من المستشفى واستقراره في جمران وتحسن صحته نسبياً، عاود الحضور في اللقاءات العامة والخاصة واستقبال زائريه فيها، واستمر استقباله لزائريه في اللقاءات العامة كل أسبوع مرة إلى قبيل وفاته باستثناء السنة الأخيرة من حياته، حيث خصص لقاء عاماً كل أسبوعين مرة تحضره عوائل الشهداء فقط لشدة حبه لها^١.

لا يمكن وصفها بأنها حكومة

كانت كلمات ومواقف الإمام في مواجهة الحكم البعثي في العراق صرخة رفض في وسط الصمت المطبق، فكانت المرة الأولى ولعلها الأخيرة التي تكسر فيها جو الإرهاب الشديد شخصية علمائية سياسية تعيش في ظل سلطة هذا الحكم الإرهابي وتقول: «لا يمكن وصف هذه الحكومة بأنها حكومة، إنها لن تصمد في مواجهة الشعوب»^٢.

إدانة الحكومة البعثية وهو في العراق

حدث نزاع سياسي بين الحكومتين الإيرانية والعراقية أيام إقامة الإمام في النجف، فعمدت الحكومة العراقية إلى إيذاء الإيرانيين المقيمين في العراق وإرهابهم على درجة أنها أدخلت الخوف حتى على بعض الشخصيات الدينية والعلمية في النجف الأشرف، فتحدث الإمام ضد النظام البعثي في وقت لم يكن يتجرأ أحد على الكلام في ظل هذا الإرهاب، وألقى كلمته هذه في إحدى الليالي في منزله وبحضور عدد من كبير من الزوار الذين اجتمعوا فيه، وقد سجلت الكلمة على شريط صوتي وقد قال في جانب منها: «... هذه الحكومة العراقية - لو صح لي أن أسميها حكومة -...»^٣.

يدين رئيس أميركا فكيف يخاف هؤلاء؟

جاء يوماً وفد رسمي يضم (١٤) شخصاً من المسؤولين العراقيين لزيارة الإمام في النجف إثر وفد حكومي ضم أربعة أشخاص جاء لزيارة الإمام وعاد دون نتيجة. فطلب الإمام مترجماً يحضر اللقاء للقيام

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣/٣/١٣٦٩ هـ.ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني) ج ٣.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني) ج ١.

بالترجمة، فذهبت للمترجم الذي خاف من الحضور ثم اعتذر وأفصح أن هذا الوفد يضم المحافظ وهو شخص ظالم ومجرم... وأخذ يعدد ذرائه ثم طلب أن نحذر الإمام منه، فقلت له: ويحك ما تقول لقد أدان الإمام في خطاب ألقاه سنة ١٣٤٣هـ ش [١٩٦٤م] رئيس أميركا، فهل تراه يخاف من هؤلاء؟ لو نقلت له تحذيرك لطردي!! فضحك المترجم وخرج، ثم دخل الوفد الحكومي، وكنت واقفاً في ساحة المنزل ولعلمهم لم يروني أو تصوروا أنني لا أعرف العربية إذ سمعت المحافظ وقد ظهر الخوف عليه وهو يقول: ماذا أفعل عندما أدخل؟ فأجابه: قبل يد الخميني! ثم دخلوا على الإمام ونصبوا أجهزة التصوير والتسجيل دون أن يعترض الإمام إلى أن أكملوا نصبها وعندها أمرهم بجمعها وإخراجها!! باستثناء كاميرة التصوير إذ طلبوا منه أن يسمح لهم الإمام بالتقاط صورة واحدة فقط لكنه رفض بحزم. ولما أتموا كلامهم خرجوا من عنده دون أن يبدي لهم في سلوكه أو كلامه أدنى اهتمام^١.

من الذي تفاهم مع الحكومة؟!

نشرت صحيفة اطلاعات مقالاً تحدثت فيه عن حصول تفاهم بين العلماء وحكومة الشاه، فأرسل السيد الخميني رسالة شفوية لمسؤول الصحيفة واسمه المسعودي جاء فيها: «ما هذا التفاهم وأين حصل؟ ومع من؟ هل أنا الذي تفاهمت معها أم غيري، يجب توضيح الأمر» فأرسل المسعودي رسالة قال فيها أن المقال لم نكتبه نحن بل بعثته لنا منظمة الأمن (السافاك) فأجابه السيد الخميني: «إذن عليك أن تعلن ذلك في الصحيفة، وإلا أعلنت ذلك بنفسي وأدنتك» فالتمس المسعودي إعفاه وعدم القيام بذلك مكرراً الاعتذار، وفي غضون ذلك جاء العقيد المولوي رئيس منظمة السافاك في طهران، إلى قم وزار الإمام وقال له بلهجة تهديدية: إن صلاحكم أن تكفوا عن هذا الاعتراض وتكذيب صحيفة اطلاعات وإلا فنحن جنود على أي حال ولدينا واجبات، وعند هذه الكلمة صاح به الإمام: «ويحك يا رجيل! متى كنت جندياً؟! لو كنتم جنوداً لما ألبسوكم عباءة النساء لكي تفروا! نحن الجنود الذين دافعنا وندافع عن هذا البلد». فبهت العقيد ولم يقل شيئاً^٢.

^١ المصدر السابق.

^٢ كتاب (نا كفته ها = مما لم يقال) ذكريات الشهيد مهدي العراقي.

سأذهب يوم عاشوراء إلى المدرسة الفيضية

في اليوم الأول من شهر محرم الذي تلا حادثة المدرسة الفيضية استدعاني الإمام وقال لي: «اجمعوا العلماء وقولوا لهم أن يعدوا أنفسهم لكي يتحدثوا جميعاً عن القضايا الراهنة» وفي صباح اليوم الثامن من محرم ذهبت إلى قم لأقدم له تقريراً عن هذه المهمة، وأتذكر أننا كنا جالسين في ذلك اليوم في ساحة منزله، فدخل موكب للعزاء الحسيني من أهالي قم وهم يلطمون ويقرؤون أشعار الرثاء والمصاب، فسألني الإمام عن الشعارات التي يرددونها فأخبرته أنها الأشعار القديمة المألوفة فقال: «وهل هي شعارات يقرؤونها؟ لقد أقيم مجلس العزاء في منزلنا منذ ثمانية أيام، وصدع هؤلاء الخطباء المنبر ولم يقولوا شيئاً، اصعدوا أنتم وسألحق بكم أنا أيضاً» ثم قال: «أريد الذهاب إلى المدرسة الفيضية في يوم عاشوراء للتحدث فيها. فأرسلوا اثنين من السادة لكي يخطبوا فيها»¹.

¹ آية الله المحلاتي، مجلة (پاسدار إسلام) العدد: ١٠٣، وكان الإمام قد أمر - بعد وقوع فاجعة الفيضية - أن تذكر هذه الفاجعة في أشعار المراثي والمواكب الحسينية لكي لا تنسى هذه الجريمة الشنيعة التي ارتكبها الشاه.

الفصل التاسع الاستقامة والهيبة والجاذبية الروحانية

يتحدث بوقار

كانت ثمة دنيا أخرى على نصف ساعة من مدينة باريس، فهناك يقيم آية الله الخميني الذي يدل اسمه على معارضة الشاه، في منزل صغير في ضاحية باريس، ويتعرف القادم على هذا المنزل من خلال مشاهدة دوريات قوات الدرك والأمن والشرطة بسياراتها المجهزة بالرادارات، رأينا حول المنزل حشداً وقوراً من شخصيات دينية وكسبة وكادحين وجامعيين إيرانيين جاءوا من ألمانيا، تونس وانجلترا، وعندما دخلنا المحل خلعنا أحذيتنا أولاً وكأننا ندخل مسجداً، كانت غرفة صغيرة وقد جلس آية الله الخميني على فراش صغير و حوله مجموعة من الأوراق والكتب، وكان يرتدي لباساً رمادياً وعمامة سوداء، وهو يتحدث بوقار دون أن يرفع صوته^١.

يرفض أن نحمل له مظلة

لم يكن الإمام يسمح لنا بأن نحمل له مظلة تقيه من الأمطار والثلوج التي كانت تنزل عليه وهو يتنقل من منزله إلى محل عقد اللقاءات في باريس^٢.

لا يغطي رأسه بالعباءة

الإمام عدو لدود للوساوس. لم يكن يمسك بعصا ولا يستعمل المظلة ولا يغطي رأسه بالعباءة مهما كانت كثافة الأمطار وشدة البرد، كان لا يحب أن يحمل احد له مظلة وكان لا يستفيد من العصا ولا يعتقد بالتفسير الشائع الذي يرى أنه من بلغ الأربعين ولم يستخدم العصا فقد عصا^٣.

يكره الباطل منذ صباه

ينقل السيد بسنديدة [شقيق الإمام] أن الإمام كان في حادثته أفضل فتیان خمين في مسابقات الركض، وكان صاحب الرقم القياسي بين أقرانه في القفز وهو ابن ثمان أو تسع سنين، وقد كسرت قدمه مرة بسبب ذلك، ويقول احد رفقائه في اللعب في تلك الأيام، أنه لم يكن من أحد من فتیان محلة «سنبري

^١ مراسل صحيفة الفيغارو الفرنسية، باريس سنة ١٩٧٨م.

^٢ السيد مصطفى كفاش زاده.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

كاران» - حيث كان يقيم الإمام في خمين - يجرأ على استخدام الكلمات النابية أو القيام بالأفعال المشينة والباطل خوفاً منه^١.

هيئته سيطرت على الشاه

يبدو لي أنها كانت سنة ١٣٣٤هـ ش، ١٩٥٥م عندما نفذ المرحوم الشهيد ذو القدر وبأمر من المرحوم الشهيد نواب صفوي، وفي مسجد شاه محاولة اغتيال «علاء» رئيس وزراء الشاه الذي كان يستعد للذهاب إلى العراق لتوقيع معاهدة حلف بغداد، ولكن الرصاصات لم تصبه، وإثر ذلك أمر «علم» وزير الداخلية باعتقال أعضاء منظمة «فدائيان إسلام» وأشيع يومها أن النظام ينوي إعدامهم، وكان الشاه قد سافر مع زوجته ثريا إلى الهند، فألح عدد من الأشخاص على السيد البروجردي القيام بعمل لإنقاذ أعضاء منظمة فدائيان إسلام، لكن السيد البروجردي لم يقدّم مؤثر في هذا المجال، فاضطر الإمام إلى أن يكتب بنفسه رسالة إلى الشاه الذي كان قد التقاه مرتين بأمر السيد البروجردي وقال إثر عودته من إحداهما: «لا أحب أن أثنى على نفسي، ولكن هيئتي سيطرت على الشاه فأفقدته السيطرة على لسانه»^٢.

يسير بوقار ورزانة

في بداية دخولي الحوزة تعرفت في ساحة المدرسة الفيضية على سيد لم يكن معمماً يومئذ اسمه السيد مصطفى، وكنت أراه يأتي ويذهب من المدرسة دائماً برفقة سيد وقور للغاية يسير برزانة وسكينة يرتدي ملابس مرتبة ويديم الإطراق إلى الأرض، فسألته يوماً فسألته يوماً عن هذا السيد الجليل فقال: إنه أبي^٣.

وكان ذا هيبة خاصة

كان الإمام ذا وقار وهيبة خاصة، ينظر إلى أمامه دوماً أثناء سيره ولا يلتفت، وكان نظيفاً ومرتباً جداً^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، من كلمة له في إحدى الجبهات الجنوبية أيام الحرب المفروضة.

^٢ آية الله الشيخ صادق الخليفي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد حسن المرتضوي اللنكرودي، (خطوات في اثر الشمس) ج ٤ ص: ١٣٩.

ولا يلتفت أثناء مشيه

كان الإمام يتميز عن بعض أساتذة الحوزة بوقار خاص، كان يتمشى بوقار وطمأنينة مشهودة دون أن يلتفت يميناً وشمالاً لكي يرى من حوله أو يتفرج على الغادين والرائحين، وكان يتنقل عادة مشياً على الأقدام، وكل ذلك كان يشكل علامة لسمو روحه وبهذا كان يقدم للطلبة درساً عملياً فيما ينبغي أن يكونوا عليه^١.

لم نكن نستطيع النظر على عينيه

من النعم الجليلة التي حظيت بها في حياتي، هي مجاورة بيت الإمام، فمند وعيت كنا نسكن في محلة «يخجال قاضي» في مدينة الشهادة والثورة قم، وهي المحلة التي يقع فيها بيت الإمام، وذكرياتي عنه ترجع إلى ما قبل حوادث سنة ١٣٤٢هـ ش، ١٩٦٣م، وقد لا أستطيع - بحكم صغر سني يومذاك - أن أتحدث عن عظمة شخصيته بكل أبعادها وصفاتها المعنوية والإلهية السامية، ولكنها رغم ذلك نفذت أبعادها إلى أعماق روحي وقلبي منذ طفولتي إلى درجة أصبح معها الإمام أسوة كاملة لي في مراحل حياتي اللاحقة؛ لقد كان شديد الالتزام بالمسائل الشرعية في ابسط الشؤون الحياتية، كما كان يتابع القضايا الاجتماعية، وكنت أشعر - حتى في طفولتي - بالهيبة والوقار الخاص متجلين فيه، ولذلك لم نستطع مثلاً التحديق في عينيه أبداً بل وحتى النظر المباشر لهما، ولو لفترة قصيرة، ورغم أننا كنا نلتقيه باستمرار في الأماكن العامة والمساجد لكننا كنا نهاب حتى من أن نكلمه أو أن نتحدث في محضره، وعندما كنت طفلاً أَلعب مع الأطفال، كنا غالباً نعرف قدومه من صوت الطلبة الذين كانوا يطرحون عليه أسئلتهم عند سيره في الزقاق، وعندها كنا نقطع لعننا أو حديثنا ونقف جانباً فإذا وصل إلينا سلمنا عليه^٢.

هزرتي نظرته الخاطفة لي

سألت الدركي الذي كان يقف على حافة الطريق للحراسة عن بيت آية الله الخميني، فأشار إلى منزل صغير ومتواضع يقع إلى الجانب الآخر من الشارع، فأثار الأمر استغرابي، لأنني لم أكن أتوقع أن يسكن زعيم الشيعة في مثل هذا المنزل المتواضع للغاية! ولم يسألني الدركي عن هويتي وعلة سؤالي عن منزل آية الله الخميني، لكنني بادرت إلى تعريف نفسي كمراسل للمجلة الأسبوعية «باري ميج» وأنني قد

^١ آية الله الشيخ محمد اليزدي، المصدر السابق، ص ٣١٤.

^٢ السيد حسن شير زاد، مجلة (شاهد) العدد: ١٨٦.

جئت لزيارة آية الله الخميني وإجراء مقابلة معه، فقال لي : عليك الانتباه إلى لزوم أن تخلع حذاءك قبل الدخول إلى المنزل!

بعد أن خلعت حذائي دخلت غرفة خالية من الأثاث لم أر إلى ذلك الحين نظيراً لها إلا في المباني التي اكتمل بناءها حديثاً ولم تسكن بعد! لم أر فيها أي أثاث سوى قطعة بساط متواضعة مفروشة على الأرض، لم يكن يوجد شيء سواها يجذب الأنظار في تلك الغرفة التي كانت تضاء بمصباح عريان معلق بسلك في سقفها . . ثم عرفت نفسي وقدمت بطاقتي الصحفية وقلت أنني جئت لإجراء مقابلة مع الإمام، فعرفني رجل ملتحي ومؤدب للغاية بمؤلف كتب عن حياة الإمام، لكنني قلت - وقد أظهرت نفاذ صبري: إنما جئت للقاء الإمام فلماذا لا تخبروه بحضوري؟ أجابوني: إن آية الله يستعد لإقامة الصلاة فقد حان وقتها وستراه عند خروجه كان يسير بخطوات هادئة، فأثر فيّ للغاية وقاره وسكينته وقد كانت المرة الأولى التي أراه عن قرب؛ توقف عندي لحظة لا تتجاوز مدتها الثانية الواحدة ونظر إليّ نظرة واحدة لم تستغرق مدتها الثانية الواحدة أيضاً لكنها هزنتني من الأعماق، ولم تكن هذه الهزة الوجدانية ناتجة من الرهبة أو الاستغراب بل كانت نتيجة لشعور خاص لا يمكنني وصفه وحرى بي أن أقول أنني لست من مؤيدي آية الله الخميني أو الملك الإيراني ولا من معارضي أي منهما، كما أنني لست حديث العهد بالعمل الصحفي، ولم تكن المرة الأولى التي التقى رجلاً سياسياً مشهوراً لكي أتأثر بشخصيته نتيجة لقلّة تجربتي أو لسذاجتي، لكنني خضعت لتأثير هذا الرجل بتلك النظرة الخاطفة! .
شخصيته تخضع القلوب وتجذب الجميع

لقد تأثر زملائي الذين التقوا الإمام الخميني للمرة الأولى في نوفل لوشاتو بشخصيته الروحانية التي تنفذ للأعماق وبسكينته وصلابته في مواجهة الحوادث الصعبة، . . . كانت له شخصية قوية جداً تفرض على كل القلوب الاحترام العميق لها وتجذب كل إنسان بقوة، كانت له جاذبية لا تقاوم، لقد حضرت إلقائه إحدى خطاباته في حسينية جمران على جمع من المسلمين الأجانب بمناسبة ذكرى انتصار الثورة

¹ مراسل مجلة «باري ميج» الفرنسية، مجلة (مرزداران) العدد: ٥٣.

الإسلامية، فأثر في قلبي صوته الصافي، المفعم بالهدوء والسكينة والطمأنينة الخالي من أي ارتعاش، ومما لا شك فيه أن اجتماع هذه الصفات في شخص كهل يمثل سن الإمام يثير العجب في كل إنسان^١.

ثابت القدم وذو رؤية بعيدة المدى

لم يكن الإمام يظهر حالاته الروحية ومشاعره، كان يتحدث بلهجة هادئة ومطمئنة، ويحلل الأمور بعمق قبل أن يتكلم، وكان دائماً في سعي دؤوب لتحقيق أهدافه، وأعتقد أن من المقومات الأساسية لشخصيته هي أنه ثابت القدم ومقاوم وعميق ومفكر وذو رؤية بعيدة المدى^٢.

امتنع عن الاستعانة بالآخرين لصعود المنصة

كانت المنصة التي وضعت للإمام في مقبرة «جنة الزهراء عليها السلام» عالية، لذلك انحنى أحد العلماء المجاهدين لكي يصعد الإمام على ظهره ثم يرتقي المنصة، لكن الإمام رفض، وبقي واقفاً حتى عشروا على كرسي لكنه لم يصعد عليه حتى ابتعد عنه أشخاص أرادوا إعانته على الصعود، ثم صعد بنفسه على الكرسي ثم على المنصة^٣.

يمشي بخطوات رزينة وقامة مستقيمة

كان الإمام يسير في الشارع على الجانب الأيمن مثل مسير السيارات، وخطواته تشبه خطوات المسيرة العسكرية، وكانت قامته عند المشي مستقيمة ورأسه مرفوعاً، وهو يتجنب وضع العباءة على رأسه أو الإطراق بها حتى عند نزول الأمطار رغم أن ذلك عند غيره أمر طبيعي وغير إرادي عادة^٤.

يلتزم الصمت إلا إذا سألته سائل

كان الإمام يلتزم الصمت عادي في المجالس إلا إذا سألته أحد عن شيء فكان يتجنب المؤلف لدى البعض من المبادرة إلى الكلام في المجالس والإعراب عن آرائهم في القضايا المختلفة، أجل إذا سئل عن شيء أجاب بأجوبة دقيقة^٥.

^١ السيد قاندي، صحفي فرنسي.

^٢ السيد مالارد، صحفي فرنسي.

^٣ السيد محمد كاظم نيكنام، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٥٩/١١/١١ هـ ش.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني) ج ١.

^٥ حجة الإسلام والمسلمين أحمد الصابري الهمداني، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣ ص ٢٧١.

التعامل هناك بذاك النحو

قلت لأخي يوماً: إنني أرى للإمام وجهين متباينين، فهو داخل المنزل فريد في تعامله الودود، أما في خارجه وفي غرفة الاستقبال «البراني» فهو جدي للغاية، وقد زرته في «البراني» وسألته عن شيء وأجابني قلت له: فلماذا يختلف تعاملك يا سيدي هنا وهناك؟! أجبني: «التعامل هناك بذاك النحو!» ولا جرأة لنا على تكرار القول، كما أننا لا نجرأ على إطالة النظر في عينه التي كانت تمتاز بنظرات نافذة وقوية تجعلنا نظرق برؤوسنا لا إرادياً، أما في داخل المنزل حيث نحظى بكرامة الجلوس معه على مائدة واحدة، فإننا نجده في غاية اللطافة ويقرن إجابته على أسئلتنا بالبسمات عادة^١.

يجيب أحياناً بصوت قوي حفظاً لوقت الآخرين

كان الإمام وقوراً رزيناً هادئاً، إذا جلس التزم الصمت والسكون مهما طال جلوسه ما لم يكلمه أحد فيجيبه: أجل كان أحياناً يجيب على أسئلة الطلبة في الدرس بصوت قوي يجعلهم يكفون عن الإفراط في النقاش، ويحفظ بذلك وقت سائر الطلبة من الضياع^٢.

المفتاح هنا

كان الإمام يساعدنا حتى في الأعمال البسيطة، أتذكر أن السيد أحمد كان عنده في الغرفة فقال له: «أعطني المفتاح الذي على الرف» فنظر السيد أحمد إلى الرف وقال: لا يوجد هنا مفتاح! فأجابه: «أنظر جيداً، المفتاح على الرف» فعاود النظر ولم يجده، فنظر له الإمام نظرته المهابة الخاصة فتراجع السيد أحمد، وقام الإمام بنفسه ووجد المفتاح على الرف وقال له: «أنظر، إنه هنا»^٣.

كان قليل الكلام

كان الإمام قليل الكلام، لكنه إذا تكلم كان كلامه جامعاً شافياً، وعموماً فإن من صفاته البارزة الصمت إلا في موارد الضرورة^٤.

وكثير التفكير في جميع أحواله

أمتاز الإمام بحالة خاصة من الوقار والسكينة والهيبة المقترنة بغاية التواضع، وكان صامتاً قليل الكلام في معظم أوقاته، لا يتكلم إلا بمقدار الضرورة، وكلامه كان محسوباً بدقة وموزوناً وقصيراً وكان في غير

^١ حجة الإسلام والمسلمين حسن الثقفي، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ١ ص ١٤٠.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٦.

^٣ الحاج عيسى الجعفري.

^٤ آية الله الشيخ جعفر السبحاني.

اللقاءات العامة التي يخطب فيها، يقلل الكلام ويكثر التفكير، تراه متفكراً في جميع أحواله ويستفيد من أوقاته بأقصى مقدار ممكن^١.

وجدته ذا هيبة مميزة

زرت الإمام في بدايات إقامته في النجف، فوجدته ذا هيبة مميزة يلتزم عادة الصمت في المجالس إلا أن يسأله أحد سؤالاً فيجيبه^٢.

يتكلم بوسائل عدة!!

لا أتذكر أنني سمعت أبداً ولا كلمة واحدة غير ضرورية من الإمام طوال السنين التي كنت أحضر عنده كل صباح ما بين عشرين إلى خمسين دقيقة أيام إقامته في جمران، كانت تعرض عليه الكثير من الأسئلة المهمة فكان يجيب على بعضها بالسكوت، وعلى بعضها الآخر بنظرة أو بإشارة بيده، أو بكلمة، أو بجملة أو أحياناً بمزيج من اثنين أو أكثر من هذه الأساليب في الجواب مقرونة بابتسامة أو بتقطيعة للحاجبين! يضاف إلى ذلك أن طبيعة صوته أثناء الجواب تكشف بدقة بالغة درجة اهتمامه أو تأكيده على موضوع السؤال^٣.

لا يتجراً أحد على الغيبة في محضره

في الاجتماعات اليومية التي كانت تعقد في النجف الأشرف في بيت الاستقبال في منزله «البراني» والتي كان يحضرها لمدة نصف ساعة كل يوم يتوجه بعدها لزيارة الحرم العلوي المطهر، كان الإمام يلتزم الصمت الكامل إلا في الموارد الضرورية التي يرى أن من اللازم أن يتكلم فيها بشأن بعض الأمور، وقد جاءني يوماً أحد علماء النجف وقال بتعجب: ما اشدَّ صمت هذا السيد الجليل! ولم يكن أحد يتجراً في حضور الإمام على أن يغتاب شخصاً أو يتكلم عن آخرين في غيبتهم^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني، صحيفة (جمهوري إسلامي) ملحق خاص بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد مرتضى الأردبيلي الأبركوهي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عبد العلي القرهي، مجلة (اطلاعات هفتگی) العدد: ٢٤٤٢.

يجتنب الجدل والنقاش بدافع التفاخر

كان للإمام باع طويل في المباحثات العلمية وفي مناقشة الآخرين وتمييز الصائب منها من غيره، وفي الإجابة على الإشكالات العلمية، لكنه كان يلتزم الصمت إذا كان البحث والنقاش جدلياً محضاً أو بهدف التفاخر، فلا يتكلم حينئذ بل يكتفي بالإصغاء إلا أن يوجه إليه سؤال فيجيب عليه^١.

هيئته سلبتي القدرة على الكلام

أذكر أن عظمة شخصيته عليّ بالكامل في المرة الأولى التي زرته فيها وإلى درجة سلبتي القدرة على التكلم وعرض السؤال الذي أردت طرحه عليه، وكانت هذه الهيبة صفة ملازمة له، فانتبه الشهيد السعدي - وكان من قدماء تلامذة الإمام ومن أفاضل الذين يحضرون درسه - إلى حالتي فأخذ سؤالي وعرضه على الإمام الذي أجاب عليه^٢.

الهيبة والوقار مع شدة التواضع

كان الإمام جميل البيان في تدريسه، يبين المطالب العلمية بأفضل بيان، وكان يحضر درسه عدد من الطلبة، وكان رؤوفاً بطلابه يتجنب التكلف في التعامل معهم لكنه - إلى جانب ذلك - كان يتميز بقوة الشخصية والهيبة والوقار وقد اشتهر بذلك رغم شدة تواضعه^٣.

يبتسم مودة

قلما شوهد الإمام يضحك أو يمازح طلبته في المحافل العامة، فإذا أراد الإعراب عن شدة مودته لأحد الطلبة ابتسم في وجهه، وكان هذا كافياً لنا^٤.

كل حركاته وسكناته على وفق الآداب الإسلامية

بحكم قوة شخصيته الاستثنائية، تميز الإمام بجاذبية خاصة لا يمكن معرفة أسرارها بدقة، كان يجذب الإنسان بكل حركاته وسكناته التي كانت جميعاً وفق الآداب الإسلامية بنظراته، بطريقته في بيان القضايا

^١ آية الله الأميني، مجلة (پیام انقلاب) العدد: ١٠٥.

^٢ آية الله الصانعي، المصدر السابق. العدد: ٦٠.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسن الروحاني، مجلة (زن روز) العدد: ٨٥١.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين أحمد الصابري الهمداني، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣ ص ٢٧١.

والنطق بالكلمات وحتى بارتفاع أو انخفاض صوته، لقد انجذبت إليه بقوة وعشقتة منذ اليوم الأول لحضوري درسه^١.

يتميز بحالة روحانية خاصة

كان سلوك الإمام عند دخوله المدرسة الفيضية أو حضوره في المحافل الدينية أو الاجتماعية، يجذب إليه كل من يراه ويجعله يرغب في إطالة النظر إليه، وكان يتميز بذلك، كان يتميز بحالة روحانية عالية يشعر بها كل من يتعامل معه حتى لو لم يكن يعرفه من قبل^٢.

من يراه يذهل عن غيره

من الخصوصيات البارزة التي كنت أراها في الإمام والتي لا زالت عالقة في ذهني، حالة الوقار والسكينة والاتزان في جميع الحركات والسكنات. إضافة إلى ما حباه الله تعالى من طلعة وسيمة منيرة وقامة معتدلة، كان يتميز بالالتزام بأن تكون كريمة كرتبة وكذلك حال عمامته وملابسه التي كانت تتميز بشدة نظافتها، وكان لا يلبس إلا المصنوع داخل البلد، كما كان يتميز بنظرات نافذة يوجهها في المواقع المناسبة، وبحركات متزنة في قيامه وقعوده، وبطريقة جاذبة في تحدثه مع الآخرين، وبحالة عميقة من السكينة والوقار أثناء مشيه، وغير ذلك من خصوصياته التي كان يحس بها وينجذب إليها كل من يراه بقوة، فكان كل من يراه في مجلس أو في زقاق أو في الحرم المطهر للسيدة المعصومة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام ينشد إليه ويتابع النظر إليه مدة يذهل عما حوله^٣.

نسي الصحفي أسئلته وطلب موعظة وإرشاد

قرأت في احد الصحف العلمانية التركية مقالا طريفاً لكاتب كان قد أساء القول في الإمام بما استطاع كما هو حال باقي كتاب الصحف التركية قبل انتصار الثورة الإيرانية، ثم حدث له أمر جدير بالملاحظة خلال لقائه بالإمام لإجراء مقابلة صحفية، يقول هذا الكاتب الصحفي: حملت معي قائمة طويلة من الأسئلة البلهاء وأنا اذهب للقاء الإمام من قبيل: كيف سيكون وضع الأقليات الدينية؟ ماذا سيفعلون بالنساء؟ هل قررتن تدمير المصانع؟... لكن هذا الكاتب الصحفي عندما دخل على الإمام أصابته حالة

^١ حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوئيني ها، مجلة حوزة، العدد: ٣٧-٣٨.

^٢ آية الله محمد الإمامي الكاشاني.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج٦.

خاصة من التأثر والاضطراب والخجل جعلته يلتزم الصمت ويعرض عن طرح الأسئلة، وكل ما طلبه من الإمام هو أن يقد له نصيحة وموعظة فيما يرتبط بحياته الخاصة ويرشده، فأوصاه الإمام بأن يتعرف على الإسلام ويقيم مناسكه العبادية^١.

يتبسم إعجاباً

س: في إحدى مقابلاتكم الصحفية مع الإمام طرحتم عليه سؤالاً أضحكه، فما قصة ذلك؟
ج: أجل، لقد كانت تلك اللقطة مثيرة لانتباه الناس كثيراً، لأنه كان عادة لا ينظر إلا نادراً للذي يجري معه مقابلة صحفية، فإذا وافق على إجراء جلس على البساط في غرفته وأخذ بالإجابة على الأسئلة وهو مطرق للأرض عادة، وكان هذا حاله أيضاً في المقابلة التي أجريتها معه بتاريخ (١٩٧٨/١٢/٢٣م) وكان الدكتور يزدي حاضراً فيها للترجمة، وكنت أعرف أنه ينوي توجيه بيان للبابا ومسيحي العالم فسألته: هل تسعون إلى أن يكون البابا حليفاً لثورتكم وما هي رسالتكم له؟ فرأيته فجأة يرفع رأسه ويتبسم قبل أن يجيب على سؤالتي، ثم سألت الدكتور يزدي عن علة ابتسامه الإمام فقال: لقد أعجبه سؤالكم فأعرب عن إعجابه بهذه الابتسامه، وكانت المرة الأولى التي أراه فيها مبتسماً^٢.

لا يغطي رأسه بالعباءة أو المنديل

لم نر الإمام أبداً لا في البرد ولا في الحر يفعل ما يفعله العلماء من تغطية الرأس بالعباءة، أو ما كان يفعله علماء النجف من وضع منديل كبير على العمامة وشده تحت الحنك اتقاء للبرد، وكانت تلك الحالة سيئة المظهر، وفي المقابل كان يلتزم بالإمساك بطرف عباةته وضمه إلى صدره لكي لا يحركها الهواء أثناء المشي^٣.

نشعر بروحانية خاصة عند الاستماع لكلامه

انتبهنا مرة إلى أن عدد من الجامعيين الفرنسيين يحضرون كل ليلة للاستماع إلى خطابات الإمام، فسألناهم - بواسطة أحد الإخوة الذي كان يجيد اللغة الفرنسية -: هل تعرفون اللغة الفارسية وتفهمون ما يقوله الإمام؟ فأجابوا: نحن لا نعرف الفارسية ولا نفهم شيئاً مما يقوله الإمام! فسألناهم لماذا تحضرون

^١ السيد حامد الغار، كتاب (الثورة الإسلامية في إيران).

^٢ السيد ملارد، صحفي فرنسي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ علي الدواني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج٦.

إذاً كل ليلة إلى هنا وتسمعون لكلامه؟ فقالوا: إننا نشعر بحالة روحانية خاصة عندما نحضر ونستمع لكلامه!

لا تفقدوا اتزانكم في ظل أي ظرف

قبل اعتقال الإمام راجت إشاعة خروج الشاه من إيران، وكانت الأجهزة الحكومية في قم تقوي هذه الإشاعة، فسحبت الشرطة من المراكز وقطعت الكهرباء عن بعض مناطق مدينة قم، وأخذ الأهالي يتبادلون التبريكات في الأزقة، واجتمع جمع حاشد في منزل الإمام وأكد أحدهم صحة الخبر بصورة جازمة، وأصر الأهالي والطلبة أن يذهب الإمام إلى الحرم كتعبير عن الشكر على هذا النصر وعندما لاحظ إصرارهم قال: دلا تفقدوا اتزانكم في ظل أي ظرف حتى لو سمعتم خبراً ما». فنفرق السادة إثر ذلك وأحبطت المؤامرة التي يحيكها العدو بترويج تلك الإشاعة^١.

قام بهيبة وسرعة قبل أن يكمل المترجم الترجمة

حلت الساعة الثامنة في صباح اليوم الذي حضر فيه وزير الخارجية السوفيتي «ادوارد شيفر نادزة» لتسليم رسالة «غورباتشوف» الجوابية، والإمام لم يدخل غرفة اللقاءات كما هي عادته في كل يوم، وبقي وزير الخارجية السوفيتي ومسؤولي وزارة الخارجية في الجمهورية الإسلامية، واقفين ينتظرون قدومه إلى الساعة والنصف حيث دخل الإمام وتوجه فوراً - دون أن ينظر إلى أحد - وجلس في مكانه المعتاد، فجلس وزير الخارجية السوفيتي على الكرسي الذي وضع له.

رئيس الجهاز الدبلوماسي للقوة الشرقية العظمى الذي كان يظهر باستمرار في المحافل الدولية والقصور الفخمة للدول الغربية القوية وهو يتحرك بخطوات واثقة وبوجه يحكي قوة حكومته كما أظهرت ذلك التقارير الخبرية المصورة مراراً، وجد نفسه هذه المرة - ولعله للمرة الأولى - يحضر لقاء رسمياً بحالة أخرى تختلف كثيراً عما اعتاده، لقد خلع حذاءه ودخل حافياً غرفة صغيرة متواضعة للغاية ووقف على بساط قديم قد تغير لونه، لذلك ظهر هو أيضاً بحالة أخرى بدت عليه آثارها مثل الرعشة الخفيفة التي بدت عليه بوضوح وهو يقرأ رسالة غورباتشوف الجوابية.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد المحتشمي، كتاب (أزهار بساتين الذكريات).

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ التوسلي، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ١٣

لقد بدت عليه هذه الحالة المضطربة منذ اللحظة الأولى لجلوسه على الكرسي في مقابل الإمام، وقد ظهر الاضطراب واضحاً عليه في جلوسه غير المستقر ووضع رجليه، وقد بقي على هذه الحالة إلى أن انتهى من قراءة الرسالة؛ وطوال مدة اللقاء ظهر الجمود على جميع أجزاء بدنه وكأنه تمثال باستثناء الرعشة الخفيفة التي كانت تظهر على رأسه ويديه.

أما المترجم الذي وصفه الخبراء بأنه يتكلم الروسية بطلاقة؛ والذي حضر اللقاء للقيام بمهمة الترجمة، فلم يستطع ترجمة ولا جملة واحدة بدون تلوؤ وكان يسعى للتغطية على ذلك بإظهار سعال متكلف وتنقية حنجرتة.

وبعد الانتهاء من ترجمة رسالة غورباتشوف، تكلم الإمام فوراً وعلى مدى حدود دقيقة واحدة وقال ثلاث عبارات أعرب في الأولى - وبكل صراحة بعيداً عن المجاملات الدبلوماسية - عن أسفه لعدم اهتمام السيد غورباتشوف بالصورة المطلوبة بالموضوع الأساسي الذي احتوته رسالة الإمام إلي؛ ثم وقبل أن يكمل المترجم ترجمة العبارة الثالثة من كلامه، قام الإمام لغادرة الغرفة بهيئة من الهيبة والسرعة في الحركة أو وجدت حالة غير مألوفة لم تسمح لأحد بأن يتحرك من مكانه فضلاً عن القيام لمصافحة الإمام أو تقبيل يده¹.

لازلت أشعر برعشة خاصة

قال خالي [السيد احمد] يوماً: لازلت إلى الآن وبعد كل هذه السنين التي عشت فيها مع الإمام اشعر برعشة خاصة في بدني، كلما ناداني لما أراه فيه من هيبة وصلابة².

الفصل العاشر

الجدية والاجتهاد في العمل والنشاط العلمي

كان يديم المطالعة

كان الإمام - على ما أتذكر - يطالع ويقرأ باستمرار، وكان يلقي دروسه في مسجد «السلامي» في قم، يذهب للتدريس عصر كل يوم قبل ساعة ونصف من غروب الشمس ثم يعود إلى المنزل، كما كان

¹ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان.

² حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردي.

يذهب للتدريس قبل الظهر ثم يعود، وكان ينام بعد طعام العشاء، وينشغل بالمطالعة بعد صلاة الفجر أيضاً.

لا يتوقف عن المطالعة إلا عند سماع الأذان

كان يحدث كثيراً أن نجلس عند الإمام من الصباح إلى الظهر في الغرفة وهو مشغول بالمطالعة طوال ذلك دون أن يتكلم إلا أن يوجه أحد إليه سؤال فيجيب بمقدار الضرورة، فلا يتوقف عن المطالعة والتحقيق إلا عند سماع أذان الظهر وعندها يضع القلم ويتهياً لإقامة الصلاة^١.

شدة التزامه بالدرس

السيدة مصطفوي: أمه سمعت أن زواجك كان في شهر رمضان، وكان ذلك خلاف المتعارف بين الناس، فما هو سر ذلك؟

زوجة الإمام: السر هو أن الدروس كانت تتوقف في شهر رمضان!

السيدة مصطفوي: هل أن هذا يعني أن الإمام كان ملتزماً بالدراسة إلى درجة لم يكن معها مستعداً لتعطيلها حتى من أجل زواجه؟!

زوجة الإمام: أجل، كان شديد الالتزام بالدراسة، فقال: إن شهر رمضان مناسب لإقامة مراسم الزواج لتوقف الدراسة فيه!!^٢.

لم يتغير برنامجه في المطالعة يوم وفاة نجله

لم يؤد استشهاد المرحوم السيد مصطفى إلى وقوع أدنى اضطراب لا في الحالة الروحية أو الفكرية للإمام ولا في نظم برنامجه اليومي، وكان قد خصص ساعة كل يوم لقراءة الكتب الجديدة التي تصله، فمثلاً كان يقرأ جميع كتب المرحوم الدكتور الشريعتي، وكان يحب مؤلفات الشهيد المطهري وكان يؤيدها هي ومؤلفات السيد الطلقاني، أما فيما يرتبط بكتب الدكتور الشريعتي فكان يعتقد أنها لا تشمل على انحرافات كثيرة تسوغ كل تلك الاعتراضات والهجمات الموجهة ضدها. وأتذكر أنه كان في أيام استشهاد السيد مصطفى يقرأ كتاب «طلوع انفجار» من تأليف «حاج سيد جوادي». يقول السيد أحمد:

^١ السيدة زهراء المصطفوي.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، من كلمة له في إحدى الجبهات الجنوبية أيام الحرب المفروضة.

^٣ مجلة (ندا) الفصلية، العدد: ١٢.

عندما عاد الإمام من مراسم تشييع جنازة ولده، فتح في الوقت اليومي المخصص للقراءة كتاب «طلوع انفجار» وتابع مطالعته فيه^١.

علمنا بعلمه لزوم الاجتهاد في العمل

كان برنامج حياة الإمام يختلف عما كان مألوفاً لدى زملائه في أيام الدراسة، فهم كانوا يلتزمون بإمامة صلاة الجماعة، ويذهبون في أشهر محرم وصفر ورمضان للخطابة وأمثال ذلك. أما الإمام فكان يتميز بتوجيه كل جهده للمطالعة والتحقيق مبنياً لم بذلك أهمية هذا الأمر عملياً، لم نكن نراه يتصدى أبداً لإمامة الصلاة اللهم إلا أن يأتى به احد عند إقامته للصلاة، وكان سر ذلك أنه خصص معظم وقته للمطالعة والتحقيق.

أتذكر أنه كان يأخذنا في شهور الصيف إلى منطقة «دركه» أو مدينة «محلات» وأمثالها لكي نقضي فيها هذه الشهور الثلاثة التي تتعطل فيها الدراسة، وبقي ملتزماً في فصل الصيف على مدى عشر سنين أو خمسة عشر عاماً؛ إذ كنا صغاراً وكانت شدة الحر في صيف قم مؤذية، يضاف إلى ذلك أن الهواء الطيب في تلك المناطق يوفر له الأجواء المناسبة للعمل وللطاقة، لكننا طوال هذه المدة لم نره ولا مرة واحدة يذهب إلى حفل ضيافة ومأدبة أو يخرج إلى الشارع، فكان يتوجه فور نزوله من السيارة إلى المنزل الذي نقضي به أيام العطلة، فيفرش بساطاً في جانب الظل من ساحة المنزل وينهمك بالعمل العلمي إلى أن تصل أشعة الشمس إليه فيقوم حينئذ لتجديد الضوء وإقامة الصلاة ثم تناول طعام الظهيرة ثم يستريح ليقوم عصراً بفرش البساط نفسه على الجانب الآخر من ساحة المنزل وينهمك في عمله، وكان بذلك يقدم لنا درساً عملياً بلزوم الاجتهاد في العمل^٢.

كانت كثرة الكتب حوله تمنع من رؤية شخصه!

كنت أرى الإمام - منذ وعيت - في وسط كتبه دائماً، وعندما كنت أدخل عليه لتقديم الشاي، كنت أرى كتباً كثيرة مفتوحة بين يديه وحوله وهو منهمك بالمطالعة والتحقيق، وكانت الكتب من الكثرة

^١ حجة الإسلام والمسلمين الدعائي، صحيفة اطلاعات، ١٣٥٩/٨/٣ هـ.ش. ويقول المرحوم جلال آل أحمد [الكاتب الإيراني المحقق] في حديث له عن لقائه بالإمام: «أثار تعجبي الشديد أنني شاهدت كتابي «التغريب» الذي كان خرج حديثاً من المطبعة، وكان يطالعه فقلت لسماحته: ما شأنكم بمثل هذه الكتابات التافهة!!».

^٢ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٤٩.

بحيث كانت تمنع عن رؤية شخصه أحياناً، كان الإمام يقضي معظم أوقاته في البيت وهو منشغل بنشاطاته العلمية، فلا يخرج من المنزل إلا قبل ساعة ونصف من غروب الشمس يذهب فيها للتدريس^١.

قرأ معظم كتب القصص المعروفة

لا تسنح الفرصة هذه الأيام للإمام لقراءة الكتب القصصية، لكنه كان في السابق - مثلاً عندما كان في النجف - يقرأ لعله مئات الصفحات من الكتب كل يوم، بينها قصص أو كتب اجتماعية، كان يأتي بعدة كتب فيقرأ عشرين صفحة من هذا الكتاب وعشر صفحات من ذلك وخمس عشرة صفحة من الثالث، لقد قرأ معظم كتب القصص المعروفة سواء ذات الاتجاه السياسي أو الاجتماعي، مثل كتاب «نهرو» المعروف باسم «نظرة إلى تاريخ العالم» أو كتاب قصة «زوج السيدة الغزالة» الذي قرأه بالكامل!! أريد أن أقول أن الإمام يقرأ مثل هذه الكتب^٢.

يطالع المجلات ومقالات الصحف

كان الإمام كثير المطالعة والقراءة، ولعلي أستطيع القول بأنه قرأ جميع كتب «كسروي» وقرا جميع الكتب العرفانية، كما كان يطالع المجلات ومقالات الصحف في الوقت الذي لم تكن مطالعتها شائعة بين الناس^٣.

قرأ مؤلفات معظم الكتاب العالميين الكبار

الإمام يحب القراءة والمطالعة ولا زال يقرأ حتى تتعب عيناه، وأتذكر أننا عندما كنا نذهب في الصيف أيام العطلة إلى إحدى المدن أو نأتي إلى طهران، كان يكثر من مطالعة الكتب المتنوعة حتى ملّ الذي كانوا يأتونه بها. لقد قرأ مؤلفات معظم الكتاب العالميين الكبار، فهو أكثر علماء الدين مطالعة للكتب ذات الموضوعات الاجتماعية أو السياسية، قرأ تاريخ إيران مراراً وهو على اطلاع دقيق بتاريخ مجريات النهضة الدستورية^٤.

^١ السيدة فريدة المصطفوي، صحيفة اطلاعات ١١/١٢/١٣٦٠هـ ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام انقلاب) العدد: ٦٠.

^٣ آية الله صادق الخليلي.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (جهاد روستا) العدد: ٧٥.

المطالعة من أجل معرفة أفضل بمسار الحوادث

يقضي الإمام معظم أوقاته في المطالعة والقراءة لكي يكون على معرفة أفضل بمسار الحوادث داخل إيران وخارجها، ولعله يخصص لذلك ما لا يقل عن ثمان ساعات يومياً، وأبسط ما يقرأه هو جميع الصحف الصباحية والمسائية، والطريف أنه إذا تأخرنا عن تسليمه الصحف في الموعد المقرر خمس دقائق جاء إلى خلف الباب وسأل عنها^١.

التنوع في المطالعات

يشتمل برنامج الإمام العملي على مطالعات في التاريخ أو التفسير أو كتب الأخلاق والحديث، فهو يطلب أحياناً مثل هذه الكتب ويستفيد منها في الفرص المناسبة^٢.

قبل تسلمه القيادة

كان الإمام في زمان مرجعية السيد البروجردي وقبل تسلمه لمسؤولية قيادة الجهاد، منهماك في المطالعة والدراسة إلى درجة أننا أحياناً لم نكن نراه إلا على مائدة الطعام أو لعشر دقائق في المساء^٣.

لا ينام بعد صلاة الفجر

كان وقت المطالعة والقراءة مستقلاً في برنامج الإمام عن أوقات الترويح والعمل، فقد كانت جميع أعماله تسير على وفق برنامج منظم بدقة، ومن الطبيعي أن يشمل التنظيم أمر المطالعة أيضاً. وأتذكر - منذ طفولتي - اهتمامه الواضح بالمطالعة فكنا نراه منهماك بالقراءة عندما نستيقظ صباحاً، فإنه لم يكن ينام بعد صلاة الفجر^٤.

جديته في النشاط العلمي

كان الإمام كثير المطالعة والتحقيق، وكنت إذا دخلت عليه أراه غارقاً وسط الكتب التي كانت تحيط به وقد بلغ ارتفاع صفوفها المتر أحياناً وهو جالس بينهما خلف المنضدة الصغيرة، وكان يبقى فترات طويلة

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري الكرمانى، مجلة (پیام انقلاب=رسالة الثورة) العدد: ٥٠.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ السيدة فريدة المصطفوي.

^٤ السيدة زهراء المصطفوي.

في هذه الغرفة فلا يخرج منها حتى إذا أراد شياً فهو يكتفي بأن يضرب بالملقعة على الفنجان، أجل يقوم من مكانه لتناول الطعام، وإذا جاء أحد الأصدقاء لزيارته دخل عليه في هذه الغرفة^١.

كان طوال يومه منهمكاً بالعبادة أو المطالعة

التحقت عائلة الإمام به بعد مدة طويلة من وصوله إلى النجف حيث كان يسكن في بيت متواضع استأجره لذلك خصص جانباً منه لعائلته والجانب الآخر للاستقبال «البراني» وكان الإمام طوال يومه إما في حال العبادة أو المطالعة والقراءة على وفق نظام دقيق وكان في ذلك درس عظيم ومستمر للذين كانوا يترددون على بيته ويرون أحواله عن قرب^٢.

مواصلة النشاط العلمي في شهور العطلة

رغم أن عمر الإمام كان قد تجاوز الخمسين عاماً إلا أنه كان أحياناً ينشغل بالمطالعة والبحث على مدى ست ساعات متواصلة، فمثلاً أقام الإمام شهور الصيف الثلاثة سنة (١٣٧٠هـ ق) في مدينة محلات، فكان طوال هذه المدة يبدأ بهذا النشاط العلمي بعد تناوله لطعام الإفطار ومن الساعة السادسة صباحاً إلى الساعة (١٢) ظهراً، فإذا تعب من القراءة انشغل بالكتابة وتقرير أفكاره^٣.

يوصي بقراءة تفسير السيد الطلقاني

أوصاني الإمام بقراءة كتاب «برتوى أز قرآن = قسبات قرآنية» وهو التفسير الذي كتبه المرحوم آية الله السيد الطلقاني، وقد رأيت المرحوم حجة الإسلام السيد مصطفى يقرأ هذا الكتاب فقال هو أيضاً أن والده أوصاه بمطالعتة^٤.

كان يتابع لوحده حضور دروس الشيخ الشاه آبادي

حدثني الإمام يوماً فقال: «عندما كان المرحوم آية الله الشاه آبادي يتردد على قم التقيته مرة في المدرسة الفيضية وعرضت عليه سؤالاً بشأن مسألة عرفانية، فلما أجابني علمت أنه من أهل الخبرة، فطلبت منه أن يدرسنني فأبى لكنني واصلت الإلحاح حتى قبل أن يدرسنني الفلسفة إذ تصور أنني أطلب دراسة الفلسفة، فقلت له: لقد درست الفلسفة ولم أحضر عندك من أجلها، إنما أطلب دراسة العرفان

^١ السيدة صديقة المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (سروش) العدد: ٤٧٦.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ عباس علي عميد الزنجاني، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٤ ص ٣٨.

^٣ آية الله الشيخ جعفر سبحاني.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين السيد الدعائي، صحيفة كيهان، ١٨/١١/١٣٥٩هـ ش.

(كتاب شرح الفصوص) فأبى ثم قبل بعد إلحاحي عليه» فسألته: وكم كان عدد الحاضرين في هذا الدرس؟ أجابني: «كنت في معظم الأحيان أدرس العرفان عنده لوحدي، فإذا زاد العدد أصبحنا ثلاثة لا أكثر». ثم سأله: وهل درست كتاباً آخر عند الشيخ الشاه آبادي؟ فقال: «درست عنده في أيام العطلة وأيام الخميس والجمعة كتاب «مفاتيح الغيب» وقد كتبت حاشية على هذا الكتاب في الأيام نفسها التي كنت ادرس فيها هذا الكتاب وكتاب شرح الفصول». ثم سأله: ما هي الكتب الأخرى التي درستها على يد الشيخ الشاه آبادي؟ فقال: «كتاب منازل السائرين» سأله: وكم كان عدد الحاضرين في هذا الدرس؟ أجاب: «كنت أحضره لوحدي، ولعله كان يشارك أحياناً شخص أو اثنان ولكن كانوا ينقطعون عن متابعة الحضور بعد فترة وجيزة».

ثم سأله: كيف كان الشيخ الشاه آبادي؟ «سألت الشيخ الشاه آبادي يوماً: إن المطالب التي تتحدث عنها غير موجودة في الكتب، فمن أين تأتي بها؟ فقال: إنها تقال! يعني أنها من عنده» ثم أضاف: «إن له حقاً عظيماً عليّ، كان متضللاً في الفلسفة والعرفان» سأله: كم سنة استغرقت دراستكم العرفان عنده؟ قال: «لا أتذكر بالضبط، لكنها ما بين خمس إلى ست سنين» وأضاف: «عندما كان الشيخ الشاه آبادي يدرس كتاب «شرح الفصوص» كان ما يقوله يتميز عن شرح القيصري للفصوص. كان لديه الكثير من عنده». هذه أمور تحدث عنها بنفسه قبل عدة أيام وقد دونت نص عباراته. وقد سأله: ما هو أول كتاب ألفتموه؟ قال: «أظن أن أول كتاب - أو الأفضل أن أقول أول شيء - كتبه كان «حاشية على [حديث] رأس الجالوت» ثم كتبت شرحاً مستقلاً لهذا الحديث الشريف، وكان ذلك بعد دراستي عند الشيخ الشاه آبادي، عندما جاء الشيخ الشاه آبادي إلى قم لم أكن متزوجاً، ثم واصلت دراستي عنده بعد زواجي أيضاً».

سألته: على حد علمي أنكم ألفتم كتاب «مصباح الهداية» - وهو في العرفان - وعمركم (٢٧) سنة، وعندما أصبح عمركم (٢٩) عاماً كتبت «شرح دعاء السحر» ويقول البعض أنكم كتبت كتاب «الأربعين حديثاً» قبل أن تتزوجوا والكتاب يشمل على سبعة أحاديث في المسائل العقلية و(٣٣) حديثاً في

الأخلاق؟ فقال: «لا أتذكر بالضبط، ولكن ما يبدو لي هو أنني كتبت أولاً الحاشية على حديث رأس الجالوت» ثم أضاف: «ولكن يمكن الأمر كما تقول»^١.

لا ينام في الليل أكثر من ساعتين أو ثلاث

إضافة إلى البيانات والخطابات؛ كان الإمام يكتب الكثير من الرسائل إلى أرجاء البلد، ولا أنسى ما نقله المرحوم الحاج السيد مصطفى بشأن أيام وقوع مشكلة جمعيات المدن والقرى [إحدى اللوائح التشريعية التي أعدها النظام الملكي وضمنها بنوداً معارضة للإسلام تهدف إلى تحجيم دوره في المجتمع] إذ قال: لا ينام السيد أكثر من ساعتين أو ثلاث في الليل فيما يقوم في بقية الليل في كتابة الرسائل إلى علماء البلاد وأستطيع القول أنه كتب مئات الرسائل إلى القرى وإلى علماء المدن ويُن فيها الأخطار التي تحدق بالعالم الإسلامي وكشف فيها دور إسرائيل وأمريكا في إيجاد الأخطار وأن هدفهما هو إبادة الإسلام، وكانت بعض هذه الرسائل تطبع وتوزع فكان لها تأثير كبير وانعكاس واسع، وأتذكر إحداها وهي التي وجهها للشيخ الفلسفي الذي قرأها من على منبر مسجد «أراك» وكنت حاضراً في ذلك المجلس، وقد لاحظت كيف أن الناس قد توجهوا إليه بكل وجودهم بمجرد أنه قال: أما رسالة آية الله الخميني فهي . . . ، فقد كان لرسائل الإمام تأثير قوي في الناس، وكان الإمام قد ختم هذه الرسالة بسورة الفيل كاملة، وعندما وصل الشيخ الفلسفي لقراءة هذه السورة سيطر الحماس على الناس وأخذوا يكررون الكلمة الأخيرة مراراً وبصوت واحد، فمثلاً عندما قرأ الشيخ الفلسفي قوله بأصحاب الفيل في تضليل أخذ الحاضرون بتكرار كلمات «الفيل» و «تضليل» مراراً، فكانت قراءة رسالة الإمام بصورة الأنشودة الجماعية في المسجد وأوجدت حالة حماسية قوية في الحاضرين^٢.

يقوم في منتصف الليل لكتابة بيان

فيما يرتبط بالسيرة الجهادية للإمام، فإن انشغاله بالتدريس في النجف الأشرف لم يشغله عن متابعة أوضاع إيران بل كان يتابعها بدقة، فكان يؤكد علينا باستمرار على إيصال الأخبار إليه بحكم كوننا منا مسؤولين عن متابعة الشؤون السياسية، وكنا ننتبه أحياناً أنه نهض في منتصف الليل لكتابة بيان^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ٦.

^٢ آية الله الخامنئي، مجلة (١٥ خرداد) الشهرية، العدد: ١٤.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الناصري، مجلة (پیام انقلاب=رسالة الثورة) العدد: ٥٤.

لم أره فارغاً عن العمل ولا مرة

بلغت جدية الإمام في العمل وعلى الرغم من كبر سنه إلى درجة لا يستطيع أحد من المقرّبين منه أن يدعي بأنه رآه - ولو لمرة واحدة - فارغاً من القيام بعمل ما، وقد شاهدنا في هذه المدة التي كنا في خدمته أن لا محل في حياته لشيء اسمه الاستراحة عن العمل في خدمة الناس والثورة الإسلامية؛ فلم يكن ثمة فرق عنده بين الصيف والشتاء والسبت والجمعة والعيد وغيره، كان في جميع أوقاته منشغلاً إما بالعبادة أو المطالعة العلمية أو قراءة التقارير المختلفة الواصلة إليه^١.

كان يعمل ليل نهار

عندما كان الإمام في فرنسا كان يعمل ليل نهار، ولم يكن يمر عليه يوم دون خطاب يلقيه أو مقابلة يجريها أو بيان يصدره، وكان الصحفيون الأجانب يقولون: لم نر مثل هذا الزعيم! لا يوجد مثله رجل دين يجلس في غرفة صغيرة لا تتجاوز أبعادها (٢×٣) أمتار، خالية من الخدم والحشم لكنه يحرك إيران كلها بكلماته^٢.

يبدأ عمله المتواصل بتلاوة القرآن

كان البرنامج اليومي للإمام أيام إقامته في باريس على النحو التالي: ينام يوماً بين أربع إلى ست ساعات، فيما يقضي بقية الساعات في عمل متواصل، فكان يبدأ عادة بعد صلاة الفجر بتلاوة القرآن ثم قراءة التقارير والأخبار إلى الساعة الثامنة صباحاً. وكان يجيب بنفسه على الرسائل التي تصله من أرجاء العالم، وكان ينام حدود الساعتين بعد طعام الظهر ثم يتابع أعماله إلى وقت صلاة المغرب، ويواصل العمل بعد صلاة العشاء إلى منتصف الليل، ويقول المقربون منه أنه كان يذهب إلى فراشه للنوم في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل^٣.

يخصص وقتاً لمطالعة ترجمات الصحف

لم يكن الإمام ينام أكثر من أربع ساعات في اليوم، فكان إلى فراشه في الساعة (١١) مساءً، لكننا كنا نسمع صوت الأوراق يأتي من غرفته في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وكان ينبغي في آخر الليل

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة حضور، العدد: ٣.

^٣ مراسل صحيفة اطلاعات الموفد إلى نوفل لوشاتو في سنة ١٩٧٨م صحيفة اطلاعات ١٣/١١/١٣٧١هـ.ش.

إعداد التقارير الصحفية المترجمة التي لم تتوفر له - بسبب كثرة المشاغل - فرصة قراءتها في النهار، لكي يطالعها مساء في الساعات التي خصصها لها^١.

لا يترك عمله ويتوجه إلينا

ليس من عادة الإمام أن يترك عمله ويتوجه لمحادثتي دون برنامج معين إذا دخلت عليه لمجرد كوني ابنته! كلا، ليس في حياته مثل هذا، فنحن ندخل عليه فنسلم ونجلس وهو يتابع عمله، كقراءة الرسائل الواردة والتقارير الخبرية، أو الاستماع للإذاعة ومشاهدة التلفزيون، لكنه إذا عرف - بفراسته - أن لدينا أمراً مهماً نريد عرضه عليه ولم يكن التلفزيون يبث برنامجاً مهماً، أطفأه وتوجه لنا وعلينا حينئذ أن نعرض سؤالنا بإيجاز ونحصل على الجواب في فترة وجيزة^٢.

لا يتخلى عن مسؤولية العمل رغم شدة التعب

يقول احد العاملين في خدمة الجمهورية الإسلامية: زرت الإمام يوماً وقلت له: لقد تعبت من العمل، إن أعمالي كثيرة لا أقدر على القيام بها، فاقبلوا استقالتني وعينوا شخصاً في مناصبي لكي أستريح قليلاً. فقال في الجواب: «إذا كان بإمكان أحد أن يترك العمل ويتخلى عن المسؤولية، فأنا الأولى بذلك إذ إنني أحوج للاستراحة مع كبر سني وشدة تعبتي» فأصابني الخجل مما قلت والتزمت الصمت^٣.

ولا يترك العمل حتى أثناء المشي

كان من بين فقرات البرنامج اليومي للإمام المشي لمدة (٤٠ - ٦٠) دقيقة كل يوم وإلى جانب قيامه بذلك كان يقوم بأعمال أخرى في الوقت نفسه، فأحياناً كان يستمع خلال المشي لأخبار الإذاعة، أو يقرأ، فنصحه الأطباء فيما بعد بأن يترك القراءة أثناء المشي، وطوال هذه السنين المديدة التي كنت خلالها في خدمته لا أتذكر أنني رأيته - ولا لمرة واحدة - بدون عمل يقوم به^٤.

خدمة الإسلام والمسلمين أهم من كل شيء

ليعلم العاملين في خدمة الجمهورية الإسلامية في أي منصب أو موقع كانوا، أن خدماتهم المخلصة وصبرهم وتحملهم لمشاكل الثورة ومصاعبها، من أفضل الطاعات، وعليهم أن ينتبهوا متى ما أصابهم

^١ السيدة مرضية الحديدجي، مجلة (زن روز) العدد: ٩٥٤.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٤٨.

^٣ السيد محمد جواد المهري، مجلة (ياسدار إسلام) العدد: ١٤٨.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانلي، صحيفة (رسالت) ١٣٧٢/٣/٩ هـ.ش.

التعب إلى قول الإمام: «إذا فتشتم أرجاء العالم فلن تجدوا أحداً أشدّ تعباً مني، لكن خدمة الإسلام والمسلمين أهم من كل شيء» فإن تذكر هذه الجملة كفيل بأن يزيل عنهم التعب بل ولا يسمحون له بالنفوذ إلى نفوسهم.

وكان الإمام قد قال هذه العبارة ضمن خطاب وجهه لقائد (الفرقة ٦٤ أوروبية) في بداية انتصار الثورة، وبعد الحادثة المفجعة التي وقعت في مدينة «نقده» في محافظة أذربيجان الغربية بسبب خيانة بعض أعضاء الحكومة المؤقتة^١.

الفصل الحادي عشر استثمار فرصة العمر

يحرص على الوقت

بعد أن عرف الإمام اجتماعياً كمرجع وكشخصية روحانية قيادية، أخذ الأهالي يتجمعون كل يوم وبكثرة عند المسجد الأعظم لكي يسلموا عليه ويقبلوا يديه بعد خروجه من الدرس، ولذلك وحرصاً على الوقت أخذ يستخدم سيارة الأجرة للمجيء إلى المسجد والعودة منه إلى المنزل^٢.

يتعلم التركية ليواصل تبليغ رسالة ربه

بدأ الإمام بتعلم اللغة التركية فور وصوله إلى تركيا، فقد أراد من ذلك تبليغ رسالة ربه بين الناطقين بها، وقد أثار اهتمامه المشهود بتعلمها الخوف في العقيد أفصلي - وهو من مسؤولي منظمة السافاك الأمنية والمسؤول عن مراقبة الإمام في تركيا- وخشي أن يؤدي تعلمه التركية إلى تمكينه من متابعة معارضة

^١ آية الله بني فضل، مجلة (پاسدار إسلام) العدد: ٤٥.

^٢ آية الله يوسف الصانعي.

النظام وتعبئة الأترار ضده لذلك كتب في تقرير بعثه إلى مسؤوليه في طهران: «لا ينبغي أن يترك وحاله هنا» فكانوا ينقلون الإمام كل يوم إلى مكان^١.

لم يكن يسمح لأحد بتضييع وقته

لم يكن الإمام يسمح للصحفيين الذين يأتون لمقابلته بتضييع وقته إلى أن يعدوا وسائلهم^٢. ويدعو إلى احترام الوقت

يقول أحد السادة وهو مسؤول الأمور المالية في مكتب الإمام: طوال (٩-١٠) أعوام - وهي مدة إقامة الإمام في جمران - كان يستقبلنا في ساعة معينة كل صباح لمتابعة شؤون المكتب، فإذا تأخرنا لعدة استدعانا بعد خمس دقائق. وكان أحياناً يستعد لاستقبال الزوار في اللقاءات العامة بعد إخباره بذلك لكنه يضطر إلى الانتظار دقائق قد تصل أحياناً إلى عشرة لعدم اكتمال مقدمات اللقاء، فكان يعترض على ذلك وعلى استدعائه قبل إعداد مقدمات اللقاءات، كما كان يعترض إذا بقي بعض الأشخاص في اللقاءات الخاصة أكثر من الوقت المخصص لهم ويؤكد لزوم الالتزام بالوقت المخصص دون زيادة ولا نقصان^٣.

كان يستفيد من عمره بالحد الأقصى

كان الإمام يستفيد من أبسط فرصة للمطالعة والكتابة أو العبادات الأخرى المذكورة، ولو قسمنا مؤلفاته المطبوعة فقط على أيام عمره المبارك لعرفنا جيداً شدة استفادته من ساعات بل دقائق عمره، رغم أنه لم يكن من أهل كثرة الكتابة؛ بل كان يستفيد حتى من النصف ساعة التي خصصها للمشي في الصباح والمساء بتوصية من الأطباء في الآونة الأخيرة، فخصص لها أدعية وأذكار يتلوها أثناء المشي لكي يقرن المشي بالتعب والذكر، كما كان عادة يتلو ذكري اللعن والسلام الواردين في زيارة عاشوراء مائة مرة لكل منهما أثناء المشي في الأيام التي يقرأ فيها هذه الزيارة^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة وتحليل لنهضة الإمام الخميني) ج ٢.

^٢ السيدة مرضية الحديدجي (الدباغ)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني، صحيفة (جمهوري إسلامي) ملحق خاص بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧-٣٨.

يقوم بعدة أعمال في أن واحد

كثير ما كان الإمام يقوم بآن واحد بعدة أعمال، فمثلاً استدعاني يوماً لأمر في أوائل الشهر الأول من سنة ١٣٦٨هـ ش - آذار ١٩٨٩م، فدخلت عليه بعد ساعة من غروب الشمس، وكان منشغلاً بتعقيبات صلاة العشاء والمسبحة في يده وقد نام على ظهره وهو يقوم برفع قديميه ووضعها طبقاً لما أوصاه الأطباء، ويتفرج على ما يبثه التلفزيون وقد خفض صوته لكي يستمع للإذاعة، دون أن يمنعه كل ذلك من مداعبة حفيده علي الذي اضطجع إلى جانبه مقلداً لحركاته^١.

عمر الإمام مبارك

يمكن القول بأن العمر الحقيقي للإمام ليس (٨٧) عاماً، فقد استفاد منه بضعف سعته، إذ شاهدناه مراراً يقوم بعدة أعمال في وقت واحد، فمثلاً كان يأخذ بيده المسبحة وينشغل بذكر الله ويأخذ بالأخرى المذياع للتعرف - بواسطة الاستماع للأخبار - على الأوضاع الداخلية والخارجية، يقوم بكل ذلك أثناء المشي الذي كان يقوم به عصراً كرياضة لحفظ سلامته^٢.

حدثني بأمر يستغرق دقيقة واحدة

لم يكن الإمام يسمح أبداً أن يضيع وقته، وقد رأينا مراراً كيف أنه يستثمر الدقائق القليلة التي تذهب هدرًا عادة قبل إعداد مائدة الطعام، فكان يقوم بتلاوة القرآن أو القراءة، وقد دخلت عليه مرة لعمل فلما انتهى نظر إلى ساعته وقال: «هل يمكنك أن تحدثني بأمر يستغرق دقيقة واحدة فقط؟» لكن هذه الدقيقة انتهت قبل أن أعتري على ما طلبه مني، ثم فتح المذياع في الوقت المقرر لسماعه موجز الأخبار فأدركت أنه إنما أراد بطلبه أن لا تضيع حتى الدقيقة الواحدة قبل موعد الأخبار^٣.

ليس لديه وقت ضائع

لا يجلس الإمام في منزله ولا دقيقة دون عمل فهو إما يستمع للمذياع أو يتفرج على التلفاز أو يقرأ الرسائل والتقارير الواصلة إليه، وكان يصطحب المذياع حتى في الحمام ويعلقه على كتفه عند الوضوء. أستطيع القول بثقة أنه ليس لديه أي وقت ضائع أبداً^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين مسيح البروجردى، ملحق صحيفة سلام ١٣٧٢/٣/١٢هـ ش.

^٤ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٤٨.

يستثمر حتى الدقيقتين لتلاوة القرآن

كان الإمام يستثمر حتى الفرصة القليلة التي لم تتجاوز أحياناً الدقيقتين لتلاوة القرآن بين انتهاء صلاة العصر وبين إحضار طعام الظهر^١.

يستفيد من جميع أوقاته

كان الإمام يستفيد بدقة من جميع أوقاته، فمثلاً إذا أوصاه الأطباء بالمشي من أجل سلامته، كان يقوم أثناء المشي بعمل مفيد آخر، فخلال مشي الصباح كان يستمع لمداوولات مجلس الشورى عبر المذياع، ويستمع خلال مشي العصر للإذاعات الأجنبية أو يطالع الصحف المسائية، فهو يقوم بعملين على الأقل في آن واحد، يعمل بتوصيات الأطباء ويطلع على تطورات الأوضاع^٢.

لم يغفل عن العمل الصالح في أصعب الظروف

لم يغفل الإمام حتى في الليلة الأخيرة التي سبقت إجراء العملية الجراحية له وحيث كان راقداً على فراش المرض وقد اشتد به الضعف وكان المغذي الطبي موصولاً به - لم يغفل عن المطالعة وتلاوة القرآن والتهجد وإقامة صلاة الليل، فلم يكن يرضى أن تضيع منه أي فرصة مهما كانت قصيرة^٣.

^١ السيدة مرضية الحديدجي (الدباغ)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

^٢ الدكتور حسن العارفي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الرسولي المحلّاتي، مجلة حوزة، العدد المزدوج: ٣٧-٣٨.

الفصل الثاني عشر الذكاء والدقة واليقظة والفراسة

لم أرَ أذكى من الإمام

لم أرَ طوال عمري شخصاً أذكى من الإمام، وينقل أنه كان يتمتع بدرجة عالية من الفراسة والذكاء تجعله يعرف ما في ضمير الإنسان وذهنه لذلك لم يكن بالإمكان الالتزام بغير الصدق في محضره^١.

يحل مسألة رياضية معقدة

بعد أن بلغ الإمام مرتبة الاجتهاد، طرح في العالم مسألة رياضية معقدة، قيل أنه لم يستطع أن يحلها في إيران سوى شخص واحد هو السيد روح الله الخميني، وتقول هذه المسألة الرياضية التي طرحها أحد علماء الرياضيات: إذا كان لدينا ثلاث قبعات خضر وقبعتان بلون أصفر وواحدة بيضاء وكنا في الظلام المطلق وقد وضع شخص إحداهما على رأسه فكيف نعرف لون هذه القبعة؟ وقد حل الإمام هذه المسألة دون الاستعانة بالقلم والورقة للحساب، الأمر الذي أثار موجة قوية من الإعجاب^٢.

يكتفي لفهم الطالب الصعبة بالإصغاء

يقول أحد زملاء الإمام في الدراسة: عندما انتقلنا من خمين إلى أراك للدراسة فيها، كان الإمام يكتفي بالإصغاء للأستاذ أثناء الدرس دون أن يحتاج إلى المطالع الإضافية أو مباحثة الآخرين، في حين كان بقية الطلبة يبذلون جهوداً مضنية مضاعفة لتعلم الدرس فإذا حضروا في اليوم التالي وجدوا الإمام أفضل منهم في استيعاب الدرس وفهمه، لقد كان مذ ذاك يتمتع بذكاء وقوة حفظ واستعداد من الدرجة العليا^٣.

يجيب على الإشكالات العلمية بداهة

كان الإمام جدياً للغاية في تدريسه ودقيقاً ومتمكناً في مطالعته العلمية، فإذا حضر لإلقاء الدرس كان محيطاً بالكامل بجميع أبعاده، فإذا طرح الطلبة أسئلتهم العلمية - أو إشكالاتهم حسب الاصطلاح الحوزوي - عليه أجابهم بداهة واستيعاب كامل، ولا أتذكر أنني سمعت الإمام - ولا لمرة واحدة طوال مدة حضوري لدرسه - يقول في الإجابة على إشكال يعرض عليه: «ينبغي أن أبحث فيه ثم أجيبكم» ولهذا الأمر دلالة أخرى على قوة البداهة وذكاء الإمام الاستثنائي^٤.

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني، صحيفة (جمهوري إسلامي) ملحق خاص بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة الإمام.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، من كلمة له في إحدى الجبهات الجنوبية أيام الحرب المفروضة.

^٣ المصدر السابق.

^٤ حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني رحمته الله، مجلة ندا العدد الأول.

أفهم ما يريد قبل أن يتم كلامه

امتاز الإمام بنظرة عميقة ثاقبة وفراسة خاصة ليس في تعامله مع نظام الشاه وحسب بل مع كل شخص أو حزب أو مجموعة كان يتعامل معها، فكان يتعرف من أول تعامل على هوية كل طرف وهدفه، وقد سمعت أخي الشهيد السيد مصطفى ينقل عن الإمام قوله: «أحياناً، عندما يأتي شخص إليّ ويريد التحدث عن أمر، فإنني أفهم قبل أن يتم كلامه ما يريد وما يخطط له وما سيحصل عليه من لقائه بي»^١.

جاء من أجل التحقيق في الأمر

كان الإمام يتحلى بذكاء فريد. جاء المرحوم اللواساني لزيارته عندما كان تحت الإقامة الجبرية في منطقة «قيطرية» ولم يكن يسمح يومئذ بزيارته إلا لعدد محدود من الأشخاص منهم السيد اللواساني الذي كان يشبه الإمام كثيراً ولم يكن رئيس حراس البيت وأعضاء منظمة السافاك قد رأوا السيد اللواساني من قبل، لذلك فإن رئيس الحراس استأذن للدخول على الإمام وتقبيل يده بعد أن دخل عليه السيد اللواساني، وبعد أن دخل وقبل يد الإمام برك على ركبتيه وأخذ ينظر على وجه الإمام تارة وإلى وجه السيد اللواساني تارة أخرى، ثم خرج من الغرفة بعد بضع دقائق فقال الإمام: «لقد دخل هذا الرجل من أجل أن يتعرف على أوجه الشبه والتمايز بيننا» وعندما حققنا في الأمر لاحقاً أدركنا صحة ما قاله الإمام، واتضح أن الحراس أصيبوا بالقلب عندما رأوا السيد اللواساني إذ تصوروا أن الإمام قد خرج من المنزل ثم عاد، فجاء رئيسهم للتحقيق في الأمر^٢.

كان الله الأهمي أن أقول

نقلت حافلات شركة النقل الداخلي لمدينة طهران أفراد القوات الملكية الخاصة إلى قم، كما وصل إليها أعضاء منظمة الأمن (السافاك) وهم يسعون لتنفيذ خطة معدة مسبقاً، وأتذكر جيداً أن الإمام كان جالساً في زاوية من منزله عندما جاء المرحوم الشهيد مهدي عراقي وقال له شيئاً في أذنه، وكان ذلك في اليوم الثاني من شهر فروردين الذي وافق يوم ذكرى استشهاد الإمام الصادق عليه السلام، فقال الإمام شيء للشيخ الخلخالي ليبلغه للجميع ففعل، وكان ذلك بعد أن عمد عملاء السافاك الحاضرين في المجلس إلى رفع أصواتهم بالصلوات على محمد وآله . . . ، فقال المرحوم الحاج مهدي العراقي للإمام: أظن أن

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة في حياة الإمام الخميني) ج ١.

^٢ السيد محمود البروجردى، المصدر السابق، ج ٣.

هذا الأمر مؤامرة فإنني ألاحظ حضور عدد من المشبوهين في المجلس، أما الكلمة التي قالها الإمام للشيخ الخلدخالي لكي يبلغها للجميع، فإنني أتذكرها جيداً، وقد سألت الإمام عنها فيما بعد فقال: «كأن الله ألهمني أن أقول هذه الجملة» وكانت الجملة هي: «أبلغوا هؤلاء؛ أنهم لو استمروا في إطلاق الشعارات في هذا المجلس فإنني سأذهب إلى الحرم المطهر لمركد السيدة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام وأصعد بكلامي عبر مكبرات الصوت المنصوبة فيه» وأضاف: «لقد انقذح في ذهني فجأة أن أقول ذلك» ولما سمع عملاء السافاك هذا القول غادروا المسجد فوراً، ثم وقعت في عصر ذلك اليوم فاجعة مدرسة الفيضية، يقول الإمام: «كانت مهمتهم ارتكاب هذه المجزرة في المنزل، ولكن عندما أعلن الشيخ الخلدخالي قولي هذا، اضطرب وضعهم ولم يعرفوا ما ينبغي لهم أن يفعلوه، فاتصلوا بطهران من أجل ذلك. وكان مجلس العزاء المنعقد في المنزل قد انتهى، لذلك فكروا بارتكاب المجزرة في مكان آخر، وقد ارتكبوها». وقد قال احد أولئك العملاء فيما بعد: لقد أصابتنا إثر الإعلان عن موقف الإمام هذا، إذ كان علينا أن نستلم الأوامر من طهران بشأن ما ينبغي أن نفعله^١.

أحبط بفراسته المؤامرة الملكية

كان نظام الشاه يسعى - قبل انتفاضة ١٥ خرداد ١٣٤٢هـ ش، ٥ / حزيران / ١٩٦٣م - إلى فبركة وثائق لإدانة الإمام - وضمن هذا السياق، جاء لزيارته - وبواسطة أحد علماء الدين الإيرانيين - شخص عرف نفسه بأنه دبلوماسي مصري مقيم في لبنان وقال: إنني مبعوث من قبل الرئيس جمال عبد الناصر لأرفع لسماحتكم آيات شكره وتقديره لجهادكم ضد إسرائيل، ولكي أبلغكم استعداداه الكامل لتقديم جميع أشكال الدعم والمساعدة - من الأموال والسلاح وغيرها - لكم لمواصلة لجهادكم المقدس في هذا الطريق حتى تحقيق النصر.

أجاب الإمام على هذا العرض بقوله: «إن جهادنا من الشؤون الداخلية لبلدنا ولا حاجة لأي مساعدة أو تدخل من قبل الآخرين لمواصلته». وفيما بعد عرف الإمام عندما كان في السجن، أن هذا المبعوث الذي ادعى أنه دبلوماسي مصري إنما جاء موفداً من قبل حكومة الشاه لإيجاد ذريعة تستغلها لضرب الإمام، فأحبط الإمام هذه المؤامرة بيقظته وفراسته^٢.

^١ السيد محمود البروجردي، مجلة (ندا) العدد الأول.

^٢ مجلة (شاهد بانوان) شهر اسفند سنة ١٣٧٠هـ ش.

احتفظي بهذا الختم

عندما هجموا على منزلنا لاعتقال الوالد، أعطى الإمام ختمه لوالدتي وقال لها: «احتفظي بهذا الختم، فإذا أرسلت لك في طلبه فابعثيه لي» لذلك اخفت والدي الختم لكي لا يكتب أحد شيء ويختمه به، ولم نكن حتى نحن نعرف بذلك؛ إلى أن استقر في النجف بعد نفيه إلى تركيا. فبعث إليها رسولاً لكي يتسلم الختم منها فسلمته له^١.

يزيدون وينقصون في كلامي

امتاز الإمام بأنه لم يكن يقبل بإجراء لقاءات خاصة على انفراد، وكان يعلل ذلك بقوله: «إن بعضهم يزيدون وينقصون في كلامي» ولذلك كان يستدعي اثنين أو ثلاثة من السادة أو من طلبته فيحضرون عنده أثناء عقد اللقاء^٢.

ليس لدينا مكان خلوة!

لم يكن الإمام يلتقي بأي من المسؤولين على انفراد، فإذا طلبوا ذلك رفض وقال: «ليس لدينا مكان خلوة» وكان هدفه هو قطع طريق ادعائهم لأشياء خلاف الواقع لأنهم سيصدمون بتكذيب الشهود الذين يحضرون اللقاء لمزاعمهم^٣.

هؤلاء يريدون الفرار من الحساب الشرعي

تم عزل الحاج السيد ابي الفضل مصباح من مسؤولية سدانة حرم السيدة المعصومة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام بسبب تأييده للإمام، ثم ذهب إلى باريس - وكان من الأثرياء - وزار الإمام وقال له: عندي إن عندي (٨٦) مليون تومان وأريد أن أقدمها لسماحتكم، فهذه الأيام الأخيرة من عمري. ويبدو أن أحد الأشخاص كان قد شجعه على ذلك لكي يستطيع الإمام زيادة طلبه الحوزة، وكان هذا المبلغ كبير يومئذ، ولكن الإمام رفض قبوله وشكر السيد مصباح، فتعجب من ذلك وسأله عن سبب رفضه فقال: «إنهم يتهموننا ويتهمون نهضتنا بالارتباط بالرأسماليين والإقطاعيين رغم أننا لا نأخذ منهم شيئاً، فكيف سيكون الحال لو قبلنا أن نأخذ من الأثرياء مالا؟!».

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (آشنا) العدد: التجريبي الأول.

^٢ آية الله الخليلي، صحيفة اطلاعات ١٣٦٨/٤/٣ هـ ش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين حسين العادلي، مجلة (اطلاعات هفتگی) العدد: ٢٤٤٢.

وكان الإمام بعد انتصار الثورة الإسلامية يرفض استلام المبالغ الضخمة التي كان يأتي بها بعضهم ويقول: «إن هؤلاء لم يدفعوا ما عليهم من الحقوق الشرعية (حقوق الله وحقوق الناس) ويريدون من دفع هذه المبالغ الفرار من الحساب الشرعي»^١.

أدرکت أنهم اعتقلوا مصطفى

بتاريخ ١٣٤٣/٩/٢٩ هـ ش، ١٩٦٤م وصل المرحوم آية الله السيد الخوانساري إلى اسطنبول وزار الإمام، وقد ورد في تقرير منظمة الأمن (السافاك) بشأن هذا اللقاء: . . . ثم جرى الحديث عن وضع عائلة الخميني، فأبلغ الخوانساري سلامها إلى الخميني وأخبره عن سلامتها، ثم سأله الخميني عن حال ولده مصطفى، فقال السيد الخوانساري: إنه في طهران، فقال الخميني: «أعلم أنه في طهران، ولكن في أي مكان من طهران؟» فقال الخوانساري: وهل أنت على علم باعتقاله؟! قال: «قبل فترة كتبت رسالة إلى عائلتي بموافقة المنظمة، فقالوا في رسالتهم الجوابية: السيد مصطفى يستريح الآن. فعلمت من ذلك أنهم اعتقلوه»^٢.

أحبط بذكاء خطة العقيد

بعد إطلاق سراح الإمام من الإقامة الجبرية في قيطرية طهران، أراد العقيد المولوي معاون رئيس منظمة السافاك في طهران أن يجلس في السيارة إلى جانب الإمام لكي يوهم الناس بأن الخلافات قد انتهت، ولكن الإمام أحبط هذا المسعى بذكاء، إذ تجاهل ووضع إلى جواره على مقعد السيارة «سماوراً لكي لا يستطيع العقيد مولوي الجلوس إلى جانبه»^٣.

.. بل أردتم أن تخبروني بوجود مثل هذه الزنزانات!

عندما نقلوا الإمام إلى طهران حبسوه لمدة (١٩) يوماً في مكان ثم نقلوه إلى زنزانة انفرادية بقي فيها يوماً كاملاً، وقد قال عنها فيما بعد: «كان طولها أربعة أقدام ونصف، وقد أخذت أتمشى فيها طبق برنامجي اليومي على ثلاث فترات، كل فترة نصف ساعة». ثم نقلوه إلى منزل يشتمل على غرفة واحدة وساحة صغيرة فيها حوض ماء صغير، فجاء إليه المدعو «باكروان» والذي أعدم فيما بعد وقال له معتذراً: أعذرنا

^١ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، موسوعة كوثر، ج ١.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (دراسة تحليلية لنهضة الإمام الخميني) ج ٢.

^٣ موسوعة كوثر، ج ١، والسماور هو الجهاز الذي يستخدم لغلي الماء بهدف إعداد الشاي.

يا سيدي، لم يكن هذا المنزل قد اكتمل إعداده لذلك اضطررنا إلى نقلكم الليلة الماضية إلى تلك الزنزانة! فقال له الإمام: « كلا، بل أردتم أن تخبروني بوجود مثل هذه الزنزانات!!^١».

لم ترغبوا في أن أكون بين الناس

نقل الإمام يوماً حادثة نفيه إلى تركيا على النحو التالي: «نقلوني إلى المطار مباشرة، وعندما صعدا الطائرة وجدنا أنهم فرشوا لنا ملحفة صوفية على قسم من أرضية الطائرة ورتبوا لجلوسنا، وكانت طائرة نقل بضائع، فاعتذروا قائلين: لقد اضطررنا حرصاً على إلى نقلكم بهذه الطائرة لعدم وجود طائرة نقل ركاب مستعدة للتخليق، فقلت لهم: «ليس الأمر كذلك، بل لم ترغبوا في أن أكون بين الناس^٢».

في عودتي الصلاح الكامل

عندما شاع الحديث عن عزم الإمام على العودة إلى إيران، بدأت مساع حثيثة من طرق عدة لصدده عن ذلك وأطلقت تحديدات تقول: ينبغي للإمام أن يتجنب العودة إلى إيران حفظاً لحياته وحياء أبناء الشعب ولذلك قال بعضهم: أن الصلاح في أن لا يعود الآن فقال: «بل إن في عودتي الصلاح الكامل، لأن أمريكا لا تريد لي ولا للشعب ولا للثورة ولا لإيران الصلاح^٣».

عم السماح للطفيليين بالتدخل

كان الصحفيون الذين يسعون لمعرفة حقائق الأمور والاطلاع بدقة على آراء الإمام يرفضون بحزم إجراء مقابلات مع الذين كانوا يحيطون بالإمام، فهم يعرفون أن كتابة آراء هؤلاء لا تفيدهم بشيء لأنها لا تعبر عن آراء ومواقف الإمام الفكرية والسياسية ولا تكشف عن التحركات السياسية والاجتماعية للشعب الإيراني، فأراء الإمام ومواقفه كان يبينها بنفسه ولا يستطيع القيام بذلك غيره، كما أن تحركات الجماهير في إيران كانت تتبع أوامره شخصياً لا أوامر غيره أياً كان.

ولذلك كان هؤلاء الصحفيون يتعرفون على آراء الإمام ومواقفه وخطواته في التحرك من خلال إجراء المقابلات معه مباشرة أو مطالعة خطابه وبياناته في المناسبات الخاصة مثل أيام التاسع والعاشر من المحرم أو من الرسائل التي كان يعثها للشعب الإيراني أو لبعض العلماء، وكانت النتيجة كثرة طلباتهم لإجراء مقابلات صحفية مع الإمام، فكانت هذه المقابلات تستنزف قسماً كبيراً من وقته، ولكن الإمام

^١ الدكتور محمود البروجردي (صهر الإمام) كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج٣.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الهاشمي الرفسنجاني عليه السلام، صحيفة (جمهوري إسلامي) ١٣/١١/١٣٥٩ هـ.ش.

كان يسمح بذلك، إذ أنه بنظرته النيرة لم يسمح لهؤلاء الصحفيين الدوليين الماهرين الذين اعتادوا أن يصنعوا من القشة جبلاً، لم يسمح لهم بتوجيه اضعف ضربة لتحركات النهضة والثورة الإسلامية أو ترويح أبسط التصورات الخاطئة التي قد تؤثر على مسيرة نهضته من خلال عرض تقارير غير صحيحة آرائه ومواقفه، وكان إذا بلغه صدور بعض المواقف غير السليمة من هذا الطرف أو ذاك بادر إلى الإشارة إليها وتفنيدها من خلال إصدار بيان أو إلقاء خطاب أو إجراء مقابلة صحفية. وأقول بلغة صريحة واضحة: إن الإمام لم يكن يسمح في تلك الأيام لأي فضولي بالتدخل تطفلاً في شؤون قيادة الثورة^١.

من الأفضل أن أبقى يقظاً

يقول السيد الإمام بشأن حوادث مقبرة جنة الزهراء عليها السلام أثناء زيارته لها إثر عودته على إيران: كادت روحي تزهب اليوم بسبب شدة لطف الناس بي! لقد انتبعت إلى أنني بلا عمامة ولا حذاء ولا عباءة، وكدت أفقد الوعي، ويبدو أن المحيطين بي قد التفتوا لحالي فاخذوا يصرخون بالناس لكي لا يتدافعوا نحوي ولكن دون جدوى، رفعوني على الأيدي وأدخلوني سيارة الإسعاف وهناك كدت أفقد الوعي بالكامل، فالتفت - وأنا في تلك الحالة - إلى شخص ويده قطنة يريد وضعها على أنفي، ولم أكن أعرف هل هو صديق أم عدو، فرأيت أن من الأفضل أن أبقى يقظاً لكي لا يقتلونني - إذا كان هذا الشخص عدو - وأنا فاقد الوعي، لذلك أشرت بيدي التي قد استولى عليها الضعف أن يبعد تلك القطنة عني ففعل...»^٢.

ينبغي أن يكون الرقم اكبر من هذا بكثير

في الأيام الأولى للحرب كنت يوماً عند الإمام فقال لي: «حققوا في عدد ما لدينا من البنادق واخبروني بالنتيجة». فذهبت وجمعت القادة العسكريين كلهم وأخبرتهم بأمر الإمام، فتم إبلاغ مختلف صنوف القوات: البرية والجوية والدرك وغيرها، فأعطونا إحصائية بذلك ولو ذكرت الرقم الآن لضحكتم تعجباً من قلته لكنني اقتنعت به لأنني تصورته عدداً كبيراً فقد كنا في بدايات الحرب ولم نطلع بعد على الأرقام الحقيقية للسلاح والعتاد والأفراد، على أي حال قدموا لي إحصائية بوجود عدة آلاف من

^١ الدكتور حسن حبيبي، صحيفة اطلاعات ١٨/١١/١٣٦٠هـ ش.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٦٧.

البنادق، فدخلت على الإمام وقرأت له الأرقام وما عند كل صنف من الجيش من البنادق، فقال بعد قليل من التأمل: «ينبغي أن يكون الموجود منها أكثر من هذا الرقم بكثير» تعجبت من ثقته وهو يجزم بهذا القول ثم انتقل إلى حديث آخر وقال: «اعلموا أن السلاح الذي أدخر في البلد أعد لمواجهة قوة كبرى مثل روسيا، فينبغي أن يكون أكثر بكثير من هذه الأرقام. اذهبوا وابتحثوا عن الأسلحة والعتاد حتى تعثروا عليها»¹.

لست أنا المقصود من قولهم «الإمام»

كانت الأيام الأولى من سنة ١٣٥٨هـ ش ١٩٧٩م مفعمة بالحلاوة والمرارة أيضاً، وسبب المرارة هي التحركات والفتن التي كانت تقوم بها بعض المجاميع والأحزاب والعلمانيين وذوي التعصبات القومية للمطالبة بسهمها المزعوم من مكاسب الثورة، وفي احد الأيام ذهبت بمعية الوالد المبجل لزيارة حرم السيدة المعصومة فاطمة بنت الإمام الكاظم عليه السلام وزيارة الإمام الذي كان يومها مقيماً في قم، وكان عدد من الأهالي معظمهم من مؤيدي السيد الشريعتمداري قد اخذوا بالتظاهر في المدينة منذ ساعات الصباح الأولى لذلك اليوم، وأخذ عددهم يزداد حتى بلغ حدود الألفين قبيل الظهر، فتوجهوا - وكان بعضهم يحملون العصي - نحو الحرم وكان يبدو أنهم يريدون التجمع عند مبنى دار التبليغ.

وعند ارتفاع أذان الظهر قام الإمام كعادته لصلاة الظهرين، وبعد دقائق دخل أحد أعضاء مكتب الإمام - وأظنه كان الأخ الكريم سماحة حجة الإسلام الشيخ الصانعي - وأراد إخبار الإمام بأمر رجح أن أنقله إليه بنفسه، قال لي: قل للإمام إن أكثر المتظاهرين قد اجتمعوا حول مبنى دار التبليغ وقد أعلنوا عبر مكبرات الصوت التابعة لهذا المبنى: لو أمرنا الإمام بالرجوع إلى منازلنا فسنطيع أمره. فاطلب منه أن يخبرنا برأيه فإن كان موافقاً ذهبنا وأعلننا إجازته لهم بالعودة إلى المنازل.

فدخلت على السيد وكان منشغلاً بتعقيبات صلاة الظهر، فأخبرته بالأمر بدقة فقال لي: «لست أنا المقصود من قولهم «الإمام» لا حاجة للإجازة». ونقلت للشيخ الصانعي نص جواب الإمام، فأراد الاطمئنان بنفسه فدخل على الإمام - الذي لم يكن قد بدأ صلاة العصر بعد - وعرض عليه الأمر فقال: «لقد قلت: لست أنا المقصود من قولهم [الإمام]» فعدنا معاً ولم تمر أكثر من دقيقتين حتى ارتفعت أصوات من مكبرات

¹ آية الله الخامنئي. صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٦٢/٧/٣هـ ش، وكان السيد الخامنئي يومها ممثل الإمام الخميني في مجلس الدفاع الأعلى.

صوت دار التبليغ وهي تقول: لقد قال الإمام الشريعتمداري: ارجعوا على منازلكم، أجركم على الله!
فعرفنا معنى كلمة الإمام^١.

حنكته في كشف الأدعياء

إحدى كرامات الإمام ما ارتبط بادعاء عدة للعرفان والارتباط بإمام الزمان - عجل الله فرجه - فبعد سماعهم لهذا الادعاء رأى بعض مسؤولي الدولة ضرورة الكشف عن حقيقة هذا الادعاء، فإن كان هؤلاء المدعين كاذبين أعلن ذلك لكي لا يقع أحد بسببهم في الضلالة، فتوسط اثنين من مسؤولي الدولة في الحصول على موعد لهؤلاء المدعين للقاء بالإمام الذي عرف بفراسته منذ اللحظة الأولى أنهم من أهل الرياء ولكشف حقيقتهم للآخرين طرح عليهم ثلاثة أسئلة وقال لهم: «إن كنتم على اتصال بإمام الزمان - عجل الله فرجه - فاعرضوا عليه الأسئلة التالية وأتوني بالجواب: -

اسألوه أولاً: ما هي الصورة الموجودة في منزلي والتي أحبها كثيراً؟ وثانياً: ما هي طبيعة ارتباط الحادث بالقديم (وهذه مسألة علمية) وثالثاً: اسألوه عن شيء أضعه وأنا أبحث عنه فأين أجد ضالتي؟! فاتضح بعد مدة انحراف هؤلاء الأدعياء الذين زعموا أنهم على اتصال بإمام الزمان عليه السلام إذ عجزوا عن الحصول عن أجوبة هذه الأسئلة^٢.

يتسلم الإشارات بدقة وعمق

من الطبيعي أن النشاط الذهني للإنسان يضعف إذا تقدم في العمر فتقل قدرته على الفهم السريع للمسائل، أما الإمام فلم تصبه هذه الحالة أبداً وحتى في الدقائق الأخيرة من عمره فإنني كلما زرته وجدته في سرعة الفهم وإدراك القضايا كشاب ابن اثنين وعشرين سنة وليس كشيخ طاعن في السن، ولذلك استغنيت عن تقديم التوضيحات المفصلة التي كنت اعرضها عليه في البداية عند رفع تقاريري له، وأخذت اكتفي بإشارات مقتضبة كان يستلمها بدقة وعمق^٣.

الدقة في دراسة الاحتمالات المختلفة

بعد استشهاد السيدين الرجائي وباهنر في شهر يور سنة ١٣٦٠هـ ش، آب ١٩٨١م، زرت الإمام يوماً - وكنت يومها وزيراً للخارجية - وأخبرته بقضية عزمي على الذهاب إلى منظمة الأمم المتحدة للاشتراك

^١ السيد علي الثقفي، شقيق زوجة الإمام.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأشثاني، مجلة (مرزداران = حرس الحدود) العدد: ٨٦.

^٣ السيد مير حسين الموسوي، مجلة حوزة، العدد المزدوج ٣٧-٣٨.

في اجتماعاتها للمرة الأولى فقال: «لست معارضاً لأصل هذا الأمر، ولكنكم هل فكرتم مسبقاً في إمكانية منعهم لكم عن قول ما تريدون؟» قدمت بعض التوضيحات وقلت: ظواهر الأمور لا تبعث على الاطمئنان من ذلك، فقال: «هل فكرتم مثلاً باحتمال قيامهم بقطعهم لأسلاك مكبرات الصوت عند وقوفكم خلف المنصة لإلقاء خطابكم، فيوجهون بذلك اهانة لكم؟» وقد هزنتي دقة الإمام في دراسة الاحتمالات المختلفة التي لا ينتبه لها الآخرون^١.

لولا أن هدانا الله

زرت الإمام يوماً بمعية عدد من القادة الميدانيين لقوات الحرس، فاستأذنته في بداية اللقاء في التكلم في تعريف الحاضرين له، وبدأت حديثي المختصر بالآية الكريمة: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله﴾ [الأعراف: ٤٣] لكنني سهوت في تلاوتها وقلت: لولا هدانا الله، فصحح الإمام قولي فوراً وقال: ﴿لولا أن هدانا الله﴾^٢.

نبهني الإمام إلى تلك المفارقة

كنت في أوائل انتصار الثورة الناطق باسم الطلبة الجامعيين السائرين على نهج الإمام، وقد ظهرت مراراً في مقابلات تلفزيونية في مبنى وكر الجاسوسية (السفارة الأميركية) خلال قضية احتلالها، وأنا أرتدي معطفاً من صنع أميركي دون أن أنتبه لهذه المفارقة، إلى أن انتبهت لذلك عندما قال الإمام - الذي كان يتحلى بدقة عالية - : «هل أن ما يرتديه هذا السيد من صنع وطني؟»^٣.

لا يخذعكم ببيكائه إنه يكذب

ضمن متابعتي لقضية مهدي الهاشمي، زرت الإمام يوماً وقدمت له تقريراً له بشأنها مع شريط مسجل لاعترافاته، فقال: «حتى لو قدمتم هذا الشريط للشيخ المنتظري، لما غير من موقفه، ولأنكر صحة هذه الاعترافات وقال: أنكم انتزعتموها من تحت التعذيب». وقد قلت له خلال هذا اللقاء: لم يضرب مهدي الهاشمي إلى اليوم ولا جلدة واحدة.

وقد سمعت فيما بعد أن الإمام شاهد محتويات هذا الشريط مرتين أو ثلاث، والذي يجذب الانتباه هنا تعليقه على القسم الأخير من هذه الاعترافات، فقد بكى الهاشمي وأعرب عن ندمه وطلب العفو، فعلق

^١ السيد مير حسين الموسوي، مجلة حضور، العدد: ٢.

^٢ القائد البحري علي الشمخاني.

^٣ السيد إبراهيم اصغر زاده، صحيفة رسالت ١٣٧١/٢/٧ هـ.ش.

الإمام على ذلك بقوله: «لا يخذعنكم بذلك إنه يكذب، حر كاته متصنعة وليست صادقة»، لكننا لم نفهم معنى هذا التعليق الذي يكشف عن عمق ذكاء الإمام وبصيرته، وقد أثبتت الحوادث اللاحقة وكذلك اعترافات المتهم فيما بعد أن بكائه وتضرعه كان بهدف خداع المسؤولين وصرف أنظارهم عن أمور أهم^١.

لا تجدون كلاماً يصيبه بالعي

لا يصيب العي الإمام في الإجابة على أي كلام يوجه إليه، فلو تفرغتم أيما عدة للبحث عن كلام تقولونه له ويعجزه الرد بجواب مناسب، لما وجدتم كلاماً بهذه الخصوصيات، إن بداهة الإمام في الجواب تثير الإعجاب حقاً، والسبب هو ما كان يحظى به من منطق خاص به.

فمثلاً دعوني رسمياً مرة لزيارة الصين وقد أخبرته بذلك ضمن حديثي معه وقلت: وجهت جمعية النساء في الصين دعوة لي لزيارة هذا البلد، فاكتفى بأن رفع رأسه وقال: «تريدين الذهاب إلى الصين؟» فضحكت وقلت: لم أقرر بعد، لكنني شعرت بأنه ينهاني عن الذهاب وإن لم يفصح، وعندما دخلت عليه مرة أخرى قال: «اقتربي مني» وكان عدد من أفراد العائلة عنده، ففعلت فهمس في أذني قائلاً: «لا تذهبي إلى الصين» فقلت: سمعاً وطاعة. وانقضى الأمر، لكنني سألته فيما بعد: لماذا همست بهذا الأمر يا ذني؟ أجابني: «وهل تريدين أن أهمس في قدمك؟!» قلت: لا أقصد ذلك، أقصد لماذا أسررت إليّ بهذا الأمر؟ فقال: «إنما أخرجتك من بين الحاضرين لكي أسرك بهذا الأمر!»^٢.

دقته في قطع الطريق على الاستقلال السياسي

كان مسؤولو الحكومة العراقية قد طلبوا مراراً إجراء لقاءات خاصة بالإمام لكنه كان لا يرغب ولا يأذن بها قدر المستطاع فإذا رأى ضرورة بعضها أذن بها ودعا عدد من المعتمدين عنده والثقة الذين كانوا يحضون بمكانة مرموقة في النجف على حضورها، لكي لا يستطيع المسؤولون العراقيون استغلالها سياسياً وينسبون بعض المواقف التي يريدونها على الإمام؟ وكان المرحوم آية الله المدني وبعض السادة العلماء العرب الموثوقين من الذين يدعوهم الإمام لحضور هذه اللقاءات^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الريشهري، كتاب (خاطرات سياسية)

^٢ السيدة زهراء المصطفوي.

^٣ صحيفة جمهوري اسلامي ١٣٦١/٦/١٩ هـ.ش.

قوة حضوره الذهني وحفظه للمطالب العلمية

أثناء استنساخي لتعليقات الإمام على كتاب «شرح فصوص الحکم» كنت أراجعه باستمرار فيما يرتبط بتلك التعليقات وقد جذب انتباهي ثباته على الآراء العلمية التي تبناها فيها رغم مرور قرابة ستين عاماً على تأليفه لها وترقية المتواصل طوال هذه السنين في المجالات المعنوية والعلمية، فاتضح لي وكأنه كان قد وصل إلى الذروة العلمية منذ الخطوة الأولى؛ هذا في حين أن المؤلف لدى المحققين أنهم يعيدون النظر في آرائهم التي توصلوا إليها في البداية، إذا واصلوا البحث والتحقيق، فيصلحون بعضها بل وقد ينقضون بعضها الآخر.

والقضية الأخرى التي لاحظتها أثناء ذلك، أنني كنت أسأله عن عشرات الموارد في هذه التعليقات أثناء استنساخي لها فكان يجيبني في كل مورد وكأنه قد فرغ من كتابته للتو، الأمر الذي يكشف قوة حضوره الذهني وقوة حفظه للمطالب العلمية التي وجدتها واضحة بالكامل عنده رغم مرور (٦٠) عاماً على كتابته لها^١.

كيف وقع البيان وهو هنا؟!

أثناء زيارتي للنجف الأشرف، قال لي السيد أحمد يوماً: لقد وصل للإمام بيان من إيران وقعه عدد من العلماء، فلما رأى اسمك بينهم سأل: كيف وقع هذا البيان والآن هنا في النجف! فأجبت: إنني وكنت السادة أن يكتبوا اسمي ضمن الموقعين على مثل هذه البيانات^٢.

أرجع الرسالة لكي يصححوها

سلمني أعضاء المكتب رسالة وطلبوا أن أحملها إلى الإمام لكي يوقها، فلما جئت إليه كان يجدد الموضوع، سألني عن حاجتي فأخبرته، فقال: «اصبر» فلما أسبغ وضوءه جفف يده وأخذ الرسالة وقرأها وأعادها وقال: «أرجعها وقل لهم: إن فيها خطأ في الإملاء، فليصححوها لكي أوقعها!» وعندما قرأت الرسالة وجدت أنهم كتبوا إحدى كلماتها بالغلط بدل القاف! لقد كان دقيقاً على هذه الدرجة في أعماله^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الموحدى الكرمانى.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

دقته في الإصغاء لما يقال

من خصائص الإمام البارزة دقته في الإصغاء لمن يتكلم في محضره صغيراً أو كبيراً في حين أننا عادة نصغي للمتحدث إذا كان شخصية علمية أو معنوية أو مرموقة، لكننا لا ندقق في قوله إذا كان شخصاً عادياً أو صغيراً، الإمام كان دقيقاً في الإصغاء لما يقال في حضوره أو للكلمات التي تبتث عبر الإذاعة أو للتقارير والآيات والأناشيد التي تقرا في الحسينية في بداية اللقاءات، فإذا وجد فيها ما يرى لزوم تصحيحه صححه، فمثلاً جاء لزيارته يوماً عدد من أبناء شهداء كاشمر مع جمع من عوائل الشهداء، وكانوا قد أعدوا أناشيد فاستأذنت منه أن يسمح لهم بقراءته في اللقاء، فأذن بذلك، ولما انتهى اللقاء ذهب الإمام إلى غرفته وذهبت أنا على المكتب حيث جلست هناك فدق الجرس بعد فترة وجيزة واستدعاني للدخول عليه، فتعجبت وقلت في نفسي: لا بد أن الأمر هام فقد كنت في محضره قبل قليل ولم يقل لي شيئاً. فلما دخلت عليه قال: «قل لهم أيها الشيخ الكروبي أن يغيروا كلمة «المفتين» من النشيد الذي أنشدوه آنفاً!» وكان النشيد يخاطب الإمام بأنه قد حطم الفراعنة وأشبه قارون، وفضح «المفتين» أي الذين يفتون بغير الحق لصالح الحكومات الظالمة، فقلت له: لكن هذا المعنى صحيح يا سيدي على أي حال. فقال: «ليكن الأمر كما تقول، ولكن وصف «المفتي» ويشمل أيضاً غير العملاء من المفتين، لذلك ينبغي حذفه من النشيد»¹.

لا بد أنهم اخفوا في الحوض شيئاً

انخرط أولاد إمام جمعة همدان يومذاك ضمن صفوف المنافقين، فذهبت إلى منزله لتحذيره من ذلك ومن خطط أولاده حفظاً لحرمة، لكنني شعرت أثناء كلامي معه بأن المكان ليس آمن وتوقعت أن ثمة من يستمع لكلامنا، لكنني لم أظهر ذلك، وختمت كلامي وقلت: إنني سأزورك غداً لإكمال الحديث، وخرجت من عنده بهدوء ثم فتحت باب الغرفة السفلية فوجدت زوجة إمام الجمعة وقد نصبت لاقطة للصوت وهي تسجل كلامنا لأولادها، فأخذت منها جهاز التسجيل واللاقطة لكي أسلمها للأخوة الحرس وعندما أردت التوجه إليهم التقيت بإمام الجمعة وهو ينزل من السلم فلما رأيته: ألم تذهبي بعد يا سيدة دباغ، قلت كلا، يا سيدي، لقد بقيت لكي أكتشف شبكة التجسس التي تديرها السيدة زوجتكم. فأنكر قولي فقلت: لقد السيدة جهازاً للتسجيل ولاقطة للصوت وسجلت كلامنا! قال: ولكن لا

¹ حجة الإسلام والمسلمين مهدي الكروبي.

توجد أي لاقطة للصوت في الغرفة العليا. أجبته لا بد أنها أخفتها تحت الفراش أو في عباءتكم، لكن هذا القول آذاه وأخذ يجادلني، فخرجت وأنا أحمل جهاز التسجيل واللاقطة الثانية وذهبت بها للحرس. ثم زرت الإمام وأخبرته بالواقعة وعرضت عليه أدلة الإثبات، فقال: «اعملوا ما ترونه مناسباً، يجب حفظ الثورة». ومنذ ذلك اليوم فهمت من قوله هذا أنه سيزيح كل من يقف بوجه الثورة حتى لو كان عالماً دينياً أو مسؤولاً كبيراً، لذلك لم يكن صحيحاً ما قاله البعض - عندما أمر الإمام بإنزال صور الشيخ المنتظري من الدوائر الحكومية - بأنها المرة الأولى التي يتعامل فيها بهذه الطريقة، فقد رأيت بنفسني إنه تعامل بمثل ذلك منذ بداية الثورة.

وعلى أي حال، فبعدما حصلنا على أمر الإمام تابعنا الموضوع وسيطرنا على بيت إمام جمعة همدان فرأينا في سردابه حوضاً مغطى، فلما عرف الإمام بذلك قال: «لا بد أنهم أخفوا شيئاً ولذلك غطوه!» فقلع الأخوة غطاء الحوض فوجوا فيه (٤٠) بندقية من نوع (ج س) وعدد كبير من المسدسات والقنابل اليدوية!!^١.

يتذكر بعد سنين اسماً ورد في رسالة

عندما زرت الإمام في النجف وعرفته بأن اسمي هو «دباغ» قال: «ألست السيدة دباغ التي ذكرها الشهيد السعيد في إحدى رسائله؟» وقد أثارت هذه الدقة انتباهي، فالرسالة التي أشار إليها كانت ترجع إلى سنة (٤٨ أو ٤٧ هـ ش) [٦٩ أو ٦٨ م] في حين أنني زرتة سنة ٥٣ هـ ش [١٩٧٤]، فكيف تذكر بعد كل هذه الأعوام اسماً ذكره الشهيد السعيد في إحدى رسائله مرة واحدة^٢.

أعرفك منذ بداية النهضة

المرة الأولى التي حظيت فيها بلقاء خاص بالإمام كانت في بداية انتصار الثورة وفي تلك الغرفة المتواضعة ذات الأبواب الخمسة في منزله في قم، كان الإمام جالساً في آخر نقطة في الغرفة، وما أن دخلت حتى فقدت فجأة القدرة على المشي فبركت ولم استطع التحرك، فأعانني الشهيد الحاج مهدي عراقي والسيد عباس توكلي وأوصلوني إلى غرفة الإمام وقد سيطرت عليّ حالة من الدهشة هيبه له، فمسح بيده على ركبتي، ثم مسح على راسي بعد أن أثني الشهيد عراقي عليّ وعندها قبلت يده وحاولت

^١ السيدة مرضية الحديدجي (دباغ).

^٢ المصدر نفسه.

تقبيل ركبته فمنعني. وكان هذا هو اللقاء الأول وقد دعا لي الإمام أثناءه، وقد زرته بعد الحرب، وأحببت أن أعرف هل يتذكر لقائي الأول به أم لا فقال: «إنني أعرفك، أعرفك منذ بداية النهضة»^١.

لو أيدته لضاعف ذلك من نشاط معارضييه

طلبت من الإمام مرة وبإلحاح أن يكتب تقريراً لكتاب «الحجاب» للمرحوم الشهيد المطهري لكي يعرف الناس أنه يحظى بتأييده فينتشر في المجتمع، لكنه لم يوافق على ذلك وقال: «لو أيدته لضاعف ذلك من نشاطات معارضييه واكتسب الكتاب صيغة وسيلة للنزاع السياسي»^٢.

لا تقتربي مني!

قالت لي إحدى الصحفيات الأجنبية يوماً: ليس لدينا صورة أو فيلماً يظهر حضور امرأة عند الإمام - وكان الإمام لا يسمح بالتصوير إذا كانت ثمة امرأة بالقرب منه خشية من استغلال ذلك لأغراض سيئة. لذا حبذا لو اقتربت من الإمام عند خروجه من الخيمة بحجة أنك تريدین طرح سؤال عليه لكنا نستطيع تصوير فيلم تكوينين فيه إلى جانبه فنثبت به خطأ الدعايات الغربية التي تزعم أن الإمام يحمل نظرة سلبية تجاه النساء. فلما خرج الإمام من الخيمة توجهت لأطرح عليه سؤالاً فأشار إلي بيده: أن لا تقربي مني! ومرّ.

وفي المنزل قال لي بلغة مفعمة بالرافة: «هل أوصاك أحد أن تعرضي عليّ ذلك السؤال في الطريق؟» قلت: نعم يا سيدي، فقال: «كان عليك أن تخبريني مسبقاً بذلك لكي أرشدك إلى أسلوب التعامل مع هؤلاء فإن من المحتمل أن تكون له أغراض غير سليمة يسيبون لنا مشاكل بها». ثم اتضح فيما بعد صدق حدس الإمام وعرفت أن تلك الصحيفة كانت من المنحرفين.

وبعد يومين أعطاني الشيخ الإشراقي صورة، أمره الإمام بأن يسلمها لي، وكانت صورة التقطها أحد المصورين بمهارة فائقة عندما كنت أغلق الباب عند خروج الإمام من المنزل، ولعل الإمام أهداني هذه الصورة لأنه عرف أنني أحب - كباقي السادة - بالاحتفاظ بصورة له معي!^٣.

^١ السيد محسن رفيق دوست.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي.

^٣ السيدة مرضية الحديدجي.

لا تفتحه أنت أيضاً يوجد من يتكفل بذلك

وصل إلى محل إقامة الإمام في باريس يوماً، شخصان قالوا إنهما مبعوثان من قبل الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات - وكان يومها شخصية مهمة - وإنهما يحملان رسالة منه للإمام، وطلبنا موعد للقاء بالإمام وتسليمه الرسالة، فحدد وقتاً لهما واستقبلهما الإمام وقد حضر اللقاء عدد منا، لأننا لم نكن مطمئنين بالكامل من هويتهم، وقد تكلمنا عما يريدان بلغة عربية فصحة وأجابهما الإمام. وعندما استعدنا للخروج وضعنا أمام الإمام ظرفاً كبيراً وقالوا: إن رسالتنا موجودة في هذا الظرف؛ فلما خرجنا قلت للإمام: إننا لا نعرفهما يا سيدي، فلسنا مطمئنين من وضعهما، فقال: «وأنا أيضاً شككت بهما». قلت: إذا كان الأمر كذلك فلا تفتح هذا الظرف، واسمح لي بأن أذهب به إلى الخارج وأفتحه هناك. فقال: «كلا، لا تفتحه أنت أيضاً، يوجد هنا من يتولى مسؤولية فتح مثل هذه الظروف».

ولم يكن يومها من ينتبه إلى مثل هذه المسائل الأمنية، ويحتمل أن يضع الأعداء قبلة في كتاب أو ظرف ويأتي بها للإمام، فتطوعت إحدى الأخوات الثوريات للقيام بمهمة فتح مثل هذه الظروف والطرود وقالت للإمام: إنني مستعدة لدفع الخطر عنكم حتى لو كلفني الأمر حياتي، فروحي فداء لكم، فاسمحوا لي بأن أتولى مهمة أخذ مثل هذه الظروف والطرود بعيداً عنكم وأفتحها هناك لكي لا تتعرضوا لأي خطر محتمل، فقبل الإمام بتوليها لهذه المهمة [بعد تلقيها التعليم اللازم لذلك].¹

أبعدوا عنكم القلق لن يحدث شيء

أثناء إقامتنا مع الإمام في نوفل لوشاتو، قالوا لي يوماً قبيل الغروب، يوجد بين الذين جاءوا لزيارة الإمام شخص تحوم حوله الشكوك، وقد تناقل الإخوة خبره منذ وصوله على محل إقامة الإمام، فسالت السيد المحتشمي عن ذلك فقال: إن الإخوة يشكون بهذا الشخص. ثم أقيمت الصلاة وشارك هذا الشخص فيها ثم جاءني وطلب الأذن بالدخول على الإمام، فأخبرت الإمام بذلك فقال: ليدخل، فأشرت إلى السيد المحتشمي بأن نجلس في الغرفة عندما يدخل هذا الشخص، ففهم مرادي وجلسنا فلما دخل الشخص المعلوم الغرفة تناول فوراً يد الإمام ووضع راسه على ركبتي الإمام وانفجر بالبكاء، وبقي على هذه الحالة عشر دقائق - دون مبالغة - لم يرفع رأسه خلالها رغم محاولات الإمام المتكررة لرفع رأسه. ولما

¹ حجة الإسلام والمسلمين فردوسي بور.

خفت حدة البكاء رفع رأسه واخرج من جيبه حزمة من الأوراق النقدية ووضعها أمام الإمام وخرج دون أن يقول شيئاً!!

استولى علينا - أنا والسيد المحتشمي - الشعور بالخجل بسبب سوء ظننا بالرجل وحكمنا المسبق عليه ورجحنا أن نخرج من محضر الإمام بسرعة، فلما هممنا بالخروج خاطبنا الإمام بالقول: «ثقوا بأنه ما من احد من كسبة سوق طهران يأتي إلى هنا بهدف قتلي، فابتعدوا عنكم القلق!» وكان الرجل من كسبة طهران لكننا لم نخبر الإمام بأننا نشك في سلامة نواياه، إلا أنه عرف ما يجول في نفوسنا عندما لاحظ جلوسنا في الغرفة أثناء اللقاء، فاعتذرنا قائلين: لكثرة ما قالوا لنا أن سلوك هذا الرجل يثير الشك اضطررنا إلى البقاء عندك أثناء مجيئه لزيارتك¹.

¹ المصدر السابق.

الفصل الثالث عشر الدقة بالالتزام بالشرع

يصبر حتى يجف عرق بدنه

ينقل بعض الأشخاص أنهم رأوا الإمام في الحمامات العامة يصبر - بعد أن يكمل استحمامه - حتى يجف عرق بدنه بالكامل ثم يرتدي ملابسه، لأنه كان يرى أن ارتداء الملابس قبل أن يجف عرق البدن خلاف الاحتياط^١.

يسافر إذا رأى في الصيام شبهة

كان الإمام يسافر عندما يرى في صيامه شبهة عدم الجواز لاحتمال أن يكون ضاراً له، ويصوم إذا اطمأن من أن الصوم لا يضره^٢.

الاحتياط والانفتاح في التعامل مع الموقوفات

كان للإمام رأي اجتهادي خاص بشأن الموقوفات وكيفية الوقف، وكان يحتاط كثيراً تجاهها ولا يجير صرف ولا دينار واحد خلاف رأي الواقف وصيغة الوقف لكنه كان يأذن لنا بالتصرف فيما يرتبط بشؤون الحكومة في إدارة أمور الناس وذلك لتبديل الوقف بوضع أحسن، فمثلاً سألناه مرة عن الموقوفات التي تقع على حافة الشوارع أو التي تمنع تعريض الطرق فأجاب: «إن النظام في أي بلد كان يحتاج - ولا شك - إلى طرق وتعريض الشوارع، لذلك يمكنكم أن تأخذوا قيمة مباني الموقوفات التي تقع في مسير التعريض من البلدية وتشتروا بها المباني المناسبة في مكان آخر»^٣.

^١ آية الله الإيزدي النجف آبادي.

^٢ آية الله الإيزدي النجف آبادي، ويبدو أن سبب سفره إذا كان في صيامه شبهة، وهو اجتناب الشبهة وحفظ حرمة شهر رمضان.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد إمام الجمراني.

أبطالوا حكم المصادرة إذا كان غير شرعي

قال الإمام أثناء لقائه بأعضاء لجنة متابعة أوامره بشأن الأموال المصادرة: «إذا كان حكم المصادرة لا ينطبق مع موازين الشرع، فعليكم أن تحكموا بإبطاله، ولا يحق لحد الانتفاع بالأموال خلال مدة توقيفها، فإذا كان مثلاً البيت الذي يسكن فيه منها، عليه أن لا يتصرف فيه حتى يتضح حكمه بصورة نهائية»^١.

يجب إلغاء الربا

في أول لقاء عقده أعضاء المجلس الثوري مع الإمام، أكد الإمام بصورة مشددة عليهم أن يتخذوا الإجراءات اللازمة لإلغاء الربا من النظام المصرفي في إيران بأسرع ما يمكن، وبناء على ذلك تم تكليف المجلس الثوري بإعداد لائحة قانونية لإلغاء الربا والقروض الربوية^٢.

لا أستطيع أن أخصص لك راتباً

قال الإمام لولده السيد أحمد قبل أن يرتدي العمامة والزي الحوزوي: «لن أستطيع أن أخصص لك راتباً من رواتب الحوزة ما لم تتعمم كسائر طلبة الحوزة» ولذلك كانت السيدة والدته تعطيه ما يحتاجه من أموالها الشخصية عندما كان يذهب للمدرسة والدرس سواء في إيران أو في النجف، إلى أن تعمم، وعندها خصص له الإمام راتباً شهرياً بمقدار رواتب باقي طلبة الحوزة، وقد تعامل بالصورة نفسها مع السيد مصطفى أيضاً^٣.

لا يمكن خيغ الكتاب بهذه الأموال

سمعت بنفسي الوالدة تقول للإمام يوماً بالنجف: لماذا لا تسعى لطبع كتاب السيد مصطفى في تفسير القرآن؟ فقال: «ليس لدي مال أطبعه به» قالت: وهل من غير الجائر أن تطبعه بهذه الأموال؟ أجاب: هذه الأموال ليست مخصصة لطبع الكتب» فسكتت الوالدة ولم تقل شيئاً. لقد عرفت من ذلك شدة دقة الإمام في صرف الأموال الشرعية، فهذه الأموال مخصصة للمحتاجين ولذلك رفض أن يأخذ منها شيئاً لطبع كتاب ولده في تفسير القرآن^٤.

^١ آية الله السيد الموسوي الأردبيلي، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٦١/١٠/٨ هـ ش، كتاب (محضر نور) ج ٢ ص ١٠.

^٢ صحيفة كيهان ١٣٥٨/٩/١٠ هـ ش، (محضر نور) ج ١ ص ٢٤٨.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الفرقاني.

^٤ السيدة فريدة المصطفوي، صحيفة اطلاعات ١٣٥٩/٨/١ هـ ش.

ليس الوقت مناسباً للاحتفالات

كان الإمام يعتقد بلزوم أن يكون للزوجة مهراً ويدقق في ذلك، فعندما كان يأتيه بعض الأشخاص لكي يجري لهم عقد الزواج؛ كان يرفض إجراء العقد إذا قالوا أن المهر هو مثلاً نسخة من القرآن الكريم، ويأمر بتخصيص شيء كمهر للزوجة، لكنه كان - في المقابل - لا يحب المراسم غير الضرورية في الزواج، وقد نهى بشدة عنها عندما تزوج أخي حفيدته وكان ذلك أيام الحرب وقال: «ليس الوقت مناسباً لمراسم الاحتفال والمآدب»^١.

الاحتياط في صرف سهم الإمام

لم يكن الإمام يأذن بصرف سهم الإمام ﷺ من الخمس لبناء المساجد إلا إذا توفر شرطان: الأول أن تكون ثمة حاجة لبناء المسجد، والثاني أن ميزانية البناء لا يمكن توفيرها من طرق أخرى مثل التبرعات، فإذا كان الذي يطلب إجازة لصرف الأموال لبناء مسجد ملتفتاً لهذين الشرطين وذكرهما في استفتاءه أجاب الإمام: «طبقاً للفرض المذكور يجوز لهم الدفع»، وإلا كان جوابه: «يجوز الدفع إذا كان ثمة حاجة للمسجد ولا يمكن توفير الميزانية من طريق آخر». وهذه الفتوى تختص بأصل بناء المسجد أما فيما يرتبط بالأمور غير الضرورية أو ذات الأهمية الثانوية مثل تزيين المسجد بأحجار الزينة أو المفروشات الراقية ونظائرها فلم يكن يعطي إجازة مطلق بذلك، والنماذج على ذلك كثيرة، فمثلاً استجازه شخص مرة لصرف مبلغ (٣٠) ألف تومان من سهم الإمام لشراء سجادة لمسجد في شارع أبي ذر في طهران فأجاب الإمام: «لا أجاز ذلك»^٢.

يدفع الدية

كان الإمام يشعر بمسؤولية أكبر تجاه الذكور من ذريته، فمثلاً جرح ولدي علي مرة - قبل بضع سنين - وجه حفيد عمته أثناء اللعب، وعندما عرف الإمام بذلك أعطى الولد الجريح مقداراً من المال كدية على جرحه، أي أنه رأى دفع هذه الدية من واجبه لأنه جد علي من جهة والده^٣.

^١ السيدة فاطمة الطباطبائي، الملحق الخاص لصحيفة اطلاعات بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام ١٣٦٩/٣/١٤ هـ.ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٣ السيدة فاطمة الطباطبائي، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٦٩/٣/١٣ هـ.ش.

شدة الدقة تجاه بيت مال المسلمين

يقول الحاج السيد احمد: إثر استشهاد السيد مصطفى بقيت والدتي في بيت ولدها الشهيد (١٠-١٥) يوماً ولم يكن جهاز الهاتف في منزله مفتوح الصفر لكي يكون بالإمكان الاتصال عبره بإيران فقالت وهي المفجوعة بولدها: ألا يوجد جهاز هاتف يمكنني أن أتحدث عبره مع أولادي في إيران؟ فقال لها الإمام: «إن استشهاد مصطفى ليس مبرراً شرعياً للاستفادة من بيت المال، فهذا متعلق بالمسلمين ولا يجوز لي شرعاً أن أسمح بالاستفادة من الهاتف الذي هو من أموال بيت مال المسلمين لكي تتصلي بأولادك، لا علاقة لاستشهاد ولدك مصطفى بالاستفادة من بيت مال المسلمين»^١.

الوصية بالورع عن المحرمات

الشيء الوحيد الذي كان الإمام غالباً يوصي به أرحامه لكي يكون التزامهم الأول دائماً هو: أداء الواجبات واجتناب المحرمات^٢.

يتشدد في رعاية عدم الاختلاط بغير المحارم

كان الإمام يتعامل باحترام ومودة مع أصهاره وزوجات أبنائه على حد سواء، لكنه لم يكن يوافق على كثرة تردد أصهاره على بيته لأنهم ليسوا محارماً لجميع أفراد عائلته وهو كان يتشدد في رعاية عدم الاختلاط بغير المحارم؛ ولذلك كانت توجد باستمرار فاصلة بيننا وبين أصهارنا بسبب وجود بنات أخريات في المنزل ليسوا من محارمهم جميعاً، ولم يكن من المألوف في السابق ما هو رائج اليوم من أن يأتي الصهر الجديد كل يوم إلى بيت عائلة زوجته بدءاً من يوم العقد، لقد بقي الحال في بيت الإمام على الوضع السابق، ولذلك كان تردد الأصهار عليه محدوداً لوجود بناته وحفيداته فيه الأمر الذي يستلزم أن يكون تردد غير المحارم عليه محدوداً^٣.

رعاية الشرع أثناء التمثيل أيضاً

قال الإمام بشأن مسلسل «خريف الصحراء» التلفزيوني: «من الممكن أن يكون قد وقع ما يخالف الشرع أثناء إنتاج هذا المسلسل، ولكن هذا لا يعني أن بثه مخالفاً للشرع». فقلت له: لا أعرف أي مقطع من

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (مرزداران = حرس الحدود) العدد: ٥٦.

^٢ السيدة فاطمة الطباطبائي.

^٣ السيدة فريدة المصطفوي.

المسلسل تشيرون إليه؟ فقال: «ذلك المقطع الذي يظهر جلوس امرأة ورجل لوحدهما في غرفة يتحدثان فلا يجوز شرعاً أن يجلسا بهذه الحالة إذا لم يكونا من المحارم، ولكن تصوير هذا المشهد جائز لا يخالف الشرع»^١.

تشده تجاه فعل المحرمات وترك الواجبات

كان الإمام قليل ما ينصح الآخرين لسانه، فهو يبين بعمله الصالح ويميزه عن العمل القبيح، ونحن نميز هذا العمل عن ذلك من خلال ملاحظة ردة فعله المتميزة تجاه العمل الحسن عنها تجاه القبيح، وكان يتعامل فيما يرتبط بفعل المحرمات وترك الواجبات بشدة اكبر من تعامله مع ترك المستحبات^٢.

ينهى عن الاختلاط غير الضروري مع غير المحارم

لم يكن الإمام يرى من ضرورة لتحدث النساء مع محارمهن، لذلك كنا لا نجلس مع أي من أحفاده إذا بلغ سن التكليف في غرفة واحدة في بيته، والطريف أنه إذا دخل أحد هؤلاء غرفة الإمام ونحن عنده لم يكن يأمرنا بالخروج بل كان يطلب من حفيده أن يخرج! وإذا كنت جالسة عنده وأراد حفيد له بلغ سن التكليف أن يدخل عليه - وهذا الحفيد هو بمثل سن ولدي - نهاه عن الدخول بسبب حضوري عنده^٣.

لا فرق بينك وبين أختك

من القضايا التي كان يهتم بها الإمام اجتناب الاختلاط بين غير المحارم، وأتذكر ان عمري لم يكن قد تجاوز عشر سنين عندما ناداني مرة؛ وكنت ألعب مع إخوتي وابن خالتي لعبة الاختفاء وكنت محجبة أيضاً لكنه نهاني وقال لي: «لا يوجد فرق بينك وبين أختك الكبيرة فكيف تلعبين مع الأولاد وهي لا تلعب معهم؟»^٤.

لا تخلطوا الخرافات بالشرع

عندما دخلنا القاعة التي كنا نحضر فيها معظم دروسنا الجامعية رأينا يوماً جداراً خشبياً وضعوه فيها لعزل الطلاب عن الطالبات، ولعي أنا أيضاً قد أخبرت الإمام بذلك لكن من المؤكد أنه عرف من مصادر

^١ السيد محمد الهاشمي، الرئيس السابق لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون في إيران، مجلة سروش، العدد: ٥١٠.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي.

^٣ السيدة فاطمة الطباطبائي.

^٤ السيدة عاطفة الإشراقي، مجلة (زن روز) العدد: ١٢٦٧.

أخرى، كما أن السيد الخامنئي قد حدثه عنه الأسبوع التالي فكان أمر الإمام هو: «عليهم أن يزيلوا هذا الجدار ولا يخلطوا الخرافات والأمور المبتدعة من قبل الناس بأحكام الشرع»^١.

يتأذى لصدور ما يخالف الشرع

كان الإمام يتأذى كثيراً ويتغير حاله إذا رأى صدور ما يخالف الشرع من أحد، وكان مثلاً ينهنا بحزم إذا ظهر من أيدينا أكثر من الحد الشرعي المجاز أثناء تناول الطعام^٢.

لا يوقظ احد للصلاة

الإمام الذي لم يترك نافلة الليل ولا ليلة واحدة، لم يوقظ - في الوقت نفسه - أحداً لصلاة الفجر ولا لمرة واحدة^٣.

ينبغي تعليم الأولاد أحكام الشريعة قبل بلوغهم

كان يتعامل الإمام مع أولاده وبناته بعد بلوغهم سن التكليف منطلقاً من أحكام الشرع وهو لا يداهن فيها أحداً لكنه كان لا يوقظ أحداً منهم للصلاة لأنه يعتقد بعدم توجه التكليف الشرعي للنائم، كما كان يعتقد بضرورة تعليم الأولاد أحكام الشرع وتعريفهم بالفضائل والردائل قبل بلوغ سن التكليف الشرعي^٤.

شديد الغضب لجرمات الله

رأيت بنفسي مرة غضب الإمام - وكم كان شديداً - بسبب صدور معصية من أحدهم، نحن إذا رأينا معصية من أحد نهيناه عن المنكر، أما الإمام فإن ردة فعله أشد من ذلك بكثير، فهو يغضب بعمق ويظهر غضبه على وجهه ونظراته ونظراته ويهتز بدنه^٥.

أسدل الستار

^١ السيدة فاطمة الطباطبائي، مجلة (زن روز) العدد: ١٢٦٧.

^٢ السيدة فاطمة الطباطبائي، ملحق صحيفة اطلاعات الخاص بالذكرى السنوية الأولى لوفاة الإمام ١٣٦٩/٣/١٤ هـ.ش.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة (بيام انقلاب) العدد: ٦٠.

^٤ السيدة فاطمة الطباطبائي.

^٥ السيدة زهراء المصطفوي.

زرت الإمام في قم وطلبت منه بإلحاح الانتقال إلى طهران للعلاج لأن الإمكانيات الطبية فيها أفضل فوافق، وقد وعدته بأن أكون له طبيباً وممرضاً في آن واحد، ولكن رعاية الضوابط الشرعية لم تكن مناسبة يومذاك في مستشفى القلب التي رقد فيها لذلك ناداني وقال لي: «أسدل الستار وتعال لفحصي وحدك!».

يعطي الدية لابنته عن إصابة غير متعمدة

كان بالقرب من بيتنا بيت تقطنه عائلة صديقة لنا، وكان الإمام لا يرى من الصالح أن نتردد على ذلك البيت، ولم أكن يومها قد بلغت سن التكليف لكن أختي كانت قد بلغت سن التكليف والفرق بين عمر كل منا سنتان؛ لكننا وبسبب جهالة الطفولة ذهبنا يوماً إلى بيت صديقتنا تلك، فلما عاد الإمام قبيل غروب الشمس من الدرس إلى المنزل وسمع أصواتنا ونحن نلعب في الزقاق؛ استدعانا فذهبنا إليه وقد سيطر علينا الخوف، ودخلنا السرداب - حيث كنا نقطن فيه أيام الصيف - فوجدناه قد حمل عصا غليظة! وكان يعلم أننا لا نتحمل التأديب بهذه العصا، لذلك اخذ يضرب جدار السرداب - بغضب وهو يقول: «ألم أنها كنَّ عن الذهاب» - ولم أكن أنا مخاطبة بهذا القول منذ البداية - وظل يضرب الجدار بالعصا حتى انكسرت وتطايرت قطعة منها وأصابت رجل أختي الكبيرة صديقة. وعلى أي حال فقد سكن غضب الإمام، ولما عرف بأن لون رجل أختي قد تغير بسبب إصابتها بتلك القطعة، جاء إليها ورأى رجلها أعطها شيئاً من المال كدية عن هذه الإصابة غير المتعمدة^١.

التذكير المستمر لرعاية الحجاب

كنا نضطر أحياناً للدخول على الإمام فجأة لإخباره ببعض الأمور الضرورية، فنطلب الأذن بالدخول فور قرعنا الباب، فإذا كان عنده أحد محارمه قال بسرعة: «اصبروا قليلاً» ثم يأمرهن بالتحجب لكي ندخل، والعكس صحيح أيضاً، فإذا كنا في غرفته وأرادت إحدى محارمه الدخول قال: «يا الله يا الله يوجد أحد من غير المحارم في الغرفة». ولا يخفى أن كل ذلك كان يقوم به للتذكير، وإلا محارمه شديداً الالتزام دائماً بالحجاب^٢.

^١ الدكتور حسن العارفي، مجلة حضور، العدد: ٨.

^٢ السيدة زهراء المصطفوي.

^٣ السيد خادم، أحد حرس بيت الإمام، كتاب (في رثاء النور).

أمر الأهل بالورع وأداء الواجبات

كان الإمام يكن لوالدتنا احتراماً شديداً انطلاقاً من آداب الشرع و أخلاق الإسلام، ويتوقع منها ما قرره عليها الشرع، وقد قال لها عند زواجهما: «ما أطلبه منك هم الورع عن الحرام وأداء الواجبات، وما سوى ذلك فأنت وشأنك لا أتدخل فيه أصلاً»^١.

يجتنب النظر إلى المسلمات عليه

لاحظت بنفسني الإمام وهو يسحب الشال الكبير الذي كان يضعه على ركبتيه عادة ويغطي به يده اليسرى عند زيارة النساء له للتسليم عليه لكي لا يقبلن يده إذا شعر بعزم إحداهن على ذلك، كما كان يدير وجهه إلى اليمين قليلاً عند رده لسلامهن رغم أن عاداته التبسم بوجه زائريه عند رده لسلامهم^٢.

الدقة في رعاية ممتلكات الناس

طوال مدة إقامته في النجف، كان الإمام يذهب إلى كربلاء مراراً كل عام لزيارة الإمام الحسين عليه السلام في أيام الزيارات المخصصة، فينزل في بيت متواضع أعده له أحد الكويتيين ويقيم في غرفة الاستقبال صلاة الجماعة مع عدد محدود من الأخوة فإذا زاد عدد المأمومين أقامها في ساحة المنزل التي كانت تبلغ مساحتها (٥٠) متر مربع وكان عدد من المصلين يصلون على عبااتهم بسبب عدم توفر ما يكفي من المفروشات في المنزل، وكان على الإمام أن يمر عبر صفوف الجماعة للوصول إلى مقدمة المصلين عند خروجه إلى ساحة المنزل، وكان جميع المصلين - ولا ريب - يحبون أن يطاء الإمام بقدمه المبارك عبااتهم ويفتخرون بذلك، وكان هو أيضاً يعلم بذلك، لكنه كان - رغم ذلك - يعبر بصورة ملتوية وبخطوات متباينة وبدقة بالغة سواء كان من خلف الصفوف أو من محل فرش المصلين لعبااتهم، لكي لا يطاء عباءة أو حذاء أي منهم، وليعلم بذلك مقلدوه لزوم الرعاية الدقيقة لحقوق الناس وممتلكاتهم^٣.

شدة دقته في العمل بالشريعة

عندما كان الإمام يهيم بدخول المسجد، كان يقف وينظر بدقة على مدخله - الذي يكون عادة ممتلئاً بأحذية الطلبة والناس الذين دخلوا المسجد قبله - فإذا وجد مكاناً خالياً خلعه حيث وقف وأخذ يسير

^١ السيدة زهراء المصطفوي (من كلمة لها في جامعة الشهيد شمران في الأهواز).

^٢ غلام علي الرجائي.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

حافياً على رؤوس أصابعه لكي لا يظأ حذاء أحد فيكون ذلك بمثابة تصرف بممتلكات الآخرين بدون إذنهم الأمر الذي يكشف شدة دقته في رعاية أحكام الشريعة^١.

قد يكون مكتوب فيها اسم محمد أوعلي

كنا نفرش أمام باب محل إقامة الإمام في باريس صحفاً لأن أكثر الأيام كانت ممطرة والأرض رطبة، وكانت هذه الصحف أجنبية بالطبع. وجاء يوماً عدد من الزوار من إيران ومعهم صحف إيرانية فأخذت منها صفحات الإعلانات وفرشتها عند باب المنزل إذ لم تتوفر لدي يومذاك جرائد أجنبية، ووضعت عليها حذاء الإمام لكنه عندما أراد وضع قدمه في الحذاء لاحظ ذلك فتوقف وسألني: «كأن هذه الجرائد إيرانية» أجبته: نعم يا سيدي ولكنها صفحة الإعلانات، لكنه رغم ذلك رفض وضع قدميه عليها وقال: «قد يكون مكتوب فيها اسم محمد أوعلي»^٢.

انتبهنا حينئذ إلى ما كنا نفعله

أراد الإمام يوماً دخول قسم الاستقبال في بيته في النجف لإمامة صلاة الجماعة فلاحظ أحذية المصلين متراكمة عند الباب بما لا يمكن معه الدخول إلا بأن يدوس عليها الداخل، وكنا نحن الحوزويون بل والكثير من الفضلاء ندوس عليها ندخل دون انتباه إذ لم يكن لنا سبيل آخر، أما الإمام فقد وقف وأمر بتحيةة قسماً منها جانباً لكي لا يدوس عليها فانتبهنا حينئذ أن ما كنا نفعله من مصاديق التصرف بممتلكات الآخرين الذي لا يخلو من إشكال شرعي إذا كان بدون رضاهم^٣.

إن بالي مشوش!

رغم أن الإمام كان يدفع قيمة استئجار المنزل الذي كان يسكنه في جمران، إلا أنه استدعى يوماً - قبل شهر رمضان - أعضاء عائلة صاحب هذا المنزل وقال لهم: «إن بالي مشوش، لا أدري هل أنكم راضون من سكني فيه أم لا؟» فأعربوا - بعد تأكيدات - عن رضاهم الكامل وأنهم مفتخرون بذلك بل وصرحوا أن الإمام قد تفضل علينا بقبوله السكن في منزلهم وأن عليهم أن يشكروا الله إلى يوم القيامة على هذه النعمة الجليلة.

^١ حجة الإسلام والمسلمين أحمد رحمت.

^٢ السيدة مرضية الحديدجي (الديباغ)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد حميد الروحاني، كتاب (حوادث خاصة في حياة الإمام الخميني) ج ١.

وبعد أن استمع لكلام الرجال طلب أن تدخل عليه نساء عائلة صاحب المنزل، فدخلن وقال لهن: «لعلكن ترغبن في العيش في هذا المنزل ولم تكن راضيات بالانتقال على مكان آخر» فأجبنه معربات عن كامل رضاهن بسكنه في منزلهن، فلما اطمان من رضاهن قال: «حسن أنا باق هنا»^١.

لماذا يتصرفون بالبيت بدون إذن مالكة

قاموا يوماً بإيجاد ثلاث فتحات صغيرة مساحة كل منها [٥×٥ سم ٢] في سقف غرفة الإمام بهدف نصب مصابيح قوية لا غنى عنها لتوفير الإضاءة اللازمة لتصوير بعض لقاءاته الرسمية أو خطابه السنوي للشعب بمناسبة يوم «النوروز» وعندما دخلنا عليه في صباح اليوم التالي طبق البرنامج المعتاد، بادرنا بالقول - بلهجة عنيفة وقد ظهر عليه الأذى والانزعاج الشديد - : «ما هذا العمل الذي قاموا به ولماذا فعلوه؟» فبينما له أنه بهدف توفير الإضاءة اللازمة، فقال بعد تأمل وصمت ممزوج بالألم: «لماذا يتصرفون بالبيت بدون إذن مالكة؟» لم تبق لنا بعد الذي رأيناه - جرأة لمتابعة العمل فصرفنا النظر عنه وأصلحنا السقف وأعدناه إلى ما كان عليه، وقد قال لي الشيخ الصانعي الذي لازم الإمام عشرات السنين: «لم أر الإمام - طوال عمري - يتأذى وينزعج مثل الذي أصابه اليوم إلا نادراً»^٢.

اعذروني كثيراً، لقد سببت لكم مشقة كبيرة

شعرنا - أيام قصف النظام العراقي للمدن الإيرانية - أن علينا واجباً مؤكداً هو أن نبني للإمام ملجأ من القصف؛ فزاره الأطباء لإقناعه بالقبول بذلك وقالوا له: إن أصوات القصف تضر بصحتك، فأجابهم: «إن أصوات القصف لا تؤثر في فلماذا تبنون لي ملجأ؟» وبعد أن فشل الأطباء في إقناعه دخلنا عليه - ونحن عدة من العاملين في مكتبه - لإقناعه بذلك حتى أن الشيخ أنصاري تضرع وبكى وقال: اسمح لنا بأن نبني لكم ملجأ تبقى فيه عشر دقائق أثناء الغارات المعادية، فأجابه الإمام: «وهل أن للجميع ملجأ؟ هل أن لجميع سكنة جنوب طهران ملجأ؟ فما الذي يميزني عنهم لكي تبنوا لي ملجأ؟!». وظل رافضاً إلى أن قال له السيد أحمد: أريد أن أجلب اثنين من هذه الملاجئ الجاهزة لزوجتي وأطفالي، وعندها قال الإمام: إذا كان الأمر كذلك فلا اعتراض لي عليه فاستفدنا من هذه الفرصة - أو لعلنا أسأنا الاستفادة منها

^١ حجة الإسلام والمسلمين الأنصاري الكرمانى، المصدر السابق ج ٢.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

- واشترينا ما طوله اثني عشر متراً من هذه الملاجئ الجاهزة الدائرية الشكل ونقلناها بواسطة الرافعات الضخمة ووضعناها بين غرفة السيد احمد وغرفة الإمام وكانت الفاصلة بينها حدود اثني عشر متراً، ووضعنا لهذا الملجأ بابين يفتح الأول على غرفة السيد أحمد، والثاني على غرفة الإمام الذي كان هدفنا الأول حمايته هو، لقد أحكمنا بناء الملجأ واستخدمنا الإسمنت في تقوية جدرانها إلى درجة جعلت هدمه مهمة صعبة للغاية عندما أمرنا الإمام بذلك!

اتصلوا بي في الساعة التاسعة مساءً وأخبروني باستدعاء الإمام لي فذهبت إليه فأمرني بهدم الملجأ، ولأنني كنت أعرف صعوبة المهمة قلت له: إن هدمه يستغرق أياماً طويلة ويسبب ضجيجاً مؤذياً للغاية فأجابني: «مهما كان الضجيج مؤذياً فإنني مستعد لتحمله، فقوموا أنتم بمهمتكم!» وعدنا أن نبدأ العمل صباح الغد لكننا لم نكن عازمين على ذلك حقاً، لقد ذهبنا إلى السيد أحمد في الصباح وطلبنا منه أن يذهب للإمام ويقنعه بصرف النظر عن هدم الملجأ الذي يجاور غرفته فإن ذلك يسبب له إزعاجاً شديداً، لكنه أجاب على طلب السيد أحمد بالقول: «يجب هدمه، وأنا مستعد لتحمل الضجيج الناتج من ذلك، قل لهم لا يقلقوا عليّ من هذه الناحية. لقد كان قراره نهائياً لا رجعة فيه.

لم نستطيع بدأ العمل في ذلك اليوم لأننا لم نكن قد هيأنا الأدوات اللازمة فأجلناه إلى الغد، وخلال هذه المدة استدعاني الإمام مرتين وأكد عليّ أن ننجز العمل، والجدير بالانتباه ما قاله لي عند ذلك، قال: «إن هذا البيت ليس ملكاً لنا لكي نتصرف فيه كيفما أردنا، إنه مستأجر فيجب إرجاعه إلى الحالة التي استلمناها بها».

بدأنا العمل وظهرت أمامنا مشكلة جديدة، وهي أن الكتل الحجرية والإسمنتية للملجأ كانت ثقيلة جداً لا يمكن رفعها إلا بواسطة رافعة ضخمة كان ينبغي الإتيان بها إلى أرض مجاورة للملجأ، فقال لنا الإمام: «اذهبوا أولاً إلى مالك هذه الأرض واستأذنه لإدخال الرافعة إلى أرضه، وإذا لم يأذن لكم ففكروا حينئذٍ بوسيلة أخرى!» والمشكلة أننا لم نكن نعرف من هو مالك هذه القطعة من الأرض ولم نره أصلاً طوال (١٢) عاماً أقمنا هناك، ثم ذهبنا إلى السيد إمام الجمراني وأخبرناه بأن الإمام قد اشترط علينا أن نحصل إذن مالك الأرض، وبعد ساعتين أو ثلاث اتصل بنا السيد إمام الجمراني وقال أنتم مآذونون بالدخول إلى تلك الأرض، فجننا إلى الإمام وقلنا له: يبدو أن السيد إمام الجمراني يعرف مالك هذه الأرض وقد أذن لنا بدخولها، فوافق الإمام.

لقد استخدمنا أربعة من أجهزة الحفر الكهربائية لإحداث شقوق في جدران الملجأ مقدمة لهدمه فأحدثت ضجيجاً شديداً كان يصعب علينا كثيراً تحمله رغم أننا شباب وعمال، لكن الإمام تحمله بسعة صدر على مدى حدود عشرة أيام، بل ورغم كل الأذى الذي سببناه له كان يقول لنا كلما مرّ علينا أثناء برنامج مشيه المعتاد في ساحة المنزل: «اعذروني، لقد سببت لكم مشقة كبيرة، اعذروني كثيراً!!» وكنا نشعر بالخجل من موقفه النبيل هذا رغم أننا نحن الذين هيأنا مقدمات هذا الأذى والإزعاج له منذ البداية، فأسرعنا بإكمال العمل وإرجاع منزله المستأجر إلى ما كان عليه، وكان ذلك - بلا شك - سبباً لرضاه^١.

تريدون أن تدخلوني النار

كان الإمام شديد الاحتياط في صرف الحقوق الشرعية وبيت المال حتى أنه قال مرة بالم « تريدون أن تدخلوني النار» وذلك لنهم طلبوا شراء مروحية هوائية صغيرة لمنزله في النجف! كما أنه لم يأذن لزوجته باستخدام جهاز الهاتف التابع لبيت المال من أجل الاتصال بأولادها في إيران للاطمئنان على حالهم بعد ليلة أو بضع ليالي من استشهاد ولدها السيد مصطفى، فقد كان يعتبر الاستفادة من هذا الهاتف حتى لهذا السبب خلاف الشرع^٢.

أنا غير مستعد لتحمل النار

تحدث المرحوم الحاج السيد مصطفى يوماً فقال: توسطت مرة عند الإمام للحصول على مقدار من المال لأحد الحوزويين، فلم يستجيب لي، عاودت التوسط للمرة الثانية، فأثار تعجبي رفضه للمرة الثانية، ولما عاودت التوسط للمرة الثالثة قال لي: «هذا هو مفتاح الصندوق أضعه تحت تصرفك لتأخذ منه ما تشاء وتعطيه لهذا الحوزوي، ولكن بشرط واحد هو أن تتحمل بنفسك الذهاب إلى النار بسبب هذا الفعل. أنا غير مستعد لذلك فلا أستطيع أن أعطي من سهم الإمام ﷺ لهذا الحوزوي لأنه غير مستحق لهذه الأموال الشرعية بسبب عدم جدارته، فإن كنت مستعداً لتحمل النار فهذه الأموال وصندوقها ومفتاحها بيدك، افعل بها ما تشاء!!»^٣.

^١ السيد مصطفى كفاش زاده.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج:٢.

^٣ آية الله الشيخ محمد الفاضل اللنكراني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج:٦.

استرجعوا ما أعطيتموه لغير أصحابه

إثر حادثة الثاني من فروردين التي صادفت ذكرى استشهاد الإمام الصادق عليه السلام في (٢٥) شوال، والتي هاجم خلالها عملاء الشاه المدرسة الفيضية وعاثوا فيها تخريباً وقتلوا الكثير من طلبتها ونهبوا أموالهم؛ إثر هذه الحادثة أصابت طلبة الحوزة مشاكل اقتصادية صعبة، فقام عدة من الطهرانيين وخاصة المرحوم الشهيد الحاج مهدي العراقي بجمع أموال لمساعدة الطلبة المتضررين في أبدانهم وأموالهم جراء هذه الحادثة، وأتوا بالأموال وسلموها إلى الإمام الذي كلفني والحاج الشيخ عبد العلي القرهي بأخذها إلى قم وتوزيعها على أولئك الطلبة، فحسبنا الأموال ووجدنا أن بإمكاننا إعطاء كل طالب أربعين تومانا، فذهبنا إلى مدرسة خان بعد ثلاثة أيام لإنجاز هذه المهمة وأعلنا خبر توزيع هذه الأموال من قبل الإمام على الطلبة فكنا نعطي كل طالب يأتي إلينا (٤٥) تومانا ونضيف إليه مثلها لمن يقول إن محتويات غرفته أو أمواله سلبت خلال الحادثة، وقبل أن يحل الظهر وصلنا مبعوث من الإمام يحمل منه رسالة تقول: «إننا لا نؤيد هذه الطريقة في تقسيم الأموال»^١. وقال المبعوث: «إن رأي الإمام هو أن هذه الأموال خاصة بمن سلبت ممتلكاتهم أو جرحوا أثناء الهجوم على المدرسة الفيضية فلا تشمل جميع الطلبة».

جمعنا ما بين أيدينا فوراً وذهبنا إلى منزل الإمام ولما أخبرناه بما فعلنا قال: «لقد وقعتم في خطأ واشتباه، إن هذه الأموال جاء بها السادة لكي توزع على المتضررين من الطلبة، فلا يجوز إعطاء شيء منها لغيرهم». سأله، وماذا نفع الآن؟ أجاب: «عليكم أن تتلافوا الخطأ باسترجاع ما أعطيتموه لغير المتضررين من الطلبة!» فلما سمعت هذا الجواب - وكنت أرجو أن يغض النظر عما سلف - قلت: هذا محال! كيف نسترجع ما أعطينا؟ قال - بلهجة حازمة -: «لا مناص من ذلك يجب أن تسترجعوه!».

غرقتنا في التفكير في كيفية جبران هذا الخطأ بعد خروجنا من المنزل حتى توصلنا إلى حل كان هو في الواقع خطأ آخر، لقد ذهبنا عصراً إلى مدرسة خان وأعلنا أن على الطلبة غير المتضررين بأبدانهم وأموالهم خلال هجوم الفيضية والذين استلم كل منهم (٤٥) تومانا منا أن يتلطفوا بإرجاعها ويستلموا

^١ يكشف هذا الموقف دقة الإمام في مراقبة الأعمال المرتبطة به، فرغم أن الذين كلفهم بتوزيع هذه الأموال هم من الثقة والمعتمدين عنده إلا أنه واصل الإشراف على حسن أدائهم لما كلفهم به.

قبال ذلك مبلغ (٢٠) تومانا جائزة على إرجاعها، وكنا قد قررنا أن نستحصل إجازة الإمام لدفع العشرين تومانا لكننا كنا نصر عليهم أن يقبلوها لشعورنا بالخجل من تضييعنا لوقتهم في الصباح. ولم تمض أكثر من ساعة أو ساعتين على بدء عملنا الجديد حتى جاءونا برسالة جديدة من الإمام تنبهنا إلى خطأ هذا العمل أيضاً، فجمعنا ما بين أيدينا فوراً وذهبنا إليه وقلنا: إننا أعطينا كل من أرجع المبلغ الأول عشرين تومانا كجائزة تشجيعية على إرجاعهم المبلغ الأول، فقال: «لا يوجد مسوغ لإعطاء هذه الجائزة» قلنا: إننا نلاحظ يا سيدي أن من يأخذ المبلغ الأول يعتبره لاحقاً ملكاً له ومع ذلك يرجعه لنا! قال: «إنما يقوم بواجبه وهو يرجعه، والقيام بالواجب لا يستلزم تقديم جائزة» ثم تابع توضيح الخطأ بقوله: «إن هؤلاء السادة متدينون، وقد أعطيتموهم ملاً ليس لهم، أعطيتموهم جائزة على إرجاع ما ليس لهم! إن هذه الأموال خصصها أصحابها لمصارف محددة، فلما تتصرفون فيها خلاف رأي أصحابها، يجب إرجاع الأموال التي أعطيتموها لغير الموارد المخصصة لها».

فقلنا - أنا والشيخ القرهي - له بلهجة المتضرع: وكيف نجبر الأمر وقد صرفنا من العصر إلى الآن ما بين العشرة إلى العشرين ألف تومان؟ فتلطف بنا في النهاية وقال: سأجبر الأمر بنو أو بآخر من سهم الإمام لأنكم أعطيتهم هذه الأموال لطلبة الحوزة، ولكن عليكم أن توزعوا ما تبقى من الأموال على الذين خصصت لهم» فقمنا بتوزيعها طبق ما أمرنا خلال الأيام اللاحقة حتى اعتقلوا الإمام وكان قد بقي عندنا مقدار قليل منها فبعث إلينا - من السجن - رسالة أكد فيها أن نصرف ما تبقى من الأموال على مواردنا تلك، الأمر الذي يكشف عمق شعوره بالمسؤولية تجاه هذه الأمور الشرعية، إذ أن الأوضاع الصعبة التي كان يعيشها في أسر الأعداء في ظل ذلك الاضطراب الذي سيطر على الجميع، كل ذلك لم ينسه الاهتمام بصرف ذلك القسم المتبقي من أموال المسلمين - وكان مقداره قليلاً - في الموارد المخصص لها^١.

لا يجوز لك الاتصال بطهران عبر هذا الهاتف

كان الإمام ينهى عن الإكثار من استخدام جهاز الهاتف [الذي كان من ممتلكات بيت المال] أجل، كان يسمح بالاتصالات داخل النجف دون الاتصال بكربلاء أو مدن أخرى فقد حرم علينا حتى على ولده

^١ آية الله الشيخ يوسف الصانعي، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٣ ص ٢٩٠.

السيد أحمد ذلك إذ قال له: «لا يجوز لك أن تتصل بواسطة هذا الهاتف بطهران أو غيرها» ولكنه كان يستثني من ذلك الاتصالات المرتبطة بشؤون النهضة الإسلامية، كأن نستلم عبر الهاتف أخبار إيران أو نقل إلى الإخوة فيها بيانات الثورة، وقد أعطى السيد أحمد مرة للشيخ الرضواني وكان مسؤولاً عن الأمور المالية في بيت المال، تكلفة عدد من الاتصالات الهاتفية الشخصية احتمال عدم رضا الإمام بالاستفادة من الهاتف العام لإجرائها^١.

لا زيادة لراتب السيد مصطفى

كان المرحوم الحاج السيد مصطفى يتسلم كل أسبوع من الأمام مبلغاً ثابتاً من المال لا يزيد الإمام شيئاً، لذلك عندما أراد السيد الذهاب لأداء فريضة الحج هياً ميزانية السفر من ثمن بيته الذي باعه في قم وأضاف إليه مقداراً من المال أهدته إليه زوجته^٢.

وحتى بعد أن بلغ مرتبة الاجتهاد

جهاز الإمام دقيق في صرف الحقوق الشرعية، فقد بقي يعطي ولده السيد مصطفى الراتب الحوزوي المحسوب لتوفير ميزانية معاشه دون أن يؤثر على ذلك بلوغ السيد مصطفى مرتبة الاجتهاد التي تؤهله لأن يستلم بنفسه سهم الإمام عليه السلام وأن يتصرف في الأموال الشرعية^٣.
ليس واجباً السلام على الأجانب

يتشدد الإمام فيما يرتبط بالاختلاط بين غير المحارم، فمثلاً إن أعمار أبنائي وأبناء أخي السيد أحمد متقاربة وهي ما بين (١٥-١٦) عاماً، فإذا دعينا يوماً لتناول طعام الظهرية في بيت الإمام لا نصطحبهم معنا، وإذا اصطحبناهم ذهبوا على بيت السيد أحمد فيتناول الرجال طعامهم هناك فيما تتناول البنات الطعام معنا في غرفة والدتنا في بيت الإمام، لكي لا يجلس الأبناء والبنات من غير المحارم - وإن كانوا أرحاماً - على مائدة واحدة، وأنا نفسي كان عمري (١٥) عاماً عندما تزوج المرحوم الشيخ الإشراقي أختي، فدعانا إلى مأدبة في منزله، وعندما دخلت مع والدي إلى منزله خرج الشيخ الإشراقي إلى حديقة المنزل لاستقبالنا فقلت لوالدي: هل أسلم عليه؟ أجاب: «ليس السلام واجباً» فاضطرت إلى المرور عبر

^١ كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الناصري، المصدر السابق، ج ٤.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ فردوسي بور، مجلة (پیام انقلاب) العدد: ٤٥.

الحديقة لكي أجنب السلام عليه. بل وحتى والدتي، سلمت للمرة الأولى على عمي (أي آية الله بسنديده) بعد أربعين عاماً من زواجها بأخيه! - أي والدي - وكان ذلك بعد أن اعتقلوا السيد ونفوه إلى تركيا، فعزم عمي على السفر إلى تركيا لزيارة أخيه، فجاء إلى خلف الباب وقال: أريد التحدث مع السيدة مباشرة لعلها تريد إيصال رسالة مباشرة إلى السيد، وعندها اضطرت السيدة للسلام عليه، وأتذكر أنها أعربت عن أذاها لأنها اضطرت لذلك في غياب السيد الوالد وقالت: كيف الحال إذا لم يكن السيد راضياً بهذا السلام؟ فقلت لها: لا أظنه لا يرضى بذلك فقد تقدمت في العمر وكنت مضطرة لذلك. ولكن الإمام لا يعترض على الموارد الواجبة والضرورية.

واعلموا أنه لا يقول مثلاً: لا تذهبن إلى الجامعة لأن المدرسين رجال، أو لا تخرجن من البيت لشراء شيء، أو لا تركبن سيارة الأجرة الصغيرة أو الباص، أجل، إنه يؤكد أن نتحدث بجدية، وعلى أن لا نتحدث بدون ضرورة مع الرجال، إما اختلاط الرجال والنساء في مراسم الضيافة والجلوس مع غير المحارم فيها وتحدث النساء فيها مع الرجال والبنات مع الأبناء، فكان يعتقد بحرمة كل ذلك باستثناء التحدث بشأن العمل، وعلى أي حال، فهو بعيد عن التحجر، بل ويلاحظ مقتضيات الزمان ويتعامل بالتوازن المعهود في جميع شؤونه حتى في لباسه^١.

يجب العمل حسب ما ورد في الوصية

حدثني المشهدي حسين وهو رجل كبير خدم الإمام سنين طويلة في قم وفي النجف، فقال: أخبروا الإمام يوماً بأن رجلاً أفغانياً توفي ولا وارث له وقد اتخذ الإمام وصياً له، فأرسلني الإمام للتحقيق بشأن تركته، فذهبت إلى منزله ولم أجد فيه ما ينفع سوى معطفاً جليداً ثميناً، فعدت وأخبرت الإمام بما رأيت وطلبت منه أن يهبني هذا المعطف، فقال لي بحزم: «كلا، يجب التصرف بهذا المعطف الجلدي طبق ما ورد بالوصية». فأذاني هذا الموقف خاصة وأنا قد خدمته سنين طويلة وكنت محتاجاً لهذا المعطف أيضاً، لكنني بعد أن فكرت في الأمر عرفت أن الحق مع الإمام^٢.

^١ السيدة زهراء المصطفوي، ابنة الإمام، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٤٩.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين السيد مجتبي الرودباري، مجلة (١٥) خرداد الشهرية، العدد المزدوج: ٥ - ٦.

ليدفع كل شخص ثمن بطاقته

إثر خروج الشاه من إيران قرر الإمام العودة إليها، ولكن جميع الإخوة في إيران كانوا معارضين لعودته خشية عليه، وكانوا يقولون: لا زال الوقت مبكراً لعودته، وكان من حقهم أن يقلقوا إذ أن أوضاع الثورة وتطوراتها كانت تحتمل تعرض الإمام لأخطار شديدة، ولو حدث له شيء - لا سمح الله - فإن آثار ذلك على مستقبل الثورة واضحة، لذلك كانت الاتصالات الهاتفية مستمرة تطلب مني أن أنقل للإمام تعبير أصحابها عن هذا القلق، وقد فعلت، لكنه كان قد اتخذ قراره النهائي، وتم استئجار طائرة للعودة على أن يدفع كل شخص ثمن بطاقته، لذلك لم يدفع الإمام سوى ثمن بطاقته وبطقتي¹.

يرفض خبج رسالته العملية من الحقوق الشرعية

مما امتاز به الإمام أنه كان يأبى دفع شيء من الحقوق الشرعية لطبع رسالته العملية وكان يقول: «يجب على المقلدين الحصول على الرسالة لمعرفة أحكام دينهم، لذلك فعليهم أن يشتروها»².

لا يجوز شراء هاتف لي من بيت المال

بقي بيت الإمام يخلو من جهاز الهاتف إلى بداية إلى بداية الثورة، وكان أهالي المدن الأخرى فيها قد اعترضوا على ذلك وقالوا للإمام: نحن بحاجة إلى الاتصال بكم، فوجود الهاتف في منزلكم ضروري، فأجابهم: «لا يصرف شيء من بيت المال لطبع رسالتي العملية أو لوضع الهاتف في منزلي». وبقي منزله يخلو من جهاز الهاتف إلى أن دفع أحد الكسبة المتدينين ميزانية خط هاتف واشترى جهازه باسم الإمام ونصبه في منزله³.

لا يطبع بياني بأموال الأمانات

بعد إصدار الإمام لبيانه التاريخي الذي عرف ببيان البراءة وجدت من الضروري اطلاع جميع مسلمي العالم - وليس مسلمي إيران فقط - عليه كمقدمة لسعيهم لتحقيق مقاصده، لذلك قررت ترجمته إلى اللغات: العربية، الإنجليزية، الفرنسية والأوردية، وطبعه، فبدأنا العمل من أجل ذلك، وفي مراحلها النهائية عندما حدثت قضية جديدة بالانتباه هي انه كان من الضروري أن تكون طبعات ترجماته ذات شكل

¹ حجة الإسلام والمسلمين السيد أحمد الخميني، مجلة حضور، العدد: ٣.

² حجة الإسلام والمسلمين الموسوي خوئينها، مجلة حوزة، العدد: ٣٧-٣٨.

³ حجة الإسلام والمسلمين مصطفى الزماني، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٥.

مناسب لأهمية البيان ولكي تكون مناسبة لتوزيعها عبر سفارات الجمهورية الإسلامية الأمر الذي كان يستلزم استخدام ورق مناسب وتقنية متطورة في الطباعة وجدنا أنها غير متوفرة داخل إيران لذلك تحدثت بنفسني مع السيد مير حسين الموسوي رئيس الوزراء للحصول على العملة الصعبة اللازمة لاستيرادها من الخارج فأخبرني أن من الصعب على الحكومة يومذاك توفير العملة الصعبة اللازمة، وعندما عرفنا مشاكل الحكومة في هذا المجال صرفنا النظر عن الاستعانة بالحكومة وأخبرت السيد أحمد بذلك فقال: سأعرض الأمر على الإمام فإذا وافق خصصنا لكم مقداراً من العملات الصعبة من الأموال الشرعية الموجودة عنده، ونقدمه لكم بسعر أقل من سعر السوق الحرة لكي تنجزوا هذا المشروع. وبعد أيام سألت السيد أحمد عن النتيجة فقال: لقد قال الإمام: «لا أرضى أبداً بأن يطبع بياني بالدولارات الموجودة عندي كأمانة».

وعلى أي حال فقد اتخذنا قراراً نهائياً بطبع البيان بالاستفادة من العملة الصعبة بسعر السوق الحرة، ولكن العبرة المهمة التي أود الإشارة هي أن المهم بالنسبة للإمام هو حفظ بيت المال وليس المهم عنده أن يطبع بيانه من قبل أحد أعضاء مكتبه^١.

علينا واجب إسلامي تجاه أفغانستان

عندما طرح تحليل يقول: أننا لو تعاملنا مع جارتنا الشمالية [الاتحاد السوفيتي يومذاك] بشيء من الليونة فيما يرتبط بقضية أفغانستان لكان بإمكاننا أن نحل مشكلتنا مع العراق بصورة أيسر، ورغم أن هذا التحليل كان مجرد رأي تحليل سياسي ولم يقترح كسبيل لحل المشكلة، إلا أن الإمام قال: «إن علينا واجباً شرعياً تجاه أفغانستان فثعبها مسلم» لقد كان ينظر إلى القضية الأفغانية من أفق الأمة الإسلامية وليس من زاوية الرؤية القومية الإيرانية^٢.

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الأشتياني،

^٢ السيد مير حسين الموسوي، مجلة حضور، العدد: ٢.

رغم ضخامة الإمكانيات المالية التي كانت بيده

رغم ضخامة الإمكانيات المالية التي كانت بيد الإمام خاصة في السنين الأخيرة التي كان فيها يعطي حدود المائة مليون تومان كل شهر كرواتب لطلبة الحوزات الدينية المختلفة، إلا أنه رغم ذلك لم يكن يأخذ شيئاً من هذه الأموال الشرعية لمصاريف حياته الشخصية^١.

لم يكن يأخذ من سهم الإمام لمصاريفه الشخصية

كان الإمام ملتزماً بأن لا يأخذ لمصاريفه الشخصية ولا ريالاً واحداً من سهم الإمام. فقد كان يعيش على عائد بسيط يأتيه من قطعة أرض ورثها من أبيه بصورة مشتركة السيد بسنديده، بقي ينظم مصاريف معيشته على ضوء هذا العائد المتواضع حتى بلغ مرتبة الاجتهاد والمرجعية الدينية، وكانت هذه من خصوصياته أيضاً^٢.

لن أجيب على هذا الاستفتاء

كان الإمام يسعى إلى تحري الدقة في الإجابة على الأسئلة خاصة الاجتماعية منها بحيث يكون جوابه بصيغة لا يمكن للعدو استغلالها لأغراضه، فمثلاً عندما أجاز شرعاً مساعدة المناضلين الفلسطينيين من الأموال الشرعية، أدعى أحد المستغلين - كان إمام مسجد في طهران - أنه مكلف من قبل الإمام بجمع الحقوق الشرعية لصالح الفلسطينيين، وقد أثار هذا الادعاء الفرح في الجميع من جهة والتعجب من جهة أخرى لأن هذا الشخص بالذات انفرد - دون غيره - بهذا الادعاء، ولذلك كتب الشيخ الكرويبي - على ما أتذكر - سؤالاً أشبه بالاستفتاء من الإمام يقول: هل أن هذا الشخص - وذكر اسمه - مجاز من قبلكم لهذه المهمة، فأخذت السؤال وعرضته على الإمام فقال: «لا أجيب على هذا الاستفتاء» قلت: لماذا؟ قال: «لأن اسم هذا الشخص مذكور فيه، وهو مرتبط عائلياً بالعالم الفلاني (وكان يسكن النجف) الذي هو في طريقه إلى أن يصبح مرجعاً، فإذا أجبت على هذا الاستفتاء بالنفي أضر ذلك بهما معاً، ولا أرى من الصحيح السماح باستغلال هذا الجواب ضدهما، لذلك قدموا سؤالاً عاماً - دون ذكر اسم - بصيغة هي: هل أجزتم أو عينتم شخصاً لجمع الحقوق لهذا الغرض، وفي هذه الحالة سأجيب على الاستفتاء^٣.

^١ آية الله الفاضل اللنكراني.

^٢ آية الله الشهيد المحلاتي، مجلة (١٥) خرداد الشهرية، العدد: ١٠.

^٣ حجة الإسلام والمسلمين السيد محمود الدعائي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ١.

أنا مقيد بالتكليف الشرعي

وصل للإمام تقرير يذكر أن أحد العلماء المجازين من قبله في استلام الحقوق الشرعية والتصدي للأموال الحسبية، يفرط في الاستفادة من الحقوق الشرعية لنفسه، ولذلك أمرني بإعداد إحصاء للمبالغ التي يسلمها هذا الشخص للمكتب من الحقوق الشرعية، فأعددت ذلك وسلمته للإمام الذي قال - بعد عدة أيام وبلهجة حازمة -: «قولوا لفلان أن يقدم تقريراً بجميع مصارفه الشخصية خلال عشرة أيام ومن أين أتى بالمال الذي اشترى به الشيء الفلاني» ثم قال بلهجة مفعمة بالألم والحزن في آن واحد: «أنا مقيد بالتكليف الشرعي، يجب أن يتضح كل شيء في غضون عشرة أيام وإلا فإنني سأضطر إلى اتخاذ اللازم وعندها سيفتضح هذا الشخص ويسقط اجتماعياً»^١.

لم يكن ضرورياً أن تطبعوه

كان الإمام حازماً في رفض صرف حتى دينار واحد من أجل الحصول على الشهرة، فمثلاً كان قد ألف كتاباً [فقهياً] عنوانه «الدماء الثلاثة»، فطلبت منه أن يسمح لي بطبعه فأعطاني نسخه الوحيدة، فطلبت منه خمسة آلاف تومان لطبعه، فأبى وقال: «لم أعط ولن أعطي شيئاً من هذه الأموال [الحقوق الشرعية] لمثل هذا». فافترضت هذا المبلغ من آية الله بسنديدة وطبعت الكتاب، وعندها عرفت منظمة الأمن (السافاك) بطبعه فصادرت معظم نسخه، واضطرت أن أبيع أثاث منزلي لتسديد مبلغ القرض. وبعد إطلاق سراح الإمام تم إرجاع نسخ الكتاب ثم وزعناها على طلبة الحوزة ورغم ذلك رفض الإمام إعطاء شيء من تكاليف طبع الكتاب وقال: «لم يكن من الضروري أن تطبعوه»^٢.

إذا كان الخاتم من ذهب فاخلعه

كان أحد طلبة الإمام يتردد على قرية قريبة من قم للتبليغ الديني فيها، وكانت القرية بحاجة إلى مسجد، فتطوع اثنان من مقلدي الإمام فيها لتحمل تكاليف بنائه شريطة أن يضع الإمام بنفسه حجر الأساس لبنائه، فاطلع المرحوم الاشراقي الإمام على الأمر فأجابه: «لست من أهل القيام بهذه الأعمال»، ثم أن صديقنا المبلغ سأل الشيخ الاشراقي عن الحل والحاجة لبناء المسجد ضرورية؟ أجاب الشيخ الاشراقي

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، مجلة (نور علم) الدورة الثالثة، العدد: ٧.

قائلاً: إن الأمر الوحيد الذي يلزم الإمام بتنفيذ هذا الشرط هو الشعور باقتضاء الواجب الإلهي لذلك، فإذا تم توضيح الأمر له وأحس بالواجب فسيأتي لوضع حجر الأساس لبناء المسجد حتماً. وبالفعل عندما شرحنا الأمر للإمام وبيننا حاجة القرية للمسجد، وافق على الشرط وزار القرية لوضع حجر الأساس لبناء مسجدها، والقضية الجديرة بالانتباه هنا هي أنه عندما أقيمت مراسم وضع حجر الأساس وقام الإمام لذلك لم يتوجه إلى محل وضع الحجر الأساس مباشرة بل انحرف باتجاه شاب كان جالساً إلى جانبي وهمس له بشيء ثم ذهب ووضع الحجر الأساس ولا أتذكر هل إنني سمعت ما قاله لذلك الشاب أو أن الشاب أخبرني فيما بعد أن الإمام قال له: «إذا كان الخاتم الذي في يدك مصاغاً من الذهب فاخذه»^١.

لا ينبغي الخوف من أثار العمل بالشرع

كتب احد السفراء استفتاءً إلى الإمام جاء فيه: ندعى أحياناً إلى مراسم يوضع على موائدها الخمر، فإذا امتنعنا عن الذهاب حملوا موقفنا على محامل غير سليمة وسبب لنا ذلك مشاكل في علاقتنا الخارجية، فأجاب الإمام: «يجب الامتناع عن الذهاب لمثل هذه المحافل والإفصاح لهم عن سبب الامتناع لكي يدر كوه بصورة تدريجية، لا ينبغي الخوف من تأثير ذلك على العلاقات فهي أهون من ذلك»^٢.

شطّ الوالد، لا إشكال في صلاة الولد

بتاريخ ١٣٦٢/١٠/٢٦هـ ش، ١٩٨٤/١/١٦م، بعث شاب صغير سؤالاً للإمام جاء فيه أن أباه غير ملتزم بالدين وقد قال له إنه لا يرضى بصلاته في منزله فهل يحق له ذلك وما تكليفه فأجاب الإمام: «لقد قال شططاً، لا يحق له ذلك، ولا إشكال في صلاة الابن، ليصل في بيت أبيه»^٣.

هل والدكم ثقة؟

أردنا مرة أن نأخذ للوالد إجازة من الإمام للتصدي للأمر الحسينية، فلحقت بالإمام بعد خروجه من المسجد حيث ألقى درسه، وهو في طريق عودته إلى المنزل حيث اعتدت أن أعرض عليه أسئلتي واستفيض من فيوضه، فسرت معه في أزقة محلة «بخچال قاضي» حيث يقع منزله وقلت له: هل تجيزون والدنا - وهو العالم الديني في إحدى القرى - بالتصدي من قبلكم للأمر الحسينية؟ فسئلني: «هل هو

^١ آية الله الشيخ محمد المؤمن، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٥.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٣ المصدر نفسه.

ثقة؟» فأجبت: نعم، فقال: «لقد أجزته» وهذا يعني أنه يراعي جميع الشروط الشرعية لمنح الإجازة حتى من شخص يحبه بكل وجوده^١.

لا أستطيع توقيع هذه الورقة

كنت يوماً عند الإمام عندما طرقت عليه الباب، فذهبت لفتحه وإذا برسول جاء يحمل رسالة من السيد البهبهاني وكان يومها من الشخصيات السياسية والدينية ذات الواجهة والنفوذ، قال الرسول: سلموا هذه الرسالة للسيد وقولوا له: إن السيد البهبهاني يطلب منكم توقيعها، عدت للإمام بالرسالة فلما قرأها قال: «قولوا لحامل الرسالة أن يدخل» فخرجت ورجعت معه، فقال له الإمام: «كل من يطلب أن أكتب له إجازة الاجتهاد؛ ينبغي أن يكون حتماً قد قضى معي عشرة سنين في النشاط العلمي، لذلك أنا معذور عن توقيع هذه الورقة». ثم ارجع الورقة للذي جاء بها، وقد لا يكون هذا الموقف مهماً إذا نظرنا إليه مجرداً عن ظرفه لكن أهميته تتضح عندما نعرف أن دعم السيد البهبهاني للإمام كان أمراً في غاية الأهمية والتأثير لصالح الإمام يومذاك، ولكن الإمام لم يكن ينظر لي اعتبارات كهذه، كانت نظره منحصرراً بالحقيقة الإلهية^٢.

هل هو مسلم

عندما استعدت الطائرة للتحليق ونقل الإمام إلى منفاه في تركيا سلمه أحد مسؤولي أمن النظام الملكي جواز سفره وقال له: أنتم الآن ذاهبون إلى تركيا وستلتحق بكم عائلتكم فيما بعد. وقد رافق العقيد الأفضلي الإمام إلى منفاه جالساً إلى جانبه في الطائرة وبعد أن حلقت الطائرة اقترب أحد المضيفين من الإمام وقال هل تسمحون لي بتقديم الشاي لكم؟ سأل الإمام العقيد الأفضلي: «هل هذا الرجل مسلم؟» أجاب المضيف فوراً: فديتك يا سيدي، أنا من عائلة علمائية أيضاً! ثم عرّف جده الذي كان من علماء الدين، وعندها وافق الإمام أن يقدم له الشاي^٣.

^١ آية الله الصانعي، كتاب (سوكنان آشنای دل = مرتبة لحبيب القلب).

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٤، ص: ١٥٤.

^٣ السيدة مرضية الحديدجي (الدباغ)، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٤.

لأنه مسيحي لم أكتب اسم «روح الله»

جاء رئيس شرطة ضاحية نوفل لوشاتو يوماً بصورة التقطت للإمام وهو يصلي، وطلب أن يوقعها الإمام، فاستجاب ووقعها له، لكنني عندما دقت في التوقيع لاحظت أنه يختلف بعض الشيء عن توقيع المعروف فقد سقطت كلمة من اسمه، فسألته عن ذلك فقال: «لأنه مسيحي ولا يعرف الوضوء بالطبع، لذلك لم أكتب اسم «روح الله» لكي لا يمس لفظ الجلالة بيده»^١.

ليس في منزلي محلاً للهمز واللمز

كان الإمام يوماً في مجلس يحضره جمع من فضلاء الحوزة فسأله أحدهم عن قضية علمية لكن سؤاله كان في الواقع تعريضاً وهمزاً بأحد العلماء، فتغير وجه الإمام وقال: «ليس في منزلي محل للهمز واللمز، يجب أن تكون هذه المجالس إلهية ولا يصح أن تكون من المجالس التي يُترسُّ فيها للمؤمنين والمسلمين بالهمز واللمز»^٢.

توجد بعض الإشكالات في وضوئك

ذهبنا يوماً لزيارة الإمام في طهران أيام فرض الإقامة الجبرية عليه من قبل نظام الشاه إثر اعتقاله سبب حوادث (١٥) خرداد ١٣٤٢هـ ش، ١٩٦٣/٦/٥م، لكنهم لم يسمحوا لنا بزيارته فبقينا بالقرب من محل إقامته حتى وصل خبر عزمهم على نقله إلى محلة «قيطرية» حيث أقام أربعة شهور في منزل أحد العلماء يقال أنه من محبيه، وقد بقينا معه في ذلك المنزل، وأتذكر أنه رآني يوماً حال الوضوء فقال لي: «توجد بعض الإشكالات في وضوئك هي...» كان الإمام وقوراً وحسن التعامل للغاية^٣.

اخلع خاتمك الذهبي

كان إذا دخل رجل على الإمام - أيام إقامته في باريس - وفي إصبعه خاتم من ذهب طلب منه فوراً أن يخلعه^٤.

^١ المصدر السابق.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ المسعودي الخميني، كتاب (خطوات في أثر الشمس) ج ٤، ص: ١٥٣.

^٣ السيد المشهور جعفر (خادم الإمام) مجلة (أميد انقلاب) العدد: ٢٥.

^٤ السيدة فاطمة الطباطبائي، مجلة (زن روز) العدد: ١٢٦٧.

عينوا مهراً محدداً

كان الإمام يرفض ارتفاع مهر العروس لكنه لم يكن يقنع بأن يجعل أحد مهرها نسخة من القرآن فقط! كان يقول: «عينوا مهراً محدداً، قولوا: المهر سكتان أو عشر من السكك الذهبية أو عشرة آلاف تومان...»^١.

هل أن أباه راضٍ

جاؤا بفتاة ليعقد لها الإمام قراناً ولم يكن والدها معها بل حضرت مع والدتها، فسأل الإمام الذي توسط لإجراء العقد: «هل أن أباه راضٍ بهذا الزواج؟» أجاب: نعم، لكن الإمام لم يجر صيغة العقد بل قال: «إذا لم يكن أبوها راضياً فالعقد باطل» قالوا: إن أباه قد أعلن موافقته شفهاً وتحريراً. فسكت الإمام، ثم قال: «العقد باطل بدون رضا الأب»، ثم أجرى صيغة عقد الزواج^٢.

ادفع له الدية

كانت أول مشكلة واجهناها ونحن في طريقنا من المطار إلى مقبرة جنة الزهراء عليها السلام هي التي حدثت في ساحة الحرية، فازدحام الجماهير فيها كان شديداً إلى درجة أن الجماهير رفعت السيارة على الأيدي للحظات وفقدت أنا السيطرة عليها وعندما استقرت على الأرض ثانية، أدت شدة الازدحام إلى أن تدوس السيارة على ساق أحدهم وتكسرهما، فلما عرف الإمام بذلك فيما بعد أمرني أن أذهب إلى هذا المصاب وأدفع له الدية عن كسر ساقه، فذهبت إليه وقدمت له الدية لكنه رفض القبول باستلامها^٣.

لا ينبغي تعريضه للإهانة

عندما اعتقلت القوات التابعة للجنة استقبال الإمام الجنرال رحيمي [من جلاوزة النظام الملكي] قال الإمام: «لا ينبغي تعريضه للإهانة إلى أن تتم محاكمته»^٤.

^١ السيدة مرضية الحديدجي، مجله (زن روز) ١٢/٣/١٣٦٩ هـ.ش.

^٢ آية الله الحائري الشيرازي، نشرة (ترييت) صيف ١٣٦٥ هـ.ش.

^٣ السيد محسن رفيق دوست، مجلة (أميد انقلاب) العدد: ٢٥.

^٤ السيد جواد صفويان، كتاب (خطوات في اثر الشمس) ج ٢ ص ٦٠.

اعدموا المفسدين فقط

أذكر جيداً الأيام الأولى التي تلت الثورة الإسلامية المباركة، لقد اقتادت فيها جماهير حزب الله حدود عشرين شخصاً أو أكثر من المفسدين من أقطاب النظام الملكي بينهم: هويدا، رحيمي، ربيعي، نصيري وغيرهم، وجاؤوا بهم إلى مدرسة علوي وكان بعض الإخوة يعتقد بوجوب إعدامهم جميعاً ويصر على ذلك، لذلك تقرر سؤال الإمام بهذا الخصوص فقال: «أعدمو الذين يصدق عليهم بوضوح حكم الشرع بأنهم مفسدون في الأرض فجزاء هؤلاء معروف، أما الآخرين فاتركوا أمرهم للمحكمة الإسلامية لكي تصدر عليهم أحكام طبقاً للموازن الشرعية الإسلامية»^١.

لا يحق لكم التفتيش

يقول الإمام: حتى لو دخلتم منزل أحد لضبط المخدرات، فلا تفتشوا ثلاجته أو مجموعات صورته، وليس لكم القيام باعتقاله أو فضحه إذا عرفتم - عرضاً - قيامه بارتكاب المعاصي»^٢.

انزعوا القيود عن أيديهم

جاؤوا بمجموعة من أفراد القوات الشاهنشاهية الخاصة وقد عصبوا عيونهم وقيدوا أيديهم إلى ساحة مدرسة علوي، ودخل على الإمام من أخبره بالمجيء بهم بهذه الحالة، فتغير وجه الإمام وقال: «ليس هذا صحيحاً، اذهبوا وانزعوا القيود عن أيديهم»، وكان هذا الموقف مفاجأة لم يتوقعها الذي جاء بالخبر وكذلك المتواجدون في ساحة المدرسة إذ قالوا: إن تنفيذ هذا الأمر ليس عملياً فهو يشتمل على مخاطر! فأصر الإمام على موقفه وأرسل من يخبرهم بأمره للمرة الثانية ثم الثالثة دون جدوى حتى أرسل إليهم ولده مؤكداً لزوم نزع القيود عن أيديهم وكان تنفيذ هذا الأمر عليهم صعباً للغاية^٣.

يجب الاقتصاد ممن قام بالتعذيب

كلفني الإمام بمهمة تشكيل لجنة للتحقيق في أوضاع السجون إثر انتشار إشاعات تتحدث عن وجود التعذيب فيها الأمر الذي أصاب الإمام بأذى شديد فأمرني بتشكيل هذه اللجنة وقال: «يجب أن تزور هذه اللجنة جميع السجون وتتعامل بحزم مع الموضوع، فإذا ثبت وقوع التعذيب يجب الاقتصاد ممن

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (باسدار سلام) العدد: ٩٣.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ ناطق نوري، صحيفة كيهان ١٣٦١/٨/٢٨ هـ.ش.

^٣ السيد عبد المجيد معاد يخواه.

قام به»، ولضمان تحقق ذلك عيّن الإمام ممثلاً له في هذه اللجنة لكي تزور بصلاحيات أوسع جميع السجون وتحدث بحرية مع السجناء^١.

حذارٍ من ظلم السجناء

بعد لقاء له بالإمام، سلم آية الله المنتظري السيد أحمد شكوى كتبها اثنان من المعتقلين بتهمة الارتباط بقضية مهدي الهاشمي، وطلب منه تسليمها للإمام الذي بعث لي - بعد اطلاعه على مضمون الشكوى وكانت موجهة ضد وزارة الأمن - رسالة مضمونها هو: «حذارٍ من إنزال الظلم على السجناء بعيداً عن أنظار المسؤولين»^٢.

لا يحق لي ذلك

تعرض جنين أختي للموت في بطنها وكان عمرها يومذاك (١٨) عاماً وعمر جنينها (٧) شهور، فاتفقت كلمة الأطباء على أن من غير الممكن إنقاذها معاً ويجب التضحية بأحدهما لإنقاذ الآخر، وطلبوا من الإمام الموافقة على التضحية بالجنين لإنقاذ الأم، فقال معاتباً: «لا يحق لي أن أكون سبباً لموت موجود آخر لكوني أحب ابنتي، فكلاهما من عباد الله ومن الأحياء!»
وكان هذا الإيمان الراسخ والإخلاص العميق في وجدان الإمام سبباً لأن يتفضل الله بالنجاة على الأم وحينها معاً^٣.

نفذت حكم إعدام أحمد بنفسه

إثر اعتقال ولده اختفى المرحوم آية الله الطلقاني عدة أيام عن الأنظار تعبيراً عن اعتراضه ثم زار الإمام الذي قال له: «إن ولدك من المنحرفين المرتبطين بالعصابات اليسارية، فلا ينبغي أن يؤذيك اعتقاله إلى

^١ آية الله السيد الموسوي الأردبيلي، صحيفة اطلاعات ١٣٥٩/٩/١٩ هـ.ش.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين المحمدي الري شهري، كتاب (خاطرات سياسي).

^٣ السيدة زهراء المصطفوي، صحيفة اطلاعات ١٣٦٩/٣/١٤ هـ.ش. وينقل عن أرحام الإمام أنهم كانوا يلاحظون الإمام في تلك الأيام يعيش حالة روحية صعبة للغاية، فهو ذو عاطفة جياشة وكان يرى ابنته معرضة للموت في كل لحظة، وقد أمر يومها بالقيام بختم «أمن يجيب» من أجل شفاء البنت وحينها.

هذه الدرجة» ثم قال: «اقسم بالله لو ابتلى أحمد بالانحراف وكان حكمه الإعدام، لنفذت الحكم بنفسى»^١.

إذا أدت العملية إلى وفاة أحدهما فهذا قتل

اصطحبت ابنتي التوأمين الملتصقتين (من جهة الرأس) «لاله ولادن» لزيارة الإمام واستفتيناه بشأن إجراء عملية جراحية للفصل بينهما فقال: «إذا أدت العملية الجراحية إلى وفاة أحدهما فهذا قتل، أما إذا كان إمكان بقائهما معاً علي قيد الحياة موجوداً فلا إشكال في إجراء العملية»^٢.

سيقتل عدد من الأبرياء

عندما أرادوا تشريح جسد المرحوم السيد مصطفى لم يسمح الإمام بذلك وقال: «سيقتل حينئذ عدد من الأبرياء ولن يعيد اعتقالهم السيد مصطفى لنا!!!»^٣.

لا يعرض نفسه للأذى من أجلي

لم أحظ أنا بقاء الإمام لكن والدتي وأختي حظيتا بقاء خاص به وأخبرته بإضرابي عن الطعام فقال: «ليس هذا عمل صحيحاً» ولذلك أنهيت هذا الإضراب ، وكان الإمام قد قال لأختي: «ليمتنع عن الرد عليهم مهما وجهوا من الإهانات لي وللثورة لكي لا يعرض نفسه للأذى من أجلي»^٤.

هل تختمل أنها مضرة

أدمنت مدة تدخين السجائر عندما كنت في النجف، وفي الأيام الأخيرة من تلك المدة وشعرت بان التدخين يضرني، فقد كثر سعالي وكانت تصيبيني حالة من ضيق النفس والدواران، ولأن الإمام كان قد أفتى في رسالته العملية بحرمة استعمال المضرات، أردت أن أسأله هل أن هذه المسألة تصدق على

^١ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ الآشتياني، مجلة (مرزداران = حرس الحدود) العدد: ٩٣ .

^٢ السيد صفائيان (الأب بالتبني للبتين) صحيفة اطلاعات ١٣٥٩/١٢/٣ هـ ش.

^٣ موسى كوثر، ولا يخفى أن هذا الموقف يستند - إضافة إلى الاحتياط بشأن المسائل الشرعية - إلى قضية أخرى أشار الإمام فيما بعد، وهي أن القيام بتشريح جسد السيد مصطفى يعطي ذريعة للنظام البعثي لاعتقال عدد من أصحاب الإمام ويعدهم بعد أن يحملهم مسؤولية جريمة قتل السيد الشهيد مصطفى.

^٤ السيد كوروش الفولاذي، مجلة (شاهد بانوان) العدد: ١٦٤ - ١٦٥، وكانت الشرطة البريطانية قد اعتقلت السيد الفولاذي وحبسته عدة سنين إثر انفجار وقع في لندن، وعرضته لأشكال من التعذيب رغم أن عمره لم يتجاوز (١٨) عاماً.

التدخين أم لا، لذلك قلت له ونحن في طريق العودة من الحرم [مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام] : هل التدخين من هذه المضرات يا سيدي؟ لكنه لم يجبني على هذا السؤال مباشرة بل نقل لي حكاية ملخصها أن المرحوم الميرزا المجدد الشيرازي كان يدخن الغليون فزاره شخص ورأى عنده الغليون ووسائله الأخرى الخاصة بالتدخين، فسأله: أليس في تدخين الغليون ضرر؟ أجاب السيد: هل تحتمل أنها مضرة؟ قال: نعم، فقال السيد: إذن أخرجها من هنا لا حاجة لي بها! فأثر في كلام الإمام إلى درجة تركت في الليلة تلك نفسها التدخين وزالت عني أضراره^١.

لينهض ويجتنب هذا العمل

حدث مرة أن الإمام شاهد أثناء مروره في رواق حرم أمير المؤمنين عليه السلام خلال إلى الزيارة إلى أن أحد الزوار قد هوى على العتبة المباركة يقبلها؛ ولم يكن الإمام يتلفت عادة أثناء سيره خاصة وهو في الحرم العلوي المطهر حيث لم يكن يتوجه للأمر الظاهرية أصلاً؛ وعندما رأى هذا المشهد قال بسرعة لأحد السادة الذي كان يرافقه: «قل لهذا السيد أن ينهض ويجتنب هذا العمل»^٢.

يجب على المسؤولين منع نشر مثل هذه الكتب

وصلنا خبر يفيد أن الاجتماع الرابع لمجمع فقهاء المسلمين الذي عقد في مكة قد وضع في قائمة الكتب المحرمة اسم كتاب صدر باللغة العربية يتحدث عن بشارات القرآن الكريم بالثورة الإسلامية والإمام الخميني من خلال تطبيق بعض الآيات على حوادث الثورة وتاريخ الإمام بالاستعانة ببعض التفسيرات والتأويلات وحساب الحروف، وقد استغل الأعداء ذلك لشن حملة إعلامية واسعة ضد الثورة الإسلامية، وإثر إبلاغ الإمام بذلك أعلن عن رفضه الشديد لنشر مثل هذه الكتب وقال: «لا توجد في القرآن أية إشارة لهذا الموضوع» وأضاف: «يجب على المسؤولين منع نشر مثل هذه الكتب»^٣.

شريطة أن لا يتضمن ذلك تأييد غير المسلمين

كان الإمام حازماً للغاية مع أخطار الآثار السيئة للثقافات المادية المبتدلة على أفكار المسلمين، وكان شديد الحساسية تجاه ذلك، ولذلك كان يرى أنه حتى الاستفادة من علوم الأجانب مشروطة بشروط

^١ حجة الإسلام والمسلمين عبد العلي القرهي، كتاب (حوادث خاصة من حياة الإمام الخميني) ج ٦.

^٢ حجة الإسلام والمسلمين رحيمان، مجلة (باسدار إسلام) العدد: ٣٩.

^٣ السيد كمال الخرازي، صحيفة اطلاعات ٢٧/٥/١٣٦٠هـ ش.

خاصة. فمثلاً اتصلوا يوماً بي من مركز التنمية الثقافية للأطفال والأحداث وقدموا استفتاء إلى الإمام بشأن حكم شراء الكتب السليمة والمفيدة للأطفال والأحداث إذا كان الناشر لها أو المؤلف أو المترجم من غير المسلمين فأجاب الإمام على ذلك بالقول: «يستفاد قدر المستطاع من الكتب التي ألفها مسلمون، ولكن إذا كان المورد ضرورياً، وكان الكتاب جيداً جداً فلا إشكال بشرائه شريطة أن لا يتضمن ذلك تأييد غير المسلمين»^١.

حتى لو عارضكم جميع الناس

لقد قال الإمام مراراً: «لو وجدتم [الخطاب هنا لأعضاء مجلس صيانة الدستور] قانوناً صادق عليه مجلس الشورى وكان مخالفاً لقوانين الإسلام والدستور الإسلامي فردوه حتى لو عارضكم جميع الناس»^٢.

صادقوا على قانون إلغاء الربا

في الليلة التي عزم الإمام فيها على الانتقال من طهران - مدرسة علوي - للإقامة في قم أصر على الإخوة بالقول: «تعالوا الآن إلى هنا ما دمت مقيماً في طهران لكي يصادق المجلس الثوري على قانون إلغاء الربا»^٣.

^١ حجة الإسلام والمسلمين رحيميان.

^٢ آية الله المهدي الكني، صحيفة اطلاعات ١٣٦١/٥/٥ هـ.ش.

^٣ آية الله الشهيد البهشتي، صحيفة جمهوري إسلامي ١٣٦٠/٩/٤ هـ.ش.

